RAWASEKH
رواسخ
اصدارات • دراسات • برامج

الوجود التاريخي للأنبياء

وجدل البحث الأركيولوجي

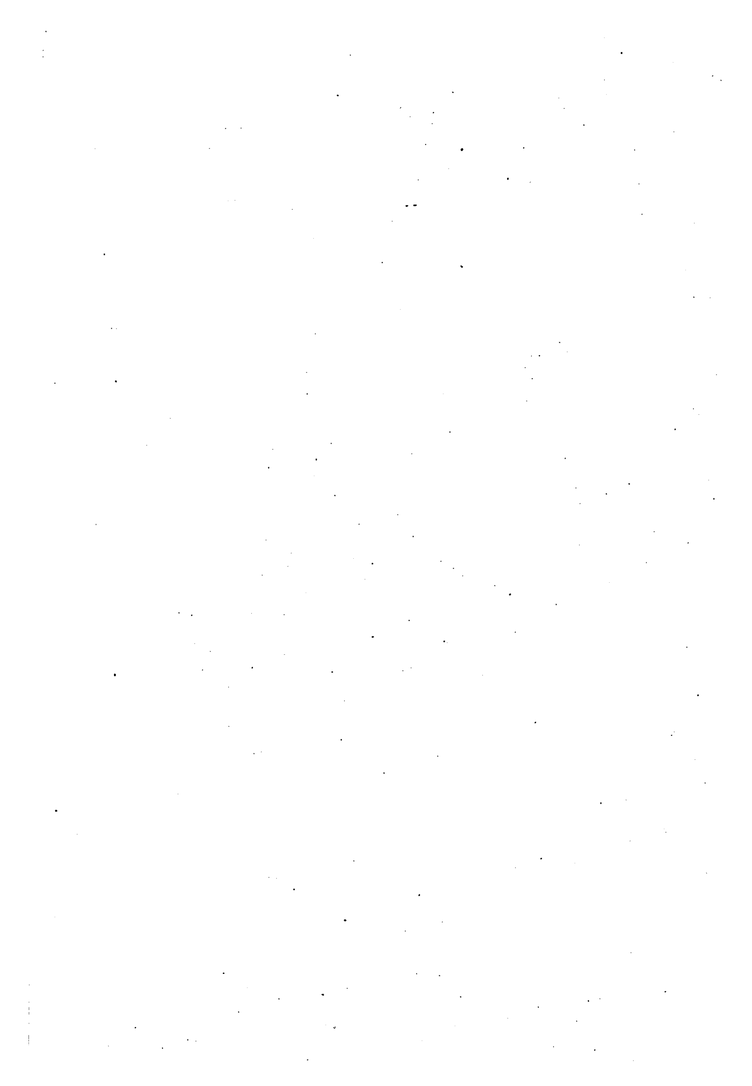
شبهات وردود



تأليف
د. سامي عامري

الـوجـود الـتـاريخي للأنبياء
وجدل البحث الأركيولوجي
- شبهات وردود -


بسم الله الرحمن الرحيم



الوجود التاريخي للأنبياء
وجدل البحث الأركيولوجي
- شبهات وردود -

تأليف:

د. سامي عامري



الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي - شبهات وردود -

المؤلف: د. سامي عامري

رواسخ 2021

مطابــع الرسالــة

556 ص ؛ 23.5 سم.

الترقيم الدولي: 2-6-9729-9921-978

الطبعة الأولى 1442 هـ - 2021 م



الكويـت - شـرق - شـارع أحمـد الجابـر - بـرج الجـاز

هاتـف: 0096522408686 - 0096522408787

0096590963369



- مركز غير ربحي مختص في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة وفق أسس عقلية وعلمية منهجية.
- يسعى لإيجاد خطاب علمي مؤصل من خلال تأليف وترجمة الكتب والبحوث التأصيلية والحوارية.
- يُعنى بإقامة الدورات والندوات، وإنتاج المواد المرئية النوعية.
- يستهدف بخطابه المهتمين بالمعرفة من مختلف شرائح المجتمع.



الإهداء

إلى الأتقياء الأخفياء من شباب الدعوة،
الذين لا تعرفهم الشاشات ولا يُصدّرون على المنابر..
أخيار يعملون في صمت، ويجتهدون بصدق..
ينحتون على الصخر طريق الظفر..
عسى أن يرزقهم الله -بفضله- أضعاف ما في صدورهم من خير!

الفهرس

الباب الأول

إشكالات منهجية

الباب الثاني

الوجود التاريخي للأنبياء منذ عصر محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – إلى عصر عيسى –عليه السلام–

الباب الثالث

الوجود التاريخي للأنبياء في الألفية الأولى قبل الميلاد

الباب الرابع

الوجود التاريخي للأنبياء قبل الألفية الأولى قبل الميلاد

الباب الخامس

الوجود التاريخي للأنبياء الذين لا ذكر لهم في التوراة والإنجيل

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده..

استحثّني الإخوة منذ سنوات على الكتابة في موضوع تاريخيّة الأنبياء، غير أنّ الانشغال بختم مباحث سلسلة «الإلحاد في الميزان» حال بيني وبين ذلك، كما أنّني لم أجد حماسة كبرى لتناول هذا الموضوع؛ لظنّي أنه لم ينتشر ذكره بين الألسن حتى يكون مصدرًا للريبة والاشتباه. غير أنّ سرعة حركة الأفكار، وعناية منابر اللادينية في العالم العربي باستقدام كل شبهة طاعنة في الإيمان والقرآن من الغرب؛ جعلت الحديث في هذا الموضوع واجبًا لا يُنسَأُ؛ خاصة أنني لا أعرف كتابًا في مكتبتنا العربية قد أُفرد لتناول هذا الموضوع؛ بما يقتضي المعاجلة بالمعالجة حتى لا تصير الشبهة حقيقة منكوتة في صدور الشباب الساعي للمعرفة والباحث عن الحق.

وقد ألحقتُ هذا الكتاب بسلسلة «الانتصار للقرآن»؛ لأنّ هذه الشبهة صارت تُصدَّر في خطاب الطعن في صدق الخبر القرآني، وظاهرة النبوّة في التاريخ البشري. والوفاء لربّانيّة القرآن يقتضي دفع هذه التهمة، بالدليل البيّن الذي يرضي طالب الحقّ.

أهمية البحث، وسبب اختياره

التشكيك في الوجود التاريخي للأنبياء، شبهة وافدة، أصْلها أخطاء الكتاب المقدس التي تفجّرَ خبرُها مع تطور دراسات النقد الأعلى[1] إثر سقوط احتكار الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس وتأويله، ثم صعود التيارات «العقلانية» المتطرّفة في

(1) النقد الأعلى Higher Criticism: علم يهتم بالبحث في مصادر الوثائق؛ لمعرفة مؤلفيها، وزمن التأليف، ومكانه.

أوروبا، والتي استهواها التشكيك في كل شيء ديني، خاصة المعجزات.

وكانت الانطلاقة الكبرى، لإثارة الشك في تاريخية الأنبياء في العقد السابع من القرن الماضي[1]، إثر انحسار أطروحة مدرسة الأركيولوجي الأمريكي وليام فوكسويل أولبرايت[2]؛ فقد استطاع أولبرايت وتلاميذه الهيمنة على الجوّ العلمي من الأربعينيات إلى الستينيات من القرن العشرين؛ بالانتصار لتاريخية إبراهيم -عليه السلام- وبنيه؛ من خلال الكشف عن تشابهات كثيرة بين تفاصيل قصصهم وما اكتُشف من آثار في البلاد المجاورة لفلسطين، ولكنْ عَرفَ العقد السابع من القرن الماضي رحيل أعلام هذه المدرسة؛ فقد توفي سنة 1970 بول لاب[3] غرقًا في سواحل قبرص، وتوفي بعد سنة من ذلك أولبرايت، وتبعه تلميذه نلسون غلوك[4]، وبعده المؤرخ والأركيولوجي الشهير رولون دو فو[5]. وفي سنة 1974 توفي من جامعة هارفارد ج. أرنست رايت[6]. ولحقه سنة 1976 يوحنان أهاروني[7] من جامعة

---

(1) أشهر من شكك في النبوّة في تاريخ البيئة الإسلامية، الطائفة المسماة -خطأ- بـ«البراهمة». وهي طائفة يُزعم أنها تمنع النبوّة. وقد لخص ابن حزم موقف هذه الطائفة من النبوّة في اعتراضين: «لما صَحّ أن الله عز وجل حكيم وكان من بعث رسولًا إلى من يدري أنه لا يصدقه، فلا شك في أنه متعنت عابث؛ فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه!» و«إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان؛ فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به، قالوا. فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضًا. ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع» (الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1348هـ، 1/ 63. تعالى الله عن إفكهم!

والجدل مع «البرهمة» غير الجدل الذي في كتابنا؛ فالمخالف هنا يُنكر وجود أعيان الأنبياء الذين ورد خبرهم في القرآن، وليس همّه بالأساس الجدال في معقوليّة النبوة في ذاتها. وقد ناقشنا معقولية النبوة، والحاجة إليها، في كتاب: براهين النبوة (لندن: مركز تكوين، 1438هـ/ 2017م)، ص 25-44.

(2) وليام فوكسويل أولبرايت William Foxwell Albright (1891 - 1971) : أركيولوجي وعالم لغات ساميّة أمريكي.

(3) بول لاب Paul Lapp (1930 - 1970): درّس في «Pittsburgh Theological Seminary». وعمل مديرًا للمدرسة الأمريكية للبحث الشرقي في القدس.

(4) نلسون غلوك Nelson Glueck (1900 - 1971): حبر يهودي وأركيولوجي أمريكي. رأس «Hebrew Union College».

(5) رولون دو فو Roland de Vaux (1903 - 1971): قسيس فرنسي ورئيس المدرسة اللاهوتية شرقيّ القدس «École biblique et archéologique française de Jérusalem».

(6) جورج أرنست رايت George Ernest Wright (1909 - 1974) : ناقد توراتي وأركيولوجي أمريكي متخصص في اللاهوت النصراني وأركيولوجيا فلسطين.

(7) يوحنان أهاروني Yohanan Aharoni (1919 - 1976): رئيس مؤسسة الأركيولوجيا في جامعة تل أبيب.

تل أبيب. وشهدت سنة 1978 وفاة جيمس كلسو[1] وماكس مالوان[2]. وبعد عام من ذلك توفي ج. لانكستر هاردنج[3][4].

ووافق رحيل أولبرايت وأهم تلاميذه وأنصاره، صدور كتابين مثيرين لباحثين أمريكيين، هما «تاريخية روايات الآباء: البحث عن إبراهيم التاريخي»[5] (1974) لتوماس تومسون[6]، و«إبراهيم في التاريخ والتراث»[7] (1975) لجون فان سيترز[8]، وهما في نقض الطرح الأولبرايتي، وإقامة قرائن على أثر بيئة القرن السابع أو السادس من الألفية الأولى قبل الميلاد على صناعة النص التوراتي. وقد تزامن ذلك مع صعود الفكر الشكوكي ما بعد الحداثي والقراءات المادية للظاهرة الدينية؛ بما جعل الطرح الجديد يتمدّد بسرعة في عالم الدراسات الدينية؛ لتصبح قصص الأسفار التوراتية مجرّد عمل دعائي يهودي، لا قيمة تاريخية له. وهي دعوى المدرسة الأركيولوجيّة المعروفة باسم مدرسة «الحد الأدنى» «Minimalism» المقابلة للمدرسة المحافظة المتقلّصة والمتقهقرة، والملقّبة بمدرسة «الحد الأقصى» «Maximalism» التي تقرر أنّ عامة – أو كل – أخبار الكتاب المقدس صحيحة.

وفي العالم العربي، لم يتولّ نشر دعاوى الطعن في قصص النبيين أركيولوجيون من العالم الأكاديمي، ولا رجالٌ مسّتْ أيديهم تربة الحفريات، وإنّما كان الرواد

(1) جيمس كلسو James L. Kelso (1892 - 1978) : أستاذ تاريخ العهد القديم والأركيولوجيا الكتابية في «Pittsburgh Theological Seminary». وعمل مديرًا للمدرسة الأمريكية للبحث الشرقي في القدس.

(2) ماكس مالوان Max Mallowan (1904 - 1978): أركيولوجي بريطاني متخصص في تاريخ الشرق الأوسط.

(3) جيرالد لانكستر هاردنج Gerald Lankester Harding (1901 - 1979): أركيولوجي بريطاني. عمل مديرًا لقسم الآثار في الأردن بين 1936 – 1956.

(4) Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel* (Wipf and Stock Publishers, 2013), p.1.

(5) Thomas L. Thompson, *The Historicity of the Patriarchal Narratives: The Quest for the Historical Abraham*, Berlin: de Gruyter: 1974.

(6) توماس ل. تومسون Thomas L. Thompson (1939) : ناقد كتابيّ ولاهوتي أمريكي من أصل دانماركي. درّس اللاهوت في جامعة كوبنهاجن. أبرز رموز تيّار «الحد الأدنى».

(7) John Van Seters, *Abraham in History and Tradition*, Yale University Press, 1975.

(8) جون فان سيترز John Van Seters (1935): ناقد توراتي كندي. أستاذ في جامعة شمال كارولاينا.

مجرّد نَقَلةٍ عن كتب المستشرقين أو غلاة الأركيولوجيين، وعلى رأسهم - في النصف الأوّل من القرن العشرين - طه حسين صاحب العبارة الشهيرة التي أثارت واحدة من أبرز الزوابع الفكرية في النصف الأول من القرن العشرين: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل. وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا. ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلًا عن إثبات هذه القصة التي تحدّثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها. ونحن مضطرّون إلى أن نرى في هذه القصة نوعًا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى. وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويثبتون فيه المستعمرات»[1].

وقد تجدَّد التشكيك في قصص الأنبياء، بداية القرن الخامس عشر الهجري/ آخرَ القرن العشرين الميلادي، بالترويج لكتابات اللادينيين والملاحدة العرب ومحاضراتهم في الدوائر العالمانية. وإذا كان النقّاد الغربيون يسقطون تاريخيّة الأنبياء أو بعضهم، انطلاقًا ممّا في التوراة من خطأ، ولا يأبهون بالنظر في القرآن، فإنّ اللادينيين العرب يتستّرون بالتوراة لإدانة القرآن وإنكار ربّانيّته. وهذا أمر لاحظه النصارى العرب أنفسهم في ردودهم - البسيطة - عليهم؛ فإنّه من المعلوم أنّ هذا الخطاب ليس موجّهًا إلى الأقليّة النصرانيّة أو اليهوديّة في البلاد العربيّة، وإنّما هو استفزاز صريح للمسلمين بالطعن في ما في قرآنهم من خبر عن تاريخ النبوّة والأنبياء.

ومنهج اللادينيين العرب هنا؛ ذكرُ الخبر المستنكر في التوراة، وإنكار تاريخيّته كليّة، مع علمهم أنّ له نظيرًا في القرآن. ومن ذلك إنكار فراس السوّاح تاريخيّة زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام بصورة قاطعة، دون إظهار الاهتمام بالتمييز بين الخبر القرآني عن سليمان عليه السلام ومملكته وعلاقته بملكة سبأ والخبر التوراتي عن

(1) طه حسين، في الشعر الجاهلي (مطبعة دار الكتب، 1926)، ص29.

ذلك. بل أنكر السوّاح وجود بني إسرائيل ابتداءً، ورأى أنّهم ولدوا في فلسطين، ولم يأتوا من مصر، وأنّ التوحيد قد ظهر في اليهود قبل ميلاد المسيح بقرون قليلة؛ بما يُعدّ تكذيبًا مباشرًا لجميع قصص القرآن عن بني إسرائيل وأنبيائهم الذين هم من نسل يعقوب عليه السلام قبل المسيح.

وقد أسرف السوّاح - بالإضافة إلى ذلك - في هجاء المخالفين - في كتبه - بعبارات لاذعة[1]، رغم أنه لم يقرأ كتبهم؛ إذ نقل صورة شائهة لأفكارهم - في الغالب - بوسائط[2]. كما أنّه - كما سيتّضح للقارئ في بحثنا في تاريخيّة داود وسليمان عليهما السلام - لم يأتِ بشيء جديد، ولم يُظهر حسًّا نقديًا واعيًا في نقله الحرفي لأطروحات الأركيولوجيين الغربيين.

وانضم إلى مشروع التشكيك في تاريخيّة الأنبياء في السنوات القليلة الماضية الكاتب العراقي **خزعل الماجدي**؛ فقال بما قاله السوّاح[3]، وزاد على ذلك إشاعة التشكيك في النبوة وأعيان الأنبياء القرآنيين وقصصهم صراحة، على القنوات الفضائية والمنتديات ومعارض الكتاب التي يُستدعى لها، بلغة ساخرة انتشى لفجاجتها ملاحدةُ الشبكة العنكبوتيّة.

وهذا الإسراف في الترويج للماجدي في البلاد العربيّة في القنوات والمنصّات، تعبير عن أزمة اللادينيين العرب الذين يحتلّون منابر «ثقافيّة» وإعلاميّة كثيرة؛ إذ إنّ الماجدي المهتم بتاريخ العراق القديم، أجنبيّ كليّة عن الدراسات التوراتية والإنجيلية والقرآنية، وقصارى أمره النقل المكثّف في كتبه عن المواقع الإلكترونيّة

---

(1) انظر مثلًا وصفه المخالفين في كتابه «تاريخ دمشق والبحث عن مملكة اليهود» بـ«عمى الألوان التاريخي»، (ص52)، ووصفه الأركيولوجي ويليام فوكسويل أولبرايت أنه يهودي متعصب للتوراة، رغم أنه نصراني، ومنكر عصمة النص التوراتي Biblical inerrancy؛ كتخطئته التوراة في أمر استعمال الجمال زمن الآباء.

(2) كما هو واضح من مراجع كتبه، ولا يُستثنى من ذلك - تقريبًا - سوى مؤلفات أولبرايت التي تجاوزها «المحافظون» أنفسهم منذ عقود، بل وهاجمها بعضهم.

(3) الماجدي صريح في دعواه أنّ القرآن ينقل خرافات اليهود؛ ومن ذلك قوله عند حديثه عن قايين (قابيل) وهابيل: «... كلّ هذه العناصر موجودة أيضًا في المدراش، وكلّها ستتسرب إلى القرآن وسيتحول اسم قايين إلى قابيل». (خزعل الماجدي، أنبياء سومريّون، كيف تحوّل عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين، الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، 2018، ص 218).

غير الموثوقة كـ(ويكيبيديا) في مناقشة المسائل العلمية الدقيقة التي اشتدّ فيها الجدال في الدراسات الأكاديميّة[1]. ولأنّ «عين الرضا عن كلّ عيب كليلة»؛ فإنّ مهاجمته مقدّسات المسلمين، تشفع له الجهل والتدليس في خطابه!

كما ظهر فريق آخر يطعن في القصص القرآني والتوراتي بالترويج للنظريات الشاطحة التي يأنس بها اللاهون المحبّون للغرائب والشذوذات، وإن لم تعترف بها الدوائر العلميّة، ومنها أنّ التوراة قد جاءت من اليمن أو عسير في جزيرة العرب[2]،

---

(1) راجع في ذلك فصل تاريخيّة إدريس عليه السلام في هذا الكتاب.
واعلم أنّه ستتكرّر في كتابنا هذا الإشارة إلى السوّاح (وبدرجة أقلّ الماجدي)؛ بيانًا لتهافت مذهب اللادينيين العرب، وإن كانت غاية الكتاب في الأصل الردّ على شبهات الأركيولوجيين الغربيين، لا الناقلين عنهم دعواهم من الكتّاب العرب.

(2) لعلّ أبرز هؤلاء في أيامنا الصحفي العراقي فاضل الربيعي الذي أصدر أكثر من كتاب في نصرة دعوى متطرفة يرفضها المجتمع العلمي قاطبة، وهي أقرب للهزل منها للجدّ، وخلاصتها أنّ قصص الأنبياء في التوراة لا علاقة لها بفلسطين وأورشليم، وإنّما هي قد كتبت في اليمن، وعن اليمن (وهو مسبوق في ذلك بعدد من الكتّاب).
وحديث الربيعي مختصره الزعم أنّ الأركيولوجيين قد انتهوا إلى أنّ أرض فلسطين الحالية لا علاقة لها البتة بالأحداث التوراتية، وأنّه لا جواب على هذا الكشف الصادم سوى تقديم أطروحة تكشف السرّ، وهي - في رأيه - أنّ التوراة قد كتبت في اليمن، وأحداثها كلّها تمّت في اليمن.
وآفة ما يكتبه الربيعي أنّه بعيد عن المنهج العلمي كليّة؛ إذ إنّه يقوم على محاولة المطابقة بين أسماء المدن والقرى والهضاب... في التوراة، وما جاء في كتاب «الإكليل وصفة جزيرة العرب» لأبي محمد الحسن بن أحمد الهَمْدانيّ من القرن الرابع الهجري؛ للوصول إلى مبتغاه؛ وذلك بتحريف النص العبري، والإيحاء أنّ أسماء المواضع في اليمن لم تتغيّر على مدى ألفي سنة رغم تغير التجمعات السكانية واللغات في البلاد، وإنكار ما دلّ عليه البحث الأركيولوجي قطعًا من وجود أسماء حكّام مملكتي يهوذا والسامرة منذ القرن التاسع قبل الميلاد في فلسطين (راجع الباب الأول من كتابنا هذا).
ولم تنتشر دعوى الربيعي في فضاء وسائل التواصل الاجتماعي إلا لولع بعض العامة بالأطروحات الصادمة والمثيرة، واستغلال المؤلّف الانتماء العروبي للمولعين به، والترويج لحديثه من هيئات داعية للتطبيع مع الصهاينة؛ لأنّه يُنكر أن تكون أورشليم هي القدس نفسها، وله في ذلك كتاب بعنوان: «القدس ليست أورشليم: مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين» (رياض الريس للكتب والنشر، 2010). وتتبّع سقطات الربيعي وكذبه الصريح على اللغة العبرية (حيث يتعمّد تغيير حروف الكلمات العبرية للوصول إلى مراده، أو الادّعاء أنّ علماء اللغة العبريّة يرون أنّ العبرية الأولى، اسمها العبريّة السبئيّة!) وعلى الأركيولوجيين (خاصة فنكلشتاين، الذي نسب إليه عكس ما تقول أطروحته المشهورة؛ إذ يزعم الربيعي أنّ فنكلشتاين يقول إنّ التوراة لا علاقة لها بفلسطين. في حين أنّ فنكلشتاين - على الحقيقة - يقول عكس ذلك تمامًا؛ فهو يؤكّد دائمًا أنّ «اليهود» عاشوا الألفية الأولى قبل الميلاد كلّها في فلسطين، ولم يأتوا يومًا من خارجها، لا من مصر ولا من غيرها!)، وعلى التاريخ (بزعمه أنّ كلّ الكشوف الأثرية تنفي ربط أخبار التوراة بفلسطين)، يحتاج إلى جهد عظيم؛ لأنّ التدليس ظاهر في كل التفاصيل التي يذكرها - تقريبًا -، وقد سبق أن تحدثت في محاضرة مسجّلة عن بعض ذلك.
وإنّ من الظواهر المنكرة على الساحة، انحياز مسلمينَ إلى أطروحات متطرفي الأركيولوجيين الغربيين المنكرين لأصالة تاريخ اليهود جملة وتفصيلًا، واستقدام بعضهم للمحاضرة، نكاية في «الصهيونية»(!)، دون الوعي بما يلزم من ذلك من تكذيب صريح القرآن. والحقّ أنّ هذه المدرسة المتطرّفة تخالف صريح الوحي، وإجماع الأمّة الإسلاميّة. وخلافنا مع الصهيونية لن يكون سببًا لإنكار ما اتّفق عليه خبر القرآن والتوراة (بعد تحريفها). ومخالفتنا لمتطرّفي الأركيولوجيين أساسها الدليل، لا التمنّي أو التشهّي.

رغم أنّ الشواهد الأثريّة الكثيرة المكتشفة في كنعان (=خاصة ما يُعرف اليوم بفلسطين) توافق بصورة صريحة جغرافيا الرواية التوراتيّة[1].

إنّها هجمة شرسة على القرآن؛ للتشكيك في ربانيّته، لا يوقفها شيء؛ لأنّها لا تتقيّد بالمنهج العلمي في البحث، وإنّما تركن إلى لغة الإثارة والتدليس، وطريق النقل غير النقدي عن المتطرّفين من الباحثين الغربيين. وقد استفحل الأمر؛ حتى وجدنا من يطلق دعوى إنكار وجود محمّد صلّى الله عليه وسلّم، دون أن يُظهر بعض حياء أو حرج..!

إشكالية البحث

أصل الإشكال في دعوى خرافية شخصيات الأنبياء، القول: إنّ البحث التاريخي قد أثبت أنّه لم توجد نبوّة، أبدًا؛ ولم يعش أحد من الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن على الأرض (كلّهم أو جلّهم)، ولم يرهم من البشر أحد، ولم تحفظ الأرض لهم أثرًا؛ فكلّ خبرهم في القرآن محض زيف.

ولذلك فكتابنا هنا يجيب على سؤال: هل أثبت البحث الأثري حقًا خرافية أنبياء القرآن؟

وقبل ذلك يتناول بالنظر سؤال: هل البحث الأثري يملك أن يحسم القول في تاريخيّة أنبياء القرآن كلّهم؟

ملخّص خطّة الدراسة

الوفاء للبحث في تاريخية الأنبياء في القرآن يقتضي - في البدء - مناقشة المقدمات المضمَرة؛ فإنّ دعوى الطاعنين قد بُنيَت على مقولات مطويّة في المنهج والتاريخ. وتجاوزُ مناقشة هذه المقدمات المضمرة يوقع في المصادرة على المطلوب؛ بإثبات ما محلّه الجدل. كما أنّ هذه المقدمات في ذاتها حاسمة للجدل في أصل الموضوع؛ لأنّ الأصول حجّة للفروع أو أصل فسادها.

---

(1) راجع الفصل الثالث من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

وتدور عامة هذه المقدّمات حول حجيّة الشاهد الأركيولوجي في البحث عن الوجود التاريخيّ للأنبياء؛ فإنّ المدارس الغربيّة المشكّكة في وجود الأنبياء مجمعة أنّ البحث الأركيولوجي بإمكانه أن يحسم القول في هذا الشأن، بلا تردّد؛ لأنّ الأركيولوجيا علم متين، لا يخطئ في هذا الباب.

وبعد الدراسة النقديّة للأصول التي يقوم عليه بحث المشكّكين، علينا أن نتناول وجود كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن بالفحص التاريخي؛ وهو ما يقتضي حصر هذه الأسماء، ثم البحث في وجودها التاريخي، مع ملاحظة الفارق بين الخبرين القرآني، والتوراتي - الإنجيلي.

والأنبياء الذين ذُكرت أسماؤهم في القرآن يبلغ عددهم خمسة وعشرين نبيًّا، سنمرّ على ذكرهم جميعًا؛ بأن نبحث في أمرهم من ثلاثة أوجه:

1. سيرتهم في القرآن والتوراة والإنجيل[1]؛ وذلك لأنّ الأركيولوجيين المنكرين لتاريخيتهم؛ قد أقاموا اعتراضاتهم على ما جاء في التوراة والإنجيل، لا القرآن. فوجب - لذلك - بيان براءة القرآن من أسباب التهمة.
2. التفاصيل القابلة للرصد الأركيولوجي في سيرتهم؛ إذ التفاصيل القابلة للرصد في الآثار، هي وحدها التي من الممكن أن تخدم البحث عنهم في التاريخ القديم.
3. حديث النقاد في شأن الكشف الأركيولوجي لسيرتهم، ونقد ذلك؛ فإنّنا في حاجة إلى أن نحيط بأهمّ ما انتهى إليه الأركيولوجيون على مدى العقود الماضية، دون أن نسلّم لقولهم تسليم المقلّد الكسول، وإنّما نعرض هذه الأقوال للنقد عند الحاجة.

---

(1) عبارة «التوراة» في هذا الكتاب، يُقصد بها عامةً: التناخ بالاصطلاح اليهودي، والعهد القديم بالاصطلاح النصراني. وأمّا عبارة «الإنجيل»؛ فيقصد بها: العهد الجديد عند النصارى.

وهؤلاء الأنبياء هم:

محمّد	آدم	نوح	إدريس	إبراهيم
لوط	إسماعيل	إسحق	يعقوب	يوسف
موسى	هارون	هود	صالح	شعيب
أيوب	إلياس	اليسع	داود	سليمان
يونس	ذو الكفل	زكريا	يحيى	عيسى

وسينتظم حديثنا عن هؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - في الأبواب الأربعة التالية:

- أنبياء عصر عيسى -عليه السلام- وما بعده.
- أنبياء الألفية الأولى قبل المسيح -عليه السلام-.
- أنبياء ما قبل الألفية الأولى قبل المسيح -عليه السلام-.
- الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في التوراة والإنجيل.

وتناولُنا لتاريخ النبوّة - كما ترى - يبدأ من الأحدث إلى الأبعد زمنًا، لا العكس؛ لأنّنا نريد أن نبدأ البحث من المساحات الأقلّ إشكالًا؛ حيث يتّفق المثبتون والنفاة على أنّ التاريخ لا بدّ أن يُقدّم شهادة مباشرة أو غير مباشرة في خدمة سؤال تاريخيّة الأنبياء، قبل أن نتّجه إلى المساحات المظلمة بصورة كليّة أو شبه تامة؛ حيث البحث التاريخي يقوم على غير الشواهد الحاسمة؛ فمن كانت حجّته أظهر في العصور المعلوم خبرها كلّه أو بعضه، كان حظّه من التصديق في العصور المظلمة أوفر.

حدود الدراسة

هذه الدراسة التي تتناول الوجود التاريخي للأنبياء، تحاول أن تقتصر على ما يخدم الموضوع؛ فلا تنجرف إلى تناول المباحث التي لا تتصل بهذا الموضوع إلا في

حدود ما يخدم الغرض من هذه الدراسة. ولذلك وجب التنبيه إلى عدد من الأمور:

- هذا الكتاب ليس في عرض تفاصيل سِيَر الأنبياء ودعوتهم؛ فهو لا يذكر من خبرهم إلّا ما اتّصل بموضوع الكتاب.
- لا يتناول هذا الكتاب خبر الأنبياء الذين لم ترِد أسماؤهم صريحة في القرآن، ولن يتعرّض إلى عامة الشخصيات المختلف في نبوتها بين علماء الإسلام، كالخضر وذي القرنين.
- لن نتعقّب الأخطاء التاريخيّة في سير الأنبياء في الكتاب المقدس، أصالة، وإنّما نذكر بعضها هنا تبعًا، كعدد الإسرائيليين الذين خرجوا مع موسى -عليه السلام- من مصر[1].
- لا يعتني الكتاب بتناول الاعتراضات التاريخية على قصص الأنبياء في القرآن[2]؛ إلّا ما اتّصل ضرورة بدعوى وجودهم في الخطاب اللاديني؛ كطوفان نوح -عليه السلام-، وخروج موسى -عليه السلام- من مصر إلى سيناء.
- لن نهتم بالمقارنة بين قصص القرآن وما يقابلها في الكتاب المقدس، إلّا ما كان متصلاً من ذلك ببحث تاريخيّة الأنبياء[3].

---

(1) قيد الإعداد كتابٌ في موضوع الأخطاء التاريخية في الكتاب المقدس. يسّر الله - بعونه - إتمامه.

(2) مناقشة دعوى وجود أخطاء تاريخية في القرآن؛ محلّها الكتاب القادم بإذن الله من سلسلة «الانتصار للقرآن».

(3) النقاش الذي يخوضه هذا الكتاب قد يثير اعتراضات بين عدد من القراء المسلمين الذين لم يواكبوا الجدل الدائر في موضوع الكتاب وانتشار هذه الشبهة. ومن ذلك:

- استغناء المكتبة العربية عن تناول هذه الشبهة الغربية: قد يقول قائل: التشكيك في تاريخيّة الأنبياء، شبهة غربيّة لها سوقها في الغرب، وليس من الحكمة أن تثار في بيئة عربيّة لا تعرفها!

والجواب هو أنّنا لا نطلب البحث في مناقشة شبهة غربيّة رائجة بين غير المسلمين فقط، وإنّما نناقش شبهة غربية يتنامى عدد المروّجين لها اليوم في ساحة الثقافة العربية، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، بل وعلى منابر رسمية؛ بإنفاق من بعض المؤسسات الثقافية أو الإعلامية العالة على ضرائب «المواطن» العربي. ولذلك صار بحث هذا الأمر واجبًا، بعد أن كان محلّ تجاهل بسبب عدم ذيوعه في بيئتنا.

- الإيمان بوجود الأنبياء السابقين، قضية إيمانية لا أركيولوجية: قد يعترض معترض، بالقول إن البحث الأثري لإثبات وجود الأنبياء، مخالف لما يجب أن يكون عليه المسلم من التسليم لما جاء في كتاب الله من إثبات تاريخية الأنبياء. =

منهج الدراسة

تتناول هذه الدراسة تقويم شهادة الكشف الأثري على تاريخيّة أنبياء القرآن، وحدود هذه الشهادة، والمغالطات التي تُساق في الباب. ولذلك فالبحث كلّه يدور حول الشاهد الأثري؛ بما يقتضي أن يكون منهج البحث قائمًا على أصول المنهج التاريخي، في شكله الأركيولوجي (الأثري) في قراءة ما مضى من التاريخ.

ولن نخوض في المنهج الإسلامي في دراسة التاريخ؛ بدراسة الأسانيد، والنظر في طرقها، وعللها؛ لأنّ تاريخ الأنبياء لا إسناد له - على الوجه المفهوم للإسناد في العرف الإسلامي -، إلّا خبر سيرة محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

وقد اجتهدتُ أن أجعل البحث أقرب ما يكون إلى القارئ غير المتخصص، غير أنّي لم أُقمه على طلب التبسيط الشديد، لا رغبة في إرهاق القارئ، وإنّما لأنّ الكتاب يدور حول الردّ على معارضات شديدة التفصيل، شائعة في الكتب الأكاديمية أو الوسيطة؛ فلا يليق عندها الإجمال والاختصار إذا كان طلبنا البيان التام الذي يحيط بالدعوى المعارضة من أكثر من جهة.

وإذا كان القارئ في عجلة من أمره في طلب الردّ على شبهةٍ لاتاريخيّة نبيّ من الأنبياء، فبإمكانه النظر فيها مباشرة، مستعينًا بالفهرس، دون المرور على التأصيل

= وجواب ذلك أن الكتاب لا يجعل التسليم بوجود هؤلاء الأنبياء، رهين الكشف الأثري؛ إذ اليقين بوجود هؤلاء الأنبياء فرع عن التسليم بربّانية القرآن الذي ذكرهم. ومناقشة الدليل الأثري على وجود الأنبياء أو خرافيتهم؛ دافعه الردّ على مثيري الشكوك، والصائلين بالدليل الأثري على المؤمنين بالقرآن وخبره عن الأنبياء.

- فماذا لو لم يوجد دليل أثري على وجود الأنبياء؟!: قد يعترض معترض بالقول إن هذا الكتاب قد جعل تاريخية الأنبياء رهينة العثور على كشف أثري يُثبت وجودهم؛ وذاك باب للتشكيك في تاريخيتهم، إذ إن الكشوف الأثرية ليس من طبيعتها الإبانة عن كل حقائق التاريخ. كما أن الالتجاء إلى الدليل الأثري قد يجعل القرآن تابعًا للكشف الأثري!

وجواب ذلك أنّ الكتاب لا يسلّم لحجية الدليل الأثري في باب البحث عن الأنبياء، على الصورة التي يعرضها خصوم القرآن. والباب الأوّل كلّه في مناقشة ذلك؛ إذ يتناول الطبيعة القاصرة للبحث الأثري عن طمس ظلمات الماضي. كما لا يرفع الكتاب الدليل الأثري فوق القرآن، وإنّما يستدل بالدليل الأثري المسلّم بحجيّته بين المسلمين ومخالفيهم، ولا يُستدل على منكر ربّانية القرآن بالقرآن؛ فإنّه لا يُستدل في باب المناظرة بما هو محل النّزاع.

المذكور في الباب الأول، وإن كنتُ أعتقد أهمية التأصيل قبل التفصيل.

تلك دروب الرحلة، ومعالم المسير..

ولا يفوتني ختامًا أن أشكر أخي د. علاء هيلات - أستاذ العقيدة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة اليرموك ثم جامعة قطر - على تعليقاته المفيدة على مسودة الكتاب.

ربِّ اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني؛ يفقهوا قولي!

ربِّ اغفر لي حظّ النفس من هذا الكتاب!

ربِّ أسألك حسن الخاتمة.. وفرحة عند الممات، وعند الحشر، وعند الحساب!

الباب الأول

إشكالات منهجية



تمهيد:

الأركيولوجيا، مصطلح مكوّن من كلمتين يونانيّتين: علم λόγος وقديم ἀρχαῖος. وهو يهتم بالكشف عن الآثار المادية للثقافات القديمة - بما فيها الآثار المكتوبة -، ودراستها[1]. وداخِلَ إطار علم الأركيولوجيا، ظهر فرع خاص بالكتاب المقدس، بفرعيه العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل)، سُمّي بعلم الأركيولوجيا الكتابيّة Biblical Archeology[2]. وهو يهتم بدراسة تاريخ/ جغرافيا قصص الكتاب المقدس، خاصة ما وقع منها في فلسطين منذ عصر داود -عليه السلام- حتى عصر المسيح -عليه السلام-.

ويتعلّق الاهتمام الإسلامي بأركيولوجيا الكتاب المقدس أساسًا بما تقاطع منه مع قصص القرآن. وهو لا يزال إلى اليوم ضعيفًا، من جهتَي المساهمة المعرفية والإفادة من البحث الجديد، حتى ما تعلّق من ذلك بالحضارة المصرية القديمة والتاريخ العربي للألفية الثانية والأولى قبل المسيح -عليه السلام- [3]!

وقد أثّر هذا العزوف المعرفي الإسلامي عن المساهمة في جدل الأركيولوجيا الكتابية والقرآنية إلى فتح المجال للكُتّاب الملحدين واللادينيين العرب؛ لبثّ مغالطاتهم التاريخية، والترويج «للملخّصات الشائهة» لأطروحات التيار

---

(1) Adrian Curtis, ed. *Oxford Bible Atlas* (Oxford: Oxford University Press, 2007), p.185.

(2) ينفر كثير من الباحثين اليوم من هذا الاصطلاح، ويرون تجاوزه إلى اصطلاح آخر يصرف عن السامع الظنّ أنّ هذا العلم خاص بتسخير الأركيولوجيا لإثبات صدق أخبار الكتاب المقدس. وأشهر بديل اصطلاحيّ طرح على الساحة هو: Syro - Palestinian archaeology.

(3) من الاستثناءات في هذا الباب سلسلة «دراسات تاريخية من القرآن الكريم» للدكتور محمد بيومي مهران - المتخصص في المصريات والتاريخ العربي القديم -. وقد أظهر فيها المؤلف اطّلاعًا جيدًا على الدراسات الأكاديمية في المباحث التي طرقها على صورة غير مسبوقة في المكتبة العربية، غير أنّ البحث الأركيولوجي قد عرف انعطافة كبرى بعد تأليف كتابه، بالإضافة إلى أنّه ترك بعض المسائل الجدلية المهمّة في بعض قصص الأنبياء دون جواب مباشر. وحسبه أنّه أفاد المكتبة بمجلدات أربع نفيسة في الباب.

الأركيولوجي المتطرّف في الغرب، كما هو حال فراس السواح الذي لا تكاد تتجاوز جهوده في البحث التوراتي تعريب أطروحة توماس تومسون - زعيم متطرّفي مدرسة «الحدّ الأدنى» -، مع مخالفات هامشية له، لا تكسبه صفة الباحث المستقل، أو المجتهد[1]، وخزعل الماجدي؛ الذي لم يتطرّق لأركيولوجيا التوراة إلا في كتابه: «تاريخ القدس القديم»، حيث اكتفى عند دراسة المرحلة التوراتية لأورشليم (العصر الحديدي الثاني خاصة) بالنقل عن كتاب واحد فقط؛ هو كتاب توماس تومسون «التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي»[2] - في نسخته المعرّبة -، رغم أنّ العصر الحديدي الثاني لأورشليم قد كُتبت فيها دراسات يصعب حصرها، وتطاحنت فيه أفكار كثيرة على الباحث أن يرجّح بعضها أو غيرها بالدليل، بعد النظر المتريّث.

وقبل أن نبدأ في تناول تاريخية الأنبياء الذين جاء خبرهم في القرآن، للنظر في حقيقة غيبة ذكرهم في طبقات الأرض، ودلالة ذلك، لا بدّ أن نتناول أمرًا سيضيء كامل الطريق الذي سنسلكه معًا بحثًا عن أنبياء القرآن، وهو ما يتعلّق بتقويم المنهج الذي يقوم عليه الطرح الأركيولوجي المنكر لتاريخيّة أنبياء القرآن.

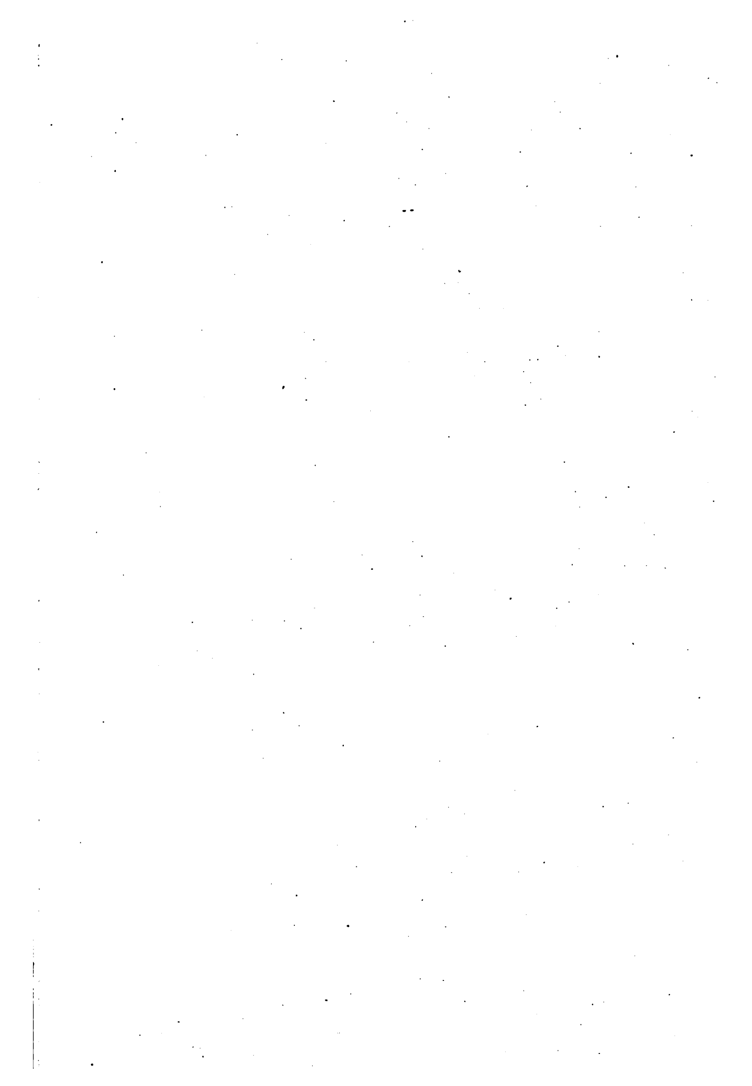
---

(1) يقول السواح عن تومسون: «لقد أراد أصحاب النظرية الأركيولوجية الحديثة إنقاذ ما تبقّى من السمعة التاريخية للرواية التوراتية، عن طريق إثبات جوهر الرواية وإسقاط جميع تفاصيلها، ولكنّ النتائج التي خرجوا بها قد دقت، وإلى الأبد، المسمار الأخير في نعش هذه الرواية بجوهرها وجميع تفاصيلها، وقدّمت لنا المادة اللازمة لكتابة تاريخ فلسطين في عصري الحديد الأول والثاني، ودراسة مسألة أصول إسرائيل، بشكل علمي مستقل عن التوراة. وهذا ما قام به على أكمل وجه الباحث توماس ل. تومبسون في كتابه الصادر عام 1992 تحت عنوان The Early History of the Israelite People» (آرام دمشق، دمشق: دار علاء الدين، 1995، ص175 - 176). وهي عبارة غافلة عن رصيدٍ هائل من المعارضات لمدرسة الحد الأدنى، خاصة من رموز «التيار الوسط»، كفنكلشتاين وعميحاي مازار وغيرهما.

(2) Thomas L. Thompson, *Early History of the Israelite People: From the Written and Archeological Sources* (Leiden; New York: E.J. Brill, 1992).

وسيكون حديثنا متعلّقًا بمسائل ثلاث، تظهر طبيعة الخلل المنهجي في طرح المعارضين، وذلك بعد طرح الأسئلة التالية التي ستحدّد مسار النظر:

- ما مبلغ علميّة اعتماد المنكرين لتاريخية الأنبياء على الشاهد الأركيولوجي لنصرة مذهبهم؟
- هل يملك الشاهد الأركيولوجي أن يثبت زيف ظاهرة النبوة، وتاريخها، وطبيعتها؟
- هل أصاب المنكرون لتاريخية الأنبياء في اعتماد الشاهد التوراتي أو إسقاطه لتكذيب تاريخية الأنبياء؟



الفصل الأول:
حجية الدليل الأركيولوجي في الميزان

رفع العلمويون الملاحدة شعار «أنا أصدّق العلم»؛ لتقرير دعوى أنّ ما أثبته الإنسان بطريق العلم الطبيعي؛ حقٌّ صرف، وما ادّعاه من غير طريق العلم الطبيعي؛ فهو وهم ساقط، وعند مدرسة الوضعية المنطقية، هو أدنى من ذلك؛ مجرّد ثرثرة (في غير القضايا التحليلية[1])[2]. واليوم يرفع بعض خصوم الإسلام شعار: «أنا أصدّق الأركيولوجيا»[3]؛ فما لم يُثبته البحث الأركيولوجي في النقوش والأطلال والدفائن من الخبر الديني؛ خرافةٌ من صنع خيال البشر ووجدهم الإيمانيّ. وبناء على ذلك حكموا أنّ شخصيات كلّ الأنبياء أو عامتهم، من وحي الخيال الجمعي لبعض الأمم السالفة.

وهذا المنهج الذي يرى في الأركيولوجيا البوّابة الوحيدة للنظر التاريخي في أمر الأنبياء، مُعارض بقصور الأركيولوجيا من جهتين(١) جهة قلة محفوظات الآثار القديمة، وتشتّتها، (٢) وجهة محدودية الجانب التأويلي لفهم الظواهر الحضارية القديمة. وذاك يستدعي أن نطرح مجموعة من الأسئلة، نبتغي من ورائها أن نعرف القيمة العلميّة لطرح هذا الفريق من الكُتّاب:

- هل ترتقي الأركيولوجيا - حقًا - إلى أن تكون من العلوم ذات النتائج القطعية؟

---

(1) القضية التحليلية Analytic proposition: هي القضية التي يكون محمولها تحليلًا لموضوعها، دون إضافة. فهي قضيّة لا يفيد إثباتها فائدة؛ لأنّها تحصيل حاصل، مثال: المثلث هو الذي له ثلاثة أضلاع.

(2) انظر سامي عامري، العلموية (الكويت: مركز رواسخ، 1442هـ/ 2021م)، ص26 - 40.

(3) رأس هؤلاء خزعل الماجدي، وتيار الإلحاد الجديد في العالم العربي.

- هل الأركيولوجيا ممارسة معرفيّة بريئة من التحيّزات التي توجّه نتائج البحث إلى غير إدراك حقائق الماضي؟
- هل بلغت الكشوف الأركيولوجيّة درجة من الوضوح والكثرة؛ بما يجعلها حاسمة في مناقشة قضايا الماضي، خاصة الأخبار التي جاء ذكرها في القرآن والتوراة؟

تلك هي الأسئلة التي ينبغي بحثها لإدراك طبيعة البحث الأركيولوجي، وحدوده؛ قبل أن يُسلَمَ إليه سلطان حسم كلّ قضايا التاريخ الشائكة.

المبحث الأول
دعوى أنّ الأركيولوجيا من جنس العلوم القطعية

يُعرَض البحث الأركيولوجي في الدوائر الشعبية باعتباره من «العلوم الصحيحة»[1]؛ كالرياضيات، أو الفيزياء؛ فما يُظهره البحث الأثريّ، واضح وجليٌّ، وبعيد عن النقص، أو لا يكاد يلابسه الشكّ والتردّد، وما ينفيه؛ فهو وهم وخرافة. ونحن بذلك إزاء منهج يُزعم له العصمة أو الكمال.

وقد وقع الشعبويون في هذه الفتنة؛ انخداعًا بصيغ الجزم، المسبوقة بعبارات التعظيم للمنهج الأركيولوجي عند الحديث عن تاريخ بعض الأمم السابقة، رغم أنّ كلّ ممارس للعمل الأركيولوجي يدرك أنّ الأركيولوجيا، عمل بشريّ، مشوب بالنقص والظنّ. وهو ما يظهر في أكثر من وجه.

المطلب الأول: دعوى نشأة علم التاريخ عند ثورة الأركيولوجيا

يبدأ المنهج الدوغمائي - عادة - في عرض مقرراته بالقول بعصمة المنهج دون عرضه للامتحان. وكذلك يفعل المشككون في تاريخيّة الأنبياء؛ إذ يبدأ حديثهم - خاصة في العالم العربي - بالقول: إنّ علم التاريخ لم يكن يومًا «عِلْمًا»، وإنّما كان مجرّد تجميع للأخبار دون تمحيص وتحقيق؛ حتى دخل البحث الأركيولوجي الساحة؛ فانتقلنا بذلك من الظنون والتخرّصات إلى الحقائق والقطعيات.

وما كان علم التاريخ كما يدّعي هؤلاء، ولا صارت الأمور إلى ما يزعمون في ضوء البحث الأركيولوجي. إنّ علم التاريخ قبل البحث الأركيولوجي وبعده، محاولة لفهم الماضي باعتماد شهادات تاريخية قديمة؛ معاصرة للأحداث أو تالية لها. وما أضافه البحث الأركيولوجي لدراسة التاريخ، هو زيادةُ عنصر ماديٍّ ملموس

---

(1) Exact sciences.

للشهادات المعتبرة عند النظر. ولم ينقلنا ذلك من ظلمة التاريخ إلى نوره؛ فكما أنّ الشهادات الشفهية عن الماضي قد توهم بما لم يكن، فكذلك الأمر مع آثار الماضي المادية، الصامتة؛ التي قد توهم قراءاتها بما لم يكن. لا زلنا مع الآثار المادية للأمس نعاني ظلمات الجهل والظن في كثير من الأحيان، وواقع اختلاف الأركيولوجيين في قراءة مدفونات الماضي خير حجّة على ذلك.

ويشهد لذلك قول الأركيولوجي ندف نأمان[1]: «نتائج الحفريات الأركيولوجيّة، مثل المصادر المكتوبة، مفتوحة لتفسيرات مختلفة، وأحيانًا متناقضة: الأدبيات الأركيولوجيّة تعجّ بالخلافات على عدد لا حصر له من القضايا، بما في ذلك طبقيّة[2] الآثار الفخاريّة وتصنيفها، ووظيفة المباني والمصنوعات اليدوية في الحفريات، والتسلسل الهرميّ للمستوطنات، وتقدير عدد السكان، وأشياء أخرى كثيرة. **البيانات الأركيولوجيّة لا تتحدّث عن نفسها بنفسها**، وتفسيرها محفوف بالصعوبات»[3].

ليس الكشف عن الآثار نهاية البحث؛ فهذه المدفونات مصدر لأسئلة جديدة أعظم من الكشوف نفسها؛ إذ يبقى السؤال عن مصادر الحياة في هذا المكان (الماء، والزراعة، والدوابّ...)، وزمن استحداث أسباب الاستيطان فيه، وطبيعة استقرار الجماعة، هل هي دائمة أم موسمية؟ وكم من مرة تمّ تجهيز هذا المكان للسكن، من خلال النظر في طبقات الأرض المتراكمة فوق بعضها؟ وهل توجد فجوات زمنية بين مراحل الاستيطان؟ ولماذا انتهى الاستيطان فيها في كل مرة؟ وإذا تعرضت أيٌّ من مراحل الاستيطان إلى عدوان مادي أو جائحة طبيعية، فما السبب في ذلك؟ وهل من الممكن ربط العدوان أو الجائحة بحادث تاريخي نعرفه في مصادرنا التاريخية

---

(1) ندف نأمان נדב נאמן Nadav Na'aman (1939): محاضر في الأركيولوجيا ودراسات الشرق الأدنى القديم في جامعة تل أبيب.

(2) Stratigraphy.

(3) Nadav Na'aman, 'Does Archaeology Really Deserve the Status of A 'High Court'? ', in *Between Evidence and Ideology: essays on the history of Ancient Israel*, Bob Becking, Lester Grabbe, eds. (Leiden: Brill, 2011), p.167.

الأخرى؟.. ذاك غيض من فيض لا ينتهي من الأسئلة التي يطرحها الأركيولوجي عند كل حفرية؛ لتتفجّر أمامه الاحتمالات الكثيرة الممكنة[1].

إنّ البحث الأركيولوجي في الحضارات البشرية القديمة، يبغي إدراك ثقافات الأمم، وعقائدها، وعوائدها. وتلك أمور حيّة، حقيقتها الفكر في عقول الناس، وحركتهم اليومية في الأرض؛ ولذلك فالبحث الأركيولوجي عاجز - عامة - أن يصل إليها مباشرة، وقصارى أمره أن يلامس ظلالها عن بعد؛ ليبحث عن ملامحَ ما، في ظلٍّ لهُ لون باهت[2].

إنّ البحث الأركيولوجي الذي يدرس سلوك البشر في الحضارات القديمة، لا يعرف من الماضي إلّا بعض أطلاله، ولا يستطيع أن يُدخل السلوك البشري القديم المختبرات، ولا أن يتنبّأ به على طريقة الاختبارات المعمليّة؛ ولذلك وجب الحذر من الوقوع في المطابقة بين دراسة الأنظمة الطبيعية Natural systems والأنظمة الثقافية Cultural systems؛ فالأولى آليّة، وتكراريّة؛ يمكن العلم بماضيها برصد حاضرها، وأمّا الثانيّة؛ فغير آليّة، وذات حساسيّة عالية للظواهر المحيطة بها؛ بما يجعل العلم بماضيها محفوفاً بالظن.

وقد ذهب بعضهم إلى إنكار علميّة الأركيولوجيا كليّة في تناولها للظواهر البشريّة القديمة؛ إذ هي - كما يقولون - معالجة تقنيّة لآثار ماديّة قديمة؛ تمثل «مقاربة وضعيّة منطقية - لفهم البشر عبر بقايا ماديّة». فهي - بذلك - مجرّد «تجمع لتقنيات» و«ليست علمًا كما هو مفترض في العلوم الطبيعيّة». أي إن الأركيولوجيا لا ترتقي إلى البحث في الإنسان القديم ونشاطاته؛ لأنها لا تملك غير القياس الفيزيائي والحسابي[3].

---

(1) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel* (Leiden: Brill, 2007), pp.23 - 24.

(2) يُستثنى من ذلك الكتابات القديمة لأصل العصر، والتي تصور عقائد الناس وأنماط حياتهم. وهي قليلة في مجموع الآثار المكتشفة. بالإضافة إلى أنها كثيرًا ما تهتم بالتحيز لصالح الكاتب.

(3) See Michael P. Richards, Kate Britton, eds. *Archaeological Science: An Introduction* (Coabrdge: Cambridge University. Press, 2020), p.4

وممّا يزيد أزمة البحث الأركيولوجي، وأن الأركيولوجيا قد تمثّل اليوم مظهرًا من مظاهر انتكاس العمل التاريخي العلمي، حقيقة أنّ عامة الأركيولوجيين الباحثين في تاريخ أنبياء التوراة، ليسوا مؤهّلين - أكاديميًا - للصناعة التاريخيّة؛ وهي الأزمة التي عبّر عنها جيوفاني غاربيني[1] في كتابه «التاريخ والأيديولوجيا في إسرائيل القديمة»، بقوله: «كلّ الذين اهتمّوا بتاريخ الكتاب المقدس العبري[2] وكتبوا حوله، ليسوا مؤرّخين بالمعنى المِهني... وهم كلّهم بلا استثناء أساتذة لاهوت[3]»[4]. ومعلوم أنّ إعادة بناء التاريخ، مشروع أكبر من الكشف عن الآثار، وحصرها، وتصنيفها. فالعمل التاريخي يحتاج أدوات أوسع من التي يملكها الأركيولوجي الصرف أو اللاهوتي الصرف، ورؤية أعمق للموضوع وحواشيه.

المطلب الثاني: مسلّمات البحث الأركيولوجي المطويّة

من أخطر ما يوجّه العمل الأركيولوجي، الافتراضات المعرفيّة الأولى التي يقوم عليها، والتي لم تبلغ مرتبة اليقين، ولا حتى الظنّ الراجح؛ ثم هي مع ذلك توجّه العمل التأريخي نحو اتجاهات خاصّة جدًّا. وهو ما نبّه إليه أحد الباحثين ببيانه أنّ: كلّ باحث له افتراضات تؤثّر على قراءاته عندما يقترب من النص أو البيانات الأركيولوجية[5].

خذ مثلًا فرضيّة الوثائق Documentary Hypothesis التي هيمنت على البحث الأركيولوجي منذ بداية القرن العشرين. تقوم هذه النظريّة في صورتها الكلاسيكيّة على أنّ التوراة الحالية أصلها أربعة نصوص، نصٌّ يُسمِّي الربّ باسم «يهوه» «יְהוָה» منذ بدء الإخبار عن قصّة الخلق، ونص آخر يُسمّي الرب باسم إلوهيم « אֱלֹהִים»

(1) جيوفاني غاربيني Giovanni Garbini (1931 - 2017): مستشرق إيطالي، متخصّص في لغات الشرق الأدنى القديم، وتاريخه، وأديانه.

(2) أي التناخ.

(3) ومنهم توماس تومسون.

(4) Giovanni Garbini, *History and Ideology in Ancient Israel* (New York: Crossroads, 1988), p.2.

(5) Cited in: James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition* (New York; Oxford: Oxford University Press, 1996), p.14.

و«إيل» «אל» قبل إعلان الربّ عن اسمه لاحقًا إلى موسى عليه السلام أنّه «يهوه»[1]، وثالث خاص بشؤون الأحبار، والرابع هو سفر التثنية. ثم تمّ جمع هذه الوثائق لاحقًا في الأسفار الخمسة التي عُرفت بتوراة موسى -عليه السلام-.

وقد حدّد فلهاوزن[2] (في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر) تواريخ هذه الوثائق على صورة بقيت مقبولة لمدّة طويلة؛ فالنص اليهويّ يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، والنص الإلوهيمي يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ويرجع النص التثنوي إلى القرن السابع قبل الميلاد، وأمّا النص الكهنوتي فيعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. ثم اختلف المهتمون بالبحث الأركيولوجي لاحقًا حول زمن تأليف هذه النصوص؛ فرد أنصار «الحد الأدنى» هذا الوثائق إلى أزمنة متأخّرة عن القرون المقترحة سابقًا، وقال غيرهم بغير قولهم.

ونحن، وإن كنّا لا ننكر أن تكون توراة اليهود[3] بصورتها الحالية مجرد تجميع لوثائق قديمة[4]؛ لأسباب؛ أهما تكرّر تفاصيل القصص والأحكام بصور مختلفة تمنع أن تكون من مصدر واحد، لكن يبقى القول إنّ هذه المصادر أربعة حصرًا، من الرجم بالغيب[5]، لا تبلغ أدلته الظنّ الراجح، فضلًا عن هشاشة القرائن المحددة لتاريخ هذه

(1) من الخطأ الشائع التمييز بين المصدر اليهوي والمصدر الإلوهيمي باعتبار أنّ اسم الإله حصرًا في المصدر اليهوي هو يهوه، واسم الإله حصرًا في المصدر الإلوهيمي هو إلوهيم.
See Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters* (New York: HarperOne, 2018), pp.47 - 48.

(2) يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen (1918 - 1844): لاهوتي ومستشرق وناقد توراتي ألماني. لدراساته في التوراة تأثيرات عميقة في زمنه وما بعده.

(3) عندما نقول «توراة اليهود» في هذا الكتاب؛ فإننا نقصد بذلك التوراة كما هي عند اليهود بعد عصر موسى عليه السلام، لا التوراة الموحى بها إلى موسى -عليه السلام-.

(4) يقول ريتشارد فريدمان - أشهر المدافعين عن فرضية الوثائق في العقود الأخيرة - إنّه من الخطأ القول إنّ فرضية الوثائق قد خسرت الإجماع السابق عليها بين النقّاد. ويميّز فريدمان - من جهة - بين (1) فكرة الوثائق؛ بمعنى وجود نصوص قديمة قام محرّرون (معدّلون) بإدماج بعضها في بعض على مراحل مختلفة، وهي مسألة - كما يقول - محلّ إجماع إلى الآن خارج دائرة الباحثين الأصوليين، (2) ومن جهة أخرى، النموذج الفلهاوزني، والمذاهب التي تخالفه من ناحية تاريخ الوثائق، وترتيبها، وعددها...
Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters*, p.44.

(5) ولذلك كان أبرز ما خولف فيه فلهاوزن ومن قبله، عدد المصادر؛ فمن الباحثين من جعل المصادر أقلّ من أربعة، ومنهم من زاد في المصادر فوق أربعة.

النصوص؛ إذ القرائن المعتمدة ليست صلبة، بالإضافة إلى أنّ جهلنا بتاريخ النصّ، يجعل التنظير التفصيلي لنشأته، مجازفة[1].

إنّ أقصى ما يملك الباحث أن يقرره في أمر التوراة هو أنّها تجميع لتراث قديم، على صورة غير تامة التهذيب؛ حتّى إنّها احتفظت بالتناقضات في النصوص التي تسرد الأخبار نفسها. وأما كل ما يُقال بعد ذلك فغالبه ضرب في عماية لافتقادنا المعلومات التاريخية الصلبة عن التاريخ اليهودي القديم. وذاك أمر يستوجب **الالتزام بقدر عظيم من التواضع المعرفي**، لا إقامة البحث الأركيولوجي على مُسَلَّمة نظريّة زادها الخيال والتخمين على أسس غير واضحة.

المطلب الثالث: أوهام المساحات المظلمة في البحث الأركيولوجي

من أوجه قصور الأركيولوجيا أنّها تتعامل مع المتاح من آثار الماضي، بعد أن هدمت عوادي الزمان كثيرًا من العمران القديم؛ بما يوحي للباحث اليوم فوق أطلال الماضي، ما يعارض ما كان حقيقة في الزمن القديم. وقد تناول ذلك الأركيولوجي نأمان في مقالته: «هل يستحقّ علم الأركيولوجيا حقًّا مقام «محكمة عليا؟»»؛ إذ قدّم أكثر من مثال على تعارض دلالات بقايا العمران مع الشهادات التاريخية القديمة[2].

ومن أمثلة ذلك ما انتهى إليه الأركيولوجيان فنكلشتاين[3] وفولجانج زفيكل[4]

---

(1) انظر في نظرية الوثائق، وتطوّر موقف النقاد منها:
David M. Carr, 'Changes in Pentateuchal Criticism', in Magne Saebo, ed. *Hebrew Bible - Old Testament: the history of its interpretation* (CT: Vandenhoeck & Ruprecht, 2014), pp.434 ff

(2) انظر أيضًا:
N. Na'aman, '*Text and Archaeology in a Period of Great Decline*; 'The Contribution of the Amarna Letters to the Debate on the Historicity of Nehemiah's Wall', in: P.R.Davies (ed.), *The Historian and the Bible: Essays in Honour of Lester L.Grabbe.*

(3) إسرائيل فنكلشتاين Israel Finkelstein (1949) : عالم أركيولوجيا «يهودي» من فلسطين المحتلّة. يدرّس في جامعة تل أبيب. وله مساهمات بارزة في بعض حفريات شمال فلسطين.

(4) فولجانج زفيكل Wolfgang Zwickel (1957) : أستاذ العهد القديم والأركيولوجيا الكتابية في Johannes Gutenberg - Universität Mainz.

من أنّ عدد سكان أورشليم في العصر الفارسي كان لا يتجاوز بضع مئات من الأفراد بناء على الشواهد الأركيولوجية[1]، فأورشليم على هذا الوصف تكاد تكون مكانًا مهجورًا؛ في حين أنّنا نعلم فساد ذلك من رسالة محفوظة، مُرسلة من جزيرة الفنتين[2] في مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، من شخص اسمه يدنيا وأحبار الفنتين وكلّ يهودها إلى Bagavahya حاكم يهوذا تحت الحكم الفارسي زمن داريوس؛ فإنّ أصحاب الرسالة طلبوا في رسالتهم من المؤسسات الدينية والمدنيّة في أورشليم التوسّط لهم عند السلطات الفارسية. وهو ما يكشف أنّ أورشليم كانت منطقة مدنيّة، وحيّة، يسكنها أحبار ورعيّة، ولها ثقل سياسي في ذاك العصر، لا كما زعم فنكلشتاين أنّ البالغين من رجالها لا يتجاوزون المئة عددًا[3]!

رسالة يدنيا إلى حاكم يهوذا



(1) I. Finkelstein, 'Jerusalem in the Persian (and Early Hellenistic) Period and the Wall of Nehemiah', *JSOT* 32 (2008), 504 - 507; W. Zwickel, 'Jerusalem und Samaria zur Zeit Nehemias—Ein Vergleich', *BZ* 52 (2008), 204 - 218.

(2) Elephantine.

(3) Nadav Na'aman, 'Does Archaeology Really Deserve the Status of A 'High Court'?', pp.172 - 173.

كما أشار نأمان إلى دلالة الوثائق المسمارية المكتشفة في عقرون - جنوب غربي أورشليم - أنّ هذه المنطقة كانت مدينة مهمّة في آخر القرن الثامن قبل الميلاد، رغم أنّ الحفريات لم تصل إلّا إلى فخاريات تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد[1].

المطلب الرابع: تعارض مناهج البحث الأركيولوجي

البحث الأركيولوجي ليس منهجًا واحدًا متجانسًا، وإنما تتنازعه مدارس وتيارات صاعدة وأخرى متوارية؛ فقد ظهر منهج «الأركيولوجيا الجديدة» أو «Processual archaeology»، وهيمن على الجو العلمي من ستينيات القرن الماضي إلى الثمانينيات. وهو يقوم على العناية الخاصة بالجانبين الطبيعي والبيئي، مع إيلاء أهمية أدنى للنشاط الإنساني واختياراته. ثم ظهر المنهج الأحدث: «Post - processual archaeology» الذي فتح الباب لعدد كبير ومختلف من التأويلات للكشف الواحد، كما رفع قيمة الجانب البشري بصورة أكبر من المنهج السابق في تحريك التاريخ، بعيدًا عن المنطق الجبري لحركة المجتمعات حيث تُطمس قدرة الشخصيات الكاريزماتية والفذّة على صناعة الأحداث.

كما تتعارض مناهج البحث الأركيولوجي؛ بسبب حاجتها إلى عون من العلوم الأخرى؛ فإنّ ما تظهره المخبوءات للعين المجردة يحتمل توجيهات كثيرة؛ زمنية، وثقافية. ولذلك يستعين كثير من الأركيولوجيين اليوم بعلم النبات، وعلم الحيوان، والجيولوجيا، والكيمياء، والفيزياء، والجغرافيا وعلم المعادن، وعلم الإحصاء، وغيرها من العلوم. وهو أمر يضيّق مساحة الاختلاف من جهة، ويوسّعها من جهة أخرى أحيانًا؛ لوجود اختلافات منهجية داخل تلك العلوم نفسها، وتعارضها أحيانًا.

(1) N. Na'aman, 'Ekron under the Assyrian and Egyptian Empires', *BASOR* 332 (2003), 81 - 91.

خذ مثلًا أهم ما يحتاجه البحث الأركيولوجي من العلوم الأخرى، وهو تأريخ المادة الأثرية. فرغم أن القراءة الأركيولوجيّة للآثار لا تستطيع أن تتقدّم خطوة واحدة قبل معرفة زمن صناعة تلك الآثار (البناء، أو الحفر، أو النقش...)، إلّا أن مناهج تأريخ الآثار لا تزال تتعارض أو تظهر قصورًا معيبًا، فآلية الكربون 14 قد تعطي أكثر من احتمال، بالإضافة إلى أن هذه الاحتمالات مشكلة إذا كان المطلوب هو الفصل بين تاريخين المسافة بينهما بضعة عقود من السنوات؛ فإن آلية الكربون 14 قد يصل هامشها الاحتمالي قرنًا كاملًا أو أكثر من ذلك بكثير؛ بما يجعلها مفيدة أساسًا في عصر ما قبل التاريخ، وهو عصر ربما لم يعش فيه من الأنبياء الوارد ذكر أسمائهم في القرآن غير آدم عليه السلام الذي لا سبيل لتناول وجوده أركيولوجيًا؛ لأنه أول البشر[1].

وأمّا التيبولوجيا typology فإشكالاتها أعظم؛ فرغم الالتجاء إليها بصورة واسعة في الأركيولوجيا الكتابية؛ إلا أن اعتمادها التمييز بين الآثار تبعًا لتشابهها (كتمييز العصور بطابع الخزف في كل عصر، مثلًا)؛ جعلها تغفل عن أن النمط المميز في الصناعة أو النقش لا ينقطع عادة مرّة واحدة؛ بل قد يعيش النمط في غير زمنه الأول، ويعاصر أشكالًا فنية أخرى، وينقطع في بيئته بصورة بطيئة غير فجائية، كما أن عصور تغيّر الأنماط قد تكون غير متساوية طولًا؛ بما يجعل رسم الخارطة الزمنيّة مشكلًا. ويبلغ الإشكال في هذا المنهج تعريف النمط نفسه في

(1) انظر في بعض مشاكل التأريخ الكربوني:
Ingrid U. Olsson, ed., *Radiocarbon Variations and Absolute Chronology* (New York: Wiley,1970), R. Berger, 'The potential and limitations of radio-carbon dating in the Middle Ages: a radiochronologist›s view', in R. Berger, ed. *Scientific Methods in Medieval Archaeology* (Berkeley: Univ. Calif. Press, , 1970), pp. 89-139; V. Bucha, 'Tree-ring calibration of radiocarbon dates and the chronology of ancient Egypt', Nature, 243 (1973), pp. 266-270; C. Renfrew, R.M Clark, 'Problems of the radiocarbon calendar and its calibration', *Archaeometry*, 16 (1974), pp. 5-18.

ترتيب الصناعات الخزفية لعصور ما، لغياب المعيار الموضوعي الحاسم[1].

«إنّ الأركيولوجيا - بعبارة الأركيولوجي عَمِيحاي مازار[2] - «نظام أشدّ تعقيدًا ممّا يظنّه كثير من الناس»[3]. والزعم أنّ الكشف عن نص قديم أو نحت مطمور أو قصر مشيد، سيمنحنا - ضرورةً - قراءة واضحة ومباشرة تُفصح عمّا نريد أن نعرفه عن عصر الأثر المكتشف، ظنٌّ بعيد عن واقع العلم والعلماء، وأمنية حالمة لا يُصدّقها الواقع في أحوال كثيرة. فما تعدّدت المناهج إلّا لوجود مساحات من الظنّ كثيرة في البحث الأركيولوجي».

(1) See John C. Whittaker, Douglas Caulkins and Kathryn A. Kamp, 'Evaluating Consistency in Typology and Classification', *Journal of Archaeological Method and Theory* Vol. 5, No. 2 (June, 1998), pp. 129-164.

(2) عَمِيحاي مازار עמיחי מזר (1942) : أركيولوجي من مواليد حيفا. أستاذ الأركيولوجيا في مؤسسة الأركيولوجيا في الجامعة العبرية في القدس. حصل سنة 2009 على «جائزة إسرائيل» للأركيولوجيا. كتابه «Archaeology of the Land of the Bible» معتمد ككتاب مدرسيّ في كثير من المؤسسات الجامعية في الغرب في الأركيولوجيا الكتابيّة.

(3) Israel Finkelstein, Amihai Mazar, *The Quest for the Historical Israel*, p. 27.

المبحث الثاني
ظاهرة التحيز في البحث الأركيولوجي

العمل العلمي المهتم بتبسيط الجهد الأكاديمي في الغرب يعاني عامةً من التوظيف التحيّزي، كتوظيف الأبحاث البيولوجية لنصرة الداروينية، وأبحاث علوم النفس والأعصاب لإنكار حرية الإرادة، والفيزياء لنصرة النشأة عن عدم وسقوط السببيّة.

والأركيولوجيا كغيرها من العلوم، تعاني سلطان إكراهات ثقافة العصر ومسلّماته المعرفية التي تتأبى على المنازعة والمراجعة. وهي تظهر نظرياً في الخلفية الرؤيوية التي تقود البحث (ثقافة العصر وعقيدته)، وعملياً في الإسقاطات الممارسة على الكشوف؛ لاستخراج النتائج المرغوب فيها.

المطلب الأول: أثر ثقافة ما بعد الحداثة في البحث الأركيولوجي

سيطرت ثقافة ما بعد الحداثة بداية من ستينيات القرن الماضي على كثير من الأبواب المعرفيّة في الجامعات الغربية، مؤسسة ثورة على العقل والحقيقة؛ حيث الشكّ مبدأ البحث ومنتهاه، والتأويل هو الشيء الوحيد الممكن، و«لا شيء خارج النص». وقد أثّر هذا الأمر في العمل الأركيولوجي؛ لقيام العمل الأركيولوجي على تقديم حقائق تستنبط منها روايات. وفي غياب الحقائق، تغدو صناعة الرواية متعذرة. ولذلك لمّا نُشر سنة 1997 كتابٌ يتضمن مجموعة أبحاث لعدد من الباحثين تدور حول إمكان كتابة تاريخ لإسرائيل، كانت إجابة عامة المشاركين امتناع كتابة هذا التاريخ؛ إذ ليس للتاريخ الحقيقي أن يُستعاد، في ظل عدميّةِ فلسفة ما بعد الحداثة[4].

وقد تناول أمر هذه «العدميّة» المؤرخ كيث وندشاتل في كتابه «قتل التاريخ: كيف قتل النقد الأدبي ومنظّرو الاجتماع ماضينا؟» بحديثه عن جناية المناهج ما بعد

(4) William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?* (Grand Rapids, Michigan: William B. Eerdmans Publishing Company, 2020), p.5.

الحداثية على إعادة كتابة التاريخ. وذاك ما نراه مثلًا في قول أحد رموز مدرسة «الحدّ الأدنى» فيليب ديفس: «لا يمكن للنص أن يعيد إنتاج الحقيقة إلّا كاختراعٍ نصيّ»[1]. فالحقيقة ليست سوى رواية شخصية لا تطابق ضرورة حقيقة الماضي. والأمل في إدراك ما كانَ وهمٌ.

كما تناول الأركيولوجي ويليام ديفر - اللّاأَدْرِيّ، المفارِق للنصرانية منذ شبابه - أثر الأيديولوجيا على الباحثين المعاصرين في كتابه «ما الذي عرفه مؤلّفو الكتاب المقدس، ومتى عرفوه؟»؛ منكرًا على الذين يتعاملون مع الكتاب المقدس بريبة متطرفة، مشحونة عقديًّا، هذا الغلوّ؛ متسائلًا: «لماذا دائمًا يتمّ التعامل مع النصوص الكتابية من خلال «تأويلات الشك» النموذجية لما بعد الحداثة، ولكن يتم أخذ النصوص غير الكتابية على ظاهرها؟ يبدو أن الكتاب المقدس يُدان تلقائيًّا حتّى تثبت براءته»[2].

وقد أطلق ديفر على هذا التيّار، لقب: «العدميون الجدد» «New Nihilists»[3] لقيام مذهبهم على الهدم والتفكيك والتقويض، لا البناء وتشييد معالم التاريخ القديم؛ وذلك لأنّهم جيل نشأ في الستينيات من القرن الماضي، حقبة الثورة على السلطة والتاريخ والموروث. وذاك طابعٌ ما بعد حداثي طاغ على كل القراءات ما بعد الحداثية في العلوم الإنسانية.

المطلب الثاني: سلطان اللادينيّة على البحث الأركيولوجي

لا تنشأ العلوم وتتطوّر خارج إطار الزمان والمكان، وإنّما تحدّد أصولها، ومناهجها، وأهدافها، ضمن أطر ثقافيّة لها انحيازاتها العقديّة والقيميّة. وقد عرف البحث الأركيولوجي في الثلث الثاني من القرن العشرين انحيازًا إلى خدمة عقيدة الكنيسة في عصمة الكتاب المقدس من الخطأ Biblical inerrancy. ثم تحوّل الأمر

(1) Philip Davies, *In Search of 'Ancient Israel'* (New York: Continuum, 1999), p.15.

(2) William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p.128.

(3) William G. Dever, "Will the Real Israel Please Stand Up?» Archaeology and Israelite Historiography: Part I», *BASOR* 297 (1995): 61 - 80.

لاحقًا إلى تسخير البحث الأركيولوجي لإثبات خرافية عامة خبر التوراة مع صعود التيّار اللاديني؛ حتّى صار ذلك طابعًا لهذه المرحلة من عمر الأركيولوجيا الكتابيّة.

وكثيرًا ما نقرأ في أدبيات الأركيولوجيين أو الشعبويين اتّهام مخالفيهم بالخضوع اللّاعلميّ للدافع الديني، وأنّهم يُنكرون حقائق الآثار لصالح أخبار الأسفار المقدسة، بعبارة «إنّ الباحث الفلانيّ يحمل أداة النبش في الأرض بيد والكتاب المقدس باليد الأخرى!»؛ حتّى اتُّهِم وليام ديفر أنّه أركيولوجي متديّن، ومتعصّب، رغم تصريحه أنّه لا يؤمن بالله ابتداءً.

وقد شنّ توماس تومسون حملة عنيفة على ديفر، لم يتوقّف أثرها اليوم بين تلاميذه، ولم تقتصر على تهمة «التديّن»، وإنّما تجاوزت ذلك إلى اتّهامه أنّه يدمّر الآثار التي تخالف نظرته التوراتية المحافظة، دون أن يقدّم دليلًا مثبتًا لذلك. وتهمة التلاعب بالآثار حاضرة عند توماس وتلاميذه كلّما ضاق عليهم وجه المعارضة؛ حتّى إنّ تومسون ونيلز بيتر لمشي[1] قد زعما أنّ نقش تل دان الشهير الذي أشار إلى داود عليه السلام[2]، مزيّف، قد تمّ إعداد مسرحيّة مفبركة لاكتشافه، رغم تسليم الجميع بأصالته!

وليست تهمة «التديّن» الصادرة على ألسنة اللادينيين، مجرّد عبارة غاضبة، عابرة؛ وإنّما هي عبارة تحريضيّة ضد المخالفين؛ لإهدار وزنهم العلمي، وصيتهم الأكاديميّ، وترقيتهم الجامعية، وللتنفير من استقدامهم للمؤتمرات العلمية، وحرمانهم من الدعم المالي لمشاريعهم الأركيولوجيّة التي لا تستغني عن داعمين أسخياء.

وقد سرى هذا الخطاب التشويهي في حديث اللادينيين العرب؛ حتّى قال خزعل الماجدي - الأجنبي عن تخصّص الأركيولوجيا! - عن الأكاديميين المخالفين لمذهبه

(1) نيلز بيتر لمشي Niels Peter Lemche (1945) : لاهوتي متخصص في دراسات العهد القديم والأركيولوجيا. وهو أحد أبرز رموز تيّار «الحدّ الأدنى».

(2) سنبحثه لاحقًا في الفصل الخاص بتاريخيّة داود عليه السلام.

العدميّ في قراءة تاريخ إسرائيل، إنهم «من أشباه العلماء المسلّحين بخلفيات دينية»[1]، دون أن يُظهر أدنى معرفة بأسمائهم، وجهودهم الأكاديميّة في تأليف الكتب، ونشر مقالاتهم في المجلّات المحكّمة، والإشراف على مشاريع الحفر الأركيولوجي، جامعًا الهواة من متديّني النصارى، والباحثين الجادّين، في سلّة واحدة!

وهذا التحيّز اللاديني المبدئيّ، له أثر عملي على نتائج البحث الأركيولوجي لا يخفى على منصف. ومن أمثلة ذلك انتصار اثنين من النقاد من أنصار «الحد الأدنى» إلى تأريخ نفق سلوام الشهير الذي يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، إلى العصر الهلنستي المتأخر جدًّا. وهو مذهب بالغ في تطرّفه؛ إذ إن البحث الكربوني نفسه لمادة البلاستر في النفق قد أكّد تأريخ هذا النفق في القرن الثامن قبل الميلاد[2]. وما أُنْكِرَ قِدَمُ هذا النفق إلّا لأنّه ينصر تاريخيّة ما جاء في سفر الملوك الثاني 20/ 20 عنه.

ويعمد مع ذلك اللادينيون إلى محاولة إخفاء انحيازاتهم العقديّة المتسلّطة بشدة على البحث التاريخي؛ إذ إنّنا نجد - مثلًا - فراس السواح ينقل - مسطريًّا - أطروحة توماس تومسون، رغم تطرّفها وتخميناتها الكثيرة، مع صيغ الحسم والجزم عند التأصيل والتفصيل، ثم يختم مع ذلك حديثه بعبارته الصادمة للقارئ: «إنّ الاعتراف بأنّنا جاهلون بكثير مما حدث في الماضي، هو الذي يحمينا من سطوة الإيديولوجيا ومن أمان اليقين، ويبقينا في حيرة العلماء»[3]!

وذاك نوع من «التواضع المعرفي» الشكلي، للتجمّل؛ فهو مسبوق بدوغمائيّة حادة. ودعوى البراءة من «سطوة الأيديولوجيا» لن تخفي غرق السوّاح في الأدلجة اللادينية من أخمص قدميه إلى شحمة أذنيه!

(1) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص149.
(2) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel*, p.172
(3) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود (دمشق: دار علاء الدين، 2003)، ص 288.

المطلب الثالث: التعسّف التأويلي للكشوف الأركيولوجية

من أشهر المغالطات الشائعة بين الأركيولوجيين المنكرين لصدق القصص التوراتي/ القرآني، الإسراف في الاستنباط من الكشوف الأثرية، أو ما سمّاه بعضهم: «مغالطة رؤيةِ أكثر مما هو متاح» «The fallacy of seeing more than is there»[1].

فالباحث كثيرًا ما يتعسّف في استخراج دلالات تاريخية في تعامله مع بقايا التاريخ القديم، رغم قصور هذه الآثار عن أن تبوح بشيء من ذلك. ولذلك يكثر الظنّ والوهم في أطروحات الأركيولوجيين، وإن سعوا إلى إخفاء ذلك بعباراتهم الحماسيّة، وجزمهم القاطع في أكثر من مسألة.

وقد حاول الأركيولوجي إسرائيل فنكلشتاين أن ينصر قراءته الشهيرة لتاريخ نشأة مملكة الشمال التي يرى أنّها الصورة الأولى (في القرن 9 ق.م) لما قيل إنها الدولة الموحدة زمن شاؤول وداود وسليمان - عليهم السّلام - باعتماد التقنيات التجريبية العلمية الحديثة، غير أنّه ما استطاع أن يفرّ من قيام أطروحته كلّها على الافتراضات والتخمينات، حتى قال هارون بارك - المتخصص في أركيولوجيا «إسرائيل القديمة» - في المراجعة النقدية لكتاب فنكلشتاين «المملكة المفقودة» (2013م): «على الرغم من أنّه من الممكن القول إنّ أعظم إنجازات فنكلشتاين المهنية إثبات قيمة العلوم في خدمة الأركيولوجيا التوراتية التقليدية، إلا أنّ فنكلشتاين قد خاض في هذا الكتاب بعمق في مستنقع الدراسات التقليدية للنصوص الكتابية فقط ليوضح كيف يمكن أن تكون النتائج غير مرضية. الكتاب مليء بقراءات جديدة تخمينية تعتمد على سلسلة لا يمكن إثبات صحّتها من الافتراضات حول التسلسل الزمني والتاريخ الكتابي. وهكذا فإن كتابه يفتقر إلى منهجية واضحة»[2].

---

(1) David E. Graves, *Digging up in the Bible* (Independently published, 2019), p.69

(2) Aaron A. Burke, "Minimizing David, Maximizing Labayu," *Biblical Archaeology Review* 40.4 (2014): 41.

وأما الأركيولوجي ويليام ديفر فقال عن كتاب فنكلشتاين نفسه: «هذا الكتاب لا يتعلق حقًّا بالمعرفة التاريخية السليمة: إنّنا إزاء عمل مسرحيّ. فنكلشتاين ساحر، يستحضر «مملكة مفقودة» بواسطة خِفّة اليد، ويهدف إلى إقناع القرّاء بأن الوهم حقيقةٌ، ويتوقع أنّ القرّاء سيولّون وقد أخذهم العجب من مدى ذكاء الساحر. كان فنكلشتاين في يوم من الأيام عالمًا مبتكرًا؛ رائدًا لمناهج جديدة؛ والآن أصبح رجل استعراض. إنّها مضيعة مأساوية للموهبة والطاقة والجاذبية، ومضرّة بعلمنا»[1].

(1) William G. Dever and Aaron A. Burke. "Divided Kingdom, United Critics,» *Biblical Archaeology Review* 40.4 (2014): 37-41, 71.

المبحث الثالث
مغالطة الاحتجاج بالصمت

يقوم السجال الإسلامي/ الإلحادي، اللاديني حول تاريخيّة الأنبياء على أنّ التاريخ لم يُحدث ذكرًا لهؤلاء الأنبياء، وأنّ القرآن قد نقل خرافات اليهود في سرد سيرتهم. وهو نزاع يقتضي أن يُثبت الملاحدة أنّ هذه الشخصيات لا تاريخ لها، وإنما هي محضُ وهمٍ، ولكن الواقع يُثبت أنّ الجدل قد تحوّل من «الحاجة إلى إقامة الدليل على عدمِ وجود الأنبياء»، إلى مطالبة الكتّاب الملاحدة الباحثينَ المسلمين إثبات وجود هؤلاء الأنبياء. وهو انتقال من دعوى إلى أخرى، ونقل عبء الإثبات من طرف إلى آخر[1].

المطلب الأول: الاحتجاج بالجهل؛ نصرة للمذهب

من السائد بين الأركيولوجيين الاستدلال بصمت الآثار لتقديم شهادات قاطعة لنفي أمور تاريخيّة ما[2]، رغم أنّ القاعدة المتفق عليها بين الناس، خواصهم وعوامهم، هي أنّ «عدم العلم، ليس علمًا بالعدم». واطّراد قاعدة «من لم يُثبت البحث الأركيولوجي وجوده؛ فإنّه لم يوجد»؛ يوجب القول إنّه لم يوجد على الأرض على مدى آلاف السنين سوى مجموعة أفراد بالإمكان عدّهم بالمئات أو الآلاف. وهذا لا يقوله منكرو وجود أنبياء القرآن.

---

(1) إثبات وجود الأنبياء يحتاج إلى دليل، وإثبات خرافية سيرتهم يحتاج إلى دليل. وعندما يثير الملحد دعوى خرافية الأنبياء، فهو يدّعي بذلك أنّه يعلم أنّ هؤلاء الأنبياء لم يوجدوا. وتلك دعوى علم في حاجة إلى حجّة. وأمّا المسلم، فهو يُثبت وجود الأنبياء الذين جاء خبرهم في الآيات القرآنيّة، بأدلّة نبوّة مُحمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي أخبر عن هؤلاء الأنبياء، ولا يحتاج دليلًا أركيولوجيًا لذلك. ولذلك فوجه الرد على المسلمين هو مناقشة نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وصدقها. ومع ذلك؛ فالمسلم يرضى - تنزّلًا - أن يناقش مخالفه من خلال البحث الأركيولوجي، لامتحان دعوى دلالة الأركيولوجيا على نفي تاريخيّة الأنبياء.

(2) E. Wallach, 'Inference from absence: the case of archaeology', *Palgrave Commun* 5, 94 (2019).

فوجب إذن تعديل القاعدة السالفة؛ لتكون: «كل من لم يُثبت البحث الأركيولوجي وجوده، رغم أنّه يجب أن تشهد له الآثار التي عثرنا عليها؛ فهو لم يُوجد!»؛ كأن تشهد الآثار لوجود الوزراء والقادة العسكريين لعصر ما بصورة واسعة، ولا يُذكر اسم الملك الذي زُعم وجوده في ذاك العصر، وذكر غيره. فنحن هنا أمام صمت للتاريخ لا مسوّغ له غير أنّ هذا الملك المدّعى، لم يوجد أصلًا؛ لأنّه لو وجد لكان ذكره واسعًا؛ لغزارة ذكر من هم أدنى منه أهميّة، كالوزراء وقادة العساكر، ولوجود اسم ملك آخر مكانه.

ثمّ إنّ الأرض ليست أمينة على تقديم صورة موازية لما كان في التاريخ؛ فإنّه - مثلًا - من 3000 لوحة وشذرة فيها مراسلات وتقارير الملوك الآشوريّين، يندر وجود أي نص لسرجون الثاني، وليس فيها شيء عن ابنه سنحاريب[1]. كما كان المعتقد أنّ الملك الآشوريّ توديا [illegible] المذكور على رأس قائمة الملوك الآشوريّين، شخصية خرافية، حتّى تمّ اكتشاف نصٍّ يشهد لوجوده كونه أحد الموقّعين على معاهدةٍ في إبلا[2].

إنّ الاحتجاج بالجهل، يجب أن يكون قائمًا على قرائن قويّة، تجعل إمكان إفلات الشخصية التاريخيّة القديمة من شباك البحث الأركيولوجيّ بعيدًا؛ فإنّ الآثار لم تحفظ من أسماء الغابرين إلّا قليلًا تصل حدّ الندرة، كما أنّ البحث التاريخ مخبر أنّ من قد تمنع العادة ضياع خبرهم، قد يضيع ذكرهم في الشواهد الأثرية، على صورة غير مألوفة، وعجيبة. ففي التأنّي السلامة. وفي تضييق الالتجاء للجهل للإنكار، أمان من مخالفة ما يمكن أن يكشف عنه التاريخ مستقبلًا.

---

(1) Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel*, p.20.

(2) Ibid.

المطلب الثاني: الاحتجاج بالمعلوم لإنكار المجهول

من الأساليب الشعبية للتشكيك في وجود الأنبياء، الحديث عن طبيعة معرفتنا بالحضارات القديمة؛ فنحن نعرف من أنواع أجبانها وخبزها عشرات الأنواع؛ فكيف نجهل مع ذلك - كما يقولون[1] - وجود أنبياء لا بدّ أنّ كلمتهم قد بلغت الآفاق، وزلزلت عالم الساسة، وهيّجت المجتمع، وحَفَزَت الكهنة والفلاسفة أن يتحدثوا عنهم بالسّلب والثّلب..فهل الجبن والخبز - كما يقولون - أعظم أهميّة من خبر النّبيّين؟!

والحقُّ إنّ هذه المعارضة تُزوِّرُ واقع التاريخ وسبيل رصده؛ فإنّ رصد الحياة اليومية لكلّ شعبٍ حاصل بأدنى الآثار، كما أنها ممتدة على مدّى زمانيٍّ ومكانيٍّ واسع لكل حضارة، قد يبلغ آلاف السنين. ثم إنّ من أهم ما يبقى دائمًا الأواني الفخارية، وعظام الحيوانات المدجّنة، ومظاهر الزراعة، وبقايا الأكل في المقابر بجانب مومياءات الموتى أو هياكلهم النّخرة زادًا لهم في الآخرة؛ فمعرفتنا بتفاصيل الحياة اليومية للشعوب الماضية سببها شذرات من هنا وهناك على مدى مئات أو آلاف السنين في أكثر من مكان على مساحة جغرافية واسعة، على خلاف البحث في أمر النبوة في العراق - مثلًا - والتي لا نعرف عنها في القرآن سوى نوح وإبراهيم ويونس - عليهم السلام - على مدى ألفي سنة، ولم يكن لإبراهيم أو يونس - عليهما السلام - طائفة من الأتباع أو السلطان السياسيّ، وأما نوح -عليه السلام- فقد عاش منذ خمسة آلاف سنة في أقرب التخمينات، وفي زمنٍ لا نعرف عن أجبانه أو خبزه شيئًا.

إنّنا نعرف أجبان مصر وبلاد الرافدين القديمة، لكنّنا لا نعرف عن المعارضين للديانة الرسمية لمصر وبلاد الرافدين على مدى ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح إلّا النادر؛ إذ إنّ الأجبان تُحفظ في الأواني أو المقابر، ولا يُحفظ خبر المعارضة الدينيّة

---

(1) هذه الشبهة، بهذه العبارة، يُكثر من ترديدها خزعل الماجدي على الفضائيات.

إلّا في المؤلّفات التي كانت تُكتب للتأريخ، وهي لم تظهر إلّا بعد وفاة آخر أشهر أنبياء بني إسرائيل قبل عصر المسيح عليه السلام. وأمّا حوليات الملوك، ونقوشهم؛ فما هي في عامة أمرها إلّا مدوّنات لتمجيد الحكّام، وإظهار حسن إقامتهم للأمر، وطمس المعايب والتقصير. وهذه حوليات الآشوريين، المتميزة بجرد الأخبار السنوية، والمتنوّعة في مواضيعها، يكتبها شخص يختاره الملك المقدّس، ويقيم في القصر، ويعرض على الملك شخصيًا ما كتبه قبل تخزينه؛ وذاك من أسباب سيادة المبالغة على هذه الحوليات.

ولذلك قال أحد الباحثين بعد دراسة هذه الحوليات: «يمكننا القول، وبما لا يقبل الشك إنّ الحوليات الآشورية، ولا سيما تلك التي تطرّقت بإسهاب إلى حملات الجيوش الآشورية، ونتائجها، وما عكسته المنحوتات الآشورية من مشاهد تلك الحملات من قتل وتعذيب في صفوف الأعداء، لم تكن في أغلب الأحيان إلّا لأغراض دعائية من أجل التباهي والتفاخر بالقوّة والشدّة، وإثارة روح الفزع والرهبة في نفوس الأعداء والأقوام الأخرى المجاورة. لذا جاءتنا مليئة بالإطناب الذي ليس له حدود، وبالتعظيم اللامتناهي لشخصية الملك الآشوري، وبالمبالغة والادّعاء الواضحين في مضموناتها»[1].

المطلب الثالث: الإيهام بالفراغ من البحث الأركيولوجي

توحي الدراسات التي تتناول غياب آثار النبيين للقارئ غير المتخصص في التنقيب الأركيولوجي أنّه يكفي الحفر في المناطق التي يُظنّ أنّ الأنبياء قد عاشوا فيها لنكتشف ذكرهم، أو بيوتهم، أو ممالكهم؛ إن وجدوا؛ وإلّا فالقول بخرافيتهم حتمٌ لازم.

والأمر في حقيقته بعيد عن ذلك؛ فإنّ الأرض التي عُمّرت كثيرٌ من مساحاتها على

(1) انظر صفوان سامي سعيد، المبالغة والادعاء في الحوليات الملكية الآشورية، مجلة دراسات موصلية، 2008، 20، ص147.

مدى آلاف السنين بجماعات بشرية ودول قوية أو سلطات محليّة، لم تُبقِ لنا من تاريخها إلا أقلّ القليل؛ حتى كأنّ الأرض لم تُسكَنْ من قبل إلّا من قليل من الناس أو بعض الدول ذات المعمار المتين.

والدعوى التي يلقيها منكرو وجود الأنبياء ركونًا إلى محفوظاتنا من الآثار، تُلزمنا أن نتحداهم أن يكتبوا تفاصيل التاريخ البشري اعتمادًا على الآثار المادية وحدها دون إفساح المجال للخيال أو الإجمال. ولا سبيل لهم إلى ذلك.

والأمثلة على صمت آثار تاريخ الأمم القديمة كثيرة؛ حتّى اشتكى دونالد هاردن سنة 1962 - مثلًا - من غياب آثار فينيقية من العصر الحديدي، باستثناء بعض الآثار في منطقة جبيل في لبنان لم تنشر بعد[1]، قبل أن يكشف جيمس بريتشارد سنة 1970 بقايا من آثار فينيقية من العصر الحديدي في منطقة زرفث بين صور وصيدا[2].

كما اشتكت تمارا رايس سنة 1965 في كتابها «الفن القديم في آسيا الوسطى» من غياب آثار العصر الهليني في أفغانستان، بقولها: «لا شكّ أنّ هذه القرى تضم هياكل وأغورات، وسبب عدم العلم بوجود هذه البنايات هو بالتأكيد أنّه لم تجر محاولة جادة للبحث عنها، وليس لأنها غير موجودة»[3].

ويعترف بأزمة المعرفة بالتاريخ القديم، الغلاة المتطرفون في رفضهم للميراث الإسرائيلي لأخبار العالم القديم، ومن ينقل عنهم من الكتّاب العرب، مثل فراس السواح القائل: «لقد اعتقد المؤرخون والآثاريون لفترة طويلة أنّ الثورة المدينية في سورية قد تأخرت عنها في سومر وفي مصر، وأنّ مناطق غربي الفرات لم تعرف المدن الكبرى، ولا الكتابة، خلال معظم الألف الثالث قبل الميلاد. إلا أنّ الاكتشاف المثير لمدينة إيبلا القديمة في الشمال السوري قرب حلب، قد أثبت

(1) D. Hared, *The Phoenicians* (N.Y.: Praeger, 1962), p.181 (Cited in: Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel*, Wipf and Stock Publishers, 2013, p.18).

(2) J.B. Pritchard, 'The Phoenicians in their Homeland', *Expedition*, 14, 1971, 14 - 23 (Cited in: *The Scriptures and Archaeology*, p.18).

(3) Tamara Rice, *Ancient Arts of Central Asia* (NY: Praeger, 1965), p.132 (Cited in: *The Scriptures and Archaeology*, p.18).

أن ظهور المدن الكبرى في سورية لم يتأخر كثيرًا عن ظهورها في سومر وفي مصر. فقد ظهرت إيبلا كمدينة مكتملة منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، ويدل أرشيفها الكبير الذي عثر عليه في القصر الملكي، على وجود شبكة واسعة من المدن السورية الأخرى المعاصرة لها، والتي قد تثبت الاكتشافات المقبلة معاصرتها للمدن السومرية أيضًا. ويبدو أنّ موقع تل البيدر في منطقة الفرات هو المرشح الأول الآن لإحداث الثورة الأركيولوجية الثانية بعد إيبلا، لأنّ الرّقم الطينيّة التي تم العثور عليها في الموقع خلال موسم التنقيب في عام 1994 ترجع بتاريخها إلى حوالي 2700 ق.م»[1].

ومن السائد عند منكري وجود الأنبياء القول إنّ المناطق التي عاشوا فيها قد نُبِشَتْ نبشًا، وقُلبت قلبًا. وأشهر مدينة زعموا أنّه لا سبيل إلى أن تكشف جديدًا، أورشليم القديمة، ولكنّ حقيقة الأمر هي أنّ هذه المناطق لا تزال تطلب مزيدًا من البحث؛ فهذه منطقة «البلدة القديمة» في القدس، لا تزال تحتها آثار للعصر الإسلامي السابق وما قبله، لم تُظهر طبقتها السفلى ما فيها بعد.

كما أنّنا نقرأ كلّ مرة عن كشف جديد في «أورشليم القديمة» وما لاصقها، ومن ذلك - مثلًا - الكشف في السنتين الماضيتين عن بناء إداري في الجهة الجنوبية المجاورة للقدس أثناء الحفر لبناء مساكن جديدة، وهو يعود إلى القرن الثامن ومنتصف السابع قبل الميلاد. وقد وُجدت فيه أختام كثيرة، في عدد من الجرار، كتب عليها: «للملِك»[2]. وما كان يُعرف في تلك المنطقة سابقًا سوى أثر تاريخي واحد قديم، ليست له أهمية كبيرة. ويُعتقد أنّ الكشف الجديد يعود إلى عصر

(1) فراس السواح، آرام دمشق، ص 18.

(2) Rossella Tercatin, Key site from biblical kings' time unveiled near US Embassy in Jerusalem, *Jerusalem Post*, July 22, 2020 <https://www.jpost.com/israel - news/key - site - from - biblical - kings - time - unveiled - near - us - embassy - in - jerusalem - 635924?fbclid=IwAR2AnYFdfmdXwDNqE6vByGym8IAZWOjYKc - PwwQgqKFdPZx8xsYfU7BkfiY>.

مملكة يهوذا، زمن حكم حزقيا חִזְקִיָּהוּ وابنه مَنَسَّى מְנַשֶּׁה [1].

صورة حفريات منحدر أرنونا[2]



صور أدوات الختم[3]



(1) Amanda Borschel - Dan, 'Huge Kingdom of Judah government complex found near US Embassy in Jerusalem', *Times of Israel*, 22 July 2020. <https://www.timesofisrael.com/huge - kingdom - of - judah - government - complex - found - stones - throw - from - us - embassy/?fbclid=IwAR1oiiFrIj4tIj4YwXLCJhdzQthWD18Lh4RqI - eJhiNmV1VrvN9UFyaCq3c#gs.fp87jn>.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

كما كُشِف سنة 2012 عن كتابة ألفبائية كنعانية في أورشليم منقوشة على جرّة تعود إلى القرن الحادي عشر أو العاشر قبل الميلاد، قبل تطوّر خط العبرية القديمة الذي بقي مستعملًا حتّى هدم الهيكل الأول سنة 586 ق.م. وهو كشف مفيد لإدراك حال معرفة الكتابة زمن داود وسليمان - عليهما السّلام -[1].

الحروف الألفبائية الكنعانية على القطعة



وها أنا بينما أخطّ هذه الكلمات أقرأ عن كشف محجرٍ ضخم حجمه ألف متر مربّع شمال شرقيّ القدس، في منطقة رامات شلومو، مع آلاتٍ لقطع الحجارة الضخمة فيه. ووجِدت أثناء الحفر قطعٌ صخرية في مراحل مختلفة من عملية قطعها، يبدو أنّها كانت تُستعمل للبنايات الضخمة في القرن الأول أو قبله[2].

كما أنّ مصر التي عاشت واحدة من أهم فصول قصّة يوسف -عليه السلام- وأسرته، وموسى -عليه السلام- وقومه، لم تبلغ فيها الحفريات الأثرية درجة الإحاطة بالمطلوب في المناطق التي يُظنّ أنّ بني إسرائيل استوطنوها.

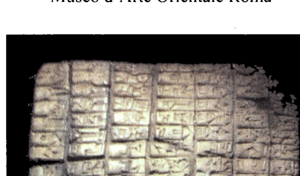
ولا يزال التاريخ يُخبّئ مفاجآت عن أممٍ اندثرت ولُغاتٍ مجهولة. ولعلّ من أبرز الأمثلة التي من الممكن أن تُساق، الكشف عن مكتبة ضخمة في تل مرديخ في إيبلا

(1) Millard, "The New Jerusalem Inscription—So What?» *Biblical Archaeology Review* 40.3 (2014): 49-53.

(2) Jeanna Bryner, Jerusalem's Ancient 'City of Quarries' Reveals City - Building Rocks, *Live Science*. May 09, 2013
< https://www.livescience.com/29452 - second - temple - quarry - uncovered.html?fbclid=IwAR18qXwnnse5eWkHh3G5Sd2OkYyaPPu3K91RtjPCMIxxbMKKDHjrky0xEjI>.

القديمة، 40 ميلًا جنوب حلب؛ فقد أثبت هذا البحث وجود حضارة عظيمة في منطقة الشام تضاهي حضارة مصر قوة في الألفية الثالثة قبل الميلاد، كما كَشَف عن وجود لغة سامية قديمة مجهولة قبل ذلك[1]. وهي أمور صادمة إن قبلنا منهج المنتصرين لإنكار تاريخية عامة الآباء؛ لأن الآثار لم تحفظ لنا أسماءهم؛ فإنّ حضارة عظيمة قد طمست في زمن غير بعيد عن عصر إبراهيم -عليه السلام-، ومع ذلك أثبت كشفٌ واحد تاريخها العظيم.

لوحة طينية من أرشيف إيبلا
Museo d'Arte Orientale Roma



المطلب الرابع: أوجه القصور الكشفي في الشاهد الأركيولوجي

كتب جيمس هوفماير - أستاذ الأركيولوجيا والعهد القديم - عن أسباب صمت الآثار حين يجب أن تتكلّم، قائلًا: «أنا أدرك تمامًا - بصفتي عالم أركيولوجيا ميداني - مبلغ قلة ما تبقى من الماضي القديم، بسبب العوامل الطبيعية، مثل الرطوبة بأشكالها

(1) Alfonso Archi, *Ebla and Its Archives: Texts, History, and Society* (Boston: Walter de Gruyter, 2015).

العديدة، والجفاف، والزلازل، وكذلك التأثير البشري باحتلال المناطق (في العصور القديمة)، وإعادة استخدام مواد البناء السابقة، والتدمير البشري (الحرب والحرق)، والتنمية الحديثة (الحضرية والزراعية). إنّه من الواجب دائمًا مراعاة التوقّعات الواقعية حول ما يمكن لعلم الأركيولوجيا أن يقدمه للدراسات الكتابية وما يعجز عنه»[1].

وقصور الشاهد الأركيولوجي - في الحقيقة - أوسع من ذلك؛ إذ يظهر هذا القصور في أكثر من وجه:

الوجه الأول: لم يَبْقَ مما صُنع أو كُتب في الماضي سوى جزء ضئيل جدًّا؛ بسبب عوامل الفساد الطبيعية (المطر، التصحّر، التآكل...)، والبشرية (السرقة، الهدم، الحرق، إعادة استعمال اللبنات لإنشاء بناء جديد...). كحال منطقة الدلتا المهمة في دراسة تاريخ بني إسرائيل في مصر؛ فإنّ المياه لم تُبْقِ فيها أي برديّة قديمة. ومن المهم أن ننبّه أيضًا أنّ أنبياء كُثْرًا ورد ذكرهم في القرآن، كان خاتمة قصّتهم هلاك أقوامهم بعذاب مدمّر لهم ولعمرانهم؛ بما يؤول إلى القول إنّ البحث عن عمرانهم مخالف لأصل القصّة القرآنيّة.

الوجه الثاني: عدد الأماكن التي تمّ التنقيب فيها قليلة مقارنة بما يجب أن يكون لدراسة تاريخ النبوّة؛ ومن ذلك دراسة المنطقة المحاذية لنهر الأردن من جهة دولة الأردن الحديثة؛ فرغم أنّه قد اكتُشفت فيها بعض الآثار المهمّة، إلّا أنّها لم تعرف دراسة أركيولوجية على المستوى المرضيّ إلى اليوم. كما أنّ منطقة الدلتا التي عاش العبرانيون شمال شرقيّها على قول التوراة (تكوين 47/ 11) لم تعرف عناية توازي دراسة مواضع أخرى في مصر من الجهة المحاذية للنيل من القاهرة إلى أسوان. علمًا بأنّ كثرة الحفريات قد تنبهنا إلى توسّع المساحات التي تحتاج دراسة؛ إذ

(1) James K. Hoffmeier and Dennis R. Magary, eds., *Do Historical Matters Matter to Faith?* (Illinois: Crossway, 2012), p.101.

تَكشِفُ وجود مساحات عمرانية لم تكن معلومة من قبل. وهذا أمر مطّرد في البحث الأركيولوجي.

الوجه الثالث: عدد الأماكن التي تمت فيها حفريات excavations أقل بكثير من الأماكن التي عرفت مسحًا survey أركيولوجيًا. ولا بدّ من التمييز بين المسح السطحي لمنطقة ما، والعمل الحفريّ فيها؛ فإنّ السير في منطقة أثرية ما، وملاحظة الفخار المبعثر على ظاهر الأرض، غير النبش فيها في مساحة للكشف عن الأرض المطمورة، والأعمدة المغمورة، والغرف غير الظاهرة؛ فالمسح لا يرصد من أخبار الأمم القديمة إلا القليل، إن كان منها شيء ظاهر[1].

ووصفُ المسح السريع أنّه عمليّة علميّة قادرة على تقديم نتائج نهائيّة في التاريخ القديم، ظاهرة منكرة لا يخلو منها العمل الأركيولوجي اليوم. ومن ذلك ما ذكره ريتشارد فريدمان[2] من أنّ بعض الأركيولوجيين قالوا في بحثهم عن آثار رحلة تيه بني إسرائيل: «لقد مشّطنا سيناء، ولم نعثر على شيء». وهي دعوى أثارت سخريّة أحد الأركيولوجيين؛ ممّا دعاه أن يلتفت إلى فريدمان، ويقول له مستنكرًا هذا التصريح الموهم بالبحث الجاد عن آثار التيه: «إنّها فقط خمس سيّارات جيب!»[3].

إنّ الحفريات هي السبيل الجاد للنبش في تاريخ الحضارات القديمة؛ لأنها تكشف أساسات العمائر والبنايات المطمورة. وهي رغم ذلك قليلة؛ لأنّها تطلب في عامة الأحوال وجود علماء متخصصين في الأركيولوجيا ودعمًا ماليًا كبيرًا لإتمام الحفرية على أسس علمية، خاصة مع تطوّر مناهج التعرف على الآثار وتأريخها. ولذلك لم تظهر آثار العصر البرونزي في أفسس رغم أنّها قد مسحت منذ سنة 1894 إلى سنة 1963. ولم تظهر آثار العصر البرونزي إلا بعد محاولة الحكومة التركية إنشاء

(1) Richard Hope Simpson, 'The limitations of surface surveys' in *Archaeological Survey in Mediterranean Area*, eds., D.R. Keller and D.W. Rupp, (Oxford: B.A.R., 1983), pp.45 - 47.

(2) ريتشارد فريدمان Richard Friedman (1946): ناقد توراتي شهير. أستاذ الدراسات اليهوديّة في جامعة جورجيا. شارك في حفريات «مدينة داود».

(3) Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters*, p.17.

مصفّ سيّارات سنة 1963؛ لتكتشف تحت أرض المصف آثار العصر البرونزي. كما أنّ الحفريات نفسها قد تكون قاصرة عن الكشف عن الأجزاء المطمورة في الأرض؛ ومن شواهد ذلك أنّه قد أجرى إسرائيل أري حفريات في منطقة أفيق بين سنتي 1935 و1938، وانتهى إلى عدم وجود آثار تعود إلى العصر الحديدي أو العصر البرونزي المتأخّر على التلّة؛ حتّى نقل بعضهم منطقة أفيق التوراتية من تلّ رأس العين إلى منطقة مجاورة لها، غير أنّه بعد حفريات أ. إيتان سنة 1961 وم. كوشافي سنة 1972 كُشفت آثارٌ للعصر البرونزي المتأخّر والعصر الحجري في تلّ رأس العين[1].

الوجه الرابع: جزء صغير من الآثار المكتشفة يتم نشر مضمونه، وأدنى من ذلك يتم نشر الأبحاث التي تمّت حوله؛ فلا تزال المتاحف إلى اليوم تعجّ بآثار لا يُعرف عنها سوى رقم تخزينها؛ فمن بين النقوش الطينية المسمارية في ماري، والتي تبلغ 25 ألف لوحة، لم تنشر منها سوى بضعة آلاف لوحة[2]. ويُخبرنا أحد المشرفين على المتحف البريطاني في العقد السابع من القرن الماضي أنّه من بين 150 ألف لوحة طينية مسمارية في المتحف، لم يتم إلّا أرشفة ثلث هذا العدد[3]. كما أنّ نشر نتائج البحث قد يتأخّر كثيرًا؛ ومن ذلك أنّ الحفريات التي تمّت في أور بين سنتي 1922 و1934 على يد ليونارد وولي، لم يُعرض تقريرها النهائي إلّا سنة 1997 [4].

نحن إذن أمام قلّة باقية من قلّة مستخرجة من قلّة راجعة إلى قلّة؛ فليس كلّ ما كان قد حُفظ، وليست كلّ أرض تضم بقية من الحضارات القديمة قد دُرست، وليست كلّ أرض مُسحت قد تمّت فيها الأحافير، وليست كلّ المناطق التي نبشت نُشر ما كُشف فيها.

---

(1) Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel*, p.19.

(2) See Edwin M. Yamauchi, *The Stones and The Scriptures*, pp.146 - 158.

(3) Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology*, p.19.

(4) Leonard Woolley, et al., *Ur excavations. Volume VII The Old Babylonian period* (Trustees of the two Museums by British Museum Publications, 1976).

ورغم ما سبق، يعمد كثير من الأركيولوجيين إلى لغة الإثارة، لتسويق أفكارهم، وإيهام غير المتخصّصين أنّ نتائج البحث الأركيولوجي كما يقدّمونها تقف على أرض صلبة لا تميد؛ كزعم فنكلشتاين في كتابه المشهور «The Bible Unearthed»[1] أنّه يقدّم لأوّل مرة التاريخ الصحيح لإسرائيل القديمة كما يظهر من خلال الاكتشافات الأركيولوجية الحديثة؛ رغم أنّه من المعلوم أنّ ما كتبه في هذا الكتاب محلّ جدل واسع في الساحة العلمية، بالإضافة إلى أنّه ليس ثوريًّا في كثير من تفاصيله.. ولكنّها لغة السوق[2].

المطلب الخامس: العجلة في إدانة التوراة

يسرف الغلاة من خصوم التوراة اليهوديّة في تخطئتها، قبل استفراغ الجهد في البحث. وفي أحيان، يستبين بالبحث الأثري أنّ صمت الآثار، ما كان ينبغي أن يكون حجّة لإدانة التوراة؛ إذ تُخبر الآثار لاحقًا عن صدق التفاصيل التي تمّ إنكارها سابقًا. وعلى ذلك أمثلة:

المثال الأول: جاء ذكر بلشاصر בֵּלְשַׁאצַּר في سفر دانيال 5. وبقي خبر سفر دانيال عن بلشاصر الذي حكم بابل زمن سقوطها، دون سند من خارجه لقرونٍ طويلة. وقد كانت شواهد الألواح الطينية المحفوظة حتى الربع الأول من القرن العشرين تذكر أنّ نبونيدس هو ملك تلك الفترة. ولم يُفهم الأمر إلا بعد العثور على وثائق جديدة كشفت أن نبونيدس قد أمضى أيامه الأخيرة في البلاد العربية، وترك قيادة المملكة البابلية لابنه الأكبر بلشاصر[3].

(1) عُرّب تحت عنوان: «التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها».

(2) See William G. Dever, Excavating the Hebrew Bible, or Burying It Again?, Review: *The Bible Unearthed*, in *Bulletin of the American Schools of Oriental Research,* Volume 322. 67

(3) Walter C. Kaiser, *The Old Testament Documents: Are They Reliable Relevant*? (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 2001), p.99.

المثال الثاني: كان سفر إشعياء 20/ 1 المصدر الوحيد الذي يذكر أنّ سرجون الثاني كان ملكًا لآشور. وقد اكتشف بولس إميل بوتا سنة 1843 دور شروكن العاصمة الجديدة التي أسسها سرجون الثاني، والتي تبعد عن نينوى قرابة 12 ميلًا. وكان سرجون الثاني قد بدأ بناء العاصمة الجديدة سنة 717 ق.م، غير أنّه لم يستمتع ببناياته الجديدة؛ لأنّه قد مات في معركة بعد سنوات قليلة (705 ق.م)، وفضّل ابنه سنحاريب نينوى على دور شروكن عاصمة للبلاد. واليوم يعتبر سرجون الثاني شخصية مهمة في دراسة تاريخ اليهود؛ لأنّه الذي غزا السامرة - عاصمة المملكة الشمالية للإسرائيليين - سنة 722 ق.م[1].

المثال الثالث: لم يكن خبر يهوياكين יְהוֹיָכִין ملك يهوذا الذي يَذكر سفر الملوك الثاني 25/ 27 - 30 أنّه قد أُسِر بعد أن غزا نبوخذناصر أورشليم معلومًا حتّى تمّ الكشف عن مجموعة ألواح طينية كانت مدفونة قرب بوابة عشتار في بابل، وتعود إلى ما بين 595 - 570 ق.م. وقد ورد فيها ذكر «يوكين، ملك أرض يهود» ضمن قائمة الأسرى والعمال. كما ورد ذكر خمسة أبناء ليوكين ثلاث مرّات في الألواح، وهم الذين ورد ذكر أسمائهم ضمن قائمة الأسماء السبع ليهوياكين في سفر أخبار الأيام الأول 3/ 17 - 18 [2].

المثال الرابع: جاء ذكر سَنْبَلَّط - حاكم السامرة - في نحميا 2/ 10. كما جاء ذكر الخصم الآخر لنحميا: جَشَمٌ الْعَرَبِيُّ في نحميا 2/ 19. وقد تمّ الكشف عن هذين الاسمين مؤخّرًا؛ ففي برديّة في جزيرة الفنتين في مصر كُتبت في الجيل التالي لجيل نحميا (نحو 408 - 407 ق.م)، ورد اسم سَنْبَلَّط واسم أخي نحميا، حناني (نحميا 7/ 2)، واسم رئيس الكهنة، يوحانان (نحميا 12/ 22)[3]. كما عثر على آنية في منطقة الدلتا بمصر، مكتوب عليها بالآرامية اسم جشم، ملك قيدار[4].

---

(1) Ibid.
(2) Ibid., p.100.
(3) Ibid.
(4) Ibid., pp.100 - 101.

المثال الخامس: احتار العلماء في حديث سفر الملوك الأول 9/ 28 عن أوفير التي يأتي منها الذهب إلى سليمان -عليه السلام- ؛ فإنّه لا تُعرف منطقة بهذا الاسم، فضلًا عن أن تكون مشتهرة بالذهب. اقتُرح أنّ أوفير هي منطقة في ساحل الصومال أو في الهند. وقد اكتُشفت لاحقًا سنة 1956 شمال تلّ الربيع في فلسطين المحتلّة شقفة أثريّة مع علامة شحن تقول: «ذهب أوفير لبيت حورون، ثلاثون شيكل». بما يثبت وجود منطقة باسم أوفير، وأنّها معروفة بذهبها[1].

المثال السادس: جاء في الفصل 33 من سفر العدد حديث عن رحلة بني إسرائيل من وادي عربة إلى سهول موآب. وجاء في هذا الفصل أنّ بني إسرائيل مروا بعييم فديبون جاد فعلمون دبلاتايم فنبو ثم آبل شطيم، وثم نهر الأردن. وهي رحلة أنكرها عدد من الباحثين، قائلين إنّها من وحي خيال الكاتب، وتدل على جهله بأحداث فلسطين[2] قبل القرن العاشر قبل الميلاد. غير أنّ تشارلز كراهمالكوف قد أثبت لاحقًا معقولية الرحلة من خلال ثلاث خرائط مصرية قديمة، أقدمها خريطة تعود إلى زمن تحتمس الثالث (1504 - 1450 ق.م) منقوشة على جدار معبد الكرنك كجزء مما يُسمى «قائمة فلسطين». فطبق هذه القائمة، الطريق من الجنوب إلى الشمال يمرّ عبر عييم وديبون وآبل والأردن[3].

وقائمة الأمثلة في ازدياد مع تنامي الكشوف الأركيولوجية. وهي كاشفة أنّ المسارعة في تخطئة التوراة قبل استكمال النظر التاريخي الجاد، أثرٌ عن أقلام غير منصفة، وتطويع للمعرفة لأجل إدانة المخالفين. والعدل يقضي ألّا تُدان توراة اليهود إلّا بما يقطع التاريخ بمخالفته لما تنقله، وألّا يُدان الخبر القرآني بخطأ كتاب اليهود أو غيرهم.

(1) Ibid., pp.105 - 106.

(2) نستعمل في هذا الكتاب اسم «فلسطين» عَلَمًا على البلاد المسمّاة بهذا الاسم اليوم، حتى في العصر الذي لم تكن تُسمى فيه بهذا الاسم؛ تقريبًا للدلالة الجغرافية إلى الأذهان.

(3) Ibid., pp.106 - 107.

المطلب السادس: صمت الآثار وطبيعة خبر الأنبياء

إنّ الاستدلال بصمت الآثار - حتّى بعد تعديل القاعدة - لا يقودنا في عامة الأحوال إلى مطلبنا في شأن الوجود التاريخيّ للأنبياء؛ لقيام عوارض كثيرة من الممكن أن تمنع بقاء أثر الأنبياء في شواهد الأرض؛ ولذلك فالأمر يقتضي عند البحث في تاريخية كل نبي، البحث عن الأسباب الداعية إلى إمكان - أو وجوب - ظهور خبره في الآثار القليلة المحفوظة، والموانع التي من الممكن أن تحول دون ذلك.

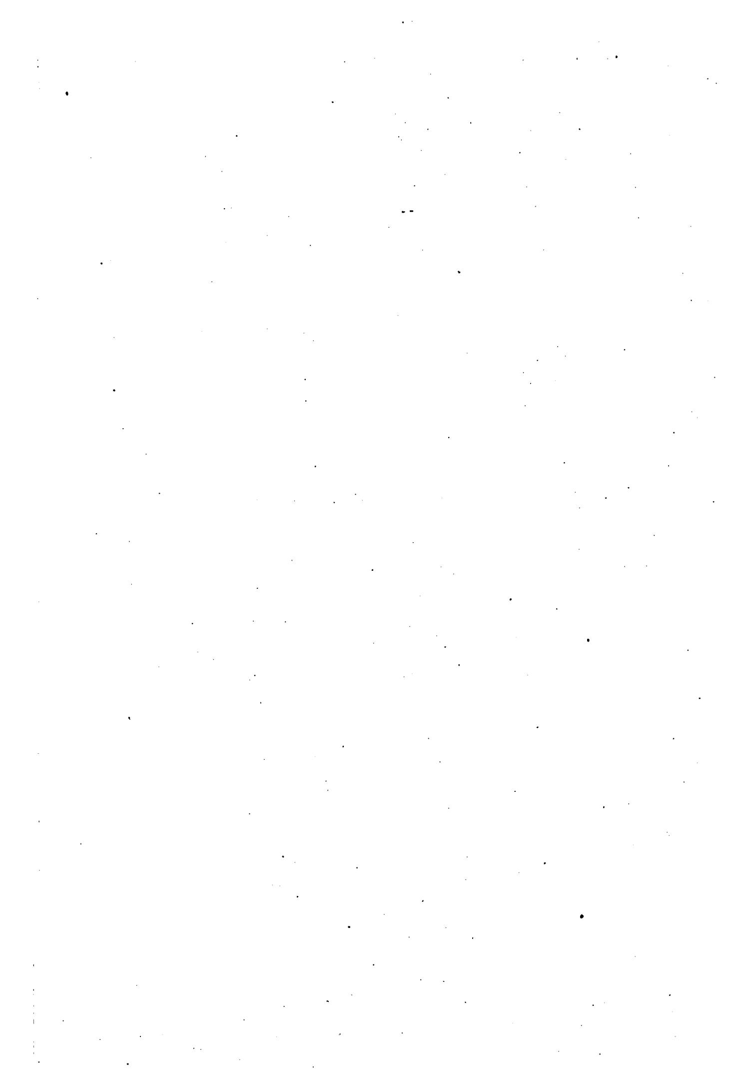
والعجب هو أنّ أشدّ الأركيولوجيين تطرّفًا يُسلّمون بقاعدة ترك الاحتجاج بالصمت، على صورتها الشائعة، وكذلك يفعل من ينقلون أفكارهم، مثل السواح القائل: «في حال فقدان الوثائق المناسبة التي تعين المؤرخ في عمله، من الأسلم الاعتراف بالجهل بدل صياغة نتائج مبنية على الخيال والمواقف الإيديولوجية المسبقة»[1]. ثم يقيم السواح عامة حديثه عن أورشليم في كتابه «تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود» على خيالات يملأ بها مساحات الفراغ، ومواقف عقدية متشنّجة من التوراة اليهودية المحرّفة.

إنّ النبوّة، موقف عقدي من رجل في جماعة من الناس؛ مظهرها الواقعي دعوته لهم إلى ترك عبادة الآلهة الباطلة، والعوائد الفاسدة، والإيمان بالله وحده، والاستقامة على طريق الصلاح. وهي بذلك في صدام حتميّ مع أصحاب السلطة السياسية، والكهنوت الديني، والدهماء الخاضعين للأعراف.

والنبوّة - بما سبق - لا تستهوي عادة إلّا قلّة من الضعفاء في قومهم؛ ممن لا سلطان لميراث المال والرفاه على قلوبهم. وهو ما يجعل النبيّ وجماعته فئة مستضعفة، منبوذة في حواشي المجتمع؛ فلا تحفل بهم نقوش قصور الحكّام، ولا

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 286.

معابد الكهنة، ولا الوثائق الرسميّة للدولة؛ بما يجعل استجداء الآثار لتكشف عن أسماء الأنبياء، بلا طائل في عامة الأحيان.

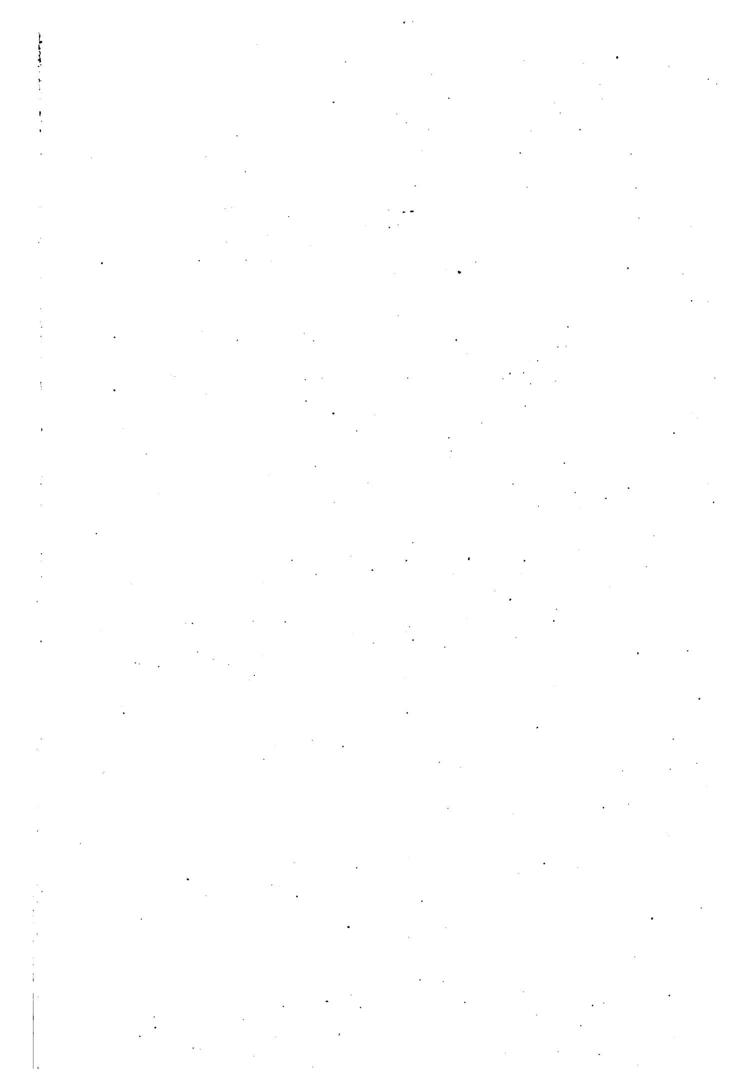


الفصل الثاني:
شبهات حول تاريخ النبوّة والمعجزات

تحوم حول ظاهرة النبوّة مجموعة من الشبهات التي يثيرها الخطابان اللاديني والإلحادي. وهي مع تنوّعها، تتّفق حول التشكيك في أصالة ظاهرة النبوّة وجوهرها. وهو باب من البحث لا يمكن تجاهله؛ لأنّه يتعمّد إثارة الريبة من خلال تقديم قراءة مشوبة بالنقص أو الانحراف عن النّبوة في شكلها التاريخي الواقعي.

ولبحث ما يُثار في هذا الشأن؛ سنجيب في هذا الفصل عن أربع دعاوى تتكرّر بصورة مكثّفة في الخطاب الإلحادي واللاديني الغربي والعربي:

- ادّعاء النبوّة، ظاهرة حديثة جدًا، لم يعرفها التاريخ في أيّ صورة صحيحة أو مفتراة.
- يشهد الدليل الأركيولوجي أنّ اليهود لم يعرفوا التوحيد في تاريخهم إلا قبل المسيح بقرون قليلة، على خلاف ما هو مقرّر في القرآن والتوراة.
- لا يمكن أن تكون النبوّة حقيقة دينية من عند إله رحيم عادل؛ لهداية الخلق، ثم هي لا تخرج عن دائرة منطقة الشرق الأدنى القديم!
- المعجزات (التي تقترن عادة بدعوى النّبوة) خرافة لا يصدّقها أركيولوجيّ عاقل في زمن ازدهار العلوم والتنوير؛ فإنّ القوانين الماديّة لا تتخلّف!



المبحث الأول
الأركيولوجيا ونفي تاريخ النبوة القديم

يروّج الخطاب الإلحادي الشعبوي لدعوى أنّ النبوّة ظاهرة متأخرة جدًّا، سبقت المسيح بقرنين فقط. وأَنَّ حديث القرآن عن أنبياء من بداية الألفية الأولى قبل الميلاد وقبلها ما هو إلّا خرافة؛ إذ التاريخ لا يعرف من ادعى النبوّة - حقًّا أو باطلًا-.

وتلك شبهة يردُّها التاريخ نفسه؛ فإنّنا نعلم أنّ ظاهرة ادّعاء النبوّة عريقة في التاريخ المعروف للأمم؛ أي الألفية الثالثة قبل الميلاد، آخر العصور التي يملك البحث التاريخي أن يقول فيها قولًا فيه بعض التفصيل الصادق.

فمن أقدم الأدلّة على النبوة كظاهرة دينية وثقافية، ما اكتُشف في سوريا، عند إيبلا (2500 - 2400 ق.م). ورغم أنّ مصطلح نبي في الألفية الثالثة في إيبلا لا يزال فيه شيء من الغموض، إلّا أنّه بعد 500 سنة من تلك الفترة ظهرت كلمة نبي «نبو» شرقي إيبلا في الموقع المعروف باسم تل حريري (حوالي 1750 - 1697 ق.م)، في نصوص ماري. وهي نصوص تقدّم صورةً قريبة من النبوة التوراتية قبل عصر موسى -عليه السلام- بقرون.

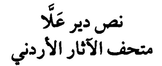
يضمُّ أرشيف ماري الذي يضم عشرين ألف لوحة، ويعود إلى بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، قرابة ستين لوحة تنقل رسائل لأنبياء، تسميهم باسم «أَبلوم»، و«تتوثهو»، و«نبي» بمعنى نبي[1]. وقد جاءت في كثير من هذه النصوص عبارات مثل: «في معبد هشمتوم، قام نبي اسمه... وقال...». وكان من عادة الأنبياء نقل ما يقولون إنّه قد أُوحِيَ إليهم. وأحيانًا ينقل عنهم غيرهم ما أوحي إليهم.

كما اكتشف الأركيولوجيون سلسلة ألواح في موقع إيمار (تل مسكنة) معاصرة

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.384

تقريبًا لمكتشفات ماري، وهي مدينة تقع بين إيبلا وماري عند نهر الفرات. وكانت هذه المنطقة ذات أهمية كبيرة منذ القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد حتى تدميرها عام 1187 قبل الميلاد، ويعود تاريخ معظم لوحاتها إلى الفترة 1550 - 1200 ق.م. وهي تظهر طبائع مختلفة لظاهرة النبوة فيها.

واكتُشف في دير عَلَّا في الأردن نصٌّ فيه حديث عن نبوّة بلعام الذي جاء ذكره في سفر العدد 22 - 24، وفيه وصفه أنّه «حزه إلهن» أي عرّاف الآلهة.



نص دير عَلّا
متحف الآثار الأردني



وفي نقش زكور الذي أمر ملك حماة ولعش بصناعته، ويعود إلى نحو سنة 780 ق.م، جاء ذكر الانتصار على أرام، وأنّ ذلك مرتبطٌ بوعدٍ إلهيٍّ:

«فـ(رحتُ) أرفع يدي إلى بعل شمين. و(بدأ) يحبني بعل شمين. ويتحدّث بعل شمين إليّ بواسطة العرافين وبواسطة الرسل. ويقول لي بعل شمين: لا تخف! لأنني

جعلتك ملكًا. وأنا سأقوم معك. وأنا سأنقذك من كل هؤلاء الملوك الذين فرضوا عليك حصارًا»[1].

وأما بلاد ما بين النهرين، فإنّ أَوْضَحَ صور النبوّة فيها قد عُرفت في عهد الملك الآشوري أسرحدون؛ إذ عُرف أسرحدون باستدعاء عرّافين أجانب إلى بلاطه، بعضهم من مناطق بعيدة مثل مصر. وقد خلص بعض النقاد إلى أنّ هذه الظاهرة قد تم استيرادها إلى آشور من سوريا - كنعان. وكان عامة الأنبياء الآشوريين، كهنة، وتتعلّق نبوّتهم أساسًا بإلهة الحب والخصب عشتار[2].

وعرف الحثيون أيضًا مفهوم النبوة، فقد صلّى مورسيل الثاني لآلهته في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، طلبًا للعون عند أزمةٍ، قائلًا: «دع السبب يظهر بالفأل، أو أرنيه في حُلُم، أو لِيُعلنه نبيٌّ (رجل الله)». وقال لاحقًا: «دعوني أراه في حلم، أو لِيُكشف بوحي، أو ليعلنه نبيٌّ، أو ليكتشفه الكهنة كلّهم»[3].

والنبوة معروفة أيضًا في مصر القديمة؛ فقد ادعاها مصريون في الألفية الثانية قبل الميلاد في السياقين الديني والسياسي. والكلمة المصرية «سري» تعني «يُعلن، يعد، يتنبّأ بالمستقبل». وهؤلاء الأنبياء «رجال حكماء» يمارسون وظائف نبوية، من أهمها الإنباء عن نكبة أو فرج مستقبليين[4].

فظاهرة النبوة؛ بالإنباء عن الإله المعبود (سواء كان الإله الحق أو غير ذلك)، والتنبؤ بالغيب، كانت معروفة في كثير من الأمم. وفي ذلك يقول جيمس ميد[5]: «تشترك نبوّة إسرائيل مع ثقافات الشرق الأدنى القديمة الأخرى في أنواع الظواهر

(1) فاروق إسماعيل، اللغة الآرامية القديمة، ص 212.

(2) See Scott B. Noegel, Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism* (London: Scarecrow Press, 2002), pp.xxiii - xxvi, James K. Mead, 'The Biblical Prophets in Historiography', in Bill T. Arnold and Richard S. Hess, eds. *Ancient Israel's History: an introduction to issues and sources*, (Grand Rapids, Michigan: Baker Academic, 2014), pp.271 - 281.

(3) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.387.

(4) Ibid, pp.386 - 387.

(5) جيمس ك. ميد James K. Mead: أستاذ الدين في Northwestern College.

نفسها، من العناوين التي استخدمها بعض الأنبياء وأنواع الظواهر التي جرّبوها، إلى الأشكال المشتركة للكلام والمواضيع المتماثلة»[1].

ومع ذلك لم يكد يبلغنا أيُّ اسم من أسماء هؤلاء «الأنبياء» رغم أن عددهم بالآلاف[2]؛ فليس بممتنع - عندها - ألّا تحفظ لنا آثار الشرق تاريخ الأنبياء الذين أُرسلوا بالحقّ؛ فهذا مثل ذاك؛ بل إنّ أولئك أكثر عددًا من هؤلاء، كما أنّهم قد عاشوا في أزمنة كانت لدولهم الصولة والجولة والمعمار العظيم، مع رضا الملوك والأباطرة عنهم.

(1) James K. Mead, '*The Biblical Prophets in Historiography*', p.285.

(2) من الاستثناءات، بلعام بن بعور.

المبحث الثاني
دعوى اختلاق اليهود التوحيد في العصور المتأخرة

اهتمّ تيّار «الحدّ الأدنى» بصورة بالغة بسلب بني إسرائيل الذين عاشوا قبل المسيح هويتهم القوميّة؛ بإنكار نسبتهم إلى يعقوب عليه السلام؛ لخرافية شخصيّة يعقوب عليه السلام - بزعمهم -، وإنكار خروج بني إسرائيل من مصر، وادّعاء أنّهم جماعة دينيّة وثنيّة نشأت في فلسطين، ولم تأت من خارجها. وكان إنكار معرفة بني إسرائيل بالتوحيد حتى زمن قريب من المسيح، من أبرز معالم هذا الطرح؛ حتى قال توماس تومسون: «لم توجد اليهوديّة حتّى القرن الثاني قبل الميلاد»[1]. وهو أمر يستدعي المناقشة، خاصة مع حرص اللادينيين العرب - كالسواح والماجدي - على تكراره في حديثهم.

المطلب الأول: اتّهام التوراة بإخفاء ما تصرّح به!

أثار الأركيولوجيون الملاحدة والنقلة عنهم من ملاحدة العالم العربي دعوى أنّ بني إسرائيل لم يعرفوا دعوة الأنبياء إلى التوحيد إلّا في حدود القرن الخامس قبل الميلاد أو بعده، وحجّتهم لذلك أنّ الكشوف الأركيولوجية قد أثبتت أنّه كان يُعبد في المنطقة التي عاش فيها بنو إسرائيل بعد عصر سليمان -عليه السلام-، في مملكتي السامرة ويهوذا، بجانب يهوه، آلهة أخرى، مثل أشيرة.

والحقّ أنّنا نستغرب من هذه الدعوى؛ لأنّها تتجاهل تصريح الكتاب المقدس نفسه، في تأريخه لأخبار مملكتي يهوذا والسامرة، أنّ بني إسرائيل قد عبدوا مرات كثيرة آلهة أجنبية، وأنّ من ملوك بني إسرائيل من دعموا عبادة الأوثان في عصورهم.

فهذا الملك عُمري، بعد عصر سليمان -عليه السلام-، قد عبد الأصنام، وعبدها

(1) William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p7.

ابنه آخاب بعده؛ بعد أن «اتَّخَذَ إِيزَابَلَ ابْنَةَ أَثْبَعَلَ مَلِكِ الصِّيدُونِيِّينَ امْرَأَةً، وَسَارَ وَعَبَدَ الْبَعْلَ وَسَجَدَ لَهُ. وَأَقَامَ مَذْبَحًا لِلْبَعْلِ فِي بَيْتِ الْبَعْلِ الَّذِي بَنَاهُ فِي السَّامِرَةِ. وَعَمِلَ أَخْآبُ سَوَارِيَ، وَزَادَ أَخْآبُ فِي الْعَمَلِ لإِغَاظَةِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ» (1ملوك 16/ 31 - 33).

وقد تكرّر من أنبياء بني إسرائيل إدانة عبادة الأوثان في قومهم؛ فقال - مثلًا - هوشع عن وثنية أهل السامرة: «قَدْ زَنِخَ عِجْلُكِ يَا سَامِرَةُ. حَمِيَ غَضَبِي عَلَيْهِمْ. إِلَى مَتَى لاَ يَسْتَطِيعُونَ النَّقَاوَةَ! إِنَّهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ إِسْرَائِيلَ. صَنَعَهُ الصَّانِعُ وَلَيْسَ هُوَ إِلهًا. إِنَّ عِجْلَ السَّامِرَةِ يَصِيرُ كِسَرًا» (هوشع8/ 5 - 6). ودعا ميخا لزوال الوثنية التي ترسّخت في السامرة، بقوله: «وَجَمِيعُ تَمَاثِيلِهَا الْمَنْحُوتَةِ تُحَطَّمُ، وَكُلُّ أَعْقَارِهَا تُحْرَقُ بِالنَّارِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِهَا أَجْعَلُهَا خَرَابًا، لأَنَّهَا مِنْ عُقْرِ الزَّانِيَةِ جَمَعَتْهَا وَإِلَى عُقْرِ الزَّانِيَةِ تَعُودُ» (ميخا/ 1/ 7).

وأما أشيرة فقد تكرر خبرها تصريحًا في سفر الملوك الأول والثاني (في الأصل العبري)[1]. وجاء ذكر أشيرة في مواضع أخرى من أسفار العهد القديم[2].

كما أنّ ظاهرة الوثنية في بني إسرائيل معروفة فيهم قبل المملكة المتحدة. وهو أمر نبّه إليه ابن حزم منذ قرون - مستشهدًا بالأسفار المقدّسة عند اليهود -، بقوله: «فاعلموا الْآن أَنه كَانَ مذ دخلُوا الأَرْض المقدسة إِثْر موت مُوسَى -عليه السلام- إِلَى ولَايَة أول ملك لَهُم، وَهُوَ شاول الْمَذْكُور؛ سبع ردات فارقوا فِيهَا الْإِيمَان، وأعلنوا بِعبَادة الْأَصْنَام. فأوّلها بقوا فِيهَا ثَمَانِيَة أَعْوَام، وَالثَّانية ثَمَانِيَة عشر عَامًا، وَالثَّالِثَة عشْرين عَامًا، وَالرَّابِعَة سَبْعَة أَعْوَام، وَالْخَامِسَة ثَلَاثَة أَعْوَام، وَرُبمَا أَكثر، وَالسَّادِسَة ثَمَانِيَة عشر عَامًا، وَالسَّابِعَة أَرْبَعِينَ عَامًا»[3].

(1) 1ملوك 14/ 23، 16/ 33، 18/ 19، و2ملوك 17/ 10، 21/ 3، 23/ 4، 6، 7،. وكثيرًا ما تعرّب كلمة أشيرة אֲשֵׁרָה بكلمة «سارية».

(2) القضاة 2/ 13، إرمياء 17/ 2...

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (القاهرة: مكتبة الخانجي)، 1/ 143.

ثم إن علمنا نهي التوراة عن التصوير في الوصايا العشر: «لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ» (خروج 20/ 4)؛ يجعلنا ندرك أنّ غياب شواهد التماثيل والصور على الإله الواحد، لا تفاجئ منصفًا.

ومن عجبٍ أنّ فراس السوّاح الذي نقل هذه الشبهة من المكتبة الغربية إلى العالم العربي، يشهد للتوراة بالصدق؛ فهو القائل في شهادة التوراة في شأن بناء السامرة في القرن التالي لعصر سليمان -عليه السلام-، ثم سقوطها لاحقًا، وانحراف حكّامها والرعيّة إلى نشر الوثنية والشّرك: «ولقد تمّ تكريس الانفصال الديني عن أورشليم منذ الأيام الأولى لتشكيل مملكة إسرائيل، عندما قام يربعام أول ملوكها ببناء معبدين كنعانيين لشعبه وضع فيه تمثالًا على هيئة العجل... **وبعد يربعام سار جميع ملوك بني إسرائيل في طريقه خلا واحدًا هو الملك ياهو الذي قضى على بيت آخاب وقام بإصلاح ديني لم يقيض له الاستمرار.** ولم يكن موقف عامة الناس في الدولة مغايرًا لموقف ملوكهم، بما استجر عليهم وعلى حكامهم اللعنات التي امتلأت بها أسفار التوراة... وقد جاءت نتائج التنقيب الأثري في موقع السامرة في اتفاق مع الرواية التوراتية... أثبتت أساليب التأريخ الحديثة في علم الأركيولوجية أن المدينة قد بنيت في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد، وهو تاريخ بنائها الفعلي من قبل الملك عمري... ومن ناحية أخرى، فقد أمكن التعرف على عاصمة عمري السابقة ترصة... واتضح من التنقيبات أن مدينة ترصة قد هجرت في الوقت نفسه تقريبًا الذي بُنِيَتْ فيه مدينة السامرة... لم تدم حياة السامرة، وفق الرواية التوراتية، أكثر من قرنين من الزمان... وتأتي نتائج التنقيبات الأثرية في اتفاق مع الرواية التوراتية»[1].

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 160 - 161، 146.

ولذلك عجِب الباحث بنجامين سومر من اعتراض المعترضين؛ فقال: «من المهم التأكيد على أنّ النصوص التوراتية تصوّر الإسرائيليين إلى حد كبير على أنهم مشركون؛ لأن العديد من العلماء المعاصرين يفترضون بطريقة ما أن النصوص التوراتية يجب أن تقول إنّ الإسرائيليين كانوا موحّدين(!). عدد كبير من الكتابات العلمية حول هذا الموضوع يمثّل محاولة لفضح الكتاب المقدس من خلال إظهار شيء يؤكده الكتاب المقدس نفسه»[1]!!

ومّما يُظهر اضطراب مذهب منكري أصالة التوحيد في بني إسرائيل، أنّهم قد أجمعوا أنّ التاريخ «الإسرائيلي» مختَلقٌ كليّة - أو في أغلبه - لصناعة تاريخ مجيد لهم. وليس تاريخ الرّدّات المتتالية في التاريخ الإسرائيلي - كما هو مذكور في الأسفار التاريخية في التوراة اليهودية - محلّ معقول في هذا «التاريخ المجيد» الذي يدّعيه هؤلاء الأركيولوجيون ومتابعوهم في العالم العربي.

المطلب الثاني: دلالات الأركيولوجيا على أصالة التوحيد في تاريخ بني إسرائيل

يهتم أنصار مدرسة «الحدّ الأدنى» بمحاولة إثبات أنّ التوحيد فكرة دخيلة على التراث الإسرائيليّ، استنادًا إلى الشاهد الأركيولوجي. والحقّ أنّ الشاهد الأركيولوجي حجّة لإثبات أصالة التوحيد الإسرائيلي في فلسطين، من جهتين، على الأقل:

(1) أسماء الأعلام: أسماء سكان المملكتين الشمالية والجنوبية تدمج في كثير من الأحيان الاسم الشخصي واسم الإله؛ فعامة الأسماء المنقوشة على الأختام العبرانية فيها صيغة مختصرة ليهوه، مثل يهو في مملكة يهوذا، ويو في مملكة إسرائيل[2]. ولم يُسمّ باسم الآلهة الأجنبية في مملكتي إسرائيل ويهوذا - مثل «بعل» - سوى

(1) Benjamin D. Sommer, *The Bodies of God and the World of Ancient Israel* (Cambridge: Cambridge University Press, 2009), p.149.

(2) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.175.

قلّة قليلة جدًّا من الناس كما في الدراسة التي قام بها جفري تِغاي حول الأسماء السابقة للسبي، والتي وردت في الرسائل والوثائق الشخصية والأختام الشخصية والتناخ وغيرها؛ فقد جمع قرابة 1200 اسم عبري شخصي من القرن التاسع إلى السادس قبل الميلاد، ولم يجد غير 5.9 ٪ من الأسماء تحمل اسمًا إلهيًا ملحقًا بالاسم الشخصي غير يهوه[1]. كما شهد باتريك ملّر بصورة أوسع، بقوله: «إن وزن مجموع النقوش من القرن التاسع حتى القرن السادس قبل الميلاد يشهد لصالح تيار الدين الإسرائيلي «يهوه فقط»، خاصةً - وليس حصرًا - في الجنوب. يهوه هو الإله الوحيد المسمى في النقوش الإسرائيلية، واسم يهوه مذكور أكثر من 30 مرة، وذلك من نصب ميشع إلى الكشوف في عراد ولخيش ورامت راحيل»[2].

(2) الفن الإسرائيلي: قام الناقد السويسري أوثمار كيل على مدى عقود ببناء قاعدة بيانات للأيقونات الإسرائيلية، خاصة الواردة في أدوات الختم (فقد كانت الأختام تضم نصوصًا وصورًا، وتوضع على الوثائق حتّى لا يتمّ التلاعب بها). وقد جمع 8500 ختمًا منذ عصر كنعان القديمة، وبعضها يعود إلى الإسرائيليين. ولمّا قارن كيل وتلميذه كريستوف أولنجر الأختام الإسرائيلية بغيرها، لاحظا أمرًا لافتًا للنظر؛ وهو أنّ الأختام الإسرائيلية - على خلاف بقية الأختام - لا تظهر الإيمان بأكثر من إله واحد، ولا تضمّ دائمًا - تقريبًا - صورة الإله، وإنّما يُرمز للإله برمز، هو عامة قرص الشمس، وفاءً لما جاء من منع صناعة صور الإله (خروج 20/ 4). ولا تظهر علامات تعدّد الآلهة إلّا قليلًا، خاصة في القرن السابع قبل الميلاد. كما تشهد أيضًا الأنواع الأخرى من الفن (مثل التماثيل وكتابات الجدران) على سيادة التوحيد عند الإسرائيليين[3].

---

(1) Jeffrey Tigay, 'Israelite Religion: The Onomastic and Epigraphic Evidence,' in *Ancient Israelite Religion: Essays in Honor of Frank Moore Cross*, eds. by P. D. Miller, P. D. Hanson, and S. D. McBride (Philadelphia: Fortress, 1987), 157-194.

(2) Cited in: Benjamin D. Sommer, *The Bodies of God and the World of Ancient Israel*, p.151.

(3) Ibid., p.152.

علمًا أنّ مملكة إسرائيل كان فيها الكثير من الكنعانيين الوثنيين[1]، بل إنّ داود -عليه السلام- ما أخرج الوثنيين من أورشليم، وشهد عزرا على وجود الأمم الوثنية في البلاد بعد السبي (عزرا 9/ 1 -2).

المطلب الثالث: نقض دلالة الآثار على حداثة التوحيد في بني إسرائيل

خبر التوراة عن ازدهار الوثنية في مملكتي بني إسرائيل بعد انقسام المملكة المتحدة، لقرون، يُثبت صدق الخطوط العامة لهذه الرواية في ضوء الكشف الأركيولوجي، ولا يشكّك في أنّ ديانة أنبياء بني إسرائيل التي دعا إليها الأنبياء، كانت التوحيد. وليست الأوثان والمذابح والأواني الفخارية الشاهدة للوثنية؛ بصادمة لنا؛ لأنّها أَوْلى التراث المادي نجاة من الاندثار لكثرتها، وقدرتها على الصمود تحت طبقات الأرض؛ وهي بذلك لا تعكس الوجه الكامل للطابع الديني لأمّة من الأمم.

وأمّا التماثيل الصغيرة التي عُثِر عليها في البيوت؛ فهي ثلاثة أنواع[2]:

النوع الأول: عدد قليل من التماثيل التي وُجدت في المناطق الإسرائيلية منذ القرن الثالث عشر إلى القرن الحادي عشر، وفَرْجُها فيها بارز بوضوح. وهي آلهة كنعانية معروفة منذ آخر العصر البرونزي. ويبدو أنّها آلهة الخصب. وما عُثِرَ عليه لاحقًا كان في منطقة الفلستيين. فهذه التماثيل لا تمثّل - بذلك - الدين الإسرائيلي.

النوع الثاني: تماثيل لامرأة عليها ملابس - عادة -، وتحمل شيئًا دائريًا. وقد عُثر عليها في مناطق بني إسرائيل منذ القرن العاشر. واختُلف في تعريف حقيقة هذه التماثيل. وقد ذهب كيل وأولنجر إلى أنّها تمثّل صورة امرأةٍ عابدة تحمل دُفًّا صغيرًا كما هي عادة الإسرائيليات عند الغناء (خروج 15/ 20، قضاة 11/ 34، صموئيل 18/ 6...).

(1) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.175.
(2) See Benjamin D. Sommer, *The Bodies of God and the World of Ancient Israel*, pp.151 - 154.

النوع الثالث: التماثيل الأكثر انتشارًا هي لامرأة عظيمة الثديين، يتدلّيان عادة. وقد ظهرت هذه التماثيل في عصر متأخر عن النوعين السابقين، جلّها من القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. والقول إنّ هذا التمثال إله معبود، يتوافق مع إدانة أنبياء هذين القرنين لانتشار الوثنية بين الإسرائيليين. والحقّ إنَّ الجزم أنّ هذه الأوثان آلهة فيه نظر؛ فإنّ حضور هذه التماثيل الصغيرة في البيوت لا المعابد، قد يُفسّر أنّها أقرب إلى التمائم منها إلى الآلهة.

وقد نبّهت الأركيولوجية كارول مايرز إلى الاختلاف الكبير بين تماثيل الآلهة المؤنثة الكنعانية وهذا النوع من التماثيل؛ فإنّ تماثيل الآلهة «تُظهر عادة بعض رموز الهوية الإلهية في غطاء الرأس أو الزي أو الوضع أو الأشياء المرفقة بها. ولذلك يجب أن يكون المرء في شك في تعريف أيٍّ من هذه التماثيل المصنوعة من الطين المحروق أو اللوحات الطينية بالآلهة على الإطلاق، ناهيك عن أي آلهة معينة مثل عشتار وعنات وأشيرة»[1].

وهو ما أكّدته تكفا فرايمر - كنسكي - المتخصصة في ثقافة بيئة الكتاب المقدس وبلاد الرافدين -، بقولها إنّ أهم صفة للتماثيل الإسرائيليّة أنّها تختلف عن التماثيل الكنعانية؛ إذ «ليس فيها أيّ رموز صريحة لأي آلهة... لا تحمل هذه الأعمدة أي شارة إلهية، ولا ترتدي التيجان، ولا تحمل أي رموز لقوتها»[2]. فهي على الأظهر «مجازٌ مبصَر، يُجسّد مرئيًّا محسوسًا ما هو مرغوب فيه بشدّة... إنها نوع من الصلاة الملموسة من أجل الخصوبة والغذاء»[3].

(1) Carol Meyers, *Discovering Eve. Ancient Israelite Women in Context* (New York: Oxford University Press, 1988), 162.

(2) Tikva Frymer - Kensky, *In the Wake of the Goddesses. Women, Culture, and the Biblical Transformation of Pagan* (Myth. New York: Free Press, 1992), 159.

(3) Ibid.

المطلب الرابع: تناقض فراس السواح في الاستدلال بالآثار لإثبات أصالة الوثنية في بني إسرائيل

حاول المشكّكون الاستدلال بغياب أشكال جديدة للأواني الفخارية في كنعان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد (بعد نهاية عصر التيه المفترض)؛ للقول إنّ بني إسرائيل لم يدخلوا فلسطين (الحديثة) من مصرَ بدينٍ جديد، وإنّما هم كنعانيّون نبتوا في أرض فلسطين، ورثوا الوثنية والشرك عن سلفهم، قبل أن يتحوّلوا إلى التوحيد قبل عصر المسيح بقرون قليلة.

وهي معارضة ضعيفة؛ لأنّ عدم تغيّر الأشكال الفنيّة للأواني الفخاريّة يحتمل بقاء الأمّة القديمة نفسها في الأرض المستوطَنة، كما يحتمل وجود وافدين جددًا تبنّوا نمط الحياة المحليّة. والأمر في شأن بني إسرائيل سهل تفسيره؛ فإنّ هذه أمّة صغيرة العدد، كانت تعيش في تيه الصحراء حيث تخففت من أسباب الحياة اليومية الثقيلة؛ كأواني الفخّار، لصالح حفظ الماء وبقية السوائل في قِرَبٍ من جلد يسهل نقلها، ولا تتكسّر عند كثرة الحركة. والانتقال من حياة البداوة إلى حياة الحضر؛ دافع لتبنّي الثقافة المعيشية القائمة في البلاد المستوطَنة.

ومن الظريف هنا أن السوّاح الذي ينقل لنا هذه الشبهة، ينقل لنا بنفسه هذا الطابع التاريخي في مجدو التي تقول التوراة إنّ سليمان -عليه السلام- قد بناها؛ إذ ذكر عن مجدو بعد غزو الآشوريّين لها: «بقايا الفخار واللقى الأخرى... تشير إلى استمرار الثقافة الكنعانية التي كانت سائدة في فلسطين، فالأقوام التي أحلها الآشوريون محل الأسباط العشرة التي لم تعد قط إلى فلسطين، **لم تفرض على المدينة نمطًا ثقافيًا جديدًا، بل استوعبت بسرعة معطيات الثقافة الكنعانية وعملت على تطويرها في الاتجاه نفسه**»[1].

---

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 169.

وقد نبه صاحب كتاب «أركيولوجيا الإثنيّة» إلى أنّه غالباً ما لا يمكن تمييز الهوية العرقية أو الاجتماعية للأشخاص السابقين من خلال آثارهم المادية؛ «فحتى في المواقف التي تتميّز بدرجة عالية من التناظر بين الموطن والعرق، قد لا يتمكن علماء الآثار من العثور على «كيانات عرقية» ينعكس وجودها في توزيعات الثقافة المادية»[1].

المطلب الخامس: تهافت استدلال فراس السواح بالتوراة لنفي التوحيد عند اليهود

حاول فراس السواح أن يدعم دعوى أنّ اليهودية ديانة شِركيّةٌ (في باب الربوبية)؛ فأشار إلى الوصية الأولى من الوصايا العشر: «لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي» (خروج 20/ 3)؛ زاعمًا أنّ عبارة «آلهة أخرى» دالة على إيمان اليهود بأكثر من إله! والنص جليٌّ - في ضوء نصوص التوحيد الكثيرة في التوراة - أنّه يعني أنّ هناك إلهًا حقًّا واحدًا، لا تُصرف العبادة إلّا إليه، وأمّا الآلهة الأخرى؛ فمعبودات زائفة.

فمن نصوص التوراة الأخرى التي توضّح هذا المعنى: «إِنَّكَ قَدْ أُرِيتَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ. لَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ» (تثنية 4/ 35)، و«لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ» (مزمور 86/ 10)، و«لأنّه مَنْ هُوَ إِلهٌ غَيْرُ الرَّبِّ؟» (مزمور 18/ 31)، و«أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي» (إشعياء 44/ 6)، و« لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ. [أنا] الإِلهُ وَلَيْسَ مِثْلِي» (إشعياء 46/ 9)...

ونص التوراة أيضًا صريح في نسبة الخلق إلى الله وحده؛ وهو أخصُّ خصائص التوحيد. ومن هذه النصوص: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ» (تكوين 1/ 1)، و«صَانِعُ الأَرْضِ بِقُوَّتِهِ، مُؤَسِّسُ الْمَسْكُونَةِ بِحِكْمَتِهِ، وَبِفَهْمِهِ بَسَطَ

(1) S. Jones, *The Archaeology of Ethnicity, Constructing Identities in the Past and Present* (London: Routledge, 1997), p.12.

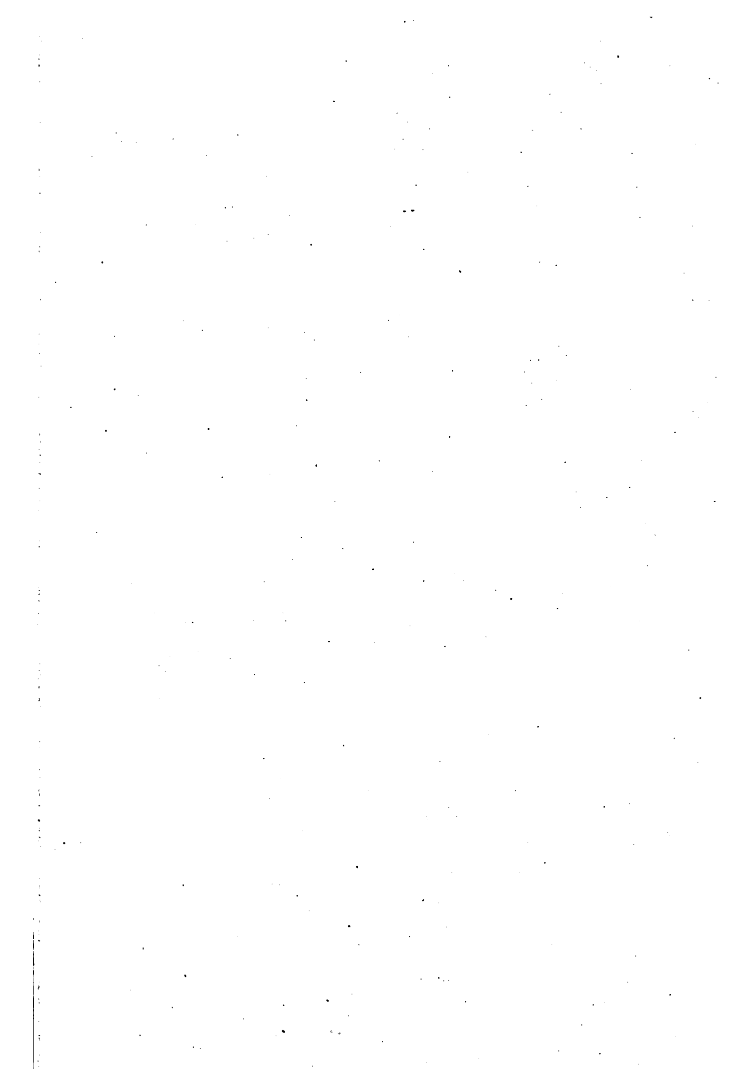
السَّمَاوَاتِ» (إرمياء 10/ 12)، و«أَلَيْسَ أَبٌ وَاحِدٌ لِكُلِّنَا؟ أَلَيْسَ إِلهٌ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟» (ملاخي 2/ 10)...

كما استدلّ السواح لشركيّة اليهودية بنص مزمور 50/ 1: «إِلهُ الآلِهَةِ الرَّبُّ تَكَلَّمَ، وَدَعَا الأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا». والدعوى هنا أنّ إله اليهود، إله من الآلهة، وإن كان أعلاها. وهو استدلال يتجاهل النصوص الأخرى الصريحة في القول إنّ كلّ آلهة الأمم الأخرى باطلة، لا بمعنى أنّها كائنات إلهية كالإله الحق - خالقةٌ وأزلية -، ولا تستحق العبادة، وإنّما بمعنى أنّها معبودات لا تملك أوصاف الإله الحق؛ كقوله تعالى في القرآن، وصفًا لمعبودات المشركين: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ (الفرقان/ 3). فهذه الأصنام آلهة معبودة؛ وإن كانت لا تَخلق، ولا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا.

ثم إنّ هذه العبارة في الأصل العبري: «אֵל אֱלֹהִים יְהוָה» قد تُرجمت على صور شتى، بعضها لا يتضمّن معنى «إله الآلهة»، وذلك بترجمة كلمة « אֱלֹהִים» [إلوهيم] إلى «God» لأنّه أحد أسماء الله في التوراة؛ فإنّ الكلمة السابقة لإلوهيم في المزمور 50/ 1 هي: «إيل» «אֵל»، والتالية لها: «يهوه» «יְהוָה»، وكلّها من أسماء الإله في التوراة:

New International Version:	The Mighty One, God, the LORD
New King James Version:	The Mighty One, God the LORD
American Standard Version:	The Mighty One, God, Jehovah
JPS Tanakh 1917:	God, God, the LORD
New English Translation:	El, God, the LORD

إنّ إله التوراة - في مجموع أوصافه -، أزليٌّ، متفرّد بالخلق، لم يولَد أو يُخلَق كعامة الآلهة الكبرى للأمم الأخرى (مردوخ ولد من إيا، وبعل ابنٌ للتنين، وإنوما إليش نَجَمَ عن اختلاط المياه الحلوة بالمياه المالحة..). والتوراة صريحة في أنّ المعبودات الأخرى باطلة، وأنّ إله إسرائيل هو ربّ الأرض والسماوات.



المبحث الثالث
دعوى اقتصار النبوة على منطقة الشرق الأدنى القديم

يتكرّر في الخطاب اللادينيّ في البلاد العربيّة التشكيك في صدق النبوّات؛ اعتمادًا على دعوى أنّنا لم نسمع عن ظاهرة النبوّة إلّا في منطقة الشرق الأدنى القديم. ووجه الاعتراض أنّه لو كانت النبوات حقيقة تاريخيّة أصلها دعوات الهداية من الربّ إلى البشر؛ لكانت حاضرة في كلّ مكان؛ لا في منطقة الشرق الأدنى القديم وحدها.

وهذا الاعتراض معارَض من أوجه:

أولًا: الاعتراض على اقتصار النبوّة على منطقة الشرق الأدنى القديم غير مسلَّمٌ في الرؤية الإسلاميّة؛ فإنّ المسلم يؤمن أنّ النبوّة قد عرفتها كلّ الأمم، في كلّ منطقة اجتمع فيها الناس؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (فاطر / 24)[1]. فالاعتراض لا يصحّ إذا صدقنا الرؤية الإسلامية. ولا يبقى إلا أن يكون الاعتراض من وجهة تاريخية قائمة على السبر التاريخي المباشر.

ثانيًا: الأنبياء الذين استجابت لهم أقوامهم قلّة قليلة، ربّما لا تكاد تخرج عن بعض أنبياء بني إسرائيل؛ فقد كذّبت عامة الأمم أنبياءها. وقد أشار القرآن إلى ذلك من أوجه؛ كَذِكْرِه أنّ عامة الناس لا يتبعون رسالة الإيمان: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ (يوسف/ 103)، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ (هود/ 17)، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الأعراف/ 101 - 102)، كما أشار إلى العقوبات التي لحقت أقوام أنبياء كثر، كقوم

(1) تنبيه مهم: نحن لا نذكر الآيات والأحاديث في هذا الجواب؛ لإلزام المخالف بتصديقها (مع علمنا أنّه مكذّب لها)، وإنّما لأنّها تذكر الصورة التاريخيّة الإسلاميّة للنبوّة التي نقبل أن تكون محلّ المناقشة، ولا نلتزم صورة تاريخيّة أخرى نصرانية أو يهودية ليعترض عليها المخالف.
فنحن نقول: إنّ النبوّة التي تعترضون على تاريخيتها خارج منطقة الشرق الأدنى، صورتها عندنا كذا كذا؛ فإن أردتم إثبات بطلانها تاريخيًا؛ فناقشوا تفاصيلها كما هي على هذه الصورة المعروضة في الآيات والأحاديث.

هود وصالح ولوط - عليهم السلام - لرفضهم الإيمان. وجاء في السنّة: «عُرِضت عليَّ الأممُ، فرأيت النبي ومعه الرُّهَيْط، والنبي ومعه الرَّجُل والرجلان، والنبي ليس معه أحد»[1]. بل إنّ بني إسرائيل أنفسهم، كذّبوا عامّة من أُرسلوا إليهم؛ رغم استشراء النبوة فيهم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (البقرة/ 87).

ثالثًا: ما كان للأمم السابقة أن تحفظ سير الأنبياء؛ لأنّها لم تحفظ لنا سير أهل السّحر والشعوذة فيها رغم كثرتهم باعتراف المؤرّخين، وما الأنبياء في عيون أقوامهم إلا أهلُ سِحرٍ ودَجَلٍ. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ (الذاريات/ 52). وإنّ أمّة يظهر فيها على مدى أجيال نبي واحد، لا يتبعه الناس، ويرميه العامة والساسة وأحبار دين الدولة بالسّحر أو الجنون، لا مكان له في مدوّنات الأمم القديمة.

والإشكال في من يُصِرُّ على وجوب توثيق الأمم السالفة أسماء أنبيائها، ظنّه أنّ النبوة لا بدّ أن تقترن بكثرة الأتباع وتسليم الأمم بخوارق النبيين، قياسًا على بعثة نبي الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم - أو بقاء الكتب المقدسة عند بني إسرائيل. وهذا في الحقيقة هو الاستثناء؛ فإنّ دعوات التوحيد بين الوثنيّين عامة حالها الرّفض لا القبول؛ لأنّ الوثنية كانت محميّة عامّة بسلطان الأعراف والحُكّام.

رابعًا: لا يوجد ما يمنع أن بعض الشخصيات الشهيرة خارج الشرق الأدنى القديم كانت لها النبوّة، مثل كونفشيوس في الصين وزرادشت في فارس؛ فلربّما حُرّفت رسالتهم الأُولى كما حُرّفت رسالة المسيح الذي جعله الفريق الأوسع من أتباعه إلهًا معبودًا.

---

(1) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (ح/ 6175)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (ح/ 220).

ولذلك قال ابن حزم في زرادشت: «وأما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته... ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - لمن صحّتْ عنه معجزة، قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وقال - عزّ وجلّ -: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾. وقالوا إنّ الذي ينسبه إليه المجوس من الأُكذوبات باطلٌ مُفترى منهم»[1].

وقال الشيخ رشيد رضا: «جميع أهل الملل القديمة كالمجوس والبوذية كانوا أهل كتاب وأتباع رسل[2]، ثم طرأ عليهم الشرك والوثنية بالتأويل، ولم يعد يُعرف لكتبهم أصلٌ لطول العهد، وأما اليهود والنصارى فقد دلّ القرآن على أن كتبهم لم تذهب كلها، بل أوتوا نصيبًا منها ونسوا آخر. وما بقي لهم طرأ عليه التحريف؛ فلذلك ميّزهم عن سائر أهل الملل بتسميتهم (أهل الكتاب)»[3].

إنّنا لا نُثبت النبوّة إلّا لمن أثبتها له القرآن والسنّة، لكنّنا لا نستطيع أن نجزم أنّ بعض الشخصيات التي تعظّمها بعض الشعوب لم تنلها النبوّة حقًّا، قبل أن يتمّ تحريف رسالتها.

خامسًا: كان التدوين قبل زمن المسيح -عليه السلام- أضعف مما صار إليه بعده. وعامة ما نعرفه عن دين الأمم السالفة يعود إلى ما دوّنه الملوك أو أحبارهم الوثنيون في شرح عقيدتهم أو تمجيدها، أو ما ظهر لنا من معابد الوثنيين وأصنامهم؛ فالتاريخ الديني القديم لم يُحفظ في «موسوعات الأديان والفرق» على الطريقة الحديثة التي تعتني بسبر العقائد، وبيان أهلها. وفي مثل تلك الظروف، يبعد بجدّ أن تحفظ كتابات الملوك والأحبار ونقوش الجدران خبر الأنبياء الموحّدين المفارقين لجاهليات عصرهم.

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1/ 91.
(2) لا نستطيع الجزم بذلك؛ وإنما هو احتمال قائم، يطلب برهانًا إيجابيًا ليصير حقيقة.
(3) محمد رشيد رضا، «تحريم المسلمات على غير المسلمين»، مجلة المنار، 1342هـ/ 1924م، ص 25.

سادسًا: أخبار الجماعات الدينية الصغيرة سريعة الزوال من الذاكرة، والشواهد القائمة بعد عصر المسيح -عليه السلام- - بعد انتشار الكتابة والجدل الديني - خير شاهد على ذلك؛ فكيف بما قبل ذلك؛ فإنّنا إلى اليوم لا نزال نكتشف كتبًا دينية قديمة كما هو حاصل في شأن بعض مخطوطات نجع الحمادي التي اكتُشفت في مصر سنة 1945م.

ومن يُطالع كتابات آباء الكنيسة في الرد على الهراطقة، خاصة إيبفانيوس أو يوحنا الدمشقي الذي عاش في عصر الدولة الأموية في كتابه «ينابيع المعرفة»؛ ستأخذه الدهشة لكثرة الفرق الهرطقية التي لا نعرف عنها اليوم غير اسمها، ولا نعرف من أمرها بعد ذلك أيَّ شيء واقعيٍّ سوى أنها لم تكن على مذهب الكنيسة الأرثوذكسية المنتصرة في مجمع نيقية. ولا يزال النقاد إلى اليوم في انتظار كشوف جديدة عن فرق دينية نصرانية مبكرة لم يُحفظ لنا منها شيء، لا الاسم ولا الكتب.

سابعًا: حِفظُ تاريخ «المصلحين» في عصر ما قبل المسيح ضعيف جدًّا؛ إذ كثيرًا ما يغشاه النسيان أو تتسلّط عليه الأساطير. ومن عجيب هذا الباب حديث التاريخ عن شخصية زرادشت؛ فرغم نشوء ديانة كاملة يزعم أهلها اتّباع هذا الرجل، وتبنّي دولة ضخمة وقوية لهذا الدين، وامتلاك هذا الدين أسفارًا مقدّسة، إلا أنّ العلماء قد اختلفوا في الزمن الذي عاش فيه زرادشت اختلافًا عجيبًا يمتد على ألف سنة؛ بين منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد إلى منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد[1].

ثامنًا: سبب أنّ عامة الأنبياء الذين نعرفهم عاشوا في منطقة الشرق الأدنى القديم؛ ذكرهم في التوراة التي تهتم بالأنبياء من نسل يعقوب -عليه السلام-، والذين عاشوا في هذه المنطقة. كما أنّ في القرآن ذكرًا واسعًا لأنبياء بني إسرائيل لما في قصصهم

---

(1) Prods Skjaervo, 'Zorosatrian Dualism', in Armin Lange, Eric M. Meyers, Bennie Reynolds, eds., *Light Against Darkness* (Vandenhoeck & Ruprecht, 2011), p.81.

من عبرة، ولإظهار إعجاز القرآن في ذكر قصص لا يعرفها غير الأحبار والرهبان، ولأنّ القرآن فيه تصحيح لعقائد أهل الكتاب المجاورين للمسلمين.

ولولا أنّ القرآن نزل، وبنو إسرائيل صاروا أُمّة تدون أخبار أنبيائها، ما كان لنا أن نعلم أن في الشرق الأدنى القديم رسالاتٍ ونُبوّات.

تاسعًا: قال رسول - صلّى الله عليه وسلّم -: «أنا أَوْلَى الناس بابنِ مريم، والأنبياء أولاد علّات، وليس بيني وبينه نبيّ»[1]. ولذلك فالبحث عن النبوة التي يدّعيها المسلمون يجب أن يتركّز قبل زمن المسيح -عليه السلام-. وهنا لنا أن نسأل عن علمنا بالتاريخ الديني لقارة أمريكا وأستراليا وإفريقيا.

لا يملك أي باحث منصف أن يُحدّثنا عن معرفة تفصيلية بتاريخ الدعوات الدينية في هذه القارات قبل المسيح؛ فعلمنا لا يتجاوز المشهور من الديانات في أوروبا وإفريقيا. وكثير من هذه المناطق لم تخلّفْ قبل الميلاد شيئًا ذا بال من آثار التاريخ لحال تَدَيُّنها غير فكرة عبادة الأصنام أو الأرواح أو بعض مظاهر الطبيعة.

عاشرًا: عِلْمُنا التفصيلي بالتاريخ القديم يبدأ مع بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد - بتدرّج، مع تنامي ازدهار الكتابة وتوسّع العمران المدنيّ -[2]، وأمّا قبل ذلك فالصورة غائمة جدًا. ويتّفق الباحثون أنّ منطقة الشرق الأدنى القديم قد عرفت من الألفية الثالثة قبل الميلاد إلى الألف الأولى قبل الميلاد أعظم مظاهر الحضور المدنيّ الحيّ في العالم، وازدهرت فيها دول عظمى. ولذلك فهي أولى الأرض بكثرة الأنبياء.

الحادي عشر: السؤال الذي من الممكن أن يُطرح، ويكون موضع جدل هو: لماذا بقي خبر النبوّة في بني إسرائيل وطُمس في بقية الأمم؟

(1) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، (ح/ 3258)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، (ح/ 2365).

(2) ما عليه عامة الباحثين اليوم، هو أنّ الشكل الأوّل للكتابة قد ظهر منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد أو آخرها.

وجواب ذلك أنّ النبوّة في بني إسرائيل قد تميّزت بأمور لم تعرفها مجتمعة الأمم الأخرى؛ وهي:

- كثرة الأنبياء.
- اجتماع هؤلاء الأنبياء على رسالة واحدة.
- تتابع الأنبياء في كلّ جيل على مدى فترى طويلة؛ حتّى قال نبي الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم -: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ»[1].
- ظهور أكثر من دولة لهم في تاريخهم الطويل. وقيام هذه الدول على الانتماء الديني والعرقي؛ بما يجعل الحفاظ على الموروث الديني ضرورة من ضرورات الهوية.
- ظهور أسفار دينية مكتوبة، وشعائر دينية مفروضة؛ بما يجعل الأجيال اللاحقة متواصلة مع الأجيال السابقة.

(1) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (ح/ 3455)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، (ح/ 1842).

المبحث الرابع
إنكار النبوّة والمعجزات في الرؤية الطبيعانية

البحث الأركيولوجي لا يبدأ من الصفر المعرفي، فهو كغيره من العلوم، ينطلق دائمًا من مقدمات كونية ومعرفيّة أولى؛ وهي تتعلّق بمنهج العمل أو بمبادئ الفهم. وأركيولوجيا الكتاب المقدس والقرآن لا تُستثنى من هذا الأمر، بل هي أولى من غيرها لتعلّقها بمقالات دينية ووجودية.

والناظر في أمر الجدل في تاريخية القصص التاريخي في القرآن والكتاب المقدس، يُدرك أنّ هذا القصص لا يُمكن أن يُبحث فيه بالدليل الأركيولوجي حصرًا؛ فإنّه قائم في بعض أوجهه على إثبات ظاهرة الوحي ذات الصبغة فوق الطبيعية، وإثبات خوارق الأفعال، كانشقاق البحر وإنزال المن والسلوى وإحياء الموتى.

والباحثون الغربيون الملاحدة أو اللادينيون أو اللاأدريون - وهم عامة الباحثين في باب الأركيولوجيا الكتابية - يبدؤون من إنكار ظاهرة النبوة والمعجزات، ولا يطرحونها للنقاش، ولا يجعلون احتمال تصديقها ممكنًا. وهم بذلك يُسقطون أصلًا تاريخية نصوص كثيرة قبل البدء في النظر، ويرونها من جنس الخرافة ووهم الدهماء التي تُنقل دون تمحيص.

وهذا أمر متكرّر أيضًا في كتابات فراس السواح المولع بعبارتَي «أساطير» و«ملاحم» كلّما رأى في التوراة خبر معجزة؛ ليُلحق هذا الخبر آليًا بجنس الأكاذيب والأباطيل، دون أن يميّز بين ما تعجز الأركيولوجيا أن تبحثه لطبيعته الخارقة، وما تملك أن تنفيه لمخالفته حقائق التاريخ. وقد بلغ السواح في مذهبه أقصاه؛ إذ زعم أنّ التاريخ كان ملازمًا للأسطورة ضرورة، «وأخذت الكتابة التاريخية تستقل عن الأسطورة عندما لم يعد الإنسان القديم يرى في الأحداث الماضية، أو الأحداث

الحاضرة، نتاجًا لتدخل القوى الماورائية»[1]. وأنكر بحدّةٍ على من يقبلون ظاهرة النبوة في الغرب أو بعض تاريخها غير الخارق، بقوله: «ورغم عقلانية الفكر الغربي الذي يرفض كل ما هو «معجز» و«خارق» و«أسطوري»، فقد راح هذا الفكر يبحث في ركام الأساطير والخرافات التوراتية باعتبارها صياغات رمزية تنطوي على حقائق تاريخية»[2].

وإنكار الخوارق، وظواهر نزول الوحي، والتواصل مع الملائكة، لا بدّ أن يجعل النبوّة مسألة مرفوضة بدءًا؛ بما يجعل القول بخرافية النبوّة ذاتها واجبًا، وهو ما يحفّز الباحث غير المتديّن إلى الجزم أنّه لم يوجد رجال يجمعون الصدق وادّعاء النبوّة؛ فهؤلاء الرجال عنده إمّا شخصيات خرافية أو أنبياء زور.

إنّ الإيمان بالخوارق فرع عن الإيمان بالله الذي أنشأ الوجود من عدم، وهيّأ الأسباب وأوجد النُظم، ويجري القوانين ويعطّلها حين يشاء. فمن أراد أن يُجادل في تاريخيّة المعجزات؛ فليعد القهقرى إلى الوراء، أي إلى ما قبل البحث الأركيولوجي، لينظر في أمر وجود الإله الذي خلق القوانين وأجراها[3].

وأمّا الأركيولوجيا، فهي لا تبحث في المعجزات، نفيًا أو إثباتًا؛ فالأصل في الخوارق ألّا أثر لها في دفائن الأرض، إلّا أن يَثبت بصورة ما خلاف ذلك، وهو نادر إن وُجِد. فالشاهد الأركيولوجي ليس حجّة نفيّ ولا إثبات في أمر الخوارق. يقول الأركيولوجي إريك كلاين[4] في الخوارق التي جرت زمن موسى -عليه السلام-: «ليس لدينا دليل واحد حتى الآن. لا يوجد شيء [متوفر] من الناحية الأثرية يشهد

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص8.

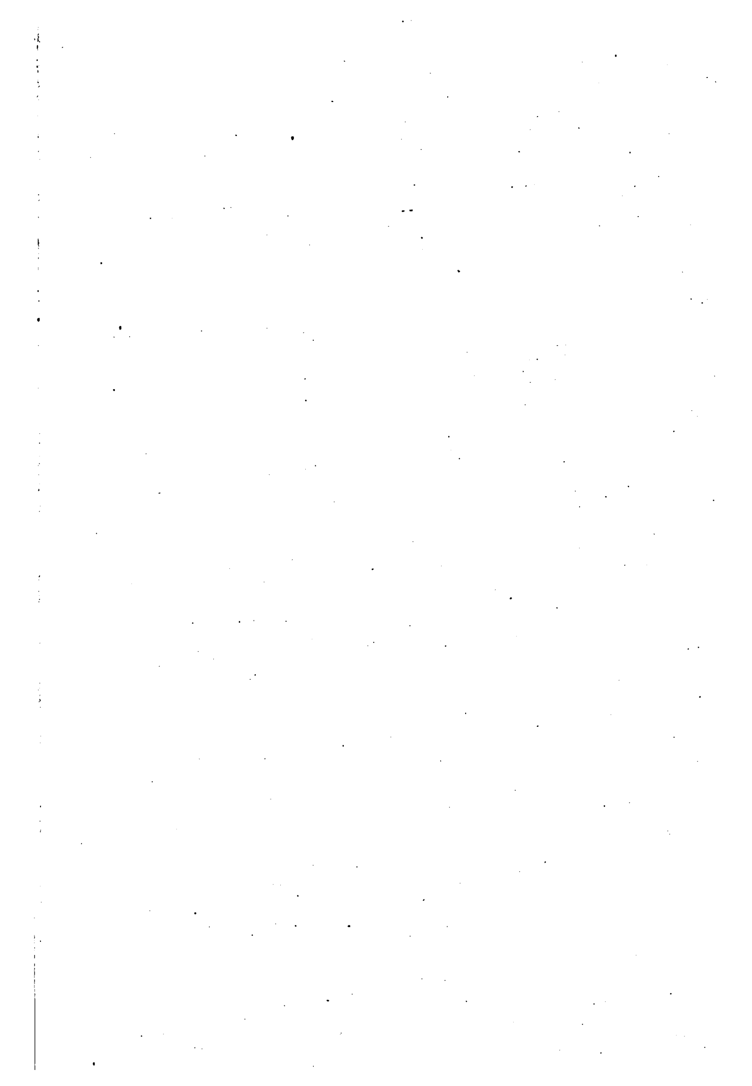
(2) المصدر السابق، ص 10.

(3) انظر في المعجزة، وإمكانها عقلًا، والردّ على هيوم وسبينوزا: سامي عامري، براهين النبوة (لندن: مركز تكوين، 1438هـ/ 2017م)، ص45 - 63.

(4) إريك كلاين Eric Cline (1960): أستاذ التاريخ القديم والأركيولوجيا في جامعة جورج واشنطن، والرئيس السابق لقسم اللغات الكلاسيكية ولغات الشرق الأدنى القديم وحضاراتها.

على أي شيء في القصة التوراتية. لا طاعون، لا انفلاق للبحر الأحمر، لا طعام المنّ من السماء، لا تيه لمدة 40 سنة ومع ذلك، يجب أن أضيف أنه لا يوجد أي دليل أثري يثبت عدم حدوث ذلك. لذلك في هذه المرحلة الزمنية، لا يمكن استخدام السجل الأثري لتأكيد أو إنكار حادثة الخروج»[1].

(1) Eric Cline, *From Eden to Exile: Unraveling Mysteries of the Bible* (Washington, DC: National Geographic Society, 2012), p. 90.



الفصل الثالث:
التوراة في ميزان البحث الأركيولوجي

أعظم مغالطة يمارسها الذين يطعنون في صدق الخبر القرآني عن الأنبياء، أو في وجود هؤلاء الأنبياء رأسًا، البدء بدراسة سيرتهم التوراتية، وحسم الأمر في تاريخيتهم بناء على إدانة التوراة اليهوديّة لما فيها من خطأ، دون اعتبار كون التوراة ليست حجّة على القرآن، بل في القرآن تنبيهات ضمنيّة لأخطائها التاريخية في مرات كثيرة. كما أنّ صمت الخبر القرآني يجب ألّا يُؤوّل على أنّه موافقة؛ فالقاعدة أنّه «لا يُنسب إلى ساكت مقال»!

وللاستشهاد بخطأ التوراة للتشكيك في القرآن، سببان، أولّهما أنّ التوراة أسبق في الإشارة إلى هؤلاء الأنبياء من القرآن، بما يجعل خطأ التوراة بعد ذلك حجّة على الكتاب التالي، وثانيهما اتفاق المستشرقين والمنصّرين على أنّ الخبر التاريخي القرآني كلّه أو جلّه أصله التراث اليهودي القانوني والأبوكريفي.

وأوجه إلباس القرآن ثوب الإدانة بسبب منكرات التوراة، كثيرة؛ منها إنكار وجود آدم عليه السلام لأنّ نصوص التوراة تنسب عصره إلى بضعة آلاف سنة من الآن، وإنكار وجود موسى عليه السلام لزعم التوراة أنّ الإسرائيليين كان عددهم مليونيًا في مصر، وإنكار وجود سليمان عليه السلام؛ لأنّ ملكه في التوراة أعظم مما يُمكن أن يكون في القرن العاشر قبل الميلاد، وإنكار وجود أيوب عليه السلام؛ لأنّ سفر أيوب التوراتيّ لا يحمل أثارة نبوّة، وإنّما هو عمل فلسفيّ لمناقشة مشكلة الشر في وجودٍ خلقه إله حكيم عادل.

ورغم ما سبق، فعلينا أن نقرّ أنّ البحث في صحّة الخبر القرآني لتاريخية الأنبياء، يرتبط بما جاء في هذه التوراة من جهات مختلفة، أوّلها أنّ التوراة وإن كان خالطها

كثير من التحريف، إلّا أنّها تبقى وثيقة تاريخية قديمة جديرة بأن تكون حجّة إذا دُفعت عنها أهم اعتراضات تيار «الحد الأدنى»، وثانيها أنّ التوراة بما فيها من تفاصيل تاريخية كثيرة، قابلة للاختبار الأركيولوجي، فمن الممكن أن تُثبت صدق وجود بعض الأنبياء بطريقة غير مباشرة، إذا كان الخبر الوارد فيها، والصادق أركيولوجيًّا، يتضمّن في بعض تفاصيله - غير المثبتة أركيولوجيًا - الإشارة إلى وجود النبيّ محلّ البحث.

واليوم، كما القرن الماضي، يدور صراع فكري كبير على الساحة العلميّة في شأن حجيّة التوراة في البحث التاريخي عن أنبياء التوراة؛ إذ يُهدر تيّار «الحد الأدنى» القيمة التاريخية للخبر التاريخي التوراتي، ويرى فصوله مجرّد صناعة مؤدلجة؛ لاختلاق تراث قديم مجيد. في حين يقف أكثر من اتّجاه علمي أمام هذا الرأي، على تفاوت في تقدير القيمة التاريخية للأسفار المقدّسة لليهود.

وهذا الجدل يقتضي أن نوجّه همّتنا للإجابة عن ثلاثة أسئلة:

- ما مبلغ علميّة إهدار القيمة التاريخيّة للتوراة؟
- إذا كان الخبر السياسي في التوراة الوجه الأبرز للجدل الأركيولوجي؛ فهل هناك أوجه لتقاطع البحث الأركيولوجي والخبر السياسي التوراتي؟
- ما هي دلالات تقاطع البحث الأركيولوجي والخبر التوراتي - إن وُجد - ؟

أجوبة الأسئلة السابقة، ستفتح أعيننا أمام أعظم أوجه السجال بين تيّار «الحدّ الأدنى» ومخالفيه. وستنتهي هذه الأجوبة إلى الكشف عن مصدر تاريخي عظيم يشكّل قاعدة قويّة لإقامة دعوى تاريخيّة الأنبياء، أو إهدار هذا المصدر؛ ليكون أصحاب دعوى تاريخيّة الأنبياء أسرى الكشف الأثري وحده (من بين المصادر البشريّة الممكنة).

المبحث الأول
القراءة العدمية للخبر التوراتي

القراءة العدميّة للخبر التاريخي في التوراة؛ بنسبته كلّه، أو جلّه؛ إلى الفعل التآمري للنّساخ، مذهب متشنّج، لم تصنعه القراءة الواعية التي تنطلق من الشواهد للوصول إلى النتائج، وإنّما هو صنيعة أقلام لا تكترث بصلابة المقدّمات لصناعة المذهب. وهو ما يظهر بقراءة هذا المذهب في ضوء طبائع التاريخ.

المطلب الأول: تطرّف دعوى زيف الخبر التوراتي

تقوم دعوى القائلين بخرافية ما جاء من أخبار تاريخية في العهد القديم على أنّ القرون التي تفصل زمن الأحداث عن زمن التدوين - والتي قد تضيق إلى ثلاثة قرون أو قرنين فقط أحيانًا - كفيلة باستحداث تاريخ مزوّر كليّة في أمّة هويّتها الأولى دينيّة/ عرقيّة، تشكّلت منذ قرون، ولها تاريخ طويل قبل السبي البابلي، وكانت لها دولتان في فلسطين باعتراف جمهور الأركيولوجيين، على اختلاف مذاهبهم!

إنّ الجزم أنّ بني إسرائيل قد اختلقوا تاريخًا مزيّفًا برمّته في لحظة تاريخية خاطفة، دعوى متشنّجة تتغافل عن أنّ بني إسرائيل أمّة لها عناية خاصة بتراثها الذي تستمدّ منه هويتها، وأنّ تحريف الأمم تاريخها لا يكون بهذا الشكل الساذج المدّعى. ولذلك قال الناقد البريطاني إ. و. نيكولسون[1] حول دعوى فان سيترز - أحد أعلام مدرسة «الحد الأدنى» -: «الإشكال في نظرة فان سيترز هو أنه يطلب منّا أن نؤمن أنّه من الممكن لرواية مركّبة قد تمت صياغتها بصورة حديثة جدًّا حول سلف إسرائيلي، أن تصير من فورها مهمّة جدًّا عند الناس وواسعة الانتشار في زمن السبي، ومعروفةً ليس

(1) إرنست ويلسون نيكولسون Ernest Wilson Nicholson (1938 - 2013) : قسيس وناقد بريطاني متخصص في الدراسات التوراتية. درّس في جامعة أوكسفورد.

عند المسبيّين وحدهم، وإنّما عند الذين يسكنون يهوذا والكُتّاب التثنويّين كذلك»[1].

إنّ حقيقة أنّ التوراة تمثّل أهمّ وثيقة تاريخيّة بشريّة في شأن أنبياء بني إسرائيل؛ لأنّها أقرب نص تفصيلي إلى الأحداث المروية، يجب ألّا تُهدَرَ على مذبح ثقافة عصر «ما بعد الحداثة» حيث تُزهق العدميّة التاريخيّة إمكان المعرفة، ولا أن تُطمس بسبب الأخطاء والمبالغات التوراتية؛ فإنّ عيوب الوثيقة التاريخيّة لا يلزم منها إهدار قيمة هذه الوثيقة كليّة؛ فإنّ هذه العيوب نفسها قد توجد في الوثائق المعاصرة للأحداث، ومع ذلك لا يُهمل المؤرّخون تلك الوثيقة؛ وإنّما يستلّون الحق من بين ركام الأخطاء والتناقضات.

إنّ هذا المذهب المتشنّج، أثرٌ للنزعة التقويضيّة deconstructionism في قراءة التاريخ عند أعلام مدرسة «الحدّ الأدنى»، والتي يقوم منهجها في البحث والسجال على المبالغة، والتسخيف، والعدوانيّة. وقد لخّص ديفر ذلك في نقاط تظهر حقيقة هذا المنهج:

- هاجِم المؤسسات، بدعوى «التطوّر الثوري». وإذا احتاج الأمر أن تخالف أبحاثك القديمة؛ فافعل ذلك، مدّعيًا أنّك لم تخالفها.
- اصنع ثنائيات متناقضة من الأفكار، والتيّارات، ليس لها وجود على هذه الصورة في الواقع، وانتصر لواحدة منها على حساب الأخرى.
- أنكِر الإجماع، واصنع مذهبًا «وسطًا»، ووجّه الدليل إلى أقصى الاحتمالات، واستمتع بمذهبك الغريب.
- اصنع صورة كاريكاتورية للمذهب العلمي التقليدي، وشيطن ما بقي لك من خصوم.
- أنكر وجود حقائق موضوعية، وقل إنّ كل شيء نسبي، وكل تأويل محلّ شك، حاشا تأويلك.

---

(1) Review of J. Van Seters, 'Abraham in History and Tradition', by E.W. Nicholson, *JTS* 30, 1979, 227.

- ازعم أنّك علميّ، وأهمل الشواهد التي تخالف مذهبك.
- ازعم أنّك من الأقليّة العلميّة المضطهدة، وتمتّع بامتيازات النخبة.
- اجعل الشكوكيّة مذهبًا علميًا، وافخر بأنّك لا تملك من المعرفة الحقيقيّة إلّا القليل؛ فذاك يُظهر تواضعك وأمانتك.
- تذكّر أنّ المشكلة الحقيقيّة هي دائمًا الأيديولوجيا: العرق والنوع والطبقة والقوّة، وفوق ذلك السياسة. اكشف أيديولوجيّات الآخرين، وأنكر أن تكون لك أيديولوجيا تحرّكك بعنف.
- ارفع أمر اللغة الخطابيّة، لتعمّي على القضايا الحقيقيّة[1].

تلك هي معالم المنهج الذي يريد إعدام شهادة التراث اليهوديّ كليّة؛ حتى لا يبقى من الماضي غير الصور الغامضة؛ فعندها بالإمكان أن يصنع من شاء ما شاء من القراءات المتطرّفة لما تصرّم من الأيام.

المطلب الثاني: ظاهرة حفظ الأمم تراثها القديم

إنّ حفظ التراث الديني أو القومي على مدى قرون، ليس رهين وجود مطابع أو مؤلّفات تُنسخ باليد وتُتداول بكثافة في المكتبات؛ فإنّ حفظ تراث السلف، ظاهرة معروفة في عامة الأمم القديمة؛ فإنّ الجماعات القديمة كانت تحفظ هويتها بحفاظها على تراثها شفهيًا. ولا شكّ أنّ الشأن التاريخي في بني إسرائيل يحمل البعدَين الديني والقومي.

وقيام التشكيك في الخبر التوراتي على الاستبعاد التام لحفظ بني إسرائيل تاريخهم شفهيًا على مدى قرون قبل تدوينه مكتوبًا، غافل عن شواهد التاريخ على حفظ الأمم لتفاصيل تاريخها شفهيًا على مدى زمن طويل. ومن أمثلة ذلك:

الحثيون: حفظت لنا نُسَخٌ أعمال أنيتا - ملك مدينة كسرا - والتي كتبت منذ القرن

(1) William Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When did they Know it?*, p.52.

16 إلى القرن 13 ق.م، سِجِلًّا موثوقًا لأمير كسرا الذي عاش في وقت مبكر في القرن التاسع عشر أو الثامن عشر قبل الميلاد[1].

لوحة أعمال أنيتا
متحف الآثار، إسطنبول



أوغاريت: عُثر في مدينة أوغاريت - الصغيرة ولكن الثرية - في سوريا على قائمة للملوك المحليين (حوالي 1200 قبل الميلاد) فيها حوالي 36 ملكًا انتهاء إلى يقاروم المؤسس (حوالي 1900 أو 1800 قبل الميلاد). وهي مدة تبلغ من 600 إلى 700 سنة[2].

بلاد ما بين النهرين: يشترك حمورابي - ملك بابل -، وخصمه اللّدود شمشي أدد الأول - ملك آشور - في سلف مشترك - نُوابُو - الذي عاش قبل 16 جيلًا من حمورابي و14 جيلًا من شمشي أدد. وقبل نوابو، يذكر التراث البابلي 10 أسلاف حتى البداية، في حين يذكر التراث الآشوري أحد عشر سلفًا. والتشابه بين القائمتين كبير وكثير. وهو يمتد إلى قرابة ستة قرون من الزمان[3].

(1) Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?» *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 48, 50, 52-57, 88, 90, 92, 94.

(2) Kitchen, "The King - List of Ugarit,» in *Ugarit - Forschungen* 9 (1977), pp. 131-142.

(3) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament* (Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 2006), p.368.

مصر: في مصر، تمكّنت العائلات العادية من تتبع أصولها عبر قرونٍ. ومن الأمثلة المثيرة للاهتمام في هذا الباب تحديدًا رجل مصري يُدعى موس (وليس هو موسى -عليه السلام-) فاز بدعوى قضائية في عهد رمسيس الثاني (حوالي 1250 قبل الميلاد) على أرض مُنحت لسلفه - نيشي - حوالي عام 1550 قبل الميلاد -. وقد اعتمد موس على سجل معاصر له في ذلك الوقت[1].

وقبل ذلك، حوالي 1900 ق.م، أمر آخ - حتب ابنه، حاكم الإقليم الرابع عشر من أقاليم مصر العليا، بنقش قائمة أجداده الحكوميين التسعة والخمسين مع زوجاتهم. وطرف هذه القائمة الأبعد عاش حوالي 2600 - 2500 ق.م، أي قبل 600 - 700 سنة[2].

كما نعلم من شجرة نسب كاهن عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، أسلافه لأكثر من ألف سنة حتّى الأسرة الحاكمة الحادية عشر (حوالي 2000 ق.م)[3].

بل إنّنا نقرأ في حكاية السّحرة التي كُتبت للتسلية في بردية وستكار التي تعود إلى حوالي سنة 1600 ق.م، عن عجائب في بلاط الحكام من بناة الأهرام الذين يرجعون لحوالي سنة 2600 ق.م. وقد حَفِظت هذه الحكايات تسلسلًا أصليًّا لأربعة أجيال من الملوك على صورةٍ يُعوّل عليها تاريخيًّا، ثم ثلاثة أجيال أخرى. وعامة الأسماء صحيحة، مع ترتيب سليم لجميعها[4].

وقد عُرفت التراتيل المقدسة إلى أورايوس[5] لأوّل مرّة زمن حكم رمسيس الثاني (القرن الثالث عشر)، ثم وُجدت بعد ذلك بألف سنة تحت البطلميين. وعندنا تعويذتان تعودان إلى القرون 14 - 12 ق.م، نُسِختا بعد حوالي تسعمائة سنة في وثائق حوالي 320 ق.م[6].

---

(1) See G. A. Gaballa, *The Memphite Tomb - Chapel of Mose* (Warminster, England - Aris & Phillips, 1972).
(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.369.
(3) Ibid.
(4) Ibid.
(5) أورايوس: إله على شكل حيّة.
(6) Ibid., pp.302 - 303.

إنّ أمر عادة الأمم القديمة حفظ عامة تراثها أو بعضه على مدى قرون، معلوم، مشهور؛ حتّى إنّ الأركيولوجي وليام دِيفر - رغم تشكيكه في كثير من تفاصيل قصص الأنبياء المتقدمين في التوراة - قد أقرّ أن كثيرًا من الوثائق المكتوبة في الشرق الأدنى من الممكن القول إنّها تقوم على تراث شفهي قديم حُفظ لقرون بدقّة مدهشة[1]. كما أشار إلى أنّ البحث الأركيولوجي قد أثبت صدق خبر وجود المناطق الإسرائيلية وغير الإسرائيلية المذكورة في سفر القضاة، رغم أنّ هذا السفر قد كُتب بعد قرون من الأحداث[2].

(1) William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?*, p.22.

(2) Ibid., p.52.

المبحث الثاني
تاريخية الخبر السياسي في التوراة

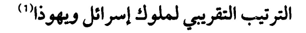
إنكار القيمة التاريخية لأخبار أسفار العهد القديم، أصله القول إنّ ما نعرفه من تاريخ بني إسرائيل في الأسفار المقدسة، محض أباطيل اخترعها الأحبار والنسّاخ بعد عصر السبي البابلي كما هو مذهب مدرسة «الحد الأدنى». وخير طريق لاختبار صدق هذه المعارضة، النظر في أهم أخبار التاريخ السياسي التي جاءت في هذه الأسفار ممّا يتقاطع مع التاريخ المعلوم أركيولوجيًا.

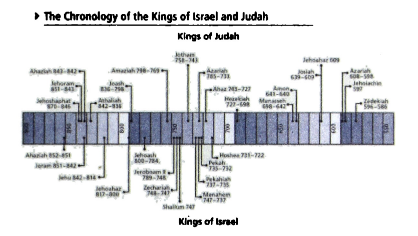
والأولى استبعاد تاريخ بني إسرائيل السابق لداود -عليه السلام- من هذا الاختبار؛ لقيام أسباب كثيرة تمنع حفظ أخبار هذه الفترة في الآثار - سيأتي تفصيلها في البابين الثالث والرابع -، منها قلة عدد الإسرائيليين في العصور الأولى، وعصور الاستضعاف المتتالية، كما أنّ عصر المملكة المتحدة حتى موت سليمان -عليه السلام- ليس اختيارًا جادًّا؛ لأنّ عصر المملكة المتحدة ضعيف الاتصال بالدول المجاورة لفلسطين.

ولذلك فالخيار الأفضل هو عصر قيام دولتين قويتين لبني إسرائيل بعد عصر سليمان -عليه السلام- ؛ فقد امتد تاريخهما - في مجموعه - لقرون، مع تماس فلسطين في ذاك العصر مع الحضارات المجاورة، ووجود أسماء أعلام كثيرة في أسفار العهد القديم عن هذا العصر؛ بما يجعل الحكم على تاريخية جوهر قصص ذاك العصر، جادًّا.

ولِعِلمنا أنّ التاريخ القديم لا يحتفظ في الغالب إلا بالملوك والشخصيات السياسية الكبرى؛ لاحتفاء النقوش على المعابد والعُملات والحوليات الرسمية بأسمائهم؛ سننظر هنا في تاريخية الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا والسامرة بعد موت سليمان -عليه السلام- حتى سقوط الآخرة منهما (مملكة يهوذا) في بداية

القرن السادس قبل الميلاد. كما سنبحث في أسماء غير الملوك، من بني إسرائيل، والملوك المجاورين لإسرائيل. ونترك استخلاص نتائج هذا السبر التاريخي إلى المبحث الثالث.





المطلب الأول: حكّام المملكة الشمالية في الشواهد الأركيولوجية

يُخبرنا الفصل 12 من سفر الملوك الأول والفصل 10 من سفر أخبار الأيام الثاني أنّه بعد موت سليمان عليه السلام، اجتمع بنو إسرائيل - باستثناء سبط يهوذا وسبط بنيامين - على تنصيب يربعام ملكًا عليهم. واتّخذ يربعام شكيم (نابلس) عاصمة لدولته.

وقد كانت هذه المملكة قوية، ولكن لم يطل عمرها؛ فقد عاشت - تقريبًا - من 930 إلى 720 ق.م. ورغم هذه الحياة القصيرة إلّا أنّ البحث الأركيولوجي قد كشف أسماء عدد كبير من ملوكها.

ومن هؤلاء الملوك:

(1) J. H. Walton, *Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Old Testament) Volume 3: 1 & 2 Kings, 1 & 2 Chronicles, Ezra, Nehemiah, Esther* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009), p.113.

الملك عُمري עָמְרִי (884 - 874 ق.م)[1]:

الملك عمري، الملك السادس لمملكة إسرائيل، كان قائدًا للجيش قبل أن يتولى الحكم من (حوالي) 886 ق.م إلى 875 ق.م. بنى عمري مدينة السامرة، واتخذها عاصمة للدولة. وقد كان منحرفًا في عقيدته؛ إذ عبد الأصنام، وعمل من الشرّ ما لم يفعله أحد من ملوك إسرائيل السابقين[2].

جاء ذكر عمري في مسلّة الملك ميشع[3] المكتشفة في ذيبان (في الأردن) سنة 1868م، والتي نُقشت حوالي 840 - 830 ق.م. وهي التي تُسمّى أحيانًا الصخرة المؤآبية Moabite Stone لأنّها تعود إلى ميشع ملك مؤآب الذي كان في هذه المسلّة يصف فضل آلهته كماش כמש التي كان يرى أنّها خلّصته من عدوّه إسرائيل.

جاء في هذه المسلّة:

عمري ملك إسرائيل

وفيها ذكرٌ للمؤآبيين، وأنّ «ابن» عُمري قد قال: «سأعدو على مؤآب».

والنص المحفوظ برمته يقول: «أنا ميشع بن كموش ملك مؤآب الديباني، أبي ملك على مؤآب ثلاثين سنة، وأنا ملكت بعد أبي، وأنشأت هذا المكان المرتفع (نصب) لكموش «صنم» بقرحة (اسم المدينة)؛ لأنه أعانني على كل الملوك؛ ولأنه أراني في أعدائي (أتاح لي الفرصة للتغلب على أعدائي)، أما عمري ملك إسرائيل، فإنه عذّب مؤآب أيامًا كثيرة، حتى غضب كموش على أرضه، فأعقبه ابنه وقال سأعذب مؤآب

---

(1) هذا التاريخ، وما بعده، تقريبي.

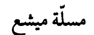
(2) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس (القاهرة: دار الثقافة، 1995م)، ص638 - 639،J.
A.Dearman and G. L. Mattingly, art. Mesha Stele, in D. N. Freedman, ed., *The Anchor Yale Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1996), 4/708.

(3) Mesha Stele

في أيامي. قال: فنظرت إليه وإلى بيته (انتقمت منه)، وإسرائيل باد، باد إلى الأبد (ضربتهم ضربة قاضية)، وورث عمري كل أرض مهدبا، وسكن بها في أيامه، ونصف أيام ابنه أربعين سنة، وأرجعها إلى كموش في أيامي، فبنيت بعل معان، وأنشأت بها أشوح (بركة)؟، وبنيت قريتان (مدينة). وكان أهل جاد (من بني إسرائيل) يسكنون في أرض عطرت (مدينة). وقتلت كل أهل المدينة، فقرت عين كموش وموآب، ورددت من هناك هيكل دوده، وسحبته أما كموش بقريت (اسم مدينة) وأسكنت بها أهل شران وأهل محرت، فقال لي كموش: اذهب وخذ نبه (اسم جبل) من بني إسرائيل، فسرت بالليل، وحارت بها من مطلع الفجر إلى الظهر، وأخذتها وقتلت جميعهم (وهم) سبعة آلاف رجل وامرأة وجارية، وأحرمتهم (قدمتهم قربانًا) لعشتر كموش، وأخذت من ذلك المكان (ما وجد في هيكل) يهوه وأتيت بها إلى كموش، وملك إسرائيل عمر يهص (اسم مدينة) وسكن بها وهو يحاربني، فطرده كموش من أمامي، وأخذت من موآب مائتي رجل من عظمائهم، وسيرتهم إلى يهص وأخذتها (فتحتها)، فضممتها إلى ديبان. أنا بنيت قرحة وحمت هيعرن وهمت هعوفل (أسماء ثلاث مدن) فبنيت أبوابها وبنيت أبراجها. وأنا بنيت بيت الملك. وأنشأت البركتين بقرب المدينة، ولم توجد بئر في داخل القرحة، فقلت للشعب: اجعلوا لكم آبارًا في بيوتكم، وأنا قطعت الأشجار على أيدي الأسرى من بني إسرائيل، أنا بنيت عرعر (مدينة). وأنا مهّدت الطريق إلى أرنن. أنا بنيت الأنصاب؛ لأنه كان (تخرب)، وبنيت بصرى (مدينة) لأنها كانت خرابًا... ديبان خمسين، لأنّ ديبان خضعت لي، وأنا حكمت.. (لأن) مائة المدن إلى ضممتها إلى المملكة.. وأنا بنيت مهدبا وبيت دبلتان وبنيت بعل معان، وسيرت إليها.. غنم البلاد وحورنان (مدينة) وأسكنت و.. فقال لي كموش انزل لتقابل كموش، فنزلت.. كموش في زمن و.. ومن ثم... وأنا...»[1].

(1) الترجمة العربية لولفنسون: يحيى عبابنة، اللغة المؤابية في نقش ميشع (الكرك: جامعة مؤتة، 1420هـ/ 2000م) ص207 - 208.

ويقول فراس السواح في الدفاع عن صدق الدلالة التاريخية لهذا النقش على الخبر التوراتي الذي وقع في «فلسطين»: «فالحجر الموآبي قد عُثر عليه بين خرائب مدينة ذيبان في الموقع المعروف منذ زمن طويل بخربة ذيبان بشرقي الأردن، بين عدد كبير من الآثار الموآبية، وصاحب النصب يذكر بلسانه أنه ميشع ملك موآب الديباني، وأنّه قد هزم الإسرائيليين وعمّر ما خرّبوه إبّان سيطرتهم على بلاده، ثم يأتي على ذكر عدد كبير من المدن الموآبية، وكلّها مذكورة في التوراة، ورواية ميشع على نصبه التذكاري تتفق مع الرواية التوراتية في الخطوط العريضة ولا تتناقض معها»[1].


مسلّة ميشع



كما جاء ذكر الملك عمري في المسلّة السوداء لشلمنصر الثالث[2] ملك آشور، كما سنذكرها لاحقًا. وجاء ذكر وفاة الملك عمري في وثائق آشورية أخرى تعود إلى

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم (دمشق: دار علاء الدين، 1997)، ص310.
(2) The Black Obelisk of Shalmaneser III

القرن الثامن قبل الميلاد حيث كانت تُدعى مملكة إسرائيل بـ«أرض عمري»[1].

الملك أخاب אַחְאָב (874 - 853 ق.م) والملك يهورام יְהוֹרָם (852 - 841 ق.م):

أخاب[2]، الملك السابع لمملكة إسرائيل. ابن الملك عمري وخليفته. ملك على المملكة الشمالية أثناء حكم آسا ملك يهوذا. وقد كانت له نجاحات عسكرية مميزة. يقول سفر ملوك 19/ 16 إنّ النبيّ إيليا (إلياس -عليه السلام-) قد أمره بأن يمسح يَاهُوَ بْنَ نِمْشِي ملكًا على إسرائيل. ومن أعظم آثامه عبادته للبعل؛ فقد تزوّج ابنة ملك صيدون التي كانت امرأة وثنية[3].

وأمّا يهورام، فهو ابن أخاب من إيزابيل. وقد خلف أخاه أخزيا. أزال يهورام عبادة البعل الذي كان يُعبد في قومه، غير أنّه كان يعبد العجلين. وقد هُزم في آخر حياته في معركته مع حزائيل ملك آرام[4].

جاء ذكر الملك أخاب والملك يهورام في نقش تل دان (شمال سهل الحولة) الذي يعود إلى آخر القرن التاسع قبل الميلاد، والذي صُنع لتمجيد ذكرى انتصار حزائيل ملك آرام على إسرائيل. ورغم أنّ اسم أخاب قد ضاع أثره من المحفوظ من النقش؛ إلا أن النقش يدل على وجوده في الأصل الأول[5]:

[قتلتُ يهو]رام، ابن [أخاب]، ملك إسرائيل.	[קתלת.אית.יהו]רם.בר.[אחאב.] מלך.ישראל.
وقتل[تُ أخز]ياهو بن [يهورام مَلِـ]ك بيت داود.	וקתל[ת.אית.אחז]יהו.בר[.יהורם.מל]ך.ביתדוד.

---

(1) John D. Currid and David P Barrett, *Crossway ESV Bible Atlas* (wheaton: Crossway Books, 2010), p.143

(2) بالخاء كما في ترجمة الفانديك للكتاب المقدس. ويُكتب «أحاب»، بالحاء. وهو الموافق للحرف العبري.

(3) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص30.

(4) المصدر السابق، ص1093.

(5) Hallvard Hagelia, *The Dan Debate: The Tel Dan Inscription in Recent Research* (Sheffield Phoenix Press, 2009), p.11.

نقش تل دان
بالآرامية القديمة، والحروف الفينيقية



قال كنث كتشن تعليقًا على هذا النقش، بصورته المحفوظة اليوم: «الملك الوحيد لإسرائيل الذي ينتهي اسمه بـ: رام، والذي لوالده اسم من أربعة أحرف، هو ي - (هـ) - و - ر - م[1]، ابن أخاب، المقتول سنة 841 ق.م. الشخص الآخر الموافق لـ [...] ياهو بن [...] المرتبط ببيت داود، والمقتول في الوقت نفسه، من البعيد بجدّ أن يكون غير أخزيا[2] الملك اليهوذي المعاصر للأحداث، وقد قُتل الاثنان بفعل ياهو»[3].

كما يشهد جماهير النقاد أنّ ذكر أخاب قد ورد في نصب كورح لحملات شلمنصر الثالث (وآشور ناصربال الثاني)، ومنها المعركة التي جرت في قرقر (شمال سوريا)؛ فقد ذكر فيه أنّ تحالفًا عسكريًا ضمّ مجموعة من الممالك قد اتّحد لمحاربة شلمنصر

(1) יורם

(2) אחזיהו: الاسم في العبرية ينتهي بالهاء والواو.
2الملوك 8/ 26: «وَكَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ» «בֶּן־עֶשְׂרִים וּשְׁתַּיִם שָׁנָה אֲחַזְיָהוּ בְמָלְכוֹ».

(3) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.92.

الثالث، ومن المشاركين في هذا التحالف الملك أخاب الذي أرسل إلى تلك المعركة ألفي عربة وعشرة آلاف جندي[1].

نصب كورح
المتحف البريطاني، لندن



(1) انظر في التعليق على هذا النص، ودفع الإشكالات عن هذه القراءة:
Brad Kelle, 'What's in a Name? Neo - Assyrian Designations for the Northern Kingdom and Their Implications for Israelite History and Biblical Interpretation', *Journal of Biblical Literature*, 2002. 121 (4): 641 - 646.

الملك ياهو יֵהוּא (841 - 814 ق.م):

ياهو بن يهوشافاط، الملك العاشر لمملكة إسرائيل، و مؤسس الأسرة الرابعة في المملكة الشمالية. ومعنى اسمه « هو يهوه». وقد حكم في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد. وخبره في سفر الملوك الثاني 9 - 10.

جاء في المسلّة السوداء لشلمنصر الثالث ذكر المدن التي تمّ الاستيلاء عليها في حملة عسكرية تمّت سنة 841 ق.م. ومما نُقش فيها: «جزية ياهو بن عمري»[1]، نسبة إلى «عمري»، رأس السلالة الحاكمة.

المسلّة السوداء لشلمنصر الثالث
المتحف البريطاني، لندن



(1) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament* (Princeton: Princeton University Press, 1969), p.281.

نص ياهو عمري



الملك يوآش/ يهوآش יְהוֹאָשׁ (798 - 782 ق.م):

الملك يوآش، معنى اسمه: «يهوه منح»، وهو مختصر يهُوآش יְהוֹאָשׁ الذي ذكر مرة واحدة في سفر 2 ملوك 12/ 4. ذُكرت قصته في (2 ملوك 11 و12 و2 أخبار الأيام 22/ 11 - 24/ 27). ابتدأ أمره بالإصلاح الديني، ثم انحرف إلى عبادة البعل. لما هدّده حزائيل بالحرب، دفع إليه أموالًا طائلة (2 ملوك 12/ 18). وقد عرفت المملكة استقرارًا سياسيًّا على مدى عصره. وفي عصره عاش النبي أليشع/ اليسع -عليه السلام-[1].

وجّه الملك الآشوري أدد - نيراري الثالث حملة عسكرية إلى سوريا وفلسطين. وقد أرّخ لما وقع في تلك الحملة في نصب عُثر عليه في تل الرماح (نينوى، العراق) سنة 1967م. وجاء فيه ذكر: «يهوآش السامري»[2].

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص1101 - 1102، W. A. Elwell and B. J. Beitzel, *Baker Encyclopedia of the Bible* (Grand Rapids, Mich.: Baker Book House, 1988), p.1101.

(2) John H. Hayes, Paul K. Hooker, *A New Chronology for the Kings of Israel and Judah* (Oregon: Wipf and Stock Publishers, 2007), p.47.

نصب أدد - نيراري الثالث
المتحف العراقي في بغداد



الملك يربعام יָרָבְעָם الثاني (782 - 753 ق.م):

الملك يربعام، خليفة والده يوآش على الحكم. من أطول الملوك حكمًا. وقد ازدهرت المملكة في عصره اقتصاديًا، وظهرت أسباب الرخاء بين الناس كما هو الزعم في سِفرَي عاموس وهوشع. انتصر على ملك سوريا واسترجع دمشق التاريخية وحماة (2ملوك 14/ 23) مستفيدًا من الضعف النسبي للآشوريين. وقيل إنه تسلّط على مملكة سليمان -عليه السلام- كاملة ما عدا اليهودية[1].

عُثر سنة 1904 عند التنقيب في مجدو على اسم يربعام محفوظًا على ختم يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، (وهو تاريخ يلغي احتمال أن يكون الاسم مرتبطًا بالملك يربعام الأول الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد).

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص1060 - 1061، K. W. Whitelam, art. Jeroboam (Person), *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 3/745 - 746.

ويظهر على الختم أسد يزأر، وذيله منتصب. وقد كُتب فوقه «لشمع» (أي هو مِلكٌ لشخص اسمه شمع)، وكُتب تحته «عبد يربعام». وقد ضاع هذا الختم، ولا يُعرف اليوم إلا من صوره الفوتوغرافية، ومن نسخه الكثيرة[1].

نسخة مطابقة للأصل
من ختم الملك يربعام الثاني المفقود



الملك منحيم מְנַחֵם (746 - 737 ق.م):

الملك مَنَحيم، جاء خبره مختصرًا في 2ملوك 15/ 14 - 22. وهو من الملوك الظلمة: «وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ كُلَّ أَيَّامِهِ». (2ملوك 15/ 18) وقد طلب من ملك آشور فول (تغلث فلاسر الثالث) تثبيت حكمه، وأعطاه لذلك ألف وزنة من الفضة (2ملوك 15/ 19). وقد ملك لعشر سنوات قبل وفاته[2].

---

(1) See Hershel Shanks, 'First Person: Have You Seen This Seal?' *Biblical Archaeology Review* 26.1 (2000): 4.

(2) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص924، T. R. Hobbs, art. Menahem (Person), in *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 4/692 - 693.

تمّت الإشارة إلى منحيم في نص يعود إلى عصر تغلث فلاسر الثالث الذي حكم من 744 - 727 ق.م؛ إذ ورد في الحوليات الملكية التي نقشت في منطقة كلح، والتي تعود إلى السنوات الأخيرة لحكم تغلث فلاسر الثالث: «أخذتُ الجزية من كوشتشبي من كوماجين، ورصين من دمشق، ومنحيم من السامرة...»[1].

نصب تغلث فلاسر الثالث، وفيه ذكر منحيم
ما يُسمّى بـ: المتحف «الإسرائيلي»

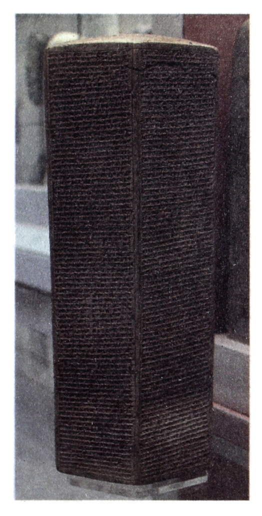


كما جاء في النص المسماري الخاص بحصار أورشليم، في عهد سنحاريب، والمدون على إسطوانة سداسية تُسمى «إسطوانة تايلور»: «أمّا بالنسبة لملوك أمورو منحيم السامري توبعلو الصيدوني، وعبد يبليتي الأروادي، وأورمليكي الجبيلي وميتنتي الأشدودي، وبرديلي العموني، وخاموسون -- نادبي الموآبي، وأيرامو

James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.283. (1)

الآدومي كلهم أحضروا هداياهم وقدّموا أربعة أضعاف هداياهم الثقيلة وقبلوا قدمي»[1].

إسطوانة تايلور
المتحف البريطاني



الملك فقح פֶּקַח (740 - 732 ق.م) والملك هوشع הוֹשֵׁעַ (732 - 722 ق.م):

حكم الملك فقح المملكة الشمالية زمن حكم عزيا مملكة يهوذا. وقد قتل هوشع

(1) ابتهال إبراهيم، اليهود في المصادر المسمارية 1000 - 395 ق.م (دمشق: دار علاء الدين، 2014)، ص178،
James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.287

فقح، وخلفه على الملك. وهو آخر ملوك المملكة الشمالية.

جاء في 2ملوك 15/ 30: «وَفَتَنَ هُوشَعُ بْنُ أَيْلَةَ عَلَى فَقْحِ بْنِ رَمَلْيَا وَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ، وَمَلَكَ عِوَضًا عَنْهُ فِي السَّنَةِ الْعِشْرِينَ لِيُوثَامَ بْنِ عُزِّيَّا».

وقد جاء في حوليات تغلث فلاسر الثالث: «وقد أطاحوا بملكهم فقح، وجعلتُ عليهم هوشع ملكًا. لقد تلقيت منهم 10 وزنات طالنط[1] من الذهب و1000 (؟) من الفضة كجزية لهم»[2].

وجاء في 2ملوك 15/ 29: «فِي أَيَّامِ فَقْحَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، جَاءَ تَغْلَثَ فَلاَسِرُ مَلِكُ أَشُّورَ وَأَخَذَ عُيُونَ وَآبَلَ بَيْتِ مَعْكَةَ وَيَانُوحَ وَقَادَشَ وَحَاصُورَ وَجِلْعَادَ وَالْجَلِيلَ وَكُلَّ أَرْضِ نَفْتَالِي، وَسَبَاهُمْ إِلَى أَشُّورَ».

وقد جاء في حوليات تغلث فلاسر الثالث: «إسرائيل [حرفيًا: أرض عمري]... كلّ سكانها وممتلكاتهم، أخذتها إلى آشور»[3].

وقد ذهب أندري لومير - أستاذ العبرية والآرامية والنقوش في السربون - إلى أنّ الختم الذي ظهر في مزاد سوذبي في نيويورك سنة 1993، هو ختم يذكر الملك هوشع. وتظهر على الختم صورة رجل يلبس إزارًا طويلًا وشعرًا مستعارًا قصيرًا، ويده اليمنى مرفوعة، فيما تحمل اليسرى صولجانًا من ورق البردي. والختم فيه أثر مصريٌّ واضح، وهو يظهر أساسًا في قرص الشمس المجنّحة أسفل الختم. ولعلّ ذلك يعكس تحالف هوشع مع مصر للتخلص من الحكم الآشوري على مملكته (2ملوك 17/ 4).

وقد كُتب على هذا الختم بالحرف العبري القديم: ل - ع - ب - د - ي - ع - ب - د - ه - و - ش - ع. اللام للملكية، وعبدي اسم صاحب الختم، وعبد بمعنى العبد أو الخادم في العبرية، وهوشع اسم الحاكم. وشكل الحروف يعود - على قول

(1) طالنط: معيار وزن قديم، عُرف منذ الألفية الرابعة في بلاد الرافدين.

(2) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.284.

(3) Ibid.

لومير - إلى القرن الثامن قبل الميلاد[1].

وقد نبّه لومير إلى أنّ كلمة «عبد» في الأختام القديمة، لا تشير إلى أنّ صاحب الختم من الطبقات الدنيا من الناس، وإنما تشير إلى أن صاحب الختم من الموظفين الكبار في الدولة. وقدّم على ذلك أمثلة كثيرة. ثم قال: «لا يوجد سوى ملك واحد محتمل يحمل هذا الاسم؛ وهو هوشع، آخر ملوك إسرائيل (ملوك الثاني 17/ 1 - 6) الذي حكم لمدة تسع سنوات ثم دُمِّرت مملكته على يد الآشوريّين»[2].

ختم عبدي
مجموعة جامع الآثار شلومو موساييف، لندن[3]



(1) Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', in John Day, ed. *Search of Pre - exilic Israel* (Edinburgh: T & T Clark, 2005), p.373.

(2) André Lemaire, 'Royal Signature: Name of Israel's Last King Surfaces in a Private Collection,' *Biblical Archaeology Review* 21.6 (1995): 48-52. Lemaire, 'Hebrew and West Semitic Inscriptions and Pre - Exilic Israel', pp.373 - 374.

(3) المصدر السابق.

المطلب الثاني: حكّام المملكة الجنوبية في الشواهد الأركيولوجية

جاء في الفصل 12 من سفر الملوك الأول والفصل 10 من سفر أخبار الأيام الثاني أنّ سبط يهوذا وسبط بنيامين نصّبا رحبعام بن سليمان عليه السلام ملكًا على مملكتهم التي سيطرت على الجزء الجنوبي من المملكة المتّحدة السابقة.

ورغم أنّ هذه المملكة (المعروفة باسم مملكة يهوذا) كانت أصغر من مملكة إسرائيل الشمالية، وأضعف منها، إلا أنّها عاشت بعدها حتى سنة 587 - 586 ق.م، كما تميّزت بأنّها تضم أهم مدينة دينية عند اليهود.

حفظ لنا البحث الأركيولوجي أسماء كثير من ملوك مملكة يهوذا، وهم:

الملك أخزيا אֲחַזְיָה (841 ق.م)

ذُكر أخزيا في نقش تل دان، كما سبق بيانه.

الملك عوزياهو עֻזִּיָּהוּ (767 - 740 ق.م)

الملك عوزياهو/ عزيّا، سمّي أيضًا عزريا في الكتاب المقدس. خلف أباه أمصيا على الحكم. اعتنى بتحسين أحوال مملكة يهوذا من الناحية الاقتصادية والعسكرية. وقام بعدة هجمات على أعدائه. ووسّع حدود مملكته؛ حتى إنه استعاد السيطرة على ميناء إيلات عند البحر الأحمر[1].

عُثر على ختمين في منتصف القرن التاسع عشر، عليهما اسم «عزيا». الختم الأول مكتوب عليه: «لأبياو عبد عزيا»، وعلى الثاني كُتب: «لشبنياهو عبد عزيا»[2].

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 625 - 626، D. R. W. Wood and I. H.Marshall, *New Bible Dictionary* (Leicester, England; Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1996), p.1220.

(2) See Pierre Bordreuil, *Catalogue des sceaux ouest - sémitiques inscrits de la Bibliothèque Nationale, du Musée du Louvre et du Musée biblique de Bible et Terre Sainte*, (Paris, 1986), no. 40-41 (Cited in: Lemaire, André. 'Royal Signature: Name of Israel's Last King Surfaces in a Private Collection,' *Biblical Archaeology Review* 21.6 (1995): 48-52.).

ختم أبياو[1]



ختم شبنياهو
متحف اللوفر، باريس[2]



الملك يوثام יוֹתָם (740 - 734 ق.م)

الملك يوثام هو ابن عزيا وخليفته في حكم مملكة يهوذا. جاء خبره في سفر

(1)<http://medaillesetantiques.bnf.fr/ws/catalogue/app/collection/notices/record/ark:/12148/c33gb1t4q5>.

(2) <https://www.photo.rmn.fr/C.aspx?VP3=SearchResult&IID=2C6NU0DBTRNW>.

الملوك الثاني وسفر أخبار الأيام الثاني. عاصر ثلاثة أنبياء: هوشع وإشعياء وميخا. وكان عصره مزدهرًا. وقد شنّ في أيامه رصين ملك أرام، وفقح ملك السامرة حربًا على يهوذا (2 ملوك 15/ 37)[1].

تمّ العثور على ختم فيه ذكر يوثام في تل الخليفة في خليج العقبة، المنطقة التي كانت تُسمى عصيون جابر. وقد جاء في سفر الملوك الثاني 14/ 22 عن الملك عزيا الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد: «هُو بَنَى أَيْلَةَ وَاسْتَرَدَّهَا لِيَهُوذَا». وقد بيّن نسلون غروك أنّ أيلة هي عصيون جابر[2].

يعود هذا الختم إلى القرن الثامن قبل الميلاد، فيه أيل بقرنين، وفوقه عبارة «ليوثام» « 𐤋𐤉𐤕𐤌 »[3].

ختم يوثام[4]







الملك آحاز אָחָז / يهوآحاز יְהוֹאָחָז (732 - 716 ق.م)

الملك آحاز، هو ابن يوثام وخليفته. اسمه اختصار ليهوآحاز. يُخبر سفر أخبار الأيام الثاني وسفر الملوك الثاني عن انحرافاته، ومن أهمها عبادته للأصنام. نصحه إشعياء النبيّ بالتقوى والاتّكال على الرب في مواجهة أعدائه؛ فلم يستجب له. وقد

---

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 1105. P. J.Achtemeier, *et al.*, eds. *Harper's Bible Dictionary* (San Francisco: Harper & Row), p.510.

(2) Nelson Glueck, *BASOR* 72, p.8 (Cited in N. Avigad, 'The Jotham Seal, p.19).

(3) N. Avigad, 'The Jotham Seal from Elath', *Bulletin of the American Schools of Oriental Research,* Oct., 1961, No. 163 (Oct., 1961), 18 - 22.

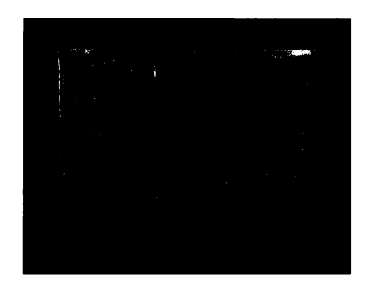
(4) Ibid., 19.

عاش في عصره الأنبياءُ هوشع وإشعياء وميخا[1].

استنجد آحاز بالآشوريّين في مواجهة ملك آرام وملك إسرائيل؛ طالبًا العون العسكري من تغلث فلاسر الثالث (2ملوك 16/ 6 - 7). وقد أعان الآشوريّون آحاز، غير أنّهم انقلبوا عليه، وجعلوا مملكة يهوذا تدفع الجزية.

وقد جاء في حوليات تغلث فلاسر الثالث المكتشفة سنة 1873، ذكر انتصارات تغلث وما أحدثه من عمران. ومما افتخر به في هذه الحوليات، ذكر قائمة ملوك سوريا وفلسطين الذين دفعوا له الجزية: «[استلمت] الجزية من... متنتي عسقلان، يهوآحاز يهوذا... ذهب، وفضة، وقصدير، وملابس متعددة الألوان، وملابس كتانية، وصوف أحمر أرجواني، [جميع أنواع] الأشياء الثمينة، وغلّة البحر (و)البرّ، وسلع أراضيهم، والكنوز الملكية، والخيول...»[2].

حوليات تغلث فلاسر الثالث
المتحف البريطاني



(1) *New Bible dictionary*, p.20.

(2) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.282.

كما عُثر في تسعينيات القرن العشرين على ختم طيني يعود تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد كُتب عليه بالعبرية[1]:

لآحاز [ابن] يوثام، ملك يهوذا. ᖷΔᖷᖷ ᖷLᙏ ᙏXYᖷᖷ IΗ≮L

ختم آحاز



وعُثر أيضًا على ختم برتقالي من العقيق يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد. وفيه: «لأوشنا عبد آحاز»[2].

(1) Lawrence J. Mykytiuk, *Identifying Biblical Persons in Northwest Semitic Inscriptions Of 1200 - 539 B.C.E* (Brill, 2004), p.220.

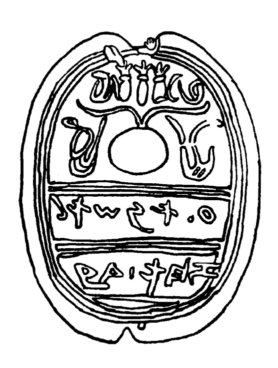
(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.19.

ختم أوشنا
محفوظات جامعة يال[1]





صورة تقريبية تظهر فيها حروف النقش[2]



(1) < https://www.library.yale.edu/judaica/site/exhibits/holyland/sealone.html >
<https://www.library.yale.edu/judaica/site/exhibits/holyland/BabylonianCollection.html

(2) Lawrence J. Mykytiuk, *Identifying Biblical Persons in Northwest Semitic Inscriptions Of 1200 - 539 B.C.E, p.165.*

واكتشفت الأركيولوجية إيلت مازار[1] سنة 2005 أداة ختم طينية bulla ملَكيّة تعود إلى الفترة بين 727 - 698 ق.م[2]، وفيها: «لحزقيا [بن] آحاز ملك يهوذا».

الختم الملكي لحزقيا[3]



الملك حزقياهو חִזְקִיָּהוּ (716 - 687 ق.م)

يُعتبر الملك حزقياهو/ حزقيا أحد أفضل ملوك بني إسرائيل في التوراة؛ حتى إنه قد جاء في 2ملوك 18/ 5: «عَلَى الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ اتَّكَلَ، وَبَعْدَهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ مُلُوكِ يَهُوذَا وَلاَ فِي الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ». وقد حكم في شبابه مع أبيه آحاز، ثم استأثر بالحكم لاحقًا. اهتم في بداية أمره بمحاربة الوثنية بين شعبه، والاعتناء

(1) إيلت مازار אילת מזר (1956) : أركيولوجية يهودية من فلسطين المحتلة، متخصصة في الأركيولوجيا التوراتية والفينيقية.

(2) Robin Ngo, 'King Hezekiah in the Bible: Royal Seal of Hezekiah Comes to Light,' *Biblical Archeology*, June 09, 2020 <https://www.biblicalarchaeology.org/daily/news/king-hezekiah-in-the-bible-royal-seal-of-hezekiah-comes-to-light/>.

(3) المصدر السابق.

بالهيكل. وقد كان يستشير النبي إشعياء عند المدلهمات. حاصر في عصره سنحاريب ملك آشور مدينة أورشليم[1].

عُثر على عدة أختام قديمة عليها اسم حزقيا. منها الختم الذي عليه عبارة «ليهوزارح بن حلقيا، عبد حزقيا»[2].

خَتم عبد حزقيا[3]





ولعلّ أهمها الختم الذي عُثر عليه في أورشليم. وهو الختم الذي أشرنا إليه سابقًا، وقد كُتب عليه: «لحزقيا [بن] آحاز ملك يهوذا».

كما جاء في حوليات سنحاريب المكتوبة على إسطوانة: «وأمّا حزقيا من يهوذا،

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 305 - 307.

(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.19.

(3) "'Signature' of King Hezekiah's Servant Recovered," *Biblical Archaeology Review* 1.4 (1975): 19, 32.

فلم يخضع لي. وقد حاصرت 46 من مدنه القوية، وحصونه المسوّرة، والقرى الصغيرة المجاورة لها»[1].

الإشارة إلى حزقيا في الإسطوانة

يهوذا حزقيا

الملك منسي מְנַשֶּׁה (687 - 643 ق.م)

الملك منسي، هو ابن حزقيا، وخليفته. تولّى الحكم وهو صغير في سن الثانية عشر، وحكم 55 سنة (2ملوك 21/ 1، 2أخبار الأيام 33/ 1). وذاع الكفر والظلم للرعية في زمانه. ولما مال إلى نائب الملك البابلي في عصيانه لآشور، أَسَرَهُ الآشوريون، وساقوه إلى بابل. ثم أُطلِق سراحه؛ فعاد إلى عاصمته حيث مات هناك[2].

ظهر اسم «منسي، ملك يهوذا» في واحد من آثار آسرحدون[3][4]، وواحد من آثار آشوربانيبال[5][6].

(1) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.288.

(2) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس (القاهرة: دار الثقافة، 1995م)، ص 925، Wood, D. R. W., & Marshall, I. H. *New Bible Dictionary*, p.724.

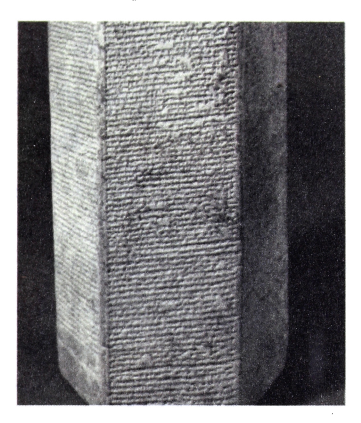
(3) في Prism of Esarhaddon.

(4) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.291.

(5) في Prism of Ashurbanipal.

(6) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.294.

Esarhaddon Prism
المتحف البريطاني[1]



الملك يهوياكين יְהוֹיָכִין (598 ق.م)

تولّى يهوياكين الملك بعد والده المِلك يهوياقيم، وهو يبلغ من العمر ثماني عشرة سنة كما في 2ملوك 24/ 8، أو ثماني سنوات كما في 2 أخبار الأيام 36/ 9. ولم يبق في الحكم سوى ثلاثة أشهر وعشرة أيام. حاصر نبوخذنصر أورشليم أثناء حكمه، وأخذه مع عائلته ورؤساء الأمّة إلى بابل أسرى[2].

جاء ذكر يهوياكين في وثيقة إدارية في بابل في بداية القرن السادس فيها خبر ما رُصد له وأسرته من جراية:

«10 سيلا من الزيت لـ[يا]..كين، ملك يـ[هوذا].

(1) < https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1929 - 1012 - 1 >

(2) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 1099 - 1100.

2 ½ سيلا لـ[أبـ]ـناء ملك يهوذا.

4 سيلا لثمانية رجال من يهوذا.

10 سيلا ليكوكِنو، ابن ملك يكودو [يهوذا].

2 ½ سيلا للأبناء الخمسة لملك يكودو [يهوذا]»[1].

الوثيقة البابلية التي تشير إلى الأبناء الخمس ليهوياكين[2]



لقد كشفت لنا الأختام عن أسماء كثير من ملوك بني إسرائيل، علمًا أنّ عدد أسماء الملوك على الأختام كان من الممكن أن يكون أكبر مما هو كائن لولا تحوّل هذه الأختام من ذكر اسم ملك العصر في القرن الثامن إلى اعتماد عبارة عامة تقول: «لعبد الملك» دون تحديد اسم الملك؛ ليكون الختم أطول عمرًا من زمن حكم الملوك[3].

(1) John H. Walton, ed. *Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary: Esther* (Harper Collins, 2009), p.210.

(2) المصدر السابق

(3) Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', pp.374 - 375.

المطلب الثالث: شخصيات غير ملكية في الشواهد الأركيولوجية

كشف البحث الأركيولوجي عن أسماء شخصيات مختلفة ورد ذكرها في التوراة، نبّه إليها عدد من الأركيولوجيين وعلماء النقوش، ومنهم أندري لومير في القائمة التالية[1]:

1. ختم عليه حصان يركض، مع نقش فيه: «لعسايا عبد الملك». وقد جاء ذكر «عسايا عبد الملك» في 2ملوك 22/ 12، 14 في زمن حكم يوشيا.
2. ختم عُثر عليه في حفريات عوفِل في غرفة قد هُدّمت سنة 587 ق.م، وقد نُقش عليه: «جَمَرْيَا [بْ]ـنِ شَافَان». وقد جاء ذكر «جَمَرْيَا بْنِ شَافَان» في إرميا 36/ 10 - 12، 25.

ختم جمريا بن شافان[2]



3. ختم من منتصف القرن السابع قبل الميلاد. وقد نشره ن. أفيجاد سنة 1987. وقد نُقش عليه: «لأَصَلْيَا بْنِ مشلَّام». وقد رجّح أفيجاد أن يكون صاحب هذا الختم هو نفسه والد «شَافَانَ بْنَ أَصَلْيَا بْنِ مَشُلاَّمَ الْكَاتِبَ» الوارد ذكره في 2ملوك 22/ 3.
4. ختم أزرق غامق، نُشر سنة 1986، عليه نقش: «لحنان بن حلقيا الكاهن». ومن الراجح أنّه ابن «حلقيا الكاهن» الوارد ذكره في 2ملوك 22/ 4 - 24.

(1) Ibid, pp.375-376.

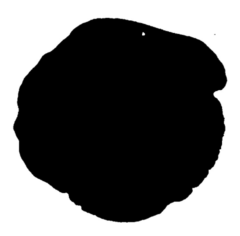
(2) < https://watchjerusalem.co.il/676-archaeological-proof-for-hilkiah-the-high-priest >.

ختم حنان بن حلقيا الكاهن(1)



5. ختم عُثر عليه في حفريات عوفل، وعليه «لعزريا بن حلقيا». ولعله أخو حنان بن حلقيا، وأيضًا «عزريا بن حلقيا» أحد أسلاف عزرا الوارد ذكره في عزرا 7/ 1، و1أخبار الأيام 5/ 39.

ختم عزريا بن حلقيا(2)



(1) < https://watchjerusalem.co.il/676-archaeological-proof-for-hilkiah-the-high-priest >.

(2) Tsvi Schneider, 'Six Biblical Signatures,' *Biblical Archaeology Review* 17.4 (1991): 26-28, 30-33.

6. ختم عُثر عليه في حفريات لكيش (تل الدوير)، وعليه: «لجدليا سيّد القصر». وقد ذهب رولون دو فو إلى ترجيح أنّه «جَدَلْيَ بْنَ أَخِيقَامَ بْنِ شَافَان» الذي وضعه نبوخذناصر حاكمًا ليهوذا بعد 587 ق.م (2ملوك 25/ 22 - 25، إرميا 39/ 14، 40/ 7 - 16، 41/ 1 - 10، 18، 43/ 6).

ختم جَدَلْي[1]



7. ختم نُشر سنة 1993 عليه نقش: «لإسماعيل ابن الملك». ولعلّه «إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَثَنْيَا بْنِ أَلِيشَمَعَ مِنَ النَّسْلِ الْمَلِكِيِّ» الوارد ذكره في 2ملوك 25/ 25، علمًا أنّ هذه الشخصية قد قتلت جدليا السابق ذكره.

ختم إسماعيل ابن الملك[2]



(1) < https://www.myjewishlearning.com/article/who - was - gedaliah/ >.

(2) Gabriel Barkay, 'A Bulla of Ishmael, the King's Son', *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, No. 290/291 (May - Aug., 1993),109 - 114

8. ختم نشره ن. أفيجاد سنة 1979، وفيه: «يَرْحَمْئِيلَ ابْنَ الْمَلِكِ». والراجح أنّه الشخص الذي سمّاه سفر إرميا 36/ 26: «يرْحَمْئِيلَ ابْنَ الْمَلِكِ» كفرد من المحكمة الملكية ليهوياقيم حوالي 605 – 604 ق.م.

ختم يَرْحَمْئِيلَ ابْنَ الْمَلِكِ[1]



9. ختم ضمن مجموعة بروسكي، وفيه: «لصدقيا بن حننيا». والظاهر أنّه «صِدْقيا[2] بْنُ حَنَنِيَّا» المذكور في إرميا 36/ 12.

10. ختم نشره ن. أفيجاد، وفيه: «لسرايا [بن] نيريا». ويبدو أنّه «سَرَايَا بْنَ نِيرِيَّا بْنِ مَحْسِيَّا» الوارد ذكره في إرميا 51/ 59. وهو رئيس المحلّة الذي أُرسل إلى بابل بطلب من صدقيا ملك يهوذا.

(1) Hershel Shanks, 'Jeremiah's Scribe and Confidant Speaks from a Hoard of Clay Bullae,' *Biblical Archaeology Review* 13.5 (1987): 58-65.

(2) צִדְקִיָּהוּ

ختم سرايا نيريا(1)



11. ختم فيه: «برخيا بن نيريا، الكاتب». والراجح أنّه «سكرتير النبي إرميا «باروخ بن نيريا» نفسه (إرمياء 32/ 12 - 16، 36/ 4 - 32، 43/ 3، 6، 45/ 1 - 2).

ختم برخيا بن نيريا(2)



ومن آخر الاكتشافات - بعد نشر لومير مقالته السالفة الذكر - أداة ختم طينية تتضمن اسمين ورد ذكرهما في سفر إرمياء 38/ 1: «وَسَمِعَ شَفَطْيَا بْنُ مَتَّانَ، وَجَدَلْيَا بْنُ فَشْحُورَ גְּדַלְיָהוּ בֶּן־פַּשְׁחוּר، وَيُوخَلُ بْنُ شَلَمْيَا יוּכַל בֶּן־שֶׁלֶמְיָהוּ، وَفَشْحُورُ بْنُ مَلْكِيَّا،

Tsvi Schneider, 'Six Biblical Signatures,' *Biblical Archaeology Review* 17.4 (1991): 26-28, 30-33. (1)
< https://madainproject.com/content/media/collect/seals_(bullae)/81.jpg >. (2)

الْكَلَامَ الَّذِي كَانَ إِرْمِيَا يُكَلِّمُ بِهِ كُلَّ الشَّعْبِ»؛ إذ عثرت الأركيولوجية إيلت مازار سنة 2015م في ما يُعرف بـ«مدينة داود» في القدس على هذين الختمين[1].

الختمان اللذان عثرت عليهما مازار



إنّ عثورنا على أسماء لغير ملوك، جاء ذكرهم في التوراة؛ لمن المفاجآت غير المتوقّعة؛ في ظلّ صعوبة العثور على غير أسماء الحكّام. وهي مفاجأة تدعم مصداقية الخطوط العريضة للخبر التاريخي التوراتي.

المطلب الرابع: الملوك الأجانب في الشواهد الأركيولوجية

أثبت البحث الأركيولوجي وجود ملوك أجانب (من غير بني إسرائيل) ورد ذكرهم في التوراة من القرن العاشر إلى القرن السادس قبل الميلاد؛ بما يظهر أنّ الخبر التاريخي التوراتي لا يعتمد على مادة مختلقة كليّة في القرن السادس قبل الميلاد أو بعده.

وهاهنا أهم الأسماء التي عُثر عليها:

الفرعون شيشنق الأول/ شِيشق

حكم الفرعون شيشنق الأول من 945 ق.م إلى 924 ق.م. وهو مؤسس الأسرة

(1) Jeremiah, 'Prophet of the Bible, brought back to life,' *Biblical Archaeology*, August 24, 2015 < https://www.biblicalarchaeology.org/daily/biblical - artifacts/artifacts - and - the - bible/jeremiah - prophet - of - the - bible - brought - back - to - life/>.

المصرية الثانية والعشرين. وقد ذُكر في التوراة باسم شيشق שישק. وسبب سقوط النون في المقابل التوراتي أنّ النون حرف «ضعيف» يسقط أحيانًا، خاصة في الأسماء. ومن ذلك أنّ المدينة الفلسطينية غنتي/ غمتي (كما هو اسمها في آثار تل العمارنة)، اسمها في الكتاب المقدس جت גת (يشوع 13/ 3، 1 صموئيل 5/ 8...).

ذكر سفر الملوك الأول 11/ 40 أنّه لما طلب سليمان -عليه السلام- قتل يربعام، هرب يربعام إلى مصر حيث كان شيشق يحكم. وقد اكتشفت مقبرة شيشنق، وجثته محنطة في الوجه البحري.

كما ذكر سفر الملوك الأول 14/ 25 - 26 أنّه في السنة الخامسة من حكم رحبعام ابن سليمان -عليه السلام-، استغل شيشق انقسام الدولة الموحدة لبني إسرائيل إلى دولتين، فغزا اليهودية، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وغنائم أخرى كثيرة. وهو ما يوافق زمنيًّا خبر نقش الكرنك عن حملة شيشنق إلى فلسطين.

وجاء ذكر شيشنق أيضًا في نقش مجدو في فلسطين، وهو يعود إلى سنة 925 ق.م. وفيه: «محبوب آمون، شيشنق»[1].

اسم شيشنق بالهيروغليفية
على نقش النصر في مجدو



(1) Kenneth A Kitchen, "Shishak's military campaign in Israel confirmed," *Biblical Archaeology Review* 15.3 (1989): p.32.

الفرعون طهارقة

جاءت الإشارة إلى الفرعون طهارقة (690 - 664 ق.م) في نص واحد مكرر في موضعين في التوراة باسم ترهاقة، وهو أحد ملوك كوش (جنوب مصر وشمال السودان اليوم): «وَسَمِعَ عَنْ تُرْهَاقَةَ مَلِكِ كُوشٍ قَوْلاً: «قَدْ خَرَجَ لِيُحَارِبَكَ». فَعَادَ وَأَرْسَلَ رُسُلاً إِلَى حَزَقِيَّا» (إشعياء 37/ 9، 2ملوك 19/ 9). وقد وُجد اسمه على عدد من التماثيل.

تمثال طهارقة، وقد كُتب اسمه في وسط حزامه
متحف كرمة، السودان



الفرعون نيخو الثاني

جاء في 2ملوك 23/ 29: «فِي أَيَّامِهِ صَعِدَ فِرْعَوْنُ نَخْوُ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى مَلِكِ أَشُّورَ إِلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ. فَصَعِدَ الْمَلِكُ يُوشِيَّا لِلِقَائِهِ، فَقَتَلَهُ فِي مَجِدُّو حِينَ رَآهُ».

الفرعون نيخو (610 إلى 595 ق.م) معاصر للملك يوشيّا. وهو نحاو الثاني، أحد فراعنة الأسرة المصرية 26. وقد حكم سوريا وفلسطين لبعض سنوات. وكان هيرودوت قد ذكر في القرن الخامس قبل الميلاد غزوه لسوريا[1].

الملك الآشوري سنحاريب

الملك سنحاريب، ابن سرجون الثاني، ملك الإمبراطورية الآشورية الحديثة في الفترة (705 - 681 ق.م). يعني اسمه في الأكادية «سن (إله القمر) قد زاد الإخوة». حكم سنحاريب آشور أيام حزقيا ملك يهوذا. وقد كانت مملكة يهوذا تدفع الجزية للآشوريين، غير أنّها تركت ذلك أيام حزقيا؛ فزحف سنحاريب على مملكة يهوذا. وجاء خبر غزو سنحاريب مملكة يهوذا في سفر الملوك الثاني 18/ 13 - 19/ 37 وإشعياء 36 - 37.

(1) *Histories*, Book 2:159

صخرة حوليات سنحاريب
وفيها الرواية الآشوريّة لغزو سنحاريب أورشليم (إشعياء 36 - 37)[1]



الملك تغلث فلاسر الثالث

جاء في 2ملوك 16/ 7: «وَأَرْسَلَ آحَازُ رُسُلاً إِلَى تَغْلَثَ فَلاَسِرَ مَلِكِ أَشُّورَ قَائِلاً: «أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُكَ. اصْعَدْ وَخَلِّصْنِي مِنْ يَدِ مَلِكِ أَرَامَ وَمِنْ يَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْقَائِمَيْنِ عَلَيَّ».

تغلث فلاسر الثالث، ملك الدولة الآشورية 745 - 727 ق.م. معنى اسمه « ثقتي ابن إشارة». وقد سبقت الإشارة إليه.

(1) R. F. Youngblood, *et al.*, eds. *Nelson's New Illustrated Bible Dictionary* (Nashville, TN: Thomas Nelson, 1995).

صورة جزء من لوح يظهر الجزء العلوي للملك الآشوري تغلث فلاسر الثالث(1)



الملك شلمانصر الخامس

جاء خبر شلمانصر (الخامس) في سفر الملوك الثاني 17 - 18. وقد ملك على آشور وبابل (727 - 722 ق.م) أثناء حكم هوشع مملكة إسرائيل. ومعنى اسمه: «الله هو قبل كل شيء». غزا شلمانصر مملكة إسرائيل بعد أن توقف هوشع عن دفع الجزية. وقبض على هوشع، ووضعه في السجن. وحاصر السامرة لثلاث سنوات قبل إخضاعها له.

سرجون الثاني

جاء ذكر سرجون الثاني في إشعياء 20/ 1: «فِي سَنَةِ مَجِيءِ تَرْتَانَ إِلَى أَشْدُودَ، حِينَ أَرْسَلَهُ سَرْجُونُ مَلِكُ أَشُّورَ فَحَارَبَ أَشْدُودَ وَأَخَذَهَا». وقد حكم بعد أخيه شلمانصر الخامس. ونسب إلى نفسه فتح السامرة؛ فقد جاء في وثيقة قديمة تصفه: «غازي السامرة وكلّ إسرائيل (بيت عمري) الذي غنم أشدود...»(2).

German Bible Society, *1000 Bible Images*. 2009. Bellingham, WA: Logos Research Systems. (1)
James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.284. (2)

الملك مردوخ بلادان

الملك مردوخ بلادان، حاكم بابل من سنة 722 إلى 710 ق.م. جاء ذكره في الكتاب المقدس باسم « مَرُودَخُ بَلاَدَان»:

«فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ مَرُودَخُ بَلاَدَانَ بْنُ بَلاَدَانَ مَلِكُ بَابِلَ رَسَائِلَ وَهَدِيَّةً إِلَى حَزَقِيَّا، لأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّهُ مَرِضَ ثُمَّ صَحَّ» (إشعياء 39/ 1).

«فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ بَرُودَخُ بَلاَدَانُ بْنُ بَلاَدَانَ مَلِكُ بَابِلَ رَسَائِلَ وَهَدِيَّةً إِلَى حَزَقِيَّا، لأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ حَزَقِيَّا قَدْ مَرِضَ» (ملوك الثاني 20/ 12).

جاء ذكر مردوخ بلادان في نقش سرجون الثاني في قصر خورسباد (في مدينة الموصل): «سمع مردوخ بلادان عن اقتراب غزوتي، وقد هرب قبل وصولها إليه بعد أن أفزعت محاربيه، وقد طار في الليل مثل البومة»[1].

الملك آسرحدون

ورد اسم آسرحدون في الكتاب المقدس في ثلاثة مواضع:

ملوك الثاني 19/ 37: «وَفِيمَا هُوَ سَاجِدٌ فِي بَيْتِ نِسْرُوخَ إِلهِهِ، ضَرَبَهُ أَدْرَمَّلَكُ وَشَرَآصَرُ ابْنَاهُ بِالسَّيْفِ، وَنَجَوَا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ. وَمَلَكَ آسَرْحَدُّونُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ».

عزرا 4/ 2: «تَقَدَّمُوا إِلَى زَرُبَّابِلَ وَرُؤُوسِ الآبَاءِ وَقَالُوا لَهُمْ: «نَبْنِي مَعَكُمْ لأَنَّنَا نَظِيرَكُمْ نَطْلُبُ إِلهَكُمْ، وَلَهُ قَدْ ذَبَحْنَا مِنْ أَيَّامِ أَسَرْحَدُّونَ مَلِكِ أَشُّورَ الَّذِي أَصْعَدَنَا إِلَى هُنَا»».

إشعياء 37/ 38: «وَفِيمَا هُوَ سَاجِدٌ فِي بَيْتِ نِسْرُوخَ إِلهِهِ ضَرَبَهُ أَدْرَمَّلَكُ وَشَرَآصَرُ ابْنَاهُ بِالسَّيْفِ، وَنَجَوَا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ. وَمَلَكَ أَسَرْحَدُّونَ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ».

آسرحدون، ملك آشور 681 – 669 ق.م. الابن المفضّل للملك سنحاريب. وقد اعتلى العرش بعد أن قتل أخواه أبيهما. ويعني اسمه « آشور أعطى أخًا». كان غازيًا قويًّا، أخضع قبائل من فلسطين وسوريا لحكمه.

---

(1) Samuel Birch, *Records of the past: being English translations of the Assyrian and Egyptian Monuments* (London: Samuel Bagster, 1874), p. 14.

جاء ذكر مملكة يهوذا مرة واحدة فقط في النقوش الملكية لآسرحدون، حيث قدم منسّي - ملك يهوذا - إلى جانب عدد من الحكام الآخرين في سوريا وفلسطين، مواد بناء لبرنامج البناء الملكي في نينوى. وفي ذاك دلالة على أنّ كل هؤلاء الحكام كانوا تابعين لآشور[1].

تمثال لآسرحدون
والناس خاضعون على ركبهم عند رجليه[2]



الملك نبوخذناصر الثاني

نبوخذناصر الثاني ملك بابل الشهير حكم من 605 - 562 ق.م. وقد اشتهر بسبي سكان أورشليم إلى بابل. جاء ذكره في الكتاب المقدس:

A. K. Grayson, art. Esarhaddon, *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 2/574. (1)
Nelson's New Illustrated Bible Dictionary. (2)

«فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مُلْكِ يَهُويَاقِيمَ مَلِكِ يَهُوذَا، ذَهَبَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرَهَا» (دانيال 1/ 1).

«فِي أَيَّامِهِ صَعِدَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ، فَكَانَ لَهُ يَهُويَاقِيمُ عَبْدًا ثَلاَثَ سِنِينَ. ثُمَّ عَادَ فَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ» (ملوك الثاني 24/ 1).

ورد اسم نبوخذناصر في محفوظات تاريخية كثيرة معاصره له، ومنها بوابة عشتار[1].

الملك أميل مردوخ

أميل مردوخ، الابن الأكبر للملك البابلي نبوخذناصر. وقد توفي سنة 560 ق.م. جاء ذكره في الكتاب المقدس باسم أويل مرودخ אֱוִיל מְרֹדַךְ:

«وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِسَبْيِ يَهُويَاكِينَ مَلِكِ يَهُوذَا، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي عَشَرَ فِي السَّابعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، رَفَعَ أَوِيلُ مَرُودَخُ مَلِكُ بَابِلَ، فِي سَنَةِ تَمَلُّكِهِ، رَأْسَ يَهُويَاكِينَ مَلِكِ يَهُوذَا مِنَ السِّجْنِ» (ملوك الثاني 25/ 27).

«وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِسَبْيِ يَهُويَاكِينَ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي عَشَرَ، فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، رَفَعَ أَوِيلُ مَرُودَخُ مَلِكُ بَابِلَ، فِي سَنَةِ تَمَلُّكِهِ، رَأْسَ يَهُويَاكِينَ مَلِكِ يَهُوذَا، وَأَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ» (إرمياء 52/ 31).

وقد حفظ اسم أميل مردوخ على كثير من الألواح الطينية والنقوش الملكية وغيرها[2].

ملك آرام دمشق حزائيل

حزائيل، الملك الآرامي الذي استطاعت مملكة آرام دمشق أن تحكم في عصره مناطق واسعة من سوريا وفلسطين. وقد حكم من 842 إلى 796 ق.م.

(1) <https://madainproject.com/ishtar_gate_inscription>.

(2) See Frauke Weiershäuser; Jamie R Novotny, *The Royal Inscriptions of Amēl - Marduk (561 - 560 BC), Neriglissar (559 - 556 BC), and Nabonidus (555 - 539 BC), kings of Babylon* (University Park, Pennsylvania: Eisenbrauns, 2020).

جاء ذكره في التوراة:

«فَقَال لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبْ رَاجِعًا فِي طَرِيقِكَ إِلَى بَرِّيَّةِ دِمِشْقَ، وَادْخُلْ وَامْسَحْ حَزَائِيلَ مَلِكًا عَلَى أَرَامَ»» (ملوك الأول 19/ 15).

«فَقَالَ الْمَلِكُ لِحَزَائِيلَ: «خُذْ بِيَدِكَ هَدِيَّةً وَاذْهَبْ لاسْتِقْبَالِ رَجُلِ اللهِ، وَاسْأَلِ الرَّبَّ بِهِ قَائِلاً: هَلْ أَشْفَى مِنْ مَرَضِي هذَا؟»» (ملوك الثاني 8/ 8).

«فَأُرْسِلُ نَارًا عَلَى بَيْتِ حَزَائِيلَ فَتَأْكُلُ قُصُورَ بَنْهَدَدَ» (عاموس 1/ 4).

جاء ذكر حزائيل في نقش لشلمنصر الثالث: «في السنة الثامنة عشرة من حُكْمِي عبرت نهر الفرات للمرة السادسة عشرة. تقدّم حزائيل دمشق للمعركة. أخذت منه 1121 عربة، و470 من خيول الفرسان، بالإضافة إلى معسكره»[1].

بنْ هَدَد بْن حَزَائِيل

بن هدد الثالث، ابن حزائيل وخليفته في الملك. وقد حكم من 796 إلى 792 ق.م. ذُكر في الكتاب المقدس:

«فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ لِيَدِ حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرَامَ، وَلِيَدِ بَنْهَدَدَ بْنِ حَزَائِيلَ كُلَّ الأَيَّام» (ملوك الثاني 13/ 3).

« ثُمَّ مَاتَ حَزَائِيلُ مَلِكُ أَرَامَ، وَمَلَكَ بَنْهَدَدُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ» (ملوك الثاني 13/ 24).

جاء ذكر بن هدد في نقش زكور ملك حماة، المعروف باسم نقش/ نصب زكور، والمكتشف سنة 1907 في تل آفيس (في إدلب). إذ ذكر فيه زكور أسماء المتحالفين ضده، ومنهم «بر هدد، بن حزائيل، ملك آرام، الذي جمع ضدي سبعة عشر ملكًا»[2].

(1) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.280.

(2) Edward Lipiński, *Studies in Aramaic Inscriptions and Onomastics, Volume I* (Leuven: Peeters Publishers, 1975), p.22.

نقش زكور
متحف اللوفر



نص نقش زكور[1]



(1) فاروق إسماعيل، اللغة الآرامية القديمة (حلب: منشورات جامعة حلب، 1418هـ/ 1997م)، ص207.

الملك ميشع

ميشع ملك موآب. عاش في القرن التاسع ق.م. جاء ذكره في 2ملوك 3/ 4: «وَكَانَ مِيشَعُ مَلِكُ مُوآبَ صَاحِبَ مَوَاشٍ، فَأَدَّى لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ مِئَةَ أَلْفِ خَرُوفٍ وَمِئَةَ أَلْفِ كَبْشٍ بِصُوفِهَا».

وقد سبق الحديث عنه عند الحديث عن نصب ميشع.

الملك رصين

رصين، حاكم دمشق في القرن الثامن قبل الميلاد. جاء ذكره في الكتاب المقدس: «وَأَرْسَلَ آحَازُ رُسُلاً إِلَى تَغْلَثَ فَلاَسِرَ مَلِكِ أَشُّورَ قَائِلاً: «أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُكَ. اصْعَدْ وَخَلِّصْنِي مِنْ يَدِ مَلِكِ أَرَامَ وَمِنْ يَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْقَائِمَيْنِ عَلَيَّ» فَأَخَذَ آحَازُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَفِي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَأَرْسَلَهَا إِلَى مَلِكِ أَشُّورَ هَدِيَّةً. فَسَمِعَ لَهُ مَلِكُ أَشُّورَ، وَصَعِدَ مَلِكُ أَشُّورَ إِلَى دِمَشْقَ وَأَخَذَهَا وَسَبَاهَا إِلَى قِيرَ، وَقَتَلَ رَصِينَ» (ملوك الثاني 16/ 7 – 9).

«وَحَدَثَ فِي أَيَّامِ آحَازَ بْنِ يُوثَامَ بْنِ عُزِّيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، أَنَّ رَصِينَ مَلِكَ أَرَامَ صَعِدَ مَعَ فَقَحَ بْنِ رَمَلْيَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِمُحَارَبَتِهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُحَارِبَهَا» (إشعياء 7/ 1).

ذكرنا سابقًا الإشارة التاريخية إليه في حوليات تغلث فلاسر الثالث.

الملك بعليس

بعليس، ملك العمونيين في القرن السادس قبل الميلاد. جاء ذكره في إرمياء 40/ 14: «وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ عِلْمًا أَنَّ بَعْلِيسَ مَلِكَ بَنِي عَمُّونَ قَدْ أَرْسَلَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ نَثَنْيَا لِيَقْتُلَكَ؟» فَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ جَدَلْيَا بْنُ أَخِيقَامَ» (إرمياء 40/ 14).

وقد عُثِر على ختم عمّوني سنة 1984 يعود إلى قرابة سنة 600 ق.م، عليه: «لملكمور، عبد بعليشع». وعبارة «عبد بعليشع» قرينة دالة أنّ «بعليشع» ملك، وأنّ

تل العميري (الأردن) الذي وُجد فيها الختم، كان جزءًا من الأرض العمونية[1].

وبعليس المذكور في إرمياء 40/ 14 هو نفسه - على الأظهر - بعليشع؛ إذ الاختلاف بين الاسمين من الممكن ردّه إلى طبيعة نقل الحروف بين اللغات[2].

ختم بعليس[3]





(1) Bob Becking, 'Inscribed Seals as Evidence for Biblical Israel? Jeremiah 40.7 - 41.15 *par example*', in Lester L. Grabbe, ed. *Can a 'History of Israel' Be Written?* (London: A&C Black, 1997), pp.80 - 82.

(2) Ibid., p.82

(3) Larry G. Herr, 'What Ever Happened to the Ammonites?' *Biblical Archaeology Review* 19.6 (1993): 26, 28-35.
< https://www.baslibrary.org/biblical - archaeology - review/19/6/7 >.



المبحث الثالث
دلالات الكشف الأركيولوجي على حجية التوراة

الكشوف التاريخية السابقة، على درجة عظيمة من الأهمية في بحثنا عن تاريخية الأنبياء الذين جاء خبرهم في العهد القديم، خاصة منذ عصر داود -عليه السلام-. ومن أهم دلالاتها:

أولًا: قيام دعوى خرافية وجود الأنبياء منذ عصر داود -عليه السلام- على إثبات أنّ كل الخبر التاريخي المذكور في التوراة لتلك الفترة خرافي، مذهب لا تنصره الكشوف؛ إذ دلّ الدليل الأركيولوجي المتعلّق بالمدّة من 930 ق.م إلى 586 ق.م وما يقابل ذلك في سِفرَي أخبار الملوك الأول والثاني (وما يوازي ذلك في سفرَي أخبار الأيام الأول والثاني) على مجموعة من الحقائق المهمّة:

1. تأخّر ذكر ملوك بني إسرائيل في الوثائق الخارجية للآشوريين إلى منتصف القرن التاسع سببه أنّه لم يُعرف أنّ أي ملك من ملوك الدولة الآشورية الحديثة قد تغلغل في جنوب غرب الشام[1].
2. بدءًا من 853 ق.م، بدأت تظهر بيانات خارجية فيها أسماء ملوك مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا:

- ذَكرَت الآثار أسماء تسعة ملوك من أربعة عشر ملكًا من ملوك المملكة الشمالية. ومن الخمسة الذين لم يرد ذكرهم في المصادر الخارجية غير العبرية، ثلاثة كان حكمهم قصيرًا جدًّا (زكريا وشلوم وفقحيا)، وحكم اثنان (يهوآحاز ويربعام الثاني) عندما كانت آشور غير نشطة في جنوب غرب بلاد الشام. وقد سبق بيان أن يربعام الثاني معروف من الآثار الأركيولوجية[2].

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.62.
(2) Ibid.

- كانت مملكة يهوذا أضعف أثرًا في الواقع من مملكة إسرائيل. ومع ذلك، فمن يهورام الأول حتى صدقيا، تذكر الوثائق الأجنبية ثمانية ملوك من خمسة عشر ملكًا. ومن بين السبعة الغائبين عن هذه الوثائق، نجد ذكر عزيا ويوثام ويوشيا في آثار فلسطين كما سبق ذكره. وأما آمون ويهوآحاز (الحاكم بعد يوشيا) فقد كان حكمهما قصيرًا جدًّا؛ فقد حكم الأول من 643 - 640 ق.م، ولم يحكم الثاني سوى ثلاثة أشهر سنة 609 ق.م، وحَكَمَ أمصيا خلال غياب آشوري عن جنوب غرب منطقة الشام[1].

3. من بين عشرين حاكمًا (وقائدًا) أجنبيًّا جاء ذكرهم في هذه الفترة، لا نفتقد في السجل الأركيولوجي سوى ثلاثة[2].

4. ترتيب الحكّام في سفرَي الأيام الأول والثاني يوافق الترتيب كما يظهر في البحث الأركيولوجي.

إنّ صدق الخطوط العريضة لما جاء عن أخبار بني إسرائيل بعد سليمان -عليه السلام- كما في الأسفار التاريخية في الكتاب المقدس لا بدّ أن يثير التقدير، خاصة إذا قارنا ذلك بما جاء في كتابات المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وهو القرن الذي يزعم كثير من أنصار مدرسة «الحد الأدنى» أنّ خبر بني إسرائيل القديم قد دوّن فيه؛ فقد ارتكب هيرودوت أخطاء كثيرة، رغم أنّه قد سافر كثيرًا إلى البلاد التي نقل لنا خبرها؛ بما يدعم أنّ كتبة الأسفار التاريخية قد اعتمدوا تراثًا محفوظًا على مدى قرون، مكتوبًا وشفهيًّا[3].

ثانيًا: كثير من الملوك الذين دلّ عليهم الدليل الأركيولوجي ممن جاء خبرهم في التوراة، ذكرت التوراة أنهم التقوا بأنبياء مخصوصين، أو عاصروهم. وداعي اختراع وجود هؤلاء الأنبياء مع صدق وجود هؤلاء الملوك، مستبعد في الجملة.

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Baruch Halpern, 'Erasing History,' *Bible Review* 11.6 (1995): 31.

ثالثًا: وجود أخطاء تاريخية في تفاصيل خبر الملوك الذين دلّ على وجودهم الدليل الأركيولوجي، لا يطعن في استدلالنا بالتوراة لإثبات وجود هؤلاء الأنبياء؛ لأنّنا لا نستدل بصدق تفاصيل الخبر التوراتي، وإنما هو استدلال بحجية عامة الخبر التوراتي، خاصة ما كان قريبًا من الأحداث.

وبعبارة الأركيولوجي وأستاذ الدراسات اليهودية، باروخ هالبرن: «طبعًا توجد أخطاء في الكتاب المقدس: ففقح[1] لا يمكن أن يكون قد حكم عشرين سنة. ومن المحتمل أن يكون بن هدد الدمشقي في 1ملوك 20 و 2ملوك 6 قد نُقل خبره من نهاية القرن التاسع قبل الميلاد إلى منتصفه. ومن الراجح أنّه قد التبس أمره في 2 ملوك 8 مع هددعزر. ولكن بالمقارنة مع الصورة العامة، فإن الأخطاء قليلة نسبيًّا»[2].

رابعًا: يُسلّم الملاحدة أن كشفًا تاريخيًّا واحدًا، لنقشٍ على جدارٍ أو عُملةٍ أو خَتْمٍ، يكفي لإثبات وجود ملِك أو نبيٍّ جاء خبره في القرآن والتوراة؛ حتى لو كان هذا النبي أو الملك في قصة القرآن أو التوراة مشهورًا جدًّا في عصره بما يفترض أن تتعدد دلالات الإشارة إليه. ونحن نرى أنّ كثيرًا من أسماء الملوك التي سبق ذكرها، كانت في الرواية التوراتية عظيمة الأثر في بيئتها، ومع ذلك فلم يدل عليها سوى أثر واحد أو اثنين، في كشوف مكثفة في فلسطين أو غيرها. ويلزم من ذلك ترك العجلة في الحكم بإنكار وجود الأنبياء إذا لم نجد لهم خبرًا واحدًا.

خامسًا: عامة الأدلة الأركيولوجية على وجود ملوك إسرائيل في عصر المملكة المتحدة وبعدها، ذات طابع سياسي؛ فهي إما أختام رسمية، أو نقوش على عمائر، أو نقوش لحوليات ملوك، أو نقوش لتخليد انتصارات ملوك. ولم يظفر كل من هؤلاء الملوك إلا بعدد قليل جدًّا من الشواهد الباقية على وجوده. وهو ما يجعل

(1) فقح، خَلَف فقحيا في حكم مملكة إسرائيل الشمالية.
(2) Ibid.

العثور على شواهد أركيولوجية على وجود الأنبياء عسيرًا؛ لأنّهم ليسوا في عامة الأحوال من أصحاب المناصب السياسية الرسميّة التي يُذكر خبرها في الأختام أو النقوش. وربّما لا يُستثنى اليوم من ذلك إلا إشعياء (بالعبرية يشعياهو יְשַׁעְיָהוּ) النبي فقد اكتشفت الأركيولوجية إيلت مازار منذ عقد من الزمان في حفرياتها في القدس أداة ختم طينية bulla للملك حزقيّا، وهي أوّل أداة ختم تُكتشف لملك إسرائيلي، كما اكتشفت على بعد أمتار منها، في الطبقة نفسها من التراب، أداة ختم أخرى مكتوب عليها: ليشعياهو النبي، علمًا أنّ الفصل 39 من سفر إشعياء يذكر أنّ إشعياء كان قريبًا من ملك يهوذا حزقيّا؛ حتى إنه كان يسدي له النصح في الملمّات. وقد شكك بعضهم في قراءة: نبي لسقوط الحرف الثالث «اليود»، ولكن الفحص الدقيق يرجح بقوة وجود الياء في الأصل[1].

ختم إشعياء النبي[2]



(1) Eilat Mazar, 'Is This the Prophet Isaiah's Signature?' *Biblical Archaeology Review* 44.2 (2018): 64-73,92.

(2) Ibid.

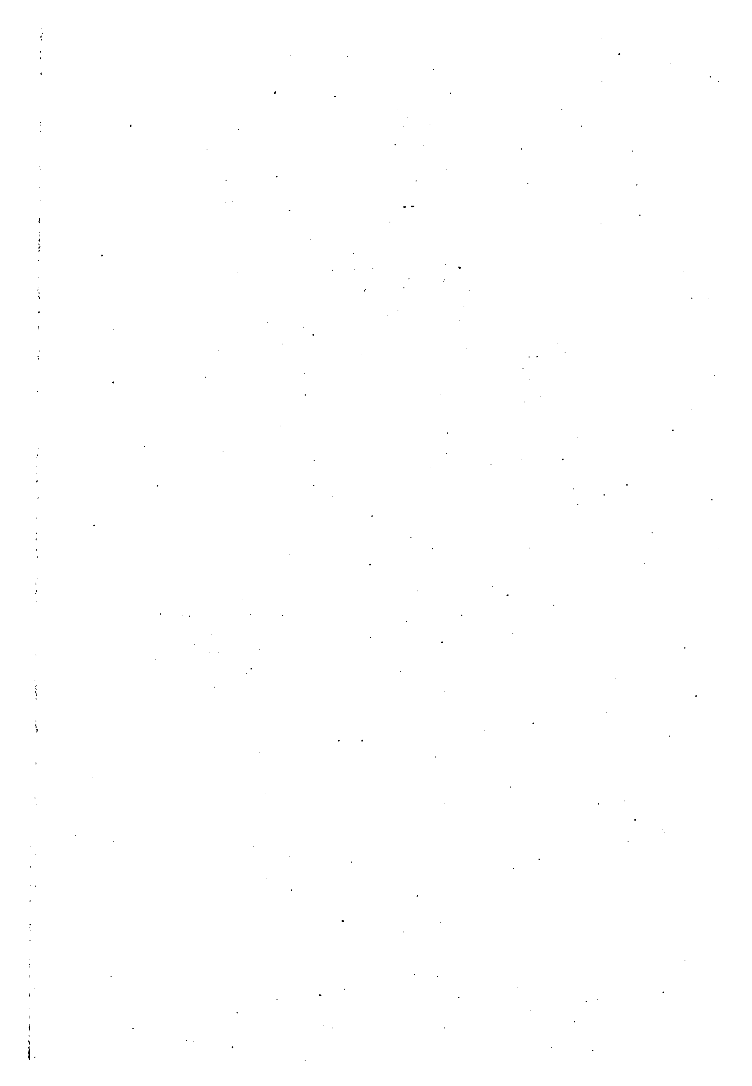


سادسًا: الاعتراف بتاريخية أنبياء من بني إسرائيل واجب حتّى عند من زعم أنّ التراث الإسرائيلي القريب من داود -عليه السلام- مزيّف كليّة؛ إذ إنّك مهما أخّرت تدوين اليهود تاريخهم؛ ستجد نفسك قريبًا من عصر أنبياء. ولذلك؛ فرغم تبنّي خزعل الماجدي لأشدّ القراءات تطرّفًا لتاريخ اليهود؛ إلا أنّه اضطر إلى الاعتراف بوجود الأنبياء نحميا وحجي وزكريا وحزقيال[1].

سابعًا: يقضي الكشف عن أسماء ملوك مملكة السامرة ويهوذا في آثار فلسطين قضاء تامًّا على الأطروحات الشاطحة التي تزعم أنّ التوراة قد تمّت كتابتها في اليمن كما في الكتابات الطافحة بالتدليس التاريخي والجغرافي واللغوي للصحفي اليساري فاضل الربيعي، وقبله كتاب كمال الصليبي «التوراة جاءت من جزيرة العرب». فالشواهد التاريخية، مُجْمِعةٌ وصريحة بلا أدنى شائبة شكّ أو تردّد في إثبات فلسطينية جغرافية التوراة منذ عصر داود -عليه السلام- على الأقل.

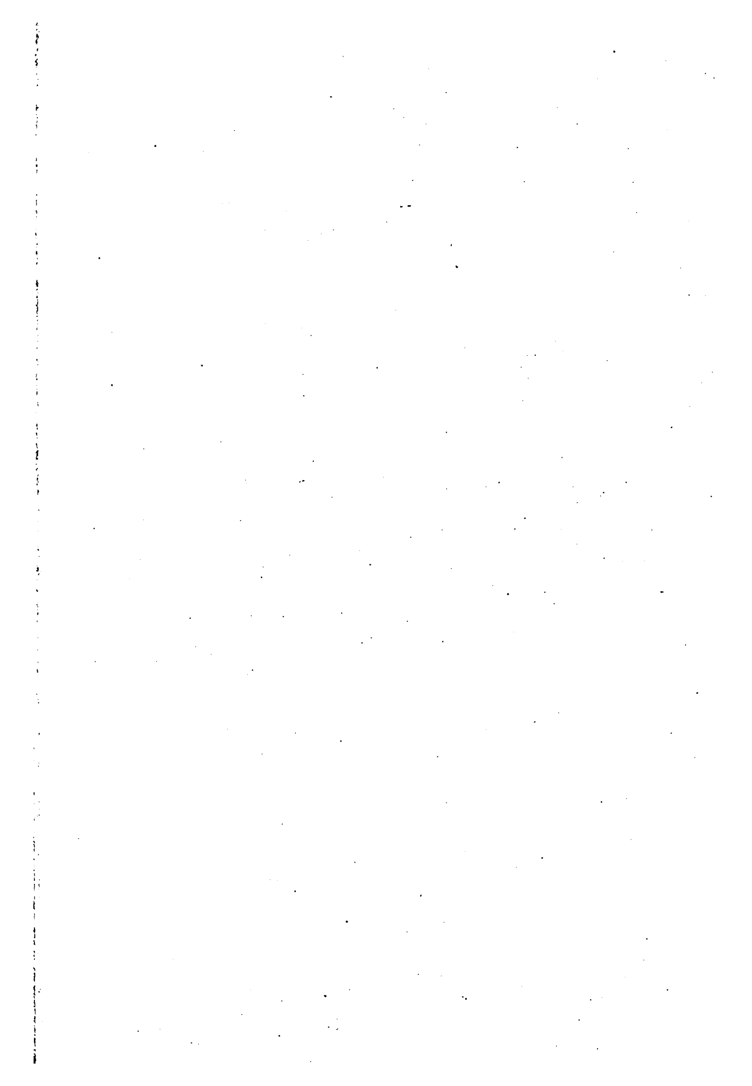
كلّ ما سبق، ينهي - عند المنصف - القول بأسطوريّة الأنبياء، ويجعل اللادينيّ المشكّك في تاريخيّتهم؛ مهدّدًا بالتناقض في تأصيله وتفصيله.

(1) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص 218، 228.



الباب الثاني

الوجود التاريخي للأنبياء
منذ عصر محمّد - صلّى اللّه عليه وسلّم -
إلى عصر عيسى -عليه السلام-

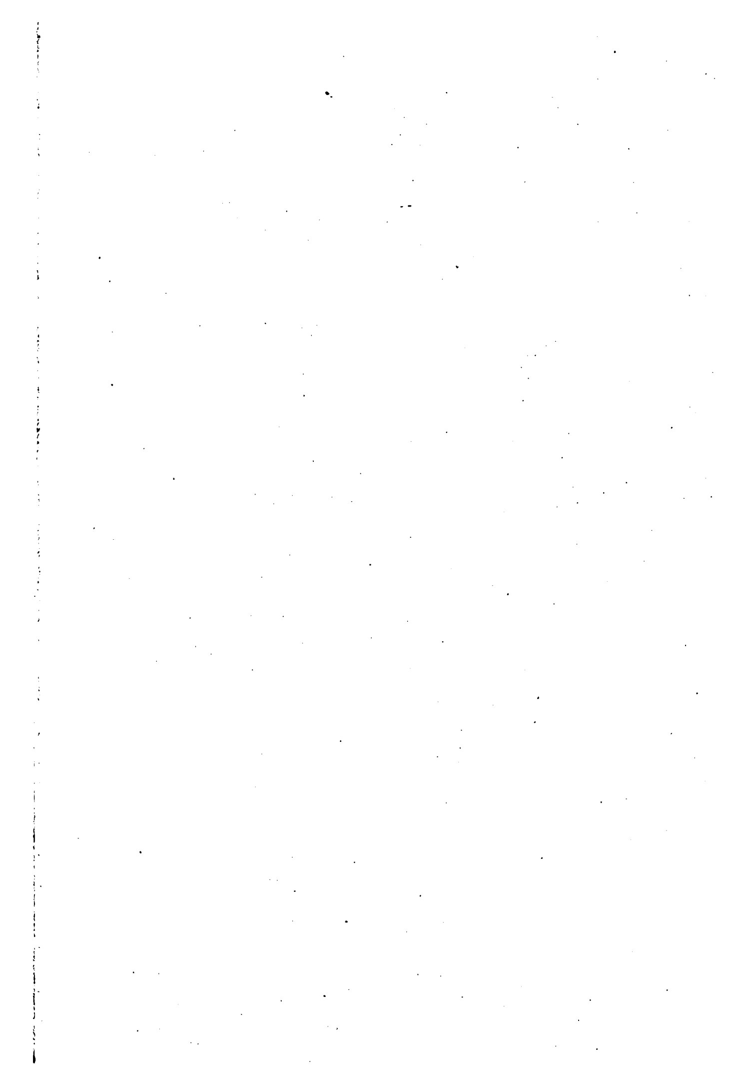


تمهيد:

يمتد تاريخ النبوة في القرآن إلى عصر ظهور أول بشر على وجه الأرض؛ وهو تاريخ طويل، بعضه فيه نور، والآخر نوره خافت، وثالث يهيمن عليه الظلام. وتتميّز المدّة من القرن الأول إلى القرن السابع الميلادي بأنّها أعظم أزمنة النبوة نورًا في شأن تداول الأخبار والمعارف - مقارنة بما سبق؛ إذ لم تظهر الطباعة بعد -، لانتشار الكتابة التأريخية بين المهتمين بالتاريخ، وتقارب الشعوب بعد أن عظم حجمها.

وقد جاء الخبر في القرآن أنّه قد ظهر في تلك القرون أربعة أنبياء: محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - في القرن السابع حيث أعلن نبوته في بلاد العرب، وعيسى ويحيى وزكريا - عليهم السلام -، وثلاثتهم في القرن الأول في فلسطين.

وسنتناول في هذا الباب البحث في الوجود التاريخي لهؤلاء الأنبياء في ضوء الشواهد التاريخية.



الفصل الأول
الوجود التاريخي لمحمد - صلّى الله عليه وسلّم -

المبحث الأول: محمد - صلّى الله عليه وسلّم - في التراث الإسلامي

محمّد - صلّى الله عليه وسلّم -، النبيّ العربي الذي أُرسل إلى الناس كافة. وُلد - صلّى الله عليه وسلّم - سنة 571 ميلاديًّا في مكة، في الحجاز. كان كتابه الذي أُنزل إليه القرآن، أوّل كتاب عربي، وهو أعظم دلائل نبوته.

وُلِد - صلّى الله عليه وسلّم - يتيمًا، واتّخذ التجارة مهنة قبل إعلان نبوّته. جاءه الوحي في سنّ الأربعين في غار حراء في مكة. كان التوحيد أعظم مبادئ دعوته، وتجديد ملّة إبراهيم مجال معركته مع قومه الوثنيين. استمرّ في الدعوة إلى ترك الشرك طيلة مرحلة الاستضعاف في مكة. ثم هاجر إلى يثرب حيث أقام دولة الإسلام.

عاش محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - في يثرب مع جيرانه من الوثنيين وبعض القبائل اليهودية. وكان في زمانه في منطقة نجران نصارى، كما غلب النصارى على البلاد المجاورة لجزيرة العرب، في العراق والشام والحبشة ومصر.

توفي محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - في سن 63، سنة 632م. وخلفه مجموعة من أصحابه في حكم دولة الإسلام؛ فانتشر الدين الذي دعا إليه بسرعة مدهشة في البلاد المجاورة، قبل أن تبلغ فتوحات هذه الدولة أوجها مع قيام الدولة الأموية (41 هـ - 662م / 132 هـ - 750 م) التي وصلت جنوب أوروبا غربًا وبلاد ما وراء النهر شرقًا.

ترك نبيّ الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم - من بعده ذريّة من نسل حفيدَيْهِ الحسن

والحسين ابني فاطمة بنته - عليهم السلام -. كما ترك للأمّة علماء ومربّين من صحابته لا يزال نسلهم إلى اليوم في تكاثر، في جزيرة العرب وخارجها، كما ترك دولة تحكم بالشريعة الإسلامية حتى سقوطها في القرن الرابع عشر هجريًّا.

تمّ تناقل سيرة نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وسلّم منذ عصر النبوّة بالأسانيد التي تنتهي إلى الصحابة الذين نقلوا أفعاله، وأقواله، وتقريراته، وأوصافه. وقد كانت العناية بالأسانيد في نقل هذه الأخبار عظيمة؛ حتّى إنّ علماء الإسلام قد أنشؤوا علمًا كاملًا في دراسة أسانيد هذه الروايات ومتونها، وإسقاط ما لا يصحّ منها، وهو «علم الحديث» الذي لم تعرف أمّة أخرى له نظيرًا.

إنّ حضور محمّد صلّى الله عليه وسلّم في أمّة الإسلام لم ينقطع منذ 15 قرنًا. فهو حضور طاغ على حياة المسلمين، العقدية، والتشريعية، والقيمية، والسلوكيّة؛ سواء بحضور شخصه عصر البعثة، أو بحضور ميراث الوحي والسيرة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لمحمد - صلّى الله عليه وسلّم-

وجود محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - أوضح واضحات التاريخ؛ إذ هو الخبر الذي غيّر مجرى حركة العقائد والأفكار والسياسة منذ القرن السابع الميلادي، وبه بدأ تاريخ جديد للبشرية؛ ولذلك أجمع عليه المؤرخون. وشواهده كثيرة، ومتعدّدة؛ يعسر حصرها. ولولا فوضى الأفكار وشطحات الدعاوى في أيامنا؛ لما تنزّل الكاتب ليُثبت ما لا سبيل لعاقل أن يُنكره. ولذلك سنبدأ في عرض الشواهد التاريخية لوجود محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ بنقل الإجماع على حقيقة وجوده بين المؤرّخين من غير المسلمين؛ قطعًا لوهم اختلاف الباحثين الجادّين في ذلك، ثم نعرض لبعض ما يؤكّد بداهة هذا الأمر.

المطلب الأول: إجماع المؤرّخين

كانت مسألة وجود محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - قضيّة مسلّمة، من بدهيات التاريخ منذ القرن السابع، ولا تزال كذلك حتّى اليوم، وإن ظهرت بعض الشخصيات الشاطحة منذ النصف الثاني من القرن العشرين لتشكّك في ذلك، وهي قلّة لا تعكّر الاتفاق على وجود نبي الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم-.

والإجماع على وجود نبيّ الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم - ليس نابعًا عند المستشرقين من تصديقٍ بربّانيّة القرآن أو كتب السيرة النبوية؛ فإنّ عامة المستشرقين ينكرون ربّانيّة القرآن ويبالغون في التشكيك في صدق الروايات الحديثية. وإنّما قد بلغت الشهادات على وجوده - صلّى الله عليه وسلّم - مبلغًا قاهرًا لكلّ شكوكية؛ حتّى قالت باتريشيا كرون[1] - وهي من أبرز المستشرقين تشكيكًا في الروايات الإسلامية وطعنًا فيها حتى زعمت أن مكة لا توجد في الحجاز وإنما في الأردن[2]!

(1) باتريشيا كرون Patricia Crone (1945 - 2015) : مستشرقة دانماركية مهتمة بالتاريخ الإسلامي المبكّر. درّست في أوكسفورد وكامبردج وبرنستون.

(2) Patricia Crone, *Meccan Trade and the Rise of Islam* (Oxford: Basil Blackwell, 1987).

- في مقالتها «ما الذي نعرفه حقًّا عن محمّد؟»: «لا شك في أن محمدًا كان موجودًا، بالرغم من المحاولات العرَضية لإنكار وجوده. سمع عنه جيرانه في سوريا البيزنطية في غضون عامين من وفاته على أبعد تقدير. ذكرَ نصٌّ يونانيٌّ مكتوب أثناء الغزو العربي لسوريا بين 632 و 634 أنّ «نبيًّا كاذبًا ظهر بين الساراكينوسيين[1]»... إذا كان هذا التاريخ المنقّح دقيقًا، فإن النص اليوناني يدلّ على أنّ محمدًا هو المؤسس الوحيد لدين عالمي يشهد على وجوده مصدر معاصر له. وعلى أي حال، فإن هذا المصدر يعطينا دليلًا لا يمكن دحضه على أنه شخصية تاريخية»[2].

كما شارك مايكل كوك زميلته كرون الإقرار بوجود محمّد - صلّى الله عليه وسلّم -، رغم أنّه شاركها تأليف كتابها: «الهاجريون» الذي يُعتبر أحد أهم الكتب الطاعنة في الروايات الإسلامية، والمتطرفة في قراءتها التاريخية والجغرافية للسيرة النبوية؛ فقد قال في كتابه «محمّد»، بعد أن ذكر المصادر الإسلامية وغير الإسلامية للسيرة: «ما الذي تقوله لنا هذه المادة؟ من الممكن أن نبدأ بالنقاط الكبرى التي تتفق مع التراث الإسلامي. لقد ألغت كلّ شك في شأن أنّ محمدًا شخص حقيقي. لقد سُمّي محمدٌ في مصدر سرياني من الراجح أنه يعود إلى زمن الغزوات، وهناك خبر عنه في مصدر يوناني من التاريخ نفسه... هناك برديّة من سنة 643 مؤرّخة على أنّها تعود إلى «سنة اثنان وعشرون»؛ بما يصنع افتراضًا قويًّا أنّ شيئًا ما قد وقع سنة 622م. وشهد المؤرخ الأرمني لأحداث ستينيات القرن السابع أنّ محمّدًا كان تاجرًا، وأكّد مركزية إبراهيم في دعوته. يَظهر المزار الإبراهيمي [الكعبة] في مصدر سرياني مبكّر يعود إلى سبعينيات القرن السابع»[3].

---

(1) الساراكينوسيون: لقبٌ كان يُطلق على العرب، ثم المسلمين منذ العصور الإسلامية الأولى وعلى مدى القرون الوسطى.

(2) Patricia Crone, "What Do We Actually Know About Mohammed», June 2008 < https://www.opendemocracy.net/en/mohammed_3866jsp/ >.

(3) Michael Cook, *Muhammad* (Oxford: Oxford University Press, 1996), p.74.

المطلب الثاني: شهادة التواتر

التواتر لغة هو التتابع؛ بأن يجيء الشيء بعد الآخر. واصطلاحًا - عند المحدّثين -: ما يرويه العدد الكثير الذي تمنع العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم، في كلّ طبقة، إلى منتهى الإسناد، ويكون مستند الخبر الحسّ[1].

فالتواتر بذلك مشروط بشروط شديدة؛ حتّى يفيد العلم اليقيني الذي لا يخالطه شك، خلاصتها:

- أن يكون عدد الرواة في كلّ طبقة كثيرًا؛ بما يمنع - في مجرى العادة - أن يتواطؤوا على الكذب.
- أن تكون الصفّة السالفة لهذه الكثرة في كلّ طبقة من طبقات رواية الخبر.
- أن يكون منتهى الرواية مستنده الحس؛ فلا عبرة بكثرة الرواة إذا كانوا ينقلون اجتهادًا عقليًا؛ إذ لا بدّ أن يرووا ما رأوا بأعينهم أو سمعوا بآذانهم، أو جسّوا بأصابعهم...

والشكّ في حجيّة التواتر يؤول ضرورة إلى السفسطة؛ فإنّ من شكّ في صدق الأخبار التي تتوفّر فيها هذه الشروط الشديدة؛ لا يمكنه أن يصدّق أي خبر يرويه الناس؛ لأنّ أخبار الناس إمّا متواترة أو دون ذلك، أي أخبار آحاد. ومعلوم أنّ معارف الإنسان إمّا حصيلة الأخبار أو قائمة على الأخبار. ومن ردّ الأخبار، لزمه الجهل، كجهل الأطفال قبل التلقين والتعلّم.

والناظر في خبر نبيّ الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم -، علم أنّ ما وصلنا منه من قرآن وأحاديث (الأفعال والتروك والإقرارات) متواتر بعضها، وبعضها آحاد في أفراده متواتر في معناه؛ كمجاهرته بالتوحيد في مكّة، وزواجه من عائشة رضي الله عنها، وهجرته إلى المدينة... فالأحاديث التي تتحدّث في الأمور التاريخية السالفة كثيرة

---

(1) انظر ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله الرحيلي (المدينة المنورة، 1429هـ/ 2008م)، 39 - 40.

جدًّا، يمتنع التواطؤ على اختلاقها، يرويها في الطبقة الأولى من رأوها بأعينهم.

وتواتر خبر وجود محمّد - صلّى الله عليه وسلّم -، هو تواتر طبقةٍ، وهو - عند فريق - فوق تواتر المحدّثين؛ إذ يُستغنى فيه عن الإسناد؛ فهو أن تأخذ طبقةٌ واسعة من الناس عن طبقةٍ واسعة أخرى الخبر؛ لأننا لو جزّأناه قطعًا وأجزاء؛ لكفى جزء من ألف جزئه لإفادة العلم اليقيني[1].

وبلغة الأرقام أقول: عدد الصحابة الذين يُشهد أنّهم رأوا الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد بلغوا أكثر من مئة ألف، وعدد التابعين الذين رأوا الصحابة أعظم من ذلك بكثير، وعدد تابعي التابعين الذين رأوا التابعين أضعاف ذلك. وتكذيب ما تلقّاه مئات الآلاف عن مئات الآلاف عن المئة ألف، من أمر تاريخيّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، عناد ما بعده عناد!

إنّنا - باختصار - أمام خبر رجل عاش في القرن السابع الميلادي، نُقلت لنا أقواله وأفعاله عن أكثر من ألف صحابي[2]، وروى عنهم أكثر منهم من التابعين، وروى عن التابعين أضعافهم من تابعي التابعين. وهذا نقل لا يوجد له نظير في التاريخ. ومن شكّ فيه؛ لزمه ألّا يُصدّق وجود بشر نُقل إليه أنه قد عاش على الأرض. ويكفي أن تعلم أنّ المسيح الذي أجمع النقاد على وجوده التاريخي لم يصلنا عنه أي خبر متّصل الإسناد؛ لتدرك مبلغ ضلالة الشكّ في وجود محمّد - صلّى الله عليه وسلّم-.

وممّا تواتر أيضًا، وجود طبقة من الناس في القرن الأول الهجري من نسل نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وسلّم. وقد كان لعدد من أفراد هذه الطبقة دور سياسيّ بارز جدًّا في بعض أهم أحداث القرن الأول، خاصة في الخصومة مع الدولة الأمويّة التي

(1) إمداد الحقّ السهلتي، هداية الساري إلى دراسة البخاري (داكا: دار الفكر الإسلامي، 1423هـ)، 3/ 298.

(2) رأى الرسولَ صلّى الله عليه وسلّم مئةُ ألف صحابي. وأمّا عدد من رووا عنه أحاديث دُوّنت في الكتب، فمختَلَفٌ فيه بين العلماء، وهو - إجمالًا - بين 1018 صحابي كما هو عدّ ابن حزم، وأربعة آلاف صحابي على قول الحاكم النيسابوري. (انظر سيد بن كسروي بن حسن، هدي القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، 1/ 6).

جاءت بعد الخلافة الراشدة. ورغم ما كان من صراع بينهم وبين الأمويين، إلّا أنّه لم يشكّك أحد من خصومهم في صلة الدم بينهم وبين نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وسلّم.

وإجمال الكلام بلغة هازلة؛ أن نقول لك إنّ التشكيك في وجود محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - مع توافر الأخبار الكثيرة المتصلة عنه -، يلزم منه إغلاق أقسام التاريخ في الجامعات، وسحب الشهادات من الخريجين.

المطلب الثالث: شهادة المصاحف

القرآن، النصّ التأسيسي للإسلام، عقيدة وشريعة. اجتهد عدد كبير من المستشرقين لإنكار ربانيته. ولما وجدوا أنّه يضمُّ من أخبار الأولين ما لا يملك أن يَعْلَمَهُ رجلٌ أُمّيٌّ من قريش في قلب صحراء الحجاز، ذهبوا في إثبات بشرية هذا الكتاب كلّ مذهب؛ حتّى قالت مدرسة المستشرق الأمريكي ونسبرو إنّ القرآن لم يظهر إلا آخر القرن الثاني الهجري ليسمحوا بتأثره ببيئة نصرانية متأخرة.

وجد مذهب وانسبرو صدى عند دعاة التنصير والإلحاد الشعبويين في الغرب. ولم يكن الرد الإسلامي هو القامع لهذه الدعوى؛ فإنّ هذا المذهب لا يأبه بأسانيد القرآن المحفوظة عبر كل جيلٍ، ولا لكتاب يُتلى في الصلوات الخمس في كل بلاد المسلمين منذ زمن البعثة، ونصوصه مصدر الفقه والأخلاق منذ السنة الهجرية الأولى. وإنّما جاء الردّ الحاسم في دراسات المستشرقين - غير المسلمين - الدارسين لمخطوطات القرآن، والذين جمعوا عددًا كبيرًا منها من القرن الأول الهجري.

يقول المستشرق الفرنسي فرنسوا ديروش - أبرز علماء مخطوطات القرآن اليوم-: «صحيح أنّ جون وانسبرو قد دافع عن فكرة أنّ النص - كما نعرفه - قد دُوّن بصورة متأخرة، واقترح أنّ نهاية القرن الثامن، أعلى تاريخ ممكن لهذه العملية. لكنّ الآثار المادية لتداولٍ كتابي للقرآن مطابق للنسخة العثمانية، تعود في أسوأ الأحوال إلى زمن لا يتجاوز نهاية القرن السابع، **قد استبعدت هذا الاحتمال بشكل قاطع**»[1]،

(1) François Déroche, *Le Coran* (Que sais - je?) (Presses Universitaires de France, 2014), pp.74 - 75.

مؤكدًا أنّ سور القرآن - مهما قيل في شكلها الأوّل - كانت موجودة في عصر نبي الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم -[1].

وقد جمعت المستشرقة إستال ويلان من مصادر عربية كثيرة ما يدلّ على انتشار ظاهرة نسخ المصاحف مع نهاية القرن الأول الهجري. كما استدلّت بالآيات المكتوبة على قبّة الصخرة لتأكيد أن تداول القرآن كتابة كان حقيقة واقعة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري[2].

كما أثبت البحث العلمي بالاعتماد على وسائل مختلفة (الخطاطة، والفيلولوجيا، والتاريخ، والكربون 14) أنّنا نملك بين أيدينا نسخًا من مخطوطات قرآنية تعود إلى العصر الأموي (القرن الهجري الأول وبداية الثاني)[3].

ومن مخطوطات القرآن التي ردّها المتخصصون في الخطاطة وتاريخ مخطوطات القرآن إلى القرن الأول الهجري:

1. مخطوطة منسوبة إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي، إسطنبول، رقم: 1.
2. مخطوطة أخرى تُنسب إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي، إسطنبول، رقم: 208. وهي تضم 300 ورقة، وفيها نقص في بداية المصحف وآخره.
3. مخطوطة أخرى تُنسب إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، محفوظة في أمانة خزانة، رقم: 10. تضم 83 ورقة.
4. مخطوطة أخرى تُنسب إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، محفوظة في متحف الفن الإسلامي، في إسطنبول. ناقصة من الأول والوسط والآخر.
5. مخطوطة منسوبة إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، محفوظة في المكتبة المصرية، القاهرة.

(1) Ibid., 75.
(2) Estelle Whelan, 'Evidence for the early codification of the Qur'an', *JAOS* 118 (1998), pp.10 - 14.
(3) François Déroche, *Qur'ans of the Umayyads: A First Overview* (Leiden ; Boston: Brill, 2014), p.7.

6. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مكتوبة على طرس، محفوظة في Muzesi Kutuphanesi، توبكابي سراي. رقم: (36E.H.29). تتكون من 147 ورقة.
7. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي. رقم: 33. تضم 48 ورقة.
8. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي. رقم: (25E.H.2). تضم 414 ورقة.
9. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في مكتبة رضا، رمبور، الهند. رقم: 1. تضم 343 ورقة.
10. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في صنعاء، اليمن.
11. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في المشهد الحسيني، مصر.
12. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في النجف، العراق. وتضم 127 ورقة.
13. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، موجودة أيضًا في النجف، في العراق.
14. مخطوطة منسوبة إلى الحسن بن علي -رضي الله عنه- (متوفى 50 هـ). محفوظة في مشهد، في إيران. وتضم 41 ورقة.
15. مخطوطة منسوبة إلى الحسن بن علي -رضي الله عنه-. محفوظة في مشهد، إيران. رقم: 12. وتضم 124 ورقة.
16. مخطوطة منسوبة إلى الحسن بن علي -رضي الله عنه-. محفوظة في النجف، العراق. وتضم 124 ورقة.

17. مخطوطة من 332 ورقة. محفوظة في المكتبة المصرية، القاهرة. رقم: 139 مصاحف.
18. مخطوطة منسوبة إلى خديج بن معاوية (توفي 63 هـ). نُسخت سنة 49هـ. محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي. رقم: 44. وتضم 226 ورقة.
19. مخطوطة كوفية الخط نُسخت سنة 74 هـ. محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي. رقم: 2. وتضم 406 ورقة.
20. مخطوطة منسوبة إلى الحسن البصري. محفوظة في المكتبة المصرية. رقم: 50 مصاحف.
21. مخطوطة من متحف الفن الإسلامي، محفوظة في إسطنبول. رقم: 358.
22. مخطوطة من 27 ورقة. المكتبة المصرية. محفوظة في القاهرة. رقم: 247.
23. مخطوطة من المسجد الكبير في صنعاء. محفوظة في دار المخطوطات، اليمن. رقم: DAM 01-27.1.
24. مخطوطة من المسجد الكبير في صنعاء. محفوظة في دار المخطوطات، اليمن. رقم: DAM 01 - 25.1.
25. مخطوطة من المسجد الكبير في صنعاء. محفوظة في دار المخطوطات، اليمن. رقم: DAM 01 - 29.1.
26. مخطوطة (Or. 2165). المكتبة البريطانية. لندن.
27. 5000 ورقة من مخطوطات متفرقة، المكتبة الوطنية الفرنسية. كثير منها من القرن الأول الهجري[1].

(1) See 'Abdullah David and M. S. M. Saifullah, Concise List of Arabic Manuscripts of the Qur'ān Attributable to The First Century Hijra, <http://www.islamic - awareness.org/Quran/Text/Mss/hijazi.html>

وقد درس المستشرق الإيطالي سيرجيو نوجا نوسيدا[1] مع فرنسوا ديروش المصاحف المكتوبة بالخط الحجازي، والتي تعود إلى القرن الأول للهجرة، وخلصا إلى أنها تحفظ ما يقرب من 83 ٪ من النص القرآني[2]. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذين العالمين لم يُدرِجا في دراستهما المصاحف المكتوبة على البرديات، ولا المكتوبة على الرقوق الحجازية المكتشفة في صنعاء، ولا المصاحف المكتوبة بالخط الكوفي.

والمدهش أنّ هنالك قرائن على أنّنا نمتلك مخطوطة تعود إلى عصر الخلفاء الراشدين، وهي مخطوطة توبنجن التي تملكها جامعة توبنجن Tubingen University (ألمانيا). وقد أثارت ضجة عالمية منذ سنوات قليلة؛ بعد أن دلّ البحث العلمي أنّ الجلد الذي كُتبت عليه قد هُيِّءَ للكتابة بين 649 - 675م، أي بعد سنوات قليلة من وفاة الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - 632م[3].

---

(1) سرجو نويا نوزاده Sergio Noja Noseda (1931 - 2008) : أستاذ اللغة والأدب العربيين في جامعة Università Cattolica del Sacro Cuore.

(2) F. Déroche and S. N. Noseda, eds. *Sources de la Transmission Manuscrite du Texte Coranique*. I. Les manuscrits de style hijazi.Volume 2. Tome I. Le manuscrit Or. 2165 (f. 1 à 61) de la British Library (London: Fondazione Ferni Noja Noseda, Leda, and British Library, 2001), p. xxvii

(3) Türk ve İslâm Eserleri Müzesi, Massumeh Farhad, Simon Rettig, *The Art of the Qur'an: Treasures from the Museum of Turkish and Islamic Arts* (Washington DC: Smithsonian Institution, 2016), p.66.

ورقة من المخطوطة القرآنية لجامعة توبنجن[1]

كما اهتم بعض الباحثين المسلمين بتتبع النقوش القرآنية المبكّرة على الصخور وغيرها في جزيرة العرب والشام، ومنها كتاب الدكتور غانم قدوري الحمد: «النقوش القرآنية المبكرة، دراسة في الدلالات التاريخية، والظواهر الكتابية». وهي بتنوعها الجغرافي تشهد لحضور النص القرآني الواسع والمبكر.

ولأجل ما سبق، وغيره، انتهى المستشرق نيكولاي سيناي في مقاله الذي أصدره السنة الماضية عن المصاحف المبكّرة، إلى أنّ الجدل حول أصل القرآن قد تم تضييقه في حدود القرن السابع الميلادي[2]. وذاك وحده يكفي للقطع بحجيّة وجود القرآن مكتوبًا على وجود محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

(1) Ibid.

(2) Nicolai Sinai, 'Beyond the Cairo Edition: On the Study of Early Quranic Codices', *The Journal of the American Oriental Society*, vol. 140, no. 1, 2020: 189 - 190.

المطلب الرابع: شهادة النقوش والمسكوكات والرسائل

النقش هو كتابة لكلام أو رموز على صخر أو جدار أو أي شيء ثابت. والاعتماد عليه في البحث التاريخي، عظيمٌ. وهو حجّة عند أكثر الأركيولوجيين شكوكية إذا كان معاصرًا للخبر أو قريبًا منه زمنًا، ولم تَحُمْ حوله تهمة التزوير أو التحريف. ومعلوم أنّ الجدل حول تاريخية شخصيات الكتاب المقدس كثيرًا ما ينتهي بالعثور على نقش يؤرخ اسمهم؛ ليتحوّل الشكّ إلى يقين؛ إذ لا دليل عند هؤلاء أعلى من وجود الاسم مكتوبًا في بيئته التاريخية القديمة.

ورغم أنّ البيئة الإسلامية في القرن الأول لم تَعْتنِ بنقش الأسماء على العمائر الإسلامية عناية الأمم الأخرى بذلك؛ إلّا أنّ التاريخ قد حفظ لنا نقوشًا تذكر اسم نبي الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم - أو أبرز أصحابه في سياقات مختلفة. وهاهنا بعض المحفوظ[1].

ختم الخليفة عبد الملك بن مروان[2]

يعود هذا الختم إلى زمن حكم عبد الملك بن مروان 65 - 86هـ/ 685 - 705م. وفيه على جهةٍ كلمةُ «فلسطين» وعلى الأخرى على حدود الدائرة شهادة التوحيد: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله. وفي الوسط: لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين.

(1) لن نذكر النقوش التي يُقال إنها تعود إلى عصر النبوة أو الخلفاء الراشدين؛ لأنّها لم تُدرس إلى الآن دراسة علميّة جادة تحسم الخلاف حول أصالتها، كنقوش جبل سلع (انظر عبد العزيز حميد صالح، تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2017، 2/ 174 - 179).

(2) < https://www.islamic - awareness.org/history/islam/inscriptions/seal2.html >.

ختم عبد الملك بن مروان
متحف الآثار، إسطنبول





درهم عبد الملك بن عبد الله[1]

درهم فضي يعود إلى سنة 66هـ/ 685 - 686م، وفيه:

عبد الملك بن عبد الله (بالفارسية الوسطى).

بسم الله محمد رسول الله.

عبد الملك بن عبد الله بن عامر حاكم بيشابور الزبيري.

---

(1) < https://www.islamic - awareness.org/history/islam/coins/drachm1 >.

درهم عبد الملك بن عبد الله
المتحف البريطاني، لندن





قبر عباسة بنت جريج[1]

اكتشف الباحث حسن الهواري بلاطة قبر امرأة اسمها عباسة بنت جريج، في أسوان. وعليها تاريخ 14 ذو القعدة لسنة 71 هـ/ 19 أبريل 691م.

نص النقش المكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(1) Hassan Mohammed El - Hawary, "The Second Oldest Islamic Monument Known Dated AH 71 (AD 691) From the Time of the Omayyad Calif 'Abd el - Malik Ibn Marwan», *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, 1932, pp. 289 - 293.

إن أعظم مصايب أهل الإ
سلام مصيبتهم بالنبي محمد
- صلّى الله عليه وسلّم-
هذا قبر عباسة ابنت
جريج (؟) بن سد (؟) رحمت الله
ومغفرته ورضوانه عليها
توفيت يوم الإثنين لأربع
عشر خلون من ذي القعدة
سنة إحدى وسبعين
وهي تشهد ألّا إله إلّا الله
وحده لا شريك له وأن
محمدًا عبده ورسوله
- صلّى الله عليه وسلّم-

بلاطة قبر عباسة
متحف الفن الإسلامي، القاهرة



THE TOMBSTONE OF 'ABBASA IBNAT GURAIG DATED A.H. 71 (A.D. 691).

درهم عبد العزيز بن عبد الله بن عامر[1]

درهم يعود إلى سنة 72 هـ/ 691 - 692م. وقد كتب على أحد وجهيه: عبد العزيز عبد الله (اسم الحاكم). وعلى الحاشية: بسم الله العزيز. وعلى الجهة الأخرى للعملة باللغة الفهلوية: اثنان وسبعون.

وبعدها:

(1) Malek Iradj Mochiri, "The Pahlavi Forerunner of the Umayyad Reformed Coinage», *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain And Ireland*, 1981, No. 2, pp. 168 - 172.

إله واحد لكنه

لا إله غيره

محمد رسول الله

PLATE I





Transitional Arab-Sasanian drachma of 'Abd al-'Aziz b. 'Abdallāh b. 'Āmir, issued for Sijistān (Sagastan) in 72/691-2. This coin has a previously unknown Pahlavi reverse legend.

دينار أموي للخليفة عبد الملك 72 - 74هـ(1)

دينار أموي، ذَهَبَ مايكل بيتز ووالكر إلى أنّه يعود إلى 72 - 74 هـ. وقد كتب

(1) M. L. Bates, 'History, Geography And Numismatics In The First Century Of Islamic Coinage', *Revue Suisse De Numismatique*, 1986, Volume 65, pp. 243 - 250.
Islamic Awareness, The Arab - Byzantine "Three Standing Imperial Figures» Dīnār From The Time Of Umayyad Caliph 'Abd al - Malik, 72 - 74 AH / 692 - 694 CE < https://www.islamic - awareness.org/history/islam/coins/dinar4>.

على حاشية أحد وجهي العملة: بسم الله لا إله إلا الله محمد رسول الله.

دينار عبد الملك
المتحف البريطاني، لندن، وغيره




نقش الخليفة عبد الملك بن مروان 73هـ[1]

اكتشف شالوم كوتزر حجرًا بازلتيًا رماديًا سنة 1961 في المياه الضحلة قبالة الشاطئ الجنوبي لبحيرة طبرية. تمّ نقل هذا الحجر سنة 1962 من الماء إلى مستعمرة «إسرائيلية». وعلى الحجر نقش من ثمانية أسطر بخط كوفي بسيط، محفور على سطح أملس إلى حد ما.

ويمكن الاستدلال مما هو مكتوب في السطر الرابع أنّ هذا الحجر قد نُقش لإحياء ذكرى صنع طريقٍ في زمن الخليفة عبد الملك. تم العثور على أربعة معالم من زمن هذا الخليفة تحمل اسمه في فلسطين في نهاية القرن الماضي. وفي ذاك شهادة على أهمية هذا الطريق زمن الخليفة عبد الملك. ويبدو أن هذا هو أقدم نقش في الإسلام يتعلق بافتتاح طريق.

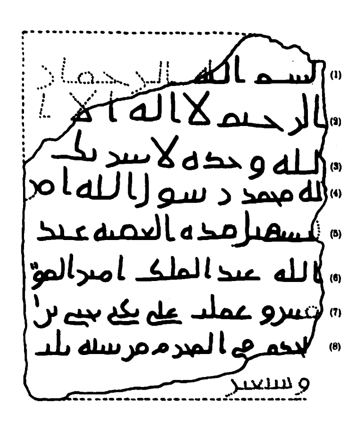
(1) Moshe Sharon, 'An Arabic Inscription from The Time of The Caliph 'Abd al - Malik», *Bulletin of The School of Oriental and African Studies*, 1966, Volume 29, pp. 367 - 372.

وهذا هو نص النقش:

بسم اللـ[ـه الرحمن]
الرحيم لا إله إلا ا
لله وحده لا شريك
له محمد رسول الله أمر
بتسهيل هذه العقبة عبد
الله عبد الملك أمير المؤ
منين وعملت على يدي يحيى بن ا
لحكم في المحرم من سنة ثلث
[وسبعين - - -]

نقش عبد الملك





كلمة «عقبة» في النقش تُستعمل لممر عند مرتفعٍ أو جبلٍ. ومن هذه العقبات، «عقبة التين» و«عقبة الرمان» و«عقبة السير». ولا يُعرف عند بحر الجليل غير عقبة واحدة، تُعرف عند الجغرافيين المسلمين «عقبة الفيق» أو «عقبة أفيق». وقد سُميت بهذا الاسم تبعًا لاسم قرية فيق أو أفيق. وقد كانت هذه المنطقة مهمّة جدًّا في الطريق من دمشق إلى القدس.

ومن الملاحظ أنّ الجزء المحفوظ من النقش ينتهي عند كلمة ثلث (ثلاث). وعِلمنا أنّ هذا النقش قد تمّ في حكم عبد الملك بن مروان، يجعلنا بين خيارين اثنين فقط: ثلاث وسبعين وثلاث وثمانين. وقد رجّح المستشرق موشي شارون في دراسته لهذا النقش الخيار الأول: ثلاث وسبعين[1].

(1) Ibid.

نقش إعادة بناء الحرم، 78 هـ[1]

هذا النقش، واحد من عشرات النقوش الإسلامية المبكرة المكتشفة في حمى النمور، قريبًا من الطائف، ضمن آيات، وأدعية للمغفرة والرحمة وإعلانًا للشهادة.

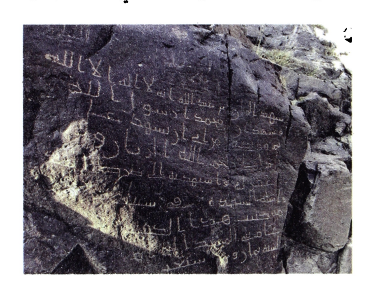
يتميّز هذا النقش بإثباته تاريخ كتابته بتاريخين اثنين، أولهما تاريخ إعادة بناء المسجد الحرام الذي أمر بالبدء في أشغاله الخليفة عبد الملك بن مروان سنة 75 هـ، وثانيهما ذكر السنة بعينها، وهي السنة 78هـ. ومما تميّز به هذا النقش أنّه أول نقش يذكر المسجد الحرام.

نص النقش:

شهد الريان بن عبد الله أنه لا إله إلا الله
وشهد أن محمدًا رسول الله
ثم هو يكفي من أتى أن يشهد على
ذلك رحم الله الريان
وغفر له وأستهديه إلى صراط الجنة
وأسأله الشهادة في سبيله
آمين كتب هذا الكتاب
عام بُني المسجد الحرام
لسنة ثمان وسبعين

(1) An Inscription Mentioning the Rebuilding Of Al - Masjid Al - Ḥarām, 78 AH / 697 - 698 CE https://www.islamic - awareness.org/history/islam/inscriptions/haram1.html >.

نقش إعادة بناء الحرم
حمى النمور، قريبًا من الطائف في بلاد الحرمين



بردية ب. نسانا، ستينيات القرن الأول الهجري(1)

بردية اكتشفت في عوجة الحفير، في فلسطين، فيها رسالتان بين 60 و70 هـ. وفيها نص عربي وآخر يوناني.

نص الرسالة الأولى:

بسم [الله] الرحمن الرحيم

[من بين بن] قيس إلى يزيد بن الأسود وعبيد اللـ[ـه] بن [...]

سـ[ـلم] علـ[ـيكم فإني أحمد إليك الله الذي] لا إله إلا هو

[إنّ] الله لا يحب الظلم ولا الفساد وإنكم لا

دعوتكم إلى أمر تأثمون فيه وتظلموا [...]

ذلك التي تندموا وتوجعوا فيها [... لكم]

[ ]

و[ ] غالبة فإنه بيس الرأي رأيتم أن

[ ] وتأخذوا ثمنها وإني قد

[ ].ا..و فإن يزيد بن فايد ليس له

[ ] له دفع وإن لأهل نصان ذمة الله

وذمة ر[سـ]ـوله فلا تحسبوا أن نقر لكم فيها ا

لفساد ولا الظلم فإذا جاكم كتبي هذا فا[...]

التي أنا [ ] فوالله لا [ ]ن منها

[...]ا ظلمًا إلا تسلفته من أمولكم حتا أنعم أن

(1) P. Nessana 77 - Earliest Papyrus Mentioning Dhimma, 60s AH / 680s CE
< https://www.islamic - awareness.org/history/islam/papyri/pness77 >.
R. Hoyland, 'The Earliest Attestation Of The Dhimma Of God And His Messenger And The Rediscovery of P. Nessana 77 (60s AH / 680 CE)», in B. Sadeghi, A. Q. Ahmed, A. Silverstein, R. Hoyland, eds., *Islamic Cultures, Islamic Contexts - Essays In Honor Of Professor Patricia Crone* (Brill: Leiden & Boston, 2015) - Volume 114, pp. 51 - 71.

[يـ]ـجـ[ـزي] من يفعل ذلك منكم في ماله فاعلم ذلك

[...] الله [إ]حسان ولا يغرنك وينـ[ـبغـ]ـي بين فـ[ذ]ين اما

[ ] [و] الـ[سلـ]ـم عليكم ورحمت الله

نص الرسالة الثانية:

[بسـ]ـم الله الرحمن الرحيم

[مـ]ـن بين بن قيس إلى يزيد بن فايد سلم عليك فإني أحمد

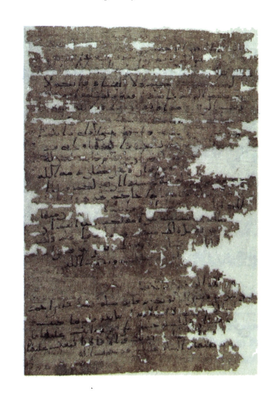
[إليـ]ـك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني ما كنت

[أعـ]ـرف أن يغلبك بن حسين على قرية أنت عليها فإن

[...]ا عليه فذلك وإلا فأذنا نبعث عليها

[مـ]ـن يكفيها والسلم عليك ورحمت الله

بردية ب. نسانا
هيئة الآثار «الإسرائيلية»





المطلب الخامس: شهادة غير المسلمين في العصر الإسلامي الأول

كان خبر ظهور نبي في جزيرة العرب في القرن السابع الميلادي أعظم حدث على الأرض؛ فقد نشأت عنه أمّة ودولة انتشرت في مناطق واسعة جدًّا في المئة سنة الأولى حتى وصلت جنوب أوروبا، وتحدّت أكبر إمبراطوريات العالم حينها. وكانت هذه الأمة - وهي تسيح في الأرض - تُخبر عن نبيها ورسالته.

لم يُنكر أحد من الذين عاشوا بين المسلمين أو جاوروهم في القرن الأول الهجري وجود نبي الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم -، وإنما اتفق الجميع على ذكر خبره؛ فهم بين ناقل عن المسلمين صحيح خبره، ومبغض شانئ دفعته حميته الصليبية أو اليهودية أن يقول فيه بالشائعات الباطلة.

وقد جمع المستشرق روبرت هويلاند في كتابه «الإسلام كما رآه الآخرون» شهادات كثيرة جدًّا عن الإسلام في كتابات غير المسلمين في العصر الإسلامي المبكّر (حتّى 164هـ/ 780م)، وهي شهادات متنوعة: باللغات السريانية والعبرية واللاتينية واليونانية والقبطية والصينية والأرمينية.

وسنكتفي هنا بقلّة من الشهادات التي نقلها هويلاند:

غزوات العرب (قريب من 636م)

كُتبت في الورقة الأمامية لمخطوطة سريانية تعود إلى القرن السادس تضم إنجيل متّى وإنجيل مرقس، بضعة أسطر تتحدث عن الفتح العربي، منها:

«دُمّرت قرى كثيرة بقتل (عربِ) محمدٍ أهلها، وقتل كثير من الناس و(أخذوا) أسرى من الجليل».

وقد ذهب المستشرق نولدكه إلى أنّ هذا النص قريب من أحداث معركة اليرموك التي ينقل خبرها[1].

توماس الكاهن (حوالي 640م)

كتب توماس الكاهن في تاريخه الذي ألّفه سنة 640م، في آخر حكم هرقل: «في عام 945... يوم الجمعة 7 فبراير (=634م) في الساعة التاسعة، دارت معركة بين الرومان وعربِ محمد في فلسطين، على بعد اثني عشر ميلاً شرق غزة»[2].

تاريخ خوزستان (حوالي 660م)

هذا تاريخ نسطوري مختصر اهتم بأهم فصول تاريخ الكنيسة والتاريخ السياسي من وفاة هرمز بن كسرى إلى نهاية المملكة الفارسية. وقد جاء فيه ذكر الفتوح الإسلامية. لم يُذكر في الكتاب اسم مؤلّفه.

(1) See Robert G. Hoyland, *Seeing Islam As Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam* (Princeton, N.J.: Darwin Press, 1997), pp.116 - 117.

(2) Thomas the Presbyter, *Chronicle*, pp. 147 - 148 (Cited in: Robert G. Hoyland, *Seeing Islam As Others Saw It*, p.120).

وممّا جاء في الكتاب: «ثم نصر الله عليهم أبناء إسماعيل، [وهم كثرة] كالرمل على شاطئ البحر، وقائدهم محمد. لم توقفهم جدران ولا بوابات ولا دروع، وسيطروا على كامل أرض الفرس. أرسل يزدجرد لمواجهتهم عددًا لا يحصى من القوات، لكن العرب هزموهم جميعًا وقتلوا رستم»[1].

تاريخ أرمينيا (حوالي 660م)

نُسب كتاب «تاريخ أرمينيا» إلى الأسقف الأرمني سيبيوس الذي عاش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، غير أنّ المحققين يرون أنّ النص من تأليف مؤلف مجهول عاش في الفترة نفسها. والكتاب على كل حال قد ألّف في حدود سنة 660م. ويبدو من خلال سرده للأحداث أنه قد عاش أثناء جريان بعضها. كما يبدو من خلال حديثه عن تولّي معاوية -رضي الله عنه- الحكم بعد الفتنة التي وقعت بعد الصحابة، أنّه قد عاش بعد فترة قريبة من ذلك. وقد تميّز الكتاب باعتماده على بعض الوثائق المكتوبة المهمة، واطلاعه على تفاصيل عدد من الأحداث الغامضة، وتوافق أخباره مع ما ذكره معاصروه[2].

كتب صاحب «تاريخ أرمينيا» في الفصل الثلاثين: «في تلك الحقبة ظهر رجل من بين العرب، من أبناء إسماعيل، يُدعى محمدًا، وصار عَلَمًا.... وعلّمهم (محمد) الإيمان برب إبراهيم، خاصة أنّه دارس وعالم بالتاريخ الموسوي. لأنّ الأمر جاء من السماء، فقد أمرهم جميعًا أن يجتمعوا سويًّا ويتوحدوا على الإيمان. وبعد أن تركوا تعظيم الأشياء الباطلة، اتجهوا نحو الله الحي الذي ظهر لأبيهم إبراهيم. شرع محمد لهم ألّا يأكلوا الميتة، وألّا يشربوا الخمر، وألّا يكذبوا، وألّا يرتكبوا الزنا. وقال: «لقد وعد الله تلك الأرض إبراهيم وابنه من بعده إلى الأبد. وما وُعد به تحقّق في ذلك الوقت عندما أحبّ [الله] إسرائيل. أما الآن فأنتم أبناء إبراهيم. والله سيفي بالوعد

(1) Robert G. Hoyland, *Seeing Islam As Others Saw It*, p.186.
(2) Ibid, pp.124 - 128.

الذي قطعه لإبراهيم وابنه بكم. فقط أحِبوا إله إبراهيم، واذهبوا وخذوا البلد الذي أعطاكم الله لأبيكم إبراهيم. لا أحد يستطيع أن يفلح في مقاومتكم في الحرب لأنّ الله معكم»[1].

يوحنا بن بنكاي (حوالي 687م)

ألّف يوحنا بن بنكاي - راهب من الشمال الغربي لبلاد الرافدين - كتابه عن تاريخ الخليقة. وقد انتهى في آخر فصوله إلى ذكر الفتح الإسلامي ومجاعة سنة 67هـ/ 686 - 687م. تحدث في كتابه عن بعض التفاصيل الدقيقة في التاريخ الإسلامي، كخبر ما كان بين الخليفة عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- ويزيد، وانتشار الأمن في عهد معاوية -رضي الله عنه-.

وقد وصف يوحنا بن بنكاي نبي الإسلام أنه هاد ܡܗܕܝܢܐ ومعلّم ܬܪܥܐ، وكنتيجة لتعاليمه «تمسّك العرب بعبادة الإله الواحد وفقًا لعادات الشريعة القديمة». كما وصف يوحنا نبي الإسلام أنه مشرّع. وذكر أنّ العرب «حافظوا على تقليد محمد... لدرجة أنهم فرضوا عقوبة الإعدام على أي شخص يُرى أنه يتصرف بوقاحة ضد قوانينه»[2].

تاريخ الأسقف يوحنا النقيوسي (حوالي سنة 690م)

يوحنا النقيوسي، أسقف مدينة نقيوس الواقعة شرق الدلتا في مصر. مؤرخ معاصر للعصر الأول للفتح الإسلامي لمصر. ألّف كتابًا في التاريخ، مفقود الأصل، قيل إنه باليونانية، وقيل إنه بالقبطية، وقد وصلتنا منه ترجمة أثيوبية.

جاء في تاريخ يوحنا النقيوسي 121. 10 - 11: «والآن فإنّ العديد من المصريين الذين كانوا مسيحيين مزيفين أنكروا الإيمان الأرثوذكسي المقدس ومعمودية

(1) Ibid, p.129.
(2) Ibid., pp.194 - 200.

الحياة، واعتنقوا دين المسلمين أعداء الله، وقبلوا عقيدة... محمد، وقد زاغوا مع أولئك الوثنيّين، وحملوا السلاح بأيديهم وحاربوا المسيحيين. وأحدهم، ويدعى يوحنا الخلقيدوني لدير سيناء، اعتنق دين الإسلام، وترك عادة راهبه، وأخذ السيف، واضطهد المسيحيين الذين كانوا أوفياء لربنا يسوع المسيح»[1].

(1) Joannes of Nikiou, *The Chronicle of John (c. 690 A.D.) Coptic Bishop of Nikiu: Being a History of Egypt Before and During the Arab Conquest* (Philo Press, 1981), p.201.

المبحث الثالث: أسباب التشكيك في وجود محمّد - صلّى الله عليه وسلّم-

الحديث عن إنكار الوجود التاريخيّ لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم، صادم لكثير من الناس؛ لأنّ هذه الدعوى لم تسمعها الآذان من قبل؛ فهي حديثة عهد بظهور، رغم وجود تاريخ طويل من الأدبيات المعادية للإسلام في الشرق والغرب... فما وزن هذا المذهب في ساحة العمل الفكري بين غير المسلمين؟ وإلى ماذا يستند أصحابه في طرحهم هذا؟

المطلب الأول: المذهب الشاذ بين غير المسلمين

ينطلق الخطاب الاستشراقي في الجامعات الغربية من دعوى أولى مبدئيّة، وهي أنّ القرآن كتاب بشريّ، وجهد «الأكاديمي» لا بدّ أن يتوجّه إلى كشف الطبيعة البشريّة له، بالبحث في مصادره الثقافية العربية واليهودية والنصرانية والزرادشتية... ورغم ولع هؤلاء «الباحثين» بكلّ دعوى غريبة ينتصرون بها لبشريّة القرآن؛ إلّا أنّهم ما اتّجهوا إلى إنكار وجود رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- -إلّا قلّة شاطحة- ؛ لأنّ ضريبة الالتجاء إلى هذا الخط الشكوكي المتطرّف؛ أن يصبح البحث في التاريخ بلا معنى؛ لأنه لا يمكن إثبات أيّ شيء مع هذه الشكوكية، مطلقًا..

ومن الظريف أنّ أشهر كتاب تشكيكي أُلّف في السنوات الأخيرة، هو كتاب الإسلاموفوبي الكاثوليكي المعروف روبرت سبنسر: «هل وُجد محمد؟». ومؤلّفه بلا أدنى أهلية علمية لتناول دراسة التاريخ الإسلامي؛ فلا هو يعرف اللغة العربية، ولا هو قد تلقى دراسة نظامية في التاريخ الإسلامي، وما اشتهر الكتاب بين العوام إلّا للخطاب التحريضي للمؤلف على المسلمين في وسائل الإعلام.

والكتاب مُزَعٌ من الدعاوى المتطرّفة، دون تحقيق، ونظر عادل. ولعلّ ذلك سبب

تجاهل الكتاب في الدوائر الاستشراقية بوضوح؛ ولا يكاد يُعثر على مراجعة نقدية له في المجلات العلمية التي تعتني بتقديم الكتب الأحدث.

وأهم من بيان قيمة الكتاب، حقيقةُ أنّ المؤلف قد ختم كتابه بقوله: «هل وُجد محمد؟ لعلّه وُجد كنبيّ للعرب علّمهم توحيدًا غير واضح المعنى. ولكن بعد ذلك، ضاعت قصة حياته في ضباب الأسطورة»[1]؛ أي إنّ تشكيك سبنسر - المتطرّف - لا يتعلّق بالوجود التاريخي لمحمّد - صلّى الله عليه وسلّم -، وإنما هو تشكيك في الصورة التراثية الإسلامية لمحمّد - صلّى الله عليه وسلّم-.

ولعلّ أشهر ما يُستدل به في الحديث الشعبي لإنكار وجود الرسول - صلّى الله عليه وسلّم -، تأخّر تأليف كتب السيرة، ووجود آثار للصلبان على العملة الإسلامية الأولى؛ بما يدل أنّ «المسلمين» الأوائل كانوا نصارى، وتغيير جغرافية مكة من الحجاز إلى الشام!

المطلب الثاني: دعوى تأخّر تدوين السيرة النبويّة

القول بتأخّر كتابة السيرة النبوية، غفلة معيبة عن حقيقة مصادر السيرة؛ فإنّ الظنّ أنّ السيرة قد كُتبت في القرن الثالث الهجري؛ بما يذهب بحجيّتها؛ منكر من جهة الظنّ أنّ كتب القرن الثالث تعتمد على جمع الشائعات المتناثرة هنا وهناك، كما هو حال الأناجيل. إذ إنّ عامة أخبار السيرة قد وصلتنا بالأسانيد المتّصلة إلى رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم-. وكذلك هو منكَرٌ من جهة الجهل أنّ الكتابة في السيرة أقدم من القرن الثالث؛ فقد كُتب في خبر الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - أو بعضه (كالشمائل والغزوات...) قبل القرن الثالث، كالمأثور عن موسى بن عقبة، المتوفّى سنة 141هـ، ومعمر بن راشد، المتوفّى سنة 154هـ، ومحمد بن إسحاق، المتوفّى سنة 151هـ، ونجيح بن عبد الرحمن، المتوفّى سنة 170 هـ، وعبد الملك ابن حزم الأنصاري، المتوفّى سنة 176هـ، والحافظ ابن وهب، المتوفى سنة 197هـ...

(1) Robert Spencer, *Did Muhammad Exist?: An Inquiry into Islam's Obscure Origins* (Wilmington, Delaware: Isi Books, 2012), p.214.

إنّنا هنا إزاء روايات لها آلاف الأسانيد، ولا تبعد عن عصر الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - إلّا أجيالًا قليلة. والشكّ في صحّة دلالة هذه الأسانيد على وجود نبيّ الإسلام - صلّى الله عليه وسلّم -، نوع صارخ من الجنون الذي يقتضي صاحبه ألّا يُصدّق من أخبار الناس شيئًا؛ فإنّه لا يُعرف لأحد على الأرض أخبار بهذا العدد من الأسانيد. هذا بالإضافة إلى أنّ القرآن، هو أهمّ مصادر السيرة، مع كتب الحديث التي تروي عامة أخبار النبوّة، والمسمّاة بالجوامع، أو كتب الحديث المعتنية بأحاديث الأحكام أساسًا، والمسمّاة بالسنن، وغير ذلك من دواوين السّنة الكثيرة المعروفة منذ القرن الثاني وما بعده، بالأسانيد المتّصلة. هذا دون أن نتطرق إلى ما دُوّن من الحديث في القرن الأوّل!

المطلب الثالث: الاستدلال بوجود الصلبان على العملة الإسلامية لإنكار عقيدة الإسلام

جواب شبهة وجود صلبان على العملات الإسلامية الأولى، سهل؛ فقد كانت هذه العملات معروفة عند الصليبيين منذ القرون الإسلامية الأولى، ومع ذلك لم تستثر فيهم الرغبة في التشكيك في وجود الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - ؛ إذ إنّ تفسير وجود الصليب في هذه العملات سببه أنّ الدولة الإسلامية كانت تتعامل مع أمم مجاورة في علاقات تجارية واسعة ومعقدة. والاستغناء عن هذه العملات مرّة واحدة، قرار فيه مخاطرة اقتصاديّة كبرى - في نظر الساسة - ؛ ولذلك تمّ التخلّص من الصليب ومن صور الأباطرة بالتدريج. وهذا ليس بالموقف الشاذ في تاريخ استعمال الأمم والدول الحادثة للعملات؛ فإنّ صكّ عملات جديدة لا يكون عادة حدثًا ثوريًا بلا مقدمات.

كانت دولة الإسلام محوطة بالدولة الفارسية والدولة البيزنطية. وقد حافظت العملة الإسلامية المبكرة على الشعارات الدينية للدولتين، قبل أن تتدرّج في إزالتهما.

ولو كان الإسلام ديانة نصرانية لوجود الصليب في عملته الأولى؛ لما كان في عملات دولة الإسلام الأولى شعار النار المقدسة للديانة الزرادشتية للدولة الفارسية!

فهذه مثلًا عملة نقدية تعود إلى عصر علي -رضي الله عنه- [1]، أو معاوية -رضي الله عنه-، على جهة منها عبارة «بسم الله» بالعربية، وبغير العربية «معاوية أمير المؤمنين». وعلى الجهة الأخرى صورة النار المقدسة للفرس، وعندها رجال يتعبّدون[2].



(1) عبد العزيز حميد صالح، تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، 2/ 185.

(2) J. Walker, *A Catalogue of The Muhammadan Coins in The British Museum*, 1941, Volume I - Arab - Sassanian Coins (British Museum: London, 1941) pp. 25 - 26.
(Cited in: Islamic Awareness, Arab - Sassanian Coin of Mu'āwiya, Darabgird, Frozen in Year 43 AH / 663 - 664 CE, <https://www.islamic - awareness.org/history/islam/coins/drachm12.html>).

وهذه عملة نقدية تعود إلى سنة 65 هجرية، وفي أحد وجهيها عبارة: «بسم الله. الله أكبر»، وعلى الوجه الآخر شعار النار المقدسة للزرادشتية[1]:



(1) S. Album & Tony Goodwin, *Sylloge Of Islamic Coins in The Ashmolean - The Pre - Reform Coinage of The Early Islamic Period*, 2002, Volume I, Ashmolean Museum: Oxford (UK), p. 23. (Cited by: Islamic Awareness, Arab - Sassanian Coin Of Salm Bin Ziyād, 65 AH / 684 - 685 CE, <https://www.islamic - awareness.org/history/islam/coins/drachm34.html>).

وهذه عملة نقدية سُكّت سنة 72 هـ، تحت حكم عبد الملك بن مروان. وفي وجهها عبارة: «بسم الله» و«محمد رسول الله». وعلى الجهة الأخرى نقش النار المقدسة للزرادشتية[1].



(1) Islamic Awareness, Anonymous Arab - Sassanian Coinage Of Syrian Origin Under ʿAbd al - Malik, 72 AH / 691 CE <https://www.islamic - awareness.org/history/islam/coins/drachm13.html>.

وهذه عملة إسلامية ذات طابع فارسي وبيزنطي معًا، وقد حذف منها نقش النار المقدسة، ووضع مكانه نقش للخليفة وهو يحمل سيفًا على جانبيه «خلفة (خليفة) الله» و«أمير المؤمنين». والعملة تعود إلى سنة 75 هجرية. وفيها انفصال تام عن المظاهر الدينية للفرس والبيزنطيين. وقد جاء على الوجه الآخر للعملة نقش: «ضرب في سنة خمس وسبعين» و«بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله»(1).



(1) J. Walker, 'Some New Arab - Sassanian Coins', *The Numismatic Chronicle and Journal of The Royal Numismatic Society*, 1952, Volume XII, Sixth Series, p. 110 and Plate IX.
(Cited in: Islamic Awareness, A Mixed Arab - Sassanian And Arab - Byzantine Coin from The Time of Caliph 'Abd Al - Malik, 75 AH / 694 - 695 CE
< https://www.islamic - awareness.org/history/islam/coins/drachm24.html>).

كما نلاحظ هنا حذف الصليب في هذه العملات البيزنطية التي تعود إلى سنة 74 هجرية تقريبًا[1]:



(1) M. L. Bates, 'History, Geography And Numismatics In The First Century Of Islamic Coinage', *Revue Suisse De Numismatique*, 1986, Volume 65, pp. 243 - 250.
(Cited in: Islamic Awareness, The Arab - Byzantine One And Two "Standing Imperial Figures» Dīnārs From The Time Of Umayyad Caliph ʿAbd al - Malik, 72 - 74 AH / 692 - 694 CE< https://www.islamic - awareness.org/history/islam/coins/dinar5.html>).



وخلاصة الأمر، ما قاله تيم ويلس - المتخصص في العملات الإسلامية -: «كما كان الحال في الإمبراطورية الساسانية السابقة، استندت النقود المبكرة في تلك الأجزاء من الإمبراطورية البيزنطية التي استولى عليها العرب على النماذج الأولية الموجودة. تمثّلت النقود الأولى بعد الغزو في تقليد النقود النحاسيّة البيزنطية المعاصرة. وقد تمّ تجاوز ذلك في نهاية الأمر بظهور عدة أنواع مختلفة مجهولة تعتمد بغير انضباط على التصميمات البيزنطيّة، مع أساطير بالعربية أو اليونانيّة. أخيرًا، في سبعينيات القرن الهجري الأوّل، ظهر نوع جديد فيه شخص الخليفة عبد الملك واقفًا»[1].

---

(1) Tim Wilkes, *Islamic Coins and Their Values Volume 1: The Mediaeval Period* (Spink & Son, 2015), p.18.

المطلب الرابع: دعوى نشوء الإسلام في «مكّة الشام» لا «مكّة الحجاز»

حاول بعض المتطرّفين التشكيك في التاريخ الإسلامي الأوّل؛ فقالوا إنّ مكة ليست في المكان المعروف اليوم فِي الحجاز، وإنّما هي في الشام. وهو قول يخالف التواتر الذي لم ينقطع، وتصديقه يلزم منه الإيمان بمؤامرة عظيمة في وضح النهار لتحويل الصلاة من قبلة إلى أخرى، دون أن يصلنا عنها شيءٌ في كتب التاريخ الإسلامي التي كانت تصف أدقّ التفاصيل المتعلقة ببيوت مكة، وأرضها، وعلمائها، ومتعلّميها.. تظهر مكة في الخرائط القديمة كما اليوم، وإن كان اسمها قديمًا مكوربا. وقد اختُلف في أصل الاسم القديم، والنظرية المفضّلة هي أنّها من العربية الجنوبية القديمة: «مِكراب» بمعنى «هيكل»[1]. وقد نقل إيان موريس - أستاذ تاريخ الشرق الأوسط، من جامعة سانت أندروز - الإجماع الأكاديمي - الذي لا يعكّر عليه شذوذ قلة - أنّ مكة هي مكوربا[2].

كما زعم دان جيبسون -كاتب كندي من الهواة- في كتابه «Early Islamic Qiblas (2017)» أنّ البتراء - في الأردن - كانت القبلة الأولى للمسلمين على مدى قرنين، معتمدًا - بزعمه - على قبلة المساجد الأولى. وروّج المنصّرون والملاحدة العرب لدعواه بصورة مكثّفة.

وقد ردّ عليه المستشرق دافيد كنج - وهو أغزر المستشرقين في العالم كتابة حول القبلة وعلاقتها بعلم الفلك في تاريخ الإسلام[3]، والمدير السابق لأهم مؤسسة

---

(1) Ian D. Morris, Mecca Before Islam: 2) Macoraba. MARCH 24, 2017
< http://www.iandavidmorris.com/mecca - before - islam - 2 - makoraba - macoraba/ >.

(2) المصدر السابق.

(3) من كتبه ومقالاته في شأن القبلة:

"al - Khalîlî's (universal) qibla table (for the whole world)» (1975).

"Some medieval values of the qibla at Cordova» (1978).

"Astronomical alignments in medieval Islamic religious architecture» (1982).

"The astronomical orientation of the Kaaba» (with Gerald S. Hawkins, 1982); and "Faces of the Kaaba» (1982).

"Al - Bazdawî on the qibla in early Islamic Transoxania» (1983).

"Architecture and astronomy: The ventilators of medieval Cairo and their secrets (regarding orientations in Cairo)» (1984). =

أوروبية معتنية بالتاريخ الإسلامي للفلك والرياضيات - ردًا مستفيضًا في مراجعته النقدية للكتاب، وفي غيرها. وبيّن أنّ أطروحة جيبسون بلا سند علميّ، وصاحبها يعمل في خدمة التنصير.. بل ووصفها بأنّها من «النظريات المعتوهة»[1]! وأنّها قد نُشرت «لإهانة المسلمين والبحث العلمي الغربي»[2]! وقد بيّن بالدليل العلمي خطأ نسبة المساجد التي ذكرها جيبسون إلى الاتجاه إلى البتراء، وأنّ جيبسون لم يُحسن فهم المعلومات المعروضة أمامه[3].

كما علّق المستشرق مارك أندرسون في مقالته: «هل كانت مكّة حقًا مهد الإسلام؟»[4] على أطروحة جيبسون بقوله: «إنّ الاعتقاد بأنّ مجتمعًا مترامي الأطراف وصعب المراس من الممكن أن يوافق بالإجماع على نقل مركزه المقدس، أو أن يتمكن بطريقة ما من القيام بذلك، دون ترك أثر واحد لذلك في سجلّه الحديثيّ، هو أمر بعيد جدًا - على أقل تقدير - »[5].

"The sacred direction in Islam: A study of the interaction of religion and science in the Middle Ages» (1985). =
"Kibla (mathematical aspects)» in *Encyclopedia of Islam* (1986).
"The earliest Islamic mathematical methods and tables for finding the direction of Makka» (1986),
"L'Islam et la science: le problème de la qibla» (1987).
"Makka as centre of the world» in Encyclopedia of Islam (1991).
"Qibla charts, qibla maps, and related instruments» (with Richard P. Lorch, 1992).
"Folk astronomy in the service of religion: The case of Islam» (1994).
"The orientation of medieval Islamic religious architecture and cities» (1995).
"Samt (direction)» in Encyclopedia of Islam (1995).
"Islamic astronomy» (1996).
"Two Iranian world maps for finding the direction and distance to Mecca» (1997).
World - Maps for finding the direction and distance to Mecca - Innovation and tradition in Islamic science (1999).
Finding Qibla in Islam, partial Persian translation by Hossein Nahid of World - Maps book, (2016).
In Synchrony with the Heavens: Studies in astronomical timekeeping and instrumentation in medieval Islamic civilisation (2004 - 05).
"The sacred geography of Islam» (2005).
"The qibla in medieval Córdoba and the orientation of the Great Mosque» (2017).

(1) David A. King, The Petra Fallacy: Early Mosques do face the Sacred Kaaba in Mecca, 15th September 2020

(2) David A. King, From Petra back to Makka - From "Pibla» back to Qibla, 22nd August 2017 < https://muslimheritage.com/pibla - back - to - qibla/ >.

(3) Ibid.

(4) وقد نشره المركز التنصيري: «مركز زويمر»، على صفحته على الشبكة!

(5) Mark Anderson, Is Mecca Really the Birthplace of Islam?

وكان أندرسون قد تناول بالبحث - في المقال السابق - النقاط الست التي يعتمد عليها القائلون إنّ الكعبة في البتراء، وانتهى إلى أنّها كلّها تدلّ على أنّ الكعبة، في موضعها المعروف اليوم، هي قبلة المسلمين الأوائل، وهي:

- البيانات القرآنية.
- أدلّة مكتوبة أخرى في وقت مبكر.
- بيانات الحديث عن مكة.
- السجل الأثري.
- تاريخ الطبري.
- ظروف مكة الجغرافية.

وبعيدًا عن تهافت دعوى جيبسون، لا بدّ من التنبيه أنّ هذا الكاتب لم يُنكر تاريخيّة نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما زعم أنّه صلّى الله عليه وسلّم عاش في البتراء لا مكّة!

الخلاصة:

- وجود إجماع بين المستشرقين على وجود محمّد صلّى الله عليه وسلّم. والقلّة المشكّكة في هذه الحقيقة، هامشيّة.
- شهدت لوجود محمّد صلّى الله عليه وسلّم أمّة كاملة من الناس عاشت معه. ونُقلت لنا شهادتهم عن أمّة من التابعين، ثم تابعي التابعين... وتواتر الخبر في كلّ طبقة.
- لنبي الإسلام صلّى الله عليه وسلّم نسل من حفيديه الحسن والحسين رضي الله عنهما. وقد كان لعدد منهم حضور سياسي بارز في القرن الهجري الأول.

<https://www.zwemercenter.com/is - mecca - really - the - birthplace - of - islam/>.

- جاء ذكر اسم نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وسلّم في وثائق مادية كثيرة ومتنوعة في القرن الأول الهجري (القرآن، العملات، النقوش، الرسائل..).
- شهد كثير من غير المسلمين المجاورين للبلاد العربيّة في القرن الأول الهجري على وجود محمّد صلّى الله عليه وسلّم.
- لم يشكّك أحد من أهل الكتاب في البيئة الإسلامية بوجود محمّد صلّى الله عليه وسلّم رغم طعنهم في الإسلام في أدبياتهم النقدية أو كتاباتهم التاريخية.
- الاعتراضات على الوجود التاريخي لنبيّ الإسلام صلّى الله عليه وسلّم، مبنيّة على سوء معرفة بالوثائق التاريخية أو سوء تفسير لها عن عمد.

الفصل الثاني
الوجود التاريخي لعيسى -عليه السلام-

المبحث الأول: عيسى -عليه السلام- في القرآن والأناجيل

عيسى -عليه السلام-، واحد من أولي العزم من الرسل في القرآن. أرسله الله - سبحانه - إلى بني إسرائيل لدعوتهم إلى التزام التوحيد الحق واتباع أحكام توراة موسى -عليه السلام-، إلّا ما خُفّف منها. وقد أبغضه عامة يهود عصره؛ وسعوا في قتله غير أنّ الله نجّاه من ذلك، ورفعه إليه.

وخلاصة صورة **الجانب التاريخي** في سيرة عيسى -عليه السلام- القرآنيّة، في الآيات التالية:

- وُلد عيسى -عليه السلام- من عذراء: قال تعالى عن أمّ المسيح - عليهما السلام -: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧)﴾ (آل عمران/ 47).
- تكلّم عيسى -عليه السلام- في المهد على مشهد من بعض الناس: قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)﴾ (مريم/ 27 - 29).
- نسبة عيسى -عليه السلام- إلى المسيحانية[1]: قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ

(1) المسيحانية: أي أنّه مسيح من المسحاء، وإن لم يكن هو «المسيح الرئيس» الذي تحدّث عنه اليهود في كتبهم القديمة. ولذلك فعيسى -عليه السلام- يُسمّى عادة في القرآن: «المسيح ابن مريم» أو «المسيح عيسى ابن مريم»؛ لأنّه لم يتفرّد بالمسيحانيّة. ولم يُطلق لقب المسيح دون ذكر الاسم أو بنوّة صاحبه لمريم - عليهما السلام - إلا في قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ (النساء/ 172)، وذلك لأنّ الآية السابقة تقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (المائدة/ 72)؛ وذلك لأنّ أوّل الآية نفسها فيه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (آل عمران/ 45).

- آمن فريق من بني إسرائيل بالمسيح الذي أُرسل إليهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ (الصف/ 14).
- أوى المسيح وأمه إلى ربوة: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ (المؤمنون/ 50).
- نجّى الله عيسى -عليه السلام- من القتل صلبًا، ورفعه إلى السماء: قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ (النساء 157/ 158).

الخبر القرآني عن المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام - ليس فيه تفصيل تاريخي لمسائل ظاهرة قابلة للرصد الأركيولوجي سوى وجود المسيح في فلسطين في القرن الأول، واختفائه من الأرض لاحقًا إثر طلب صلبه[1]. فلم يكن للمسيح سلطان سياسي، وإنما هي قلة من الأتباع المضطهدين من اليهود أثناء حياته على الأرض، ومن اليهود والرومان بعد مغادرته الأرض.

وأما عيسى -عليه السلام- في الأناجيل فخبره أوسع في تفاصيله؛ إذ الأناجيل الأربعة تروي خبره في سنواته الأخيرة على الأرض، مع تفاصيل قليلة عن طفولته في إنجيلي متّى ولوقا.

(1) اختلفت الفرق النصرانية المبكرة في شأن المصلوب.

والأناجيل بينها تعارض واضح في سرد أحداث قصّة المسيح، بين الأناجيل الثلاث الأولى (متّى ومرقس ولوقا) وإنجيل يوحنا؛ حتّى قيل إنّه يلزم من قبول الأناجيل الثلاث الأولى رفض الإنجيل الرابع[1].

تتفق سيرة المسيح في القرآن مع سيرته في الأناجيل في عناصر كبرى:

- الوجود التاريخي لعيسى -عليه السلام-.
- عيسى -عليه السلام- إسرائيلي الأصل (من ذرية يعقوب -عليه السلام-).
- ولادة عيسى -عليه السلام- من غير أب.
- وصف عيسى -عليه السلام- نفسه أنّه مسيحٌ (الأناجيل تزعم أنه المسيح الرئيس، المنتظر من اليهود).
- وصف المسيح نفسه أنّه نبي (النصارى يؤمنون أنّ عيسى -عليه السلام- قد ادّعى مع النبوة الألوهية في الأناجيل).
- اقتصار دعوة عيسى -عليه السلام- على بني إسرائيل فقط (إنجيل متّى يزعم أنه بعد صلب المسيح وقبل رفعه، أمر المسيح تلاميذه بدعوة كلّ الأمم).
- سعي اليهود للتخلص من عيسى -عليه السلام- بقتله.
- وجود خطة لقتل المسيح صلبًا.
- رفع المسيح إلى السماء.

والاختلاف الأكبر في أحداث سيرة المسيح بين روايتي القرآن والأناجيل واقع في أمر الصلب؛ إذ تُقرّر الأناجيل رفع المسيح على الصليب وموته عليه السلام، في

(1) Gilbert Van Belle and Sydney Palmer, 'John's literary unity and the problem of historicity', in Paul N. Anderson, Felix Just, Tom Thatcher, eds. *John, Jesus, and History, Volume 1: Critical Appraisals of Critical Views*, (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2014), p.217.

حين جاء في القرآن نفي وقوع الصلب، وعَدُّ ذلك من الوهم، دون بيان للتفاصيل التاريخية في كيفية نجاة المسيح من الصلب قبل رفعه، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ (النساء/ 157).

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لعيسى -عليه السلام-

هل يعكس الجدل الدائر في الأوساط الشعبوية حول وجود المسيح، نزاعًا علميًا جادًّا في هذا الباب؟ وما أدلّة كلّ فريق؟ هما سؤالان يلحّان على المرء؛ حتى يُدرك حقيقة الموقف العلمي للمتحدّثين، وأسبابه.

المطلب الأول: الإجماع العلمي على وجود عيسى -عليه السلام-

الطابع العام الغالب على الثقافة الشعبية في الغرب، الانفصال الواضح عن عالم الأكاديميا، واستسلامه لمروّجي المعرفة المبسطة على وسائل الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي. وهذه حقيقة معلومة؛ ساهمت في تضخم الخطاب المعرفي الشعبوي، وتقليص الخطاب العلمي التخصصي الذي لا يكاد يغادر المجلّات العلمية ضعيفة التوزيع.

وليس البحث الديني بمنأى عن الأثر الكبير للخطاب الشعبوي الذي تحكمه في الجدل اللاهوتي اعتبارات أيديولوجية بيّنة. وهذا أمر من الممكن إدراكه - مثلًا - من خلال سبر للآراء جرى في بريطانيا سنة 2015 حول عقائد الإنجليز؛ فقد شهد فيه 39 ٪ من المشاركين أن المسيح شخصية أسطورية[1] ورغم أنّ النسبة قد تكون معيبة بضعف منهج هذا السبر؛ إلا أنّ نسبة المؤمنين بخرافية شخصية المسيح تبقى مع ذلك عالية.

هذه الشكوكية التي بثتها وسائل التواصل الاجتماعي حيث ينشط الملاحدة بقوة، مستعينين بالعنف اللفظي والأسلوب التهكمي بالمخالفين، تخالف إجماع الدوائر الأكاديمية من المتخصصين في دراسة حياة عيسى -عليه السلام- من مختلف الانتماءات العقدية (نصارى، يهود، ملاحدة، لاأدريين...) على الوجود التاريخي للمسيح -عليه السلام-.

(1) Aaron James, Two in five think Jesus is a mythical figure. Premier Christian. 21 Sep 2015. < https://premierchristian.news/en/news/article/two - in - five - think - jesus - is - a - mythical - figure>.

وقد شهد لهذا الإجماع الناقد الكبير بارت إيرمان الذي يُعدّ اليوم أشد خصوم النصرانية شراسة، وأحد أقطاب البحث عن يسوع التاريخي في الدوائر الأكاديمية، في كتابه «هل وُجد يسوع؟» الذي ألّفه للردّ على منكري تاريخية المسيح -عليه السلام-[1]. فمن تقريراته، قوله: «أتّفق مع شفايتزر وتقريبًا جميع العلماء في هذا المجال منذ زمنه، على وجود يسوع»[2].

هو إجماع لا تُنكره حتى القلة القليلة الهامشية التي تشاكس في أمر تاريخية المسيح، مثل الباحث الملحد رفائيل لتستر[3] وغيره. والطابع الأبرز لهذه القلّة أنّها بعيدة كليّة عن التخصص الأكاديمي في الدراسات التاريخية للنصرانية - إلّا نادرًا -، مع غلبة حماستها الأيديولوجية في كتاباتها.

ومن ظريف هذا الباب أنّ ج. أ. ويلز[4] - الذي يُعد أبرز أعلام الكتاب القائلين بخرافية المسيح في القرن العشرين بشهادة بارت إيرمان - قد عاد إلى الإقرار بأنّ الوثيقة (Q) التي اعتمد عليها مؤلفا إنجيلي متّى ولوقا تضمّ شيئًا من التاريخ الصحيح المثبت لوجود شخص عيسى -عليه السلام-.

وقد كتب ويلز في بيان تراجعه: «جادلتُ في كتبي الأولى لإثبات أنّ يسوع الإنجيل هو توسّع خرافي تمامًا ليسوع الرسائل الأولى... ما عُدتُ أتبنّى هذا الموقف. وجه الضّعف في موقفي واجهني به بقوة ج.د.غ. دان الذي اعترض عليّ بأنّه ليس بإمكاننا حقيقة أن نفترض أنّه من الممكن أنّ تراثًا مركّبًا كما هو عندنا في الأناجيل ومصادرها قد تطوّر في مثل هذه الفترة القصيرة منذ كتابة الرسائل الأولى دون أساس تاريخي.

---

(1) كان إيرمان - اللاأدري - النجم الأبرز للملاحدة في الرد على النصارى لانتمائه إلى نخبة الأكاديميين الدارسين للنصرانية. وكان كتابه «هل وُجد يسوع؟» ضربة موجعة لهم.

(2) Bart D. Ehrman, *Did Jesus Exist?: The Historical Argument for Jesus of Nazareth* (New York: HarperOne, an imprint of HarperCollinsPublishers, 2013).

(3) See Raphael Lataster, *Questioning the Historicity of Jesus* (Leiden; Boston: Brill, 2019), p.2.

(4) جورج ألبرت ويلز George Albert Wells (1926 - 2017) : أستاذ اللغة الألمانية في جامعة لندن. أصدر مؤلفات في تاريخ الفكر الغربي بالإضافة إلى كتاباته في تاريخية يسوع.

وجهة نظري الحالية هي: هذا [التراث] المرُكّب لا يعود كلّه إلى ما بعد عصر بولس (المصدر Q، أو حتّى بعض هذا المصدر، قد يعود إلى عصر مبكر حوالي 50 م)... النقطة الأساسية كما أراها، هي أن مادة Q، سواء أكانت كافية أم لا كدليل على تاريخية يسوع، تشير إلى شخصية لا يمكننا مطابقتها مع المسيح المقتول والقائم من الموت في الرسائل المبكرة»[1].

لم ينشأ القول بإنكار الوجود التاريخي للمسيح في دوائر البحث التاريخي أو اللاهوتي العلمية، وإنما نشأ في بيئة غير علمية، عن رغبة في مخاصمة الحضور الديني في المجتمع؛ فإنّ أوّل كاتب زعم أسطورية المسيح هو مؤلّف فرنسي ملحد من القرن الثامن عشر اسمه فرنسوا فولني François Volney، عضو في المجلس الدستوري أثناء الثورة الفرنسية، نشر ذلك في رسالة بالفرنسية سنة 1791 عنوانها: «الأطلال أو تأملات في ثورات الإمبراطوريات». وقد بقيت دعوى الأسطورية مجهولة حتى اشتهرت في الأوساط الشعبية بعد صدور كتاب آرثر دروز Arthur Drews «أسطورة المسيح» سنة 1909!

المطلب الثاني: أدلّة وجود عيسى -عليه السلام-

الشهادة على تاريخيّة المسيح -عليه السلام-، وأنّه عاش منذ ألفي سنة، متعددة المصادر، كلّ واحد منها حاسم في إثبات هذا الأمر. وأهم هذه الشهادات:

أ. الطوائف المسيحيّة الأولى

الإشكال الأكبر الذي يواجه دعاة أسطورية المسيح، عجزهم عن تقديم تفسير معقول لظهور فرق نصرانية منذ القرن الأول؛ أي بعد فترة قصيرة جدًا من الزمن الذي يُقال إنّ المسيح قد رُفع فيه إلى السماء. إنّنا هنا لسنا إزاء فجوة تاريخيّة بين الرمز الديني وأشياعه، كما أنّنا لسنا إزاء رمز دينيّ اتّبعه فرد أو اثنان بعد عقود من اختفائه. إنّنا أمام تشكيلات دينية ذات رؤى لاهوتية، عاشت في زمن قريب من عصر هذا الرمز.

(1) George Albert Wells, *Can We Trust the New Testament?* (Illinois: Open Court Publishing, 2004), pp.50 - 51.

ب. الأناجيل

كتابة الأناجيل الأربعة - بما فيها من تفصيل في سيرة المسيح عليه السلام - في القرن الأول، سبب عظيم لإثبات تاريخيّة شخصيّة المسيح. لا تعود حجيّة الأناجيل هنا إلى اعتقاد ربانيتها وعصمتها من الزلل؛ فإنّ كثرةً من العلماء القائلين بتاريخيّة المسيح تُنكر عصمة نص الأناجيل، ومن أفرادها من له مؤلفات في نقض ربانيتها، وكشف تناقضاتها، وإثبات تحريفها، وضياع أصولها ونسخها الأولى - مثل بارت إيرمان - ؛ فهؤلاء النقّاد يميّزون بين البحث في ربانية النص أو دقته التاريخية، من جهة، وقيامة كله - بخطوطه العريضة، وتفاصيله - على خرافة لا أصل لها البتة، من جهة أخرى.

والثابت عند جميع المؤرخين أنّه من السائد في الزمن القديم أن تكون المرويات المتعلقة بالشخصيات الدينية أو السياسية موجهة للتمجيد أو الذم بغير حق. ولم يمنعهم ذلك من طلب استخلاص الحقيقة من بين ركام الأباطيل والأكاذيب. وليس من عادتهم نسبة هذه القصص إلى الأسطورة المحضة، إذا كُتبت بعد عقود من وفاة بطلها، وخلّفت وراءه تيارًا دينيًا حيًا يذكر تفاصيل أفعاله وأقواله. ولذلك لم يجد هؤلاء المؤرخون حاجة إلى مخالفة هذه السُنّة العلميّة في بحثهم في قصّة المسيح.

ت. بولس

تقدّم رسائل بولس التي يتفق عامة النقاد على أصالتها - وهي قرابة نصف الرسائل المنسوبة إليه في العهد الجديد - [1] أقرب شهادة تاريخية على وجود المسيح؛ إذ إنها قد كتبت بعد عقدين أو ثلاثة من اختفاء المسيح. ويرى دعاة خرافية شخصية المسيح أنه لا قيمة لها في هذا البحث لأنّ حديث بولس كان في اللاهوت المسيحي لا الخبر التاريخي للمسيح، مع إقرار الجميع أن بولس لم ير المسيح البشري.

---

(1) Ralph P. Martin, Carl N. Toney, *New Testament Foundations: An Introduction for Students* (OR: Wipf and Stock Publishers, 2018), p.373.

وجواب اعتراضهم:

- تنطلق هذه الرسائل من مُسَلَّمَة وجود المسيح، ولم تناقش البتة دعوى اختلاقه، سواء ابتداء من بولس أو ردًّا منه على خصوم المسيح.
- الشهادة لوجود عيسى -عليه السلام- هي محلّ الجدل لا تفاصيل حياته؛ فإذا جاءت الشهادة لذلك؛ فقد قامت الحجة.
- كان جدل بولس مع معاصريه في الحملة اللاهوتية لدعوة المسيح، لا تفاصيل رحلاته، ومن لقي من الناس؛ ولذلك فلا عجب أن يكون همّه الجدل اللاهوتي لا التاريخي.
- لم يكتب بولس كتابًا في تأريخ دعوة المسيح حتى يُحاكم إلى طبيعة معرفته بحياة المسيح؛ وإنما كتب رسائل ذات طابع دعوي أرسلها إلى أقوام مختلفين. وطبيعة الرسائل الدعوية ممن يشاركونه عامة المذهب الديني غير المؤلفات التاريخية الصرفة.
- لا تخلو الرسائل المنسوبة إلى بولس من إشارات إلى أوصاف تاريخية للمسيح (وإن لم يلزم من ذلك صحتها تاريخيًا)؛ مثل ولادة المسيح من امرأة (إشارة إلى ولادته العذرية أو البشرية) في رسالته إلى غلاطية 4/ 4، وأنّ له تلاميذ في رسالته الأولى إلى الكورنثيين 15/ 5، وأنّه صلب في رسالته إلى غلاطية 3/ 1، وأنّه قام من الموت في رسالته إلى فيلبي 3/ 10 - 11...
- في هذه الرسائل إشارات متكررة إلى وجود جماعات تنسب نفسها إلى دعوة المسيح في الأماكن التي تواصل معها بولس؛ بما يعني أنّ بولس لم يُنشئ قصة وجود المسيح وأن له دعوة دينية، وإنما هو مسبوق بجماعات قريبة جدًّا من عصر المسيح.

ث. خصوم الكنيسة

عرفت الكنيسة خصومة حادة مع اليهود والوثنيين، وتوسّعت دائرة الجدل معهم في مسائل لاهوتية وتاريخية ونصيّة كثيرة؛ ولكن لم يقل أحد من خصوم الكنيسة إنّ المسيح لم يوجد. وهذا أمر من الممكن أن ندركه من خلال ردود النصارى منذ القرن الثاني على خصومهم. وهي ردود متوسعة، وفيها تفصيل يجلّي طبيعة الجدل وأبوابه.

ومن الأمثلة على ذلك رد النصارى على الفيلسوف الوثني كلسوس Κέλσος في القرن الثاني الذي ألّف كتابًا بعنوان: «الكلام الحق» «Λόγος Ἀληθής» في الردّ على النصرانية من أكثر من وجه. وقد وصلنا خبر ما فيه من خلال ردّ أريجانوس عليه في مؤلف تفصيلي بعنوان: «Κατὰ Κέλσου». ورغم سلوك كلسوس كل طريق (بحق أو بباطل) للرد على النصرانية، كالزعم أنّ المسيح -عليه السلام- ابن زنا من علاقة محرّمة مع جندي روماني، وأنّه قد سافر إلى مصر حيث تعلّم السحر، إلا أنّه لم يجد سبيلًا للقول بخرافية عيسى -عليه السلام-[1].

كما أنّ التراث اليهودي الأقدم الذي جمع لاحقًا في التلمود لم يعرف دعوى إنكار تاريخية عيسى -عليه السلام-، وإنّما أورد مجموعة من التهم الدينية والأخلاقية الطاعنة في عدالته وعرضه -عليه السلام-[2].

---

(1) نقله أريجانوس، الرد على كلسوس، 1.

(2) See Peter Schäfer, *Jesus in the Talmud* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2009).

المبحث الثالث: أسباب التشكيك في وجود عيسى -عليه السلام-

تدور دعوى إنكار الوجود التاريخي للمسيح على ثلاث مسائل: غياب ذكر المسيح في الشواهد الأركيولوجية، وفي الكتابات التاريخية، ومشابهة كلّ تفاصيل قصّته لأساطير أبطال الأمم الوثنية.

المطلب الأول: دعوى غياب أدلة الآثار

يقول المنكرون للوجود التاريخي لعيسى -عليه السلام- إنّنا لا نجد لعيسى -عليه السلام- ذكرًا في نقوش القرن الأول؛ وهو ما يُثبت خرافية قصته كلّها.

أجاب بارت إيرمان في كتابه «هل وُجد يسوع؟» على شبهة غياب الدليل الأركيولوجي على وجود المسيح -عليه السلام- بقوله إنّ شخصيات كثيرة يقطع البحث التاريخي أنّها قد عاشت في القرن الأول أو قبله بقليل، ومع ذلك فلا شاهد لها من النقوش. ولذلك نبّه إلى إنّ عدم كفاية الأدلة لا يعني أن الشخص لم يكن موجودًا في ذلك الوقت. وذاك يعني أن المسيح قد كان مثل 99.99 ٪ من بقية العالم في ذلك الوقت، بلا تأثير على السجلّ الأثري.

ووضّح إيرمان أنّ الشخصيات التي يشهد لها الدليل الأركيولوجي في فلسطين زمن المسيح هي قلّة قليلة من زبدة نخبة الأرستقراطيين الذين حُفظ ذكرهم في النقوش. وليس لدينا أي شاهد أركيولوجي اليوم لأيّ يهودي غير أرستقراطي زمن شباب المسيح (عشرينيات القرن الأول). ولا أحد يعتقد أن المسيح كان من طبقة الأرستقراطيين في زمانه.

ثم إنّ المسيح -عليه السلام- لم يكن قائد جماعة لها سلطان سياسي في فلسطين، ولا كان تلاميذه على تلك الصورة؛ ولذلك فلا يُتوقّع أن نجد نقوشًا على المباني الرسمية في أورشليم أو غيرها، في نسبة هذا العمران إليه، أو تمجيده.

المطلب الثاني: دعوى غياب شهادات مؤرخي القرن الأول

تُكرّر القلّة المنكرة لتاريخية عيسى -عليه السلام- أنّ غياب ذكر هذا النبي في كتابات مؤرخي القرن الأول تمنع تصديق وجوده؛ فإنّ هذه الكتابات قد فصّلت في أمر كثير من أخبار فلسطين في القرن الأول، ومع ذلك لم تُحدث له ذكرًا.

وجواب ذلك من أوجه:

أولًا: لا نعرف من فصّل أمر فلسطين تاريخيًا من أهل القرن الأول - ممن وصلتنا كتبهم، وما أكثر الكتب المفقودة! - سوى المؤرخ اليهودي يوسيفوس؛ فهذا الإيحاء أنّ التاريخ الفلسطيني المكتوب من مؤرّخي القرن الأوّل واسع، كتبه كثيرون، ووصلنا عن جميعهم أو عن عامتهم؛ لا يصحّ.

ثانيًا: ولد يوسيفوس سنة 37م، أي بعد رفع المسيح -عليه السلام-، وتوفي سنة 100م، وألّف كتابه «عاديات اليهود»[1] قبل نهاية القرن الأول (العقد التاسع)؛ فلم يعش أيام المسيح؛ ولذلك فإغفاله بعض ما لم يجر في أيّامه غير بعيد؛ خاصة أن المؤمنين بالمسيح كانوا قلّة، وما كانوا أهل سطوة مادية أو سلطان سياسي. ولم تكن النصرانية التحدي الأكبر ليهوديته، خاصة بعد أحداث إحراق الهيكل من طرف جيش القائد الروماني تيتوس سنة 70م للقضاء على الثورة اليهودية.

ثمّ إنّ زمن يوسيفوس كان حيًّا بالأحداث ودعاوى النبوة والثورات الدينية؛ بما يجعل إغفال بعضها غير بعيد؛ فقد ذكر - مثلًا - في كتابه «عاديات اليهود» ثورة قام بها السامريون سنة 36م بقيادة شخص أغفل يوسيفوس اسمه؛ لاستعادة جبل جرزيم بعد أن حرضهم على ذلك. وقد خرج الثوار في جماعة عظيمة لهذا الأمر؛ غير أنّ بيلاطس حاصرهم بعدد كبير من الفرسان والمشاة، فقتل منهم فريقًا، وفرّ الآخر. وأمر بيلاطس بقتل زعيمهم. وقد تظلّم السامريون لروما؛ حتّى إن بيلاطس استُدعي إلى روما للدفاع عن نفسه بسبب هذه المجزرة[2].

---

(1) Jewish Antiquities

(2) Josephus, *Jewish Antiquities*. 18.4.

كما ذكر يوسيفوس ثورة قادها يهودي من مصر لاستعادة أورشليم سنة 56م؛ وفيها أمرَ الأسوار أن تسقط كما كان الأمر - كما يُقال - مع يشوع في أريحا؛ لكنّ ثورته فشلت، ففرّ، وقُتِل كثير من أتباعه على يد الحاكم فيلكس[1].

وذكر يوسيفوس أيضًا قصة يسوع بن حننيا ישוע בן חנניה، وهو متنبئ كان يُخبر بخراب أورشليم منذ سنة 62م، ويصيح بذلك في الشارع كلّ يوم. حتّى ضاق بأمره قادة اليهود في القدس، وسلّموه إلى الرومان الذين عذّبوه، ثم أُطلق سراحه للظن أنه مجنون. وقد استمر في الإعلان عن نبوءته لسنوات، حتّى قُتل لاحقًا[2].

كما شهد يوسيفوس لوجود «أنبياء» آخرين - في القرن الأول الميلادي - غير يشوع بن حننيا. وقد اكتفى بالإشارة العامة إليهم؛ فذكر أنّ «عدة أنبياء» طلبوا من الناس إبان الثورة اليهودية الكبرى (66 - 73م) أن «ينتظروا العون من الله» لخلاصهم[3].

ثالثًا: جاء عن يوسيفوس نص شهير في كتابه «عاديات اليهود»، يُعرف باسم Testimonium Flavianum. وهو الوارد في الكتاب الثامن عشر، الفصل الثالث، المقطع الثالث: «في ذلك الوقت ظهر رجل حكيم اسمه يسوع، إن جاز لنا أن ندعوه إنسانًا، لأنه كان يصنع العجائب. وكان معلّمًا لمَن كانوا يتقبّلون الحق بفرح. جذب إليه كثيرًا من اليهود وكثيرًا من اليونان. وقد كان المسيح. وعندما أصدر بيلاطس الحكم عليه بالصلب، بإيعاز من رؤسائنا، لم يتركه أتباعه الذين أحبوه منذ البدء، فقد ظهر لهم حيًّا مرة أخرى في اليوم الثالث. وقد تنبأ أنبياء الله بهذه الأشياء وبآلاف الأشياء العجيبة المختصة به. ولم تندثر جماعة المسيحيين - المدعوين على اسمه - إلى اليوم»[4].

والإجماع العلمي اليوم على أنّ هذه الشهادة كما في كتاب يوسيفوس لا تصحّ أصالتها على هذه الصورة؛ فإنّه من المحال أن يشهد مؤرخ يهودي هذه

(1) Josephus, *Jewish Antiquities*. 20.8.

(2) Josephus, *The Jewish War*, 6.5.

(3) Ibid.

(4) Pierre Maraval et Simon Claude Mimouni, *Le Christianisme Ancien des Origines à Constantin* (P.u.f./ Nouvelle Clio, 2007), p.75.

الشهادة في المسيح وخوارقه ومسيحانيته. ومع ذلك فعامة النقاد على عدم اطّراح هذه الشهادة كليّة، وإنما الإقرار أنّ لها أصلًا عند يوسيفوس تمّ تحريفه من النسّاخ النصارى في القرن الثالث؛ فقد شهد جون درين[1] أنّه لا شكّ عند عامة النقّاد في أصالة نواة شهادة يوسيفوس[2]. فشهادة يوسيفوس كانت عن وجود عيسى -عليه السلام- ودعوته، مقتضبة، قام النسّاخ النصارى بالتوسّع فيها لتوافق معتقد الكنيسة.

ولا شكّ أنّ الجزم حول الشهادة السابقة ليوسيفوس عسير جدًّا؛ فللنافين لأصالتها كلية قرائنهم، وللمثبتين لأصالة نواة الشهادة قرائنهم. ويبقى أمر شهادة يوسيفوس للمسيح في هذا النص قائمًا، من الممتنع نفيه بجزم.

وعلى كل حال فقد شهد يوسيفوس لوجود المسيح في نص آخر، وهو قوله في مؤلَّفه «عاديات اليهود»، الكتاب العشرين، الفصل التاسع، المقطع الأول في حديثه عن يعقوب أخي يسوع:

...أخي يسوع الذي دُعي المسيح، واسمه يعقوب.

... τὸν ἀδελφὸν Ἰησοῦ τοῦ λεγομένου ... Χριστοῦ, Ἰάκωβος ὄνομα αὐτῷ

وقد شهد الباحث روبرت فن فورست أنّه «ترى الغالبية العظمى من العلماء أن عبارة أخي يسوع الذي دُعي المسيح» أصلية، كما هو حال كامل المقطع الذي يوجد فيه»[3].

(1) جون درين John Drane (1946 -) : أستاذ في Fuller Theological Seminary.
(2) John Drane, *Introducing the New Testament* (Oxford: Lion Books, 2010), 106.
(3) Robert E. Van Voorst, *Jesus Outside the New Testament: An Introduction to the Ancient Evidence* (Grand Rapids: W.B. Eerdmans, 2000), p.83.

المطلب الثالث: دعوى مطابقة سيرة المسيح سِيَر مقدّسي الوثنيين

أَثَرُ العقائد الوثنية وقصص أبطالها في صناعة تفاصيل قصة مسيح الكنيسة مسلّم به عند كثير ممن يقررون أنّ المسيح قد عاش في فلسطين في القرن الأول. وهم بذلك يخالفون دعاة خرافية المسيح الذين يرون أنّها مطابقات يلزم منها القول إنّ المسيح أسطورة، وأَنَّ كل ما نُقل عنه مقتبس من خرافات الأولين.

والناظر في الخطابات التي تنقل مطابقة قصة المسيح لأساطير السابقين للانتهاء إلى أسطورية شخصية المسيح، يرى أنّها تقوم عادة على كتابات شعبوية غير علمية، عامّتها تعود إلى القرن التاسع عشر، وقد كُتبت بأيدي غير متخصصين في البحث التاريخي، وبِنَفَسٍ إلحاديّ غير موضوعيّ. ومن هذه الكتب، كتاب «The World's Sixteen Crucified Saviors: Christianity Before Christ» المنتشر في الشبكة العنكبوتية، والذي يزعم أن جميع تفاصيل قصة المسيح - دقيقها وعظيمها - قد تكرّرت في قصص بوذا وكرشنا ومثرا، وشخصيات أخرى كثيرة قديمة. وهو كتاب بعيد عن الجديّة العلمية، وعامة أخباره مرسلة.

إنّنا لا ننكر أثر الوثنيات القديمة في النصرانية؛ فهي حقيقة ظاهرة في القول بالتثليث، وكفّارة الإله المقتول، وقيامه من الموت، وكثير من تفاصيل الليتورجيا[1]، وإنّما نحن ننكر عامة المطابقات المزعومة - في أدق التفاصيل - مع الأديان السابقة؛ فإنّها غير ثابتة عند التحقيق.

ولعلّ من أهمّ الأمثلة على غياب الأساس التاريخي لدعوى مطابقة قصّة عيسى عليه السلام لأساطير الأوّلين كلّها، دعوى مطابقة قصّة عيسى عليه السلام لقصّة مثرا؛ فإنّ هذه المطابقة في عامة صورها قائمة على مشابهات غير صادمة؛ كقيام المسيح

(1) انظر التفصيل في: سامي عامري، هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟ (الكويت: رواسخ، 1439هـ/ 2018م)، ص420 - 454.

ومثرا بالمعجزات، وأنّ كلًّا منهما كان معلّمًا عظيمًا... أو دعوى تطابق لا دليل عليهِ من تاريخ مثرا المدون قديمًا؛ إذ إنّ ما نعرفه عن المثرائية قليل وغامض، وقائم في عامته على التخمين، بالإضافة إلى وجود تشابهات مكذوبة، كدعوى ولادة مثرا من عذراء، وموته صلبًا، وأنّ له 12 تلميذًا، كيسوع، في حين أنّ المشهور أنّ مثرا قد وُلِد من صخرة، وأنه لم يمت، وأنّ له تلميذًا واحدًا فقط[1].

(1) James Patrick Holding, *Shattering the Christ Myth* (Xulon Press, 2008), pp.205 - 211.

الخلاصة:

- إجماع النقاد المتخصّصين في «البحث عن يسوع التاريخي» على وجود عيسى -عليه السلام-.
- ظهور طائفة دينية تتبع المسيح ابن مريم - عليهما السلام - منذ القرن الأول، دليل على تاريخيّة هذه الشخصيّة.
- كتابات بولس القريبة من زمن رفع المسيح، وتفاصيل بعض الأخبار التي ذكرها، شهادة على الأثر الديني لتعاليم المسيح كما فهمتها جماعات مختلفة في وقت مبكّر.
- وجود أناجيل تروي كلمات المسيح -عليه السلام- وأفعاله بتفصيل بعد رفعه بعقود، لا يُمكن أن يُردّ إلى تزوير كليّ لشخصيّة وهميّة.
- واجه النصارى خصومًا كثرًا في القرون الأولى. ولا يُعرف أنّ أحدًا منهم زعم خرافية المسيح عليه السلام، رغم كثرة الانتقادات التي وجّهوها إلى النصرانيّة.
- لم تفلح المعارضات المشكّكة في وجود المسيح -عليه السلام- في الردّ على أدلّة وجوده. وقد جعلت من إغفال الآثار الماديّة ذكره، حجة على دعواها، غافلة عن أنّ الآثار لا تشهد عادة إلّا للساسة والقادة العسكريين والأرستقراطيين. كما أنّ يوسيفوس الذي يُزعم أنّه لم يذكر خبر المسيح ابن مريم - عليهما السلام -، أخبر عنه. وأمّا مشابهة قصّة المسيح لسير أبطال الوثنيين، فحقيقة تمّ المبالغة في تفاصيلها. والحقّ هو أنّها تشابهات ليست بالكثيرة. والتشابه الأكبر هو في تفاصيل أخرى متعلقة باللاهوت والرموز وأشكال العبادة.

الفصل الثالث
الوجود التاريخي ليحيى -عليه السلام-

المبحث الأول: يحيى -عليه السلام- في القرآن والأناجيل

يحيى -عليه السلام-، ابن زكريا النبي -عليه السلام-، نبي من بني إسرائيل معاصر لعيسى -عليه السلام-. جاء خبر ميلاده ومناقبه في سورة مريم. وليس في القرآن تفصيلٌ لسيرته.

خلاصة الخبر القرآني عن يحيى -عليه السلام-، أنّه نبيّ، كريم الأخلاق، وُلد من أبٍ مُسِنٍّ وأُمٍّ عاقرٍ. دعا قومه إلى الالتزام بالتوراة التي عُلِّمها وهو صبيّ. وذهب فريق من المفسّرين إلى أنّ قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران/ 39) أنّه مُصدّق بعيسى -عليه السلام-، كلمة الله. وقد شاع أنّه قد مات مقتولًا. وليس ذاك في القرآن ولا السنّة.

وقد جاء خبر يحيى -عليه السلام- في الأناجيل وسِفر أعمال الرُّسل. وفيهما أنّ اسمه يوحنا المعمدان، والمعمدان (في الأصل اليوناني: «هو بَبْتِسْتِيسْ» و«هو ببتِزون») نسبة إلى ممارسته تعميد المؤمنين بتغطيسهم في الماء. وقد عاش المعمدان في بريّة اليهودية حيث بشّر وعمّد. وقُتل على يد هيرودس أنتيباس سنة 28 أو 29م.

أشار العهد الجديد إلى يوحنا المعمدان، ودعوته، وتلاميذه، وعلاقته بالمسيح:

- وُلد يوحنا من أبوين صالحين، قد بلغا من الكبر عِتِيًّا، وكانت أُمّه قبل إنجابه عاقرًا (لوقا 1/ 5 - 7).

- إليصابات أمّ المعمدان من أقارب مريم أمّ المسيح من جهة الدمّ[1] (لوقا 1/ 36).
- آمن الناس أنّ يوحنا نبيّ (مرقس 11/ 32).
- كان يوحنا يدعو الإسرائيليين إلى معمودية التوبة لمغفرة الخطايا (مرقس 1/ 4).
- كانت ليوحنا شعبيّة كبيرة بين أهل اليهودية؛ حتى إنهم قد اعتمدوا على يديه في نهر الأردن.
- كان يوحنا زاهدًا في الملبس والمأكل (مرقس 1/ 6، متّى 3/ 4، متّى 11/ 18).
- كان يوحنا يبشّر بمجيء رجل عظيم بعده (1/ 7 - 8).
- ليوحنا المعمدان جماعة من التلاميذ الذين كانوا يصومون، على خلاف تلاميذ المسيح (مرقس 2/ 18 - 22، متّى 9/ 14، لوقا 5/ 33).
- اعتمد المسيح نفسه على يد يوحنا (مرقس 1/ 9، متّى 3/ 15).
- بدأ المسيح في التبشير في الجليل، بعد قتل يوحنا (مرقس 1/ 14، متّى 4/ 12).
- قتَل هيرودس يحيى -عليه السلام- بسبب مؤامرة من هِيرُودِيًّا وابنتها (مرقس 6/ 16 - 29، متّى 14/ 6 - 12).

---

(1) حسب التقليد الكنسي، إليصابات ابنة خالة مريم.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي ليحيى -عليه السلام-

ليس في القرآن تفصيل في خبر يحيى - عليه السّلام - من الممكن أن يخضع عادة للرصد الأركيولوجي سوى أنّه نبي إسرائيلي عاش في فلسطين، في القرن الأول. وأنّه قد وجد في المنطقة التي عاش فيها أبوه زكريا -عليه السلام-.

والدلالات التاريخية على وجود يحيى -عليه السلام- قوية، أَلْزَمَت الدارسين أن يجمعوا على حقيقة حياته في القرن الأول الميلادي.

المطلب الأول: الإجماع العلمي على وجود يحيى -عليه السلام-

كان الوجود التاريخي ليحيى -عليه السلام- مُسَلَّمًا به في الغرب حتى ظهرت مؤخرًا النزعة الشكوكية الغالية التي ترفض كل خبر الأناجيل بين قلّة من الملاحدة. ولا يزال - في الحقيقة - الإجماع قائمًا بين الأكاديميين دارسي الأناجيل أنّ يحيى -عليه السلام- شخصية تاريخية عاشت في فلسطين في القرن الأول، وأنه كانت لها علاقة بالمسيح -عليه السلام-[1]. وهو ما يظهر مثلًا في دراسة «ندوة يسوع» التي تمثّل أشهر تجمّع ليبرالي للنقّاد في العقود الأخيرة يبحث في مصداقية أخبار الأناجيل المتعلقة بالمسيح -عليه السلام- ويحيى -عليه السلام-.

وقد نشر هذا الفريق العلمي كتابًا تحت عنوان: «يوحنا المعمدان ويسوع: تقرير ندوة يسوع». وقد انتهت هذه الندوة إلى إعلان اليقين بوجود يحيى -عليه السلام-

(1) انظر في استعادة الصورة التاريخية ليوحنا المعمدان:
Josef Emst, Johannes der Täufer, *Interpretation - Geschichte Wirkungsgeschichte* (Berlin: Walter de Gruyter, 1989); Robert L. Webb, *John the Baptizer and Prophet: A Socio - Historical Study* (Sheffield: JSOT Press, 1991); John P. Meier, *A Marginal Jew: Rethinking the Historical Jesus*, vol. 2, *Mentor, Message, and Miracles* (New York: Doubleday, 1994) 19 - 233; Joan E. Taylor, *The Immerser: John the Baptist Within Second Temple Judaism* (Grand Rapids, Mich: Wm. B. Eerdmans, 1997). See also John H. Reumann, 'The Quest for the Historical Baptist,' in *Understanding the Sacred Text: Essays in Honor of Morton S. Enslin on the Hebrew Bible and Christian Beginnings*, ed. John H. Reumann (Valley Forge, Pa.: Judson, 1972) 181 - 199.

بتصويت أفرادها جماعيًّا باللون الأحمر جوابًا على سؤال تاريخيّةِ شخصيّته[1].

علمًا أنّ عادة «ندوة يسوع» أن تدرس النصوص محلّ البحث، ثم يصوّت المشاركون في الدراسة باختيار لون من أربعة ألوان:

- الأحمر: يقين.
- الزهري: راجح.
- الرمادي: ممكن (مع شك).
- الأسود: مرجوح.

وقد سبق لها أن قرّرت في ضوء الاقتراع بالألوان السابقة في كتابها «الأناجيل الخمسة: ماذا قال يسوع حقًّا؟»[2] أنّ 18 ٪ فقط من الأقول المنسوبة إلى المسيح تصحّ نسبتها إليه. كما انتهت في كتابها «أعمال يسوع: ماذا قال يسوع حقًّا؟»[3] إلى أن 16 ٪ فقط من الأفعال المنسوبة إلى المسيح في الأناجيل تصحّ أن تكون تاريخيّة.

المطلب الثاني: شهادة الأناجيل

جاء ذكر يحيى -عليه السلام- في الأناجيل الأربعة باسم يوحنا المعمدان، مرات كثيرة، مع تداخل ذلك أحيانًا مع تفاصيل قصّة المسيح -عليه السلام-، على صورة تقطع أنّ أصحاب هذه الأناجيل التي كُتبت في القرن الأول، كانوا ينقلون عن تراث حاسم في شهادته لتاريخية هذا النبي.

وقد ذُكرت أحوال يحيى -عليه السلام- في مشاهد مختلفة - كما في الجدول التالي[4] - تمنع أن يكون خبر وجوده -عليه السلام- اختلاقًا لأغراض لاهوتية محضة.

---

(1) W. Barnes Tatum, *John the Baptist and Jesus: A Report of the Jesus Seminar* (Sonoma, CA: Polebridge Press, 1994), p.10.

(2) Robert Funk, *et al*, *The Five Gospels: What Did Jesus Really Say? The Search for the Authentic Words of Jesus* (New York: Harper Collins, 1996).

(3) Robert Funk, *et al*, *The Acts of Jesus: What Did Jesus Really Do?* (Oregon: Polebridge Press; Salem, 1998).

(4) Robert Webb, 'John the Baptist and his relationship to Jesus', in *Studying the Historical Jesus: Evaluations of the State of Current Research*, Brucc David Chilton, Craig Alan Evans, eds. (Leiden; Boston; Köln: Brill, 1998), pp.185 - 186.

الوصف	متّى	مرقس	لوقا	يوحنا	آخر
شهادة يوحنا لعيسى أنه نور				1/ 6-8	
شهادة يوحنا لعيسى أنه يأتي بعده	3/ 11، 3/ 11	1/ 7	3/ 16، 7/ 20	1/ 15	
نبوءة ميلاد يوحنا			1/ 5-25		إنجيل يعقوب الأولي 8/ 3، 10/ 2
إخبار مريم عن جنين أليصابات			1/ 36		PCairo
مريم تزور أليصابات			1/ 39-45		إنجيل يعقوب الأولي 12/ 2-3
ميلاد يوحنا وطفولته			1/ 57-80		
أليصابات تخفي الطفل يوحنا					إنجيل يعقوب الأولي 22/ 3
محاكمة زكريا وقتله					إنجيل يعقوب الأولي 23/ 1-24/ 4
يوحنا في البرية يعمّد	3/ 1-6	1/ 2-6	3/ 1-6		إنجيل أبيون
يوحنا يخبر عن العقاب الآتي	3/ 7-10		3/ 7-9		
يوحنا يجيب عن أسئلة أخلاقية			3/ 10-14		

الوصف	متّى	مرقس	لوقا	يوحنا	آخر
يوحنا يتنبأ بشخص قادم	3/11-12	1/7-8	3/15-18	1/24-28	
يوحنا يعمد عيسى	3/13-17	1/9-11	3/21-22	1/30-34	إنجيل الأبيونيين إنجيل الناصريين إنجيل العبرانيين
يوحنا يُخبر عن نفسه				1/19-23	
يوحنا يشهد لعيسى				1/29-34	
تلاميذ يوحنا يتّبعون عيسى				1/35-40	
عيسى يذهب إلى الجليل بعد سجن يوحنا	4/12	1/14			
عيسى يعمّد في مكان قريب من مكان تعميد يوحنا				3/22-24	
يوحنا يجيب عن سؤال حول دعوة عيسى	9/15	2/19	5/34	3/25-30	
المسيح يعمّد أكثر مما عمّد يوحنا				4/1-3	
تلاميذ يوحنا يصومون، على خلاف تلاميذ المسيح	9/14-17	2/18-22	5/33-39	3/29	إنجيل توما

الوصف	متّى	مرقس	لوقا	يوحنا	آخر
يوحنا يسأل من السجن عن حقيقة المسيح	11/ 2-6		7/ 18-23		
المسيح يمجد يوحنا كنبي	11/ 7-15		7/ 24-30	1/ 21	إنجيل توما
اعتراض بني إسرائيل على المسيح ويوحنا	11/ 16-19		7/ 31-35		
ظنّ هيرودس أنّ المسيح هو يوحنا بعد قيامه	14/ 1-2	6/ 14-16	9/ 7-9		
قبض هيرودس على يوحنا وقتله	14/ 3-12	6/ 17-29	3/ 19-20		
قول البعض إن عيسى هو يوحنا	16/ 13-14	8/ 27-28	9/ 18-19		
تلاميذ عيسى يريدون الصلاة وفق تعليم يوحنا			11/ 1		
يوحنا هو إيليا	17/ 9-13	9/ 9-13		1/ 21	إنجيل توما
الشريعة حتى يوحنا، والآن الملكوت	11/ 12-13، 5/ 18		16/ 16-17		إنجيل توما
تعميد يوحنا من السماء أم من الناس؟	21/ 23-27	11/ 27-33	20/ 1-8		
إيمان العصاة بيوحنا	21/ 28-32		7/ 29-30		

الوصف	متّى	مرقس	لوقا	يوحنا	آخر
عيسى يرى يوحنا كسراج				-33 /5 36	
ذهاب عيسى إلى حيث كان يوحنا يعمّد				-40 /10 42	
يوحنا عمّد بالماء، وقريبًا يُعمَّد بالروح					أعمال الرسل 5 /1
لا بدّ أن يكون هناك رسل من زمن يوحنا					أعمال الرسل 22-21 /1
بدأت البشارة بعد تعميد يوحنا					أعمال الرسل 38-37 /10
يوحنا عمّد بالماء، وقريبًا يُعمَّد بالروح					أعمال الرسل 16 /11
يوحنا كرز بالتعميد والآتي					أعمال الرسل 25-24 /13
أبلُّوس لم يكن يعرف غير تعميد يوحنا					أعمال الرسل 26-24 /18
التلاميذ ما كانوا يعرفون غير تعميد يوحنا					أعمال الرسل 7-1 /19

إنّنا إذن أمام مادة متنوعة وغزيرة، عميقة الالتصاق بتفاصيل قصة عيسى -عليه السلام-، على صورة تمنع القول بزيفها كليّة. ولذلك قالت الناقدة كاثرين مرفي في كتابها «يوحنا المعمدان»: «...كشف تحليل النقد التحريري

redaction - critical analysis [1] المقاطع المحرفة من النسّاخ المتأخرين في الإنجيل. وفي أثناء ذلك كشف العناصر المركزية في التراث والتي تحمل درجة عالية من القيمة التاريخية»[2]. وبيّنت أنّ أهم العناصر الموثوقة:

- ✓ الوجود التاريخ ليحيى -عليه السلام-.
- ✓ تعميد يحيى -عليه السلام- للمسيح.
- ✓ ممارسة يحيى -عليه السلام- الدعوة في منطقة حكمها هيرودس أنتيباس.
- ✓ كان يحيى -عليه السلام- يعمّد في بريّة نهر الأردن.
- ✓ كان يحيى -عليه السلام- يمهّد بدعوته لشخص تال يأتي بعده (ولا نستطيع - كما تقول - أن نجزم أنه عيسى -عليه السلام-).
- ✓ كان ليحيى -عليه السلام- تلاميذ يصومون ويعمّدون.
- ✓ كان يحيى -عليه السلام- يعلّم تلاميذه الصلاة[3].

المطلب الثالث: شهادة يوسيفوس

جاء ذكر يوحنا المعمدان في «عاديات اليهود»؛ حيث قال يوسيفوس: «وظنّ بعض اليهود أنّ هلاك جيش هيرودس جاء من الله، وأنّ ذاك عقوبة عادلة جزاء ما فعله هيرودس في يوحنا الذي كان يُدعى المعمدان؛ إذ إنّ هيرودس قتله، وهو رجل صالح أمر اليهود أن يستقيموا على الفضيلة، سواء من ناحية إحسان بعضهم لبعض أو بتقوى الله، وبالتالي للمعمودية... الآن عندما أتاه [كثيرون] في حشود حوله، لأنهم تأثروا بشدة [أو سُرُّوا] بسماع كلماته؛ خشي هيرودس أن يؤدّي الأثر الكبير الذي كان ليوحنا على الناس إلى أن يزداد قوّة ويدفعه إلى التمرد [لأنهم بدوا مستعدّين

---

(1) يقوم هذا المنهج على رصد منهج المؤلف في صياغة نصه اعتمادًا على مصادره، وأثر الدوافع اللاهوتية وغيرها في صناعة نصه.

(2) Catherine M. Murphy, *John the Baptist: Prophet of Purity for a New Age* (Collegeville, Minn.: Liturgical Press, 2003), p.83.

(3) Ibid, 83 - 84.

لفعل أي شيء ينصح به]؛ ولذلك اعتَقَد أنّه من الأفضل قتله لمنع أيّ أذى قد يُسبّبه... وبناءً على ذلك، أُرسِل مقيّدًا - بسبب شكوك هيرودس - إلى مكاور، إلى القلعة التي ذكرتها سابقًا، وتم إعدامه هناك. ويعتقد اليهود أنّ تدمير هذا الجيش كان عقوبة لهيرودس، وعلامة على غضب الله عليه»[1].

شكّك بعض الكتاب الملاحدة في أصالة هذا المقطع في كتاب «عاديات اليهود»، والذي يصرّح بالوجود التاريخي ليحيى -عليه السلام-، ويسرد قصّة قتله؛ بزعم أنّه دسٌّ من النسّاخ النصارى في هذا الكتاب. غير أنّ جمهور النقاد على أصالته[2] لأدلّة مهمّة، منها:

أولًا: قصّة قتل يحيى -عليه السلام- عند يوسيفوس تخالف القصّة كما في الأناجيل بجلاء؛ فلو كان ما في كتاب «عاديات اليهود» من صنع النساخ النصارى؛ لالتزم النص المنسوب إلى يوسيفوس الرواية الإنجيلية؛ إذ قد جاء في مرقس 6/ 17 - 29: «هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: «لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ» فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ، لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَ كَثِيرًا، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ. وَإِذْ كَانَ يَوْمٌ مُوافِقٌ، لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ، دَخَلَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَقَصَتْ، فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ: «مَهْمَا أَرَدْتِ اطْلُبِي مِنِّي فَأُعْطِيَكِ». وَأَقْسَمَ لَهَا أَنْ «مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِّي لأُعْطِيَنَّكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي». فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لأُمِّهَا: «مَاذَا أَطْلُبُ؟» فَقَالَتْ: «رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ». فَدَخَلَتْ لِلْوَقْتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً: «أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالًا رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ عَلَى طَبَقٍ». فَحَزِنَ الْمَلِكُ جِدًّا.

---

(1) Flavius Josephus , *Antiquities* 18.116 - 119 (Translated by William Whiston).

(2) Robert L. Webb, *John the Baptizer and Prophet: A Sociohistorical Study* (Oregon: Wipf and Stock Publishers, 2006), p.39.

وَلأَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَرُدَّهَا. فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيَّافًا وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ. فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السِّجْنِ. وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَق وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لأُمِّهَا. وَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ، جَاءُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي قَبْرٍ».

يقول الناقد روبرت ويب[1]: «إذا كان هذا المقطع ملفّقا؛ فالمتوقّع أن نجد رواية تتوافق كثيرًا مع تقاليد العهد الجديد حول يوحنا. هذا التوقع معقول لأن الغرض المحتمل لمثل هذا التلفيق المسيحي تأكيد صدق رواية العهد الجديد. ولكنّنا نجد هنا عددًا من الاختلافات المهمة بين رواية يوسيفوس ورواية العهد الجديد، ومن بينها وصف رسالة يوحنا، وشرح معموديته، وسبب اعتقاله وإعدامه. والاختلاف الأكبر أهمية هو صمت هذا النص عن العلاقة بين يوحنا المعمدان ويسوع»[2].

ويوضح الناقد أ. كمبماير بجلاء أوجه الاختلاف بين رواية الأناجيل ورواية يوسيفوس، من خلال التركيز على التفاصيل الدقيقة، في مقالته: «هل وُجد يوحنا المعمدان تاريخيًّا؟»:

✓ طبق مرقس 6/ 17، زَوْجُ هيروديا هو فيلبس بن هيرودس الكبير وأمّه كليوباترا، في حين أنّنا نفهم من رواية يوسيفوس أنّ هيرودس الثاني ابن هيرودس الكبير وزوجته «مريمان الثانية»، هو زوج هيروديا قبل زواجها من هيرودس أنتيباس. ثم إنّ فيلبس عند مرقس هو زوج هيروديا، في حين أن فيلبس زوج سالومي (ابنة هيروديا) عند يوسيفوس (18/ 5. 4).

✓ يُفهم من الأناجيل أنّ قتل يحيى كان في طبريّة - مستقر هيرودس -، في حين يُفهم من حديث يوسيفوس أنّ قتل المعمدان كان في مكاور[3] (التي تقع اليوم في دولة الأردن).

(1) روبرت ويب Robert Webb (1955): محاضر في قسم الدراسات الدينية في جامعة ماكستر، كندا، والمحرر التنفيذي لمجلّة «Journal for the Study of the Historical Jesus».

(2) Robert L. Webb, *John the Baptizer and Prophet*, p.40.

(3) Machaerus

✓ يفهم من الأناجيل أنّ هيرودس قد قتل يحيى -عليه السلام- من أجل طلب ابنة هيروديا منه فِعْلَ ذلك، في حين صرّح يوسيفوس أنّ سبب قتل يحيى -عليه السلام- خوف هيرودس من أن يُحدِثَ يحيى -عليه السلام- ثورة في البلاد.

✓ يُخبرنا إنجيل مرقس 6/ 23 أنّ هيرودس قد قال لابنة هيروديا: «مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِّي لأُعْطِيَنَّكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي». والحقيقة أنّنا نعلم أنّ هيرودس كان خاضعًا للسلطة الرومانية[1].

لم يدافع كمبماير عن أصالة قصة يوسيفوس عن موت المسيح، حماسة منه للنصرانية؛ فإنّه قد صرّح أنّه عند مقارنة رواية يوسيفوس برواية العهد الجديد، لا بدّ أن نأخذ برواية يوسيفوس، وأن نرى رواية العهد الجديد صياغة ملفّقة، متأثّرة بالسمعة السيئة لهيرودس وهيروديا، والتي نقلها لنا يوسيفوس[2]؛ ولذلك فـ«الراجح بجدّ أنّ رواية الإنجيل هي خرافة شعبية نشأت تدريجيًا بين الناس والمسيحيين الأوائل»[3]،

ثانيًا: حديث يوسيفوس عن يحيى -عليه السلام- موجود في جميع المخطوطات المتاحة عندنا لعاديات اليهود عند حفظ النص السابق أو اللاحق له. كما يوجد هذا الحديث في الترجمة اللاتينية التي تمّت في القرن السادس. وكتب الإمام ابن حزم في القرن الحادي عشر الميلادي: «وقرأت فِي تَارِيخ لَهُم جَمَعَهُ رجلٌ هارونيٌّ كَانَ قَدِيمًا فيهم وَمن كبارهم وأئمتهم وَمِمَّنْ عصبت بِهِ ثلث بلدهم وَثلث حروبهم وَثلث جيوشهم أَيَّام حَرْب طيطوس خراب الْبَيْت وَكَانَ لَهُ فِي تِلْكَ آثَار عَظِيمَة وَكَانَ قد أدْرك أَمر الْمَسِيح -عليه السلام- واسْمه يُوسُف بن هَارُون فَذكر مُلُوكهمْ وحروبهم إِلَى أَن وصل إِلَى قتل يحيى بن زَكَرِيَّا -عليه السلام- فَذكره أجمل ذكر وَعظَّمَ شَأْنه

(1) Kampmeier, (1913) "Did John the Baptist Exist?," *The Open Court*: Vol. 1913: Iss. 7, 434 - 435.

(2) Ibid., 435.

(3) Ibid.

وَأَنه قتل ظلما لقَوْله الْحق وَذكر أَمر المعمودية ذكرًا حسنا لم ينكرها وَلَا أبطلها»[1].

ثالثًا: أشار أريجانوس في القرن الثالث إلى حديث يوسيفوس عن يحيى -عليه السلام- في كتابه الشهير «الردّ على كلسوس»1. 47، وردّه إلى كتاب يوسيفوس «العاديات»، الفصل 18. فقد قال: «أودّ أن أقول لكلسوس، الذي يقدّم اليهودي على أنّه يقبل بطريقة ما يوحنا كمعمدانٍ، عمّد يسوع، أنّ وجود يوحنا المعمدان، مُعمّدًا لمغفرة الخطايا، قد رُوي من طرف شخص قد عاش بعد فترة ليست بعيدة كثيرًا عن يوحنا ويسوع؛ لأنه في الكتاب الثامن عشر من كتابه عن آثار اليهود، شهد يوسيفوس أنّ يوحنا كان معمدانًا، واعدًا بتطهير أولئك الذين خضعوا لهذا الطقس».

رابعًا: نَصُّ يوسيفوس عن يوحنا المعمدان نقله كلّه المؤرّخ يوسابيوس في بداية القرن الرابع[2]، في كتابه الشهير تاريخ الكنيسة 1.11.1-6، باستثناء الجملة الأخيرة: «ويعتقِدُ اليهود أنّ تدمير هذا الجيش كان عقوبة لهيرودس، وعلامة على غضب الله عليه». كما نقل يوسابيوس شهادة يوسيفوس عن مقتل يحيى على يد هيرودس في كتاب Demonstratione Evangelica Libri Decem 9.5.15.

خامسًا: أسلوب المقطع وكلماته في توافق مع عادة يوسيفوس في كتابه «عاديات اليهود». ومما يقوي هذا الوجه أنّ في هذا المقطع عبارات غير مألوفة لكنّها موجودة في هذا الكتاب في مواضع أخرى. ومن أمثلة ذلك استعمال المقطع كلمة ἁμαρτάς مكان ἁμαρτία ، وقد تكرر ذلك في الكتاب الثالث من «عاديات اليهود». وهو استعمال لا أثر له في العهد الجديد والكتابات النصرانية المبكّرة. كما أنّ هذا المقطع

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1/ 82 - 83.

(2) جاء النقل عن يوسيفوس في الكتاب الأول من «تاريخ الكنيسة» ليوسوبيوس. وقد رجّح ماير أنّ هذا الكتاب قد تمّ الانتهاء منه قبل سنة 303م.
John P. Meier, 'John the Baptist in Josephus: Philology and Exegesis,' *Journal of Biblical Literature*, vol. 111, no. 2, p. 226.

يستعمل أسماء للتعميد لا تُعرف في العرف النصراني للتعميد[1]. وذاك مستبعد من محرّف نصراني متأخّر يكتب بأثر من ثقافته الدينية.

المطلب الرابع: المندائيون أتباع المسيح؟

تنسب طائفة الصابئة المندائيين في العراق نفسها إلى يحيى -عليه السلام-. ويرى أهلها أنفسهم أنهم امتداد لدعوته، رغم طعنهم في نبوّة عيسى -عليه السلام-، وتسميته أكبر نبيّ كاذب!

وقد جاء في الكتاب الأقدس عند الصابئة المندائيين « كنزا ربّا» الذي ألف في القرن الثاني أو الأول ميلاديًّا، حديث خاص عن تعاليم يحيى -عليه السلام-، ومنها: «إذا كنت قويًّا؛ فكن باهر الصدق، كالمَلك الذي يضع التاج على رأسِه ويُشهرُ السَّيف في وجه الشّر. فإن لم تكن بهذه القوة فكن ناصوروائيًّا صادقًا مثل فلاح مثمرٍ يستخرج غِلال الأرض، فمنها عونٌ للكاملين، ومنها قوّة لِباهري الصدق»[2]. كما وردت في كتاب «كدابا دراشا اد يهيا» الذي يُعتبر الكتاب الثاني من ناحية الأهمية عند المندائيين تعاليم وعِظات وحِكَم للنبي يحيى -عليه السلام-.

ويشكّك عدد من الباحثين في صدق صلة المندائيين بيحيى -عليه السلام- ؛ إذ يبدو أنّهم ما غادروا العراق يومًا، ولا صلة لهم بدعوة يحيى -عليه السلام- في العراق[3].

(1) Robert L. Webb, *John the Baptizer and Prophet*, p.40.

(2) كنزا ربا، تعاليم يحيى.

(3) أمر أصول هذه الطائفة شديد الغموض؛ حتى قال أحد الكتّاب الصابئة المعاصرين: «البحث في نشأة المعتقدات الدينية للصابئة المندائيين وتطورها، وتأريخ هذه المجموعة وتفاعلها مع البيئات التاريخية التي وجدت فيها أمر في غاية الصعوبة والتعقيد. وليس أمام الباحث فرصة القطع في أي منها دون أن يغامر بموضوعيته. إنّ الغموض الذي يلف تاريخ هذه الطائفة ومعتقداتها لا يدع مجالًا للباحث في التقيد بطريقة واحدة يختارها للمعالجة. فهو ما أن يشرع في تناول الأمر استنادًا إلى المعطيات التاريخية – وهي بحد ذاتها نزر يسير جدًّا وتنطوي على تعقيدات وإشكالات كثيرة سنأتي على ذكرها من بعد – حتى يجد نفسه بعد لأي أمام أبواب موصدة، فيضطر للعودة من أجل تناول الموضوع من زاوية أخرى أملاً في دفع التقصّي خطوة أخرى إلى أمام» (عزيز سباهي، أصول الصابئة (المندائيين)، ومعتقداتهم الدينية، سوريا: دار المدى، 2002، ص17).

كنزا ربا

الكنز العظيم
الكتاب المقدس
للصابئة المندائيين

اليمين

دراشة اد يهيا

مواعظ وتعاليم

يحيى بن زكريا

عليه السلام

الطبعة الأولى
بغداد - سنة ٢٠٠١م

الخلاصة:

- إجماع النقّاد على تاريخية يحيى -عليه السلام-.
- ذكرُ يحيى -عليه السلام- في الأناجيل، في سياقات مختلفة، بعضها جوهري في سيرة المسيح، حجّة على منع القول باختلاق خبر يحيى -عليه السلام- كلّه.
- ما ذكره المؤرّخ يوسيفوس عن يحيى -عليه السلام- شهادة أصيلة وقويّة قريبة من أيّام هذا النبي.

الفصل الرابع

الوجود التاريخي لزكريا -عليه السلام-

المبحث الأول: زكريا -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

زكريا -عليه السلام-، والد يحيى -عليه السلام-، نبي من بني إسرائيل، عاش زمن المسيح ابن مريم - عليهما السّلام -. ورد خبره مختصرًا في القرآن. ومما جاء فيه:

● ولادة ابن لزكريا بعد أن بلغ هو وزوجه من العمر عِتيًّا: قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ (مريم/ 2 - 11)، وقال سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾(الأنبياء/ 89 - 90)

● كفالة زكريا -عليه السلام- لمريم - عليها السّلام -: قال تعالى عن مريم - عليها السلام -: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ

يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ (آل عمران/ 37 - 41).

وتظهر عامة تفاصيل خبر زكريا -عليه السلام- في الأناجيل الرسمية وإنجيل يعقوب الأولي الأبوكريفي، ومنها:

ولادة ابن لزكريا بعد أن بلغ هو وزوجه من العمر عتيًا: جاء في إنجيل لوقا 1/ 5 - 22، 57 - 79 أنّ زكريا كاهنٌ من فرقة أبيا، قد بلغ من العمر سِنًّا متقدّمًا، وزوجته هارونية، اسمها أليصابات، وقد كانت عاقرًا. وأنّ جبرائيل قد ظهر لزكريا -عليه السلام- في الهيكل، وبشّره أنّه سيكون له ولد، نبي صالح. ولمّا سأل الملَكَ عن علامةٍ للبشرى، أخبره أنّه سيكون عاجزًا عن الكلام إلى يوم تحقّق البشارة. وعندما وُلد ابن زكريّا -عليه السلام-، سُمّي يوحنا. ولمّا كتب زكريا عند ختان ابنه الاسم الذي اختاره له، ذهب عنه الخرس.

كفالة زكريا -عليه السلام- لمريم - عليها السلام -: جاء في إنجيل يعقوب الأولي الذي ظلّت الكنيسة تحتفي بمادته التاريخية لقرون طويلة، وإن لم تدخله في قائمة الأناجيل القانونية الرسمية: «وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، اجتمع الكهنة في هيكل الربّ وقالوا: «هو ذا مريم قد بلغت عمر الاثني عشر عامًا في الهيكل؛ فماذا سنفعل في شأنها، لئلا تمس قداسة هيكل الربّ إلهنا دنس ما؟». وقال الكهنة لرئيس الكهنة: «اذْهَبْ وقِفْ أمام هيكل الربّ وصَلِّ من أجلها، وما يُظهِرُه الله لك، نمتثلُ له». فدخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس، وقد لبس رداءه الكهنوتي المزيَّن باثني عشر جُرسًا، وصلّى من أجل مريم. وإذا بملاك الربّ يظهر له قائلًا: «يا زكريا،

يا زكريا، اخْرُجْ واستدع مَنْ هم أرامل وسط الشعب، وليأت كلّ واحد بعصى، ومَنْ يختاره الله بعلامة يكون الزوج المُعطى لمريم ليحفظها». وخرج المنادون في كلّ بلاد اليهودية، وبوّق بُوق الربّ وهُرِعَ الجميع. وأتى يوسف كالآخرين، وقد تخلّى عن فأسِه، وإذ اجتمعوا، مضَوا نحو رئيس الكهنة، ومعهم عصيّهم. فأخذ الكاهن عصا كلّ واحد، ودخل الهيكل وصلى وخرج بعد ذلك وأعاد إلى كلّ واحد عصاه التي جاء بها، فلم تظهر أي علامة؛ لكنه عندما أعاد إلى يوسف عصاه، خرجت منها حمامة، حطّتْ على رأس يوسف. فقال رئيس الكهنة ليوسف: «لقد اختارك الله لِتَقَبُّلِ عذراء الربّ هذه وتحفظها قُربَك».

وهاهنا يوافق القرآن إنجيل يعقوب الأولي في شأن الاقتراع حول كفالة مريم، غير أنّ الكتابين اختلفا في شأن من آلت إليه الكفالة بعد القرعة؛ ففي القرآن أنّ القرعة انتهت بأن يكون زكريا كافل مريم، في حين يذكر إنجيل يعقوب الأولي أنّ يوسف النجار هو كافل مريم.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لزكريا -عليه السلام-

ليس في قصة زكريّا -عليه السلام- من الأخبار ما يَترك أثره في الآثار المادية المطمورة في الأرض أو القائمة فوقها؛ فإنّ القرآن يُخبرنا أنّ زكريا من بني إسرائيل، وأنّه كان نبيًّا، محسنًا في قومه، وأنّه قد كفل مريم - عليها السلام -، وأنّه قد رُزِق ولدًا على كِبَر. وليست هذه المسائل مما من عادة التاريخ حفظ أثرها.

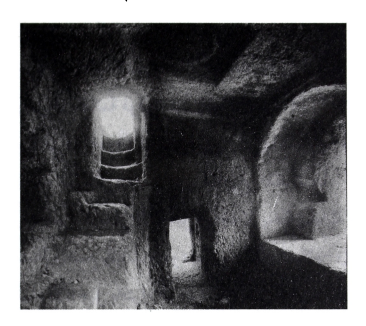
والظاهر أنّ ورود خبر زكريا في الأناجيل؛ حُجّة تاريخية إيجابيّة لصحة هذا الخبر؛ إذ في الأناجيل اهتمامٌ واضح بإثبات وجود يحيى -عليه السلام- وانتشار دعوته. ولا يوجد داعٍ جادّ لاتهام الأناجيل بافتراء الوجود التاريخي لزكريا -عليه السلام-. علمًا أنّه لا يوجد في الأسفار الأبوكريفية خبر نافٍ لوجود هذا النبي أو لتسمية والد يحيى -عليه السلام- باسم زكريا.

وقد كُشِف نقشٌ يُعرف بقبر أبشالوم יד אבשלום (الموجود في القدس) سنة 2003، وهو يعود إلى القرن الرابع، وقد كتب فيه: «هذا هو قبر زكريا، الشهيد، الكاهن المقدس، والد يوحنا». وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذا النقش يشير إلى قبر زكريا والد يوحنا المعمدان. ويبعد أن يكون ذلك صحيحًا؛ لأنّ النقش متأخّر بقرون عن تاريخ إقامة القبر بقرابة أربعة قرون[1]، وإن كان من الممكن أن يكون هذا القبر محلّ رفات زكريا -عليه السلام- بعد نقلِه إليه من قبر آخر.

(1) Phil Howell, *John the Great: John the Baptist, His Relationship with Jesus and You* (Holy Fire Publishing, 2005), p.131.



صورة قبر أبشالوم



الخلاصة:

- تاريخيّة زكريا -عليه السلام-، فرع عن الإيمان بتاريخية المسيح ويحيى عليهما السلام.
- ليس في أخبار زكريا -عليه السلام- ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة.
- ليس في خبر القرآن عن زكريا -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.

الباب الثالث

الوجود التاريخي للأنبياء
في الألفية الأولى قبل الميلاد

جاء الخبر القرآني عن الأنبياء السابقين لعصر عيسى -عليه السلام-، المنسوبين إلى الألفية الأولى قبل الميلاد بعيدًا عن التفصيل التاريخي، على خلاف الخبر التوراتي الذي ميّز هذه المرحلة بإسهاب واسع في الوجهين التاريخي والجغرافي، وذكرِ الأسماء الرئيسة والهامشية في أحداث قصص الأنبياء، ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ أسفار التوراة قد كُتبت كلّها في هذه الألفية.

والنظر النقدي لما جاء في قصص الأنبياء في القرآن في هذه المرحلة التاريخية، يقتضي من المعارضين ألا يدينوا الخبر القرآني؛ بما ينكرونه على التوراة، وإنّما عليهم النظر في القرآن رأسًا، مع الإفادة من اللمحات التاريخية المذكورة في التوراة، باعتبار التوراة شاهدًا تاريخيًا قديمًا، لا نصًا دينيًا يُحتجّ به على القرآن.

الفصل الأول
الوجود التاريخي لداود -عليه السلام-

المبحث الأول: داود -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

داود -عليه السلام-، نبي من بني إسرائيل، عاش بعد أكثر من قرنين من وفاة موسى -عليه السلام-. وقد جاء خبره في القرآن في عدد من السور؛ بذكر فضائله ومعجزاته، وبعض أخباره، دون سرد قصّته كاملة بتفاصيلها.

جمع الله - سبحانه - لداود -عليه السلام- الملك والنبوة، بعد أن قتل جالوت القائد الفلسطيني المحارب لبني إسرائيل: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ (البقرة/ 251). وكان ممكّنًا في ملكه، حاكمًا بالعدل، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾ (ص/ 20). وآتاه الله الوحي في كتاب، قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥﴾ (الإسراء/ 55). وأكرمه بعمل الدُّروع من زَرَد، ولعلّها كانت قبل ذلك من صفائح. كما وهبه الله الصّوتَ الحَسَنَ، في قراءة الوحي والتّسبيح، قال نبيُّنا - صلّى الله عليه وسلّم -: «لقد أُعطي أبو موسى من مزامير داود»[1]. وكان كثير العبادة، قال - صلّى الله عليه وسلّم -: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللَّهِ صَلاَةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»[2].

وأمّا داود -عليه السلام- في الكتاب المقدس؛ فقد ورد ذكره بصورة أوسع، حتّى

(1) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، (ح/ 4779)، ومسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، (ح/ 1374).

(2) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود، (ح/ 3238)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، (ح/ 1159).

إن اسمه قد تكرر في سياقات مختلفة أكثر من ألف مرة في العهد القديم و59 مرة في العهد الجديد. وقد جاء خبره التاريخي أساسًا في 1 صموئيل 16 - 1 ملوك 2، مع ما جاء في 1 أخبار الأيام.

توافق القصة التوراتية لداود -عليه السلام- القرآن نسبته إلى الملك والنبوة، ومعركته مع جالوت (جليات גָּלְיָת)، وتزيد التوراة على ذلك أخبارًا بعضها يُخالف الرؤية الإسلامية لعصمة النبوة، وأخرى لا توافق القرآن فيها ولا تخالفه. ومن أهمّ هذه الأحداث فتح داود -عليه السلام- لأورشليم، المدينة ذات الحصون، وإقامته فيها مبان جديدة، بعد أن أخذها من اليبوسيين، وإخضاعه بالحرب الموآبيين والآراميين ودمشق والعمونيين والأدوميين والعمالقة... وقد مات داود -عليه السلام- في السنة الحادية والسبعين من عمره، بعد حُكم امتدّ أربعين سنة. وتُنسب إلى داود -عليه السلام- عامة المزامير في الكتاب المقدس.

لم يهتمّ التحدي الإلحادي المشكّك في وجود داود -عليه السلام- بما أوتيه هذا النبيّ من خوارق، وإنّما جعل جهده ردّ تاريخية داود -عليه السلام- من جهة غيابِ صريحِ اسمِه عن الاكتشافات الأثرية، وامتناع صدق وجود دولة بالسّعة والعظمة المدّعاة في التوراة. وحول هاتين القضيتين سَنُدَنْدِنُ.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لداود -عليه السلام-

ليس في القرآن من خبر داود -عليه السلام- مما يقبل البحث الأركيولوجي سوى أنه أوتي الملك، وأمرين آخرين:

- معركة داود -عليه السلام- ومن معه، جالوت (جوليات גָּלְיָת) الفلستي وجيشه: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ (البقرة/ 249 - 251).
- صناعة بعض آلات الحرب، دون تعلّم وإنّما بإلهام خارق: قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (سبأ/ 10 - 11).

لم يجد اللادينيون حجّة لإنكار الوجود التاريخي لداود -عليه السلام- في أمر المعركة مع جالوت أو في صناعة داود -عليه السلام- لبعض آلات الحرب، وإنّما زعموا خرافيّة شخصيّة هذا النبيّ استنادًا إلى غياب أيّ أثرٍ أركيولوجيٍّ يشهد لوجوده.

ولذلك قالوا إنّ داود - عليه السّلام - مجرّد اختراع إسرائيلي شعبويّ؛ تمّ اختلاقه لتفسير وجود مملكةٍ متّحدة قبل وجود مملكتي يهوذا والسامرة بداية من القرن التاسع قبل الميلاد. فهل للقائلين بتاريخيّة داود عليه السلام حجّة مقابلة؟

المطلب الأول: صدق الخبر التوراتي في خبرِ مملكتَي يهوذا والسامرة

اعتراض المعارضين ينصر بنفسه حجّة القائلين بتاريخيّة داود وابنه سليمان - عليهما السلام - ؛ فإنّ علمنا اليقينيّ المدعوم بقطعِيّ الشواهد الأركيولوجية بوجود مملكتين لبني إسرائيل منذ القرن التاسع قبل الميلاد كما هو مذكورٌ في أسفار العهد القديم، قرينةٌ قويّة على صِدق وجود مملكة متحدة سابقةٍ لهما؛ فإنّ قبول هذا التراث الإسرائيليّ الشفهيّ والمكتوب لاحقًا في أسفار العهد القديم منذ القرن التاسع قبل الميلاد، ووصم الخبر السابق لذلك بقرن واحد (القرن العاشر قبل الميلاد) أنه اختلاق محضٌ، مكابَرة لم يجرِ التاريخ - عادة - على تصديقها.

ويُصدّق كلامنا الكاتب فراس السواح، بقوله في كتابه: «الحدَثُ التوراتيّ والشرق الأدنى القديم»: «أمّا من الناحية التاريخية، فلا يمكن التثبّت من قيام المملكة الموحدة، ولا من وجود داود وسليمان، بسبب عدم تقاطع الأخبار التوراتية هنا مع أي نص تاريخي قديم. إلا أنّه **يمكن استنتاج قيام المملكة الموحدة، ووجود أساس تاريخي لسليمان وداود، وذلك من البينات التاريخية اللاحقة التي تثبت وجود مملكتي يهوذا وإسرائيل، وورود أسماء خلفاء سليمان على هاتين المملكتين في السجلات الآشورية مثل عمري وآخاب وياهو ومنسي ومنحيم**»[1].

وقد سبق أن تحدّثنا عن ملوك يهوذا وإسرائيل الذين شهد لوجودهم البحث الأركيولوجي، بدءًا من بداية القرن التاسع قبل الميلاد (الملك عمري) في مملكة إسرائيل، ومنتصف القرن التاسع قبل الميلاد (الملك أخزيا) في مملكة يهوذا. وهنا

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 206.

يسأل ندف نأمان: «لماذا لا يؤمن العلماء بوجود أساس تاريخيّ لرواية غزو داود للقدس واحتلالها؛ إذا كانوا يَقْبلون عمومًا مصداقية الرواية التوراتية لتأسيس عمري للسامرة كعاصمة لمملكة إسرائيل الشمالية (ملوك الأول 16/ 24)؟»[1].

ولذلك قال أميحاي مازار: «الاعتراف بتاريخية الرواية التوراتية فيما يتعلق بشمال إسرائيل في القرن التاسع، مع إنكار تاريخيّة المملكة المتّحدة في القرن العاشر [...] إلّا بسندٍ للدعوى من إشارات أركيولوجيّة واضحة؛ موقفٌ لا يقوم على منطق صائب»[2].

المطلب الثاني: نقش تل دان

كانت المفاجأة الكبرى الصادمة للقائلين بخرافية شخصية داود -عليه السلام- العثور في 1993 - 1994 في تل دان شمالي فلسطين على ثلاثِ قطعٍ لنصب آرامي للنّصر، وفيه عبارة: «بيت داود»[3]؛ حتّى إنّ أحدهم اقترح أنّ النقش مزوّر على يد أحد أنصار التوراة؛ لعلمه بآثار الإقرار بأصالة هذا النقش[4] !

يقول هذا النقش الذي دقّق كلماته الظاهرة والساقطة من الأجزاء الضائعة عالِما النقوش القديمة جوزيف نافه وأبراهام بيران[5]:

[......] وقطع [...]   [א]מר.ע[ ]וגזר[ ]

[...] أبي صعد [ضده عنده]   [...].אבי.יסק[.עלוה.בה]תלחמה.בא[ ]

حارب عند [...]

(1) Nadav Na'aman, 'Cow Town or Royal Capital?', *Biblical Archaeology Review* 23.4 (1997): 43-47, 67.

(2) Israel Finkelstein, Amihai Mazar, *The Quest for the Historical Israel*, p.118.

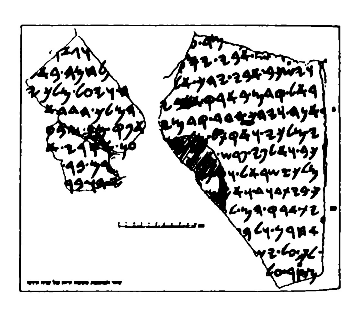
(3) Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', p.369

(4) See F.H. Cryer, "On the Recently - Discovered 'House of David' Inscription," *Scandinavian Journal of the Old Testament* 8 (1994), pp. 14-15.

(5) Cited in Israel Finkelstein, Neil Asher Silberman, *David and Solomon* (New York: Simon and Schuster, 2007), pp.264 - 265.

ومات أبي. مضى إلى[آبائه] وقام ملك إ[سـ]	וישכב.אבי.יהך.אל[.אבהו]ה.ויעל.מלכי[יש]
رائيل. حلّ بأرض آبائي. [و]هَدَدْ مَلِكًا جعلـ	ראל.קדם.בארק.אבי[.ו]המלך.הדד[.]א[יתי]
ني. وسار هدَدْ أمامي. [و]سِرتُ من سبعـ[ـة...]	אנה.ויהך.הדד.קדמי[.ו]אפק.מן.שבע[ת - - -]
لمملكتي. وقتلتُ [سبـ]ـعين ملـ[ـكًا] سخّروا آ[لاف العـ	י.מלכי.ואקתל.מל[כן.שב עין.אסרי.א[לפי.ר]
ربات. وآلاف الفرسان، [وقتلتُ يهو]رام بن [آخاب]	כב.ואלפי.פרש.[קתלת.אית.יהו]רם.בר. [אחאב.]
ملك إسرائيل. وقتلـ[ـتُ أخز]يا بن [يهورام ملـ]	מלך.ישראל.וקתל[ת.אית.אחז]יהו.בר[. יהורם.מל]
ك بيت داود. وجعلتُ [قراهم خرابًا، وقلبتُ]	ך.ביתדוד. ואשם.[אית.קרית.הם.חרבת. ואהפך.א]
أرضهم [قفرًا]	ית.ארק.הם.ל[ישמן]
آخر وله[... ويهو مـَ]	אחרן.ולה[... ויהוא.מ]
ـلَكَ على إسـ[ـرائيل... وأقمتُ]	לך.על.יש[ראל... ואשם.]
حصارًا عـ[ـلى...]	מצר.ע[ל.]

صورة نقش تل دان بالحرف الأصلي[1]



صورة ضوئية لنقش تل دان
حروف «بيت داود» باللون الأبيض



(1) בוסתנאי עודד, האוניברסיטה הפתוחה، תולדות עם ישראל בימי בית ראשון (אוניברסיטה הפתוחה، 2008)، 2/ 43.

كُتب هذا النقش لتمجيد ملك آرام حزائيل - على الأرجح -، وذلك في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد. وقد افتخر فيه بانتصاره على ملك إسرائيل ومن معه؛ مصرحًا أنه قتل يهورام وأخزيا. ولهذا النقش أربع ميزات عظيمة بالنظر في أهميته عند مناقشة تاريخية شخصية داود -عليه السلام-:

1. صرّح هذا النقش باسم داود -عليه السلام- في عبارة «بيت داود». وقد كان من عادة الأمم المجاورة لبني إسرائيل تسمية المملكة ببيت أحد ملوكها؛ كـ«بيت أجوشي» اسمًا لمملكة أرفاد في الشمال السوري، نسبة إلى جوشي/ أجوشي، و«بيت حزائيلي» لمملكة دمشق، نسبة إلى حزائيل. كما اشتهر في النقوش الآشورية تسمية مملكة إسرائيل بـ«بيت [الملك] عُمري»[1].
2. وردت عبارة «بيت داود» في الإشارة إلى قوم داود -عليه السلام- والسلالة الحاكمة بعده، في مواضع كثيرة في العهد القديم، منها:
   - 1ملوك 12/ 19: «فعصى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم».
   - 1ملوك 12/ 26: «وقال يربعام في قلبه: الآن ترجع المملكة إلى بيت داود».
   - إرمياء 21/ 12: «يَا بَيْتَ دَاوُدَ، هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْضُوا فِي الصَّبَاحِ عَدْلاً، وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ، لِئَلاَّ يَخْرُجَ كَنَارٍ غَضَبِي فَيُحْرِقَ وَلَيْسَ مَنْ يُطْفِئُ، مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ».
   - مزمور 122/ 5: «لأَنَّهُ هُنَاكَ اسْتَوَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلْقَضَاءِ، كَرَاسِيُّ بَيْتِ دَاوُدَ».
3. جاء هذا التصريح على لسان عدوٍّ لبني إسرائيل. وذاك يدفع كلّ معارضة قائلة إنّ صاحب النقش قد أراد تمجيد سَلَفِه الموهوم الذي اخترعه لغايات دينية أو سياسية.
4. نُقِشَ النصُّ بعد قرابة قرن أو قرن ونصف فقط من وفاة داود -عليه السلام-.

(1) Nadav Na'aman, 'Cow Town or Royal Capital?', *Biblical Archaeology Review* 23.4 (1997): 43-47, 67.

كانت الصدمة شديدة على عامة الأركيولوجيين؛ بما اضطر كثيرًا منهم إلى الإقرار بوجود داود -عليه السلام-، وعلى رأسهم إسرائيل فنكلشتاين - الأركيولوجي المعروف بتشكيكه في الرواية التوراتية لنشأة بني إسرائيل، ولأهم المحطات الكبرى لهذا التاريخ، والذي وصفه فراس السواح أنّه «أبرز علماء الآثار في الكيان الصهيوني اليوم»[1]، وأنّه «بطله المفضل» باللهجة السورية[2] - ؛ فقد أعلن صراحة قوة دلالة نقش تل دان على وجود داود -عليه السلام-، في قوله: «هل بإمكان الأركيولوجيا أن تظهر أنّ داود وسليمان شخصيتان تاريخيتان؟ بينما الجدال مستعر، اكتشاف من حفريات المنطقة القديمة لتل دان في شمال إسرائيل، بالقرب من واحد من منابع نهر الأردن، غيّر طبيعة الجدال حول الوجود التاريخي لداود وسليمان»[3].

ثم أضاف: «باختصار، يُقدّم نقش تل دان شهادة مستقلة على الوجود التاريخي لسلالة حاكمة أُسّست من طرف حاكم اسمه داود، بعد أجيال قليلة من العصر الذي من المفترض أنّه عاش فيه»[4].

وعلّق الأركيولوجي وليام ديفر على نقش تل دان بقوله إنّ **عامة كبار العلماء المتخصصين في النقوش القديمة** (وكلّهم ليسوا من أنصار التوراة)[5] على أنّ هذا

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص89.

(2) في لقاء مرئي متاح على اليوتيوب.

(3) Israel Finkelstein; Neil Asher Silberman, *David and Solomon*, p.263.

(4) Ibid., p.266.

(5) قارن هذا الاستقراء؛ بالعبارة «العجيبة» لفراس السواح تعليقًا على هذا الكشف العظيم؛ إذ ذهب إلى أنّ الأركيولوجي فيليب ديفس قد فنّد القول إنّ هذا النص يشير إلى شخص داود -عليه السلام-، ليضيف السواح بعد ذلك قوله: «وإنّي لا أرى نفعًا من إيراد تفاصيل هذا الجدال لأنّ فيه مضيعة للوقت» (آرام دمشق، ص134)! فهو يستدلّ بأركيولوجي متطرّف من رموز مدرسة «الحد الأدنى». ويتجاهل قول جمهور النقاد، فارًّا من الدلالة العظمى لهذا الكشف؛ بالقول إنّ متابعة حديث المتخصصين فيه «مضيعة للوقت»!

وقد فنّد النقّاد دعوى ديفس أنّ العبارة ليست «بيت داود» لغياب علامة الفصل بين «بيت» و«داود»، من أوجه:

الوجه الأول: اتّهم ديفس مخالفيه أنّ قراءتهم للعبارة مجرّد تخمين، رغم أنّ «اجتهاده» هو مجرّد تخمين، لم يعضده بأيّ دليل خارجيّ.

الوجه الثاني: أقرّ ديفس نفسه أنّ «بيتدود» - بحروفها الست - تتكون من كلمتين، «بيت» و«دود». وهو وإن زعم =

=أنّ «دود» قد تعني «محبوب» أو «عم»، إلا أنه عاد للإقرار أنّنا لسنا أمام كلمة بسيطة، وإنّما هي كلمة مركّبة من اسمين دون فاصل.
الوجه الثالث: زعم ديفس أن «بيتدود» اسم لمكان، واستدلّ لذلك بأنّ أسماء الأماكن تُكتب متّصلة، واحتجّ لدعواه بمثال واحد، وهو «بيت لحم»، رغم أنّ بيت لحم تكتب بكلمتين اثنتين وليست هي متصلة في التوراة: בֵּית לֶחֶם!
الوجه الرابع: حتّى لو سلّمنا أنّ «بيتدود» اسم لمكان؛ فسيبقى أنّ تسمية هذا المكان باسم «بيت داود»، نسبة إلى داود، أرجح. ولا إشكال عندها لإثبات تاريخية داود عليه السلام، سواء كان «بيتدود» اسمًا لسلالة حاكمة أو منطقة.
الوجه الخامس: تكرُّر عبارة «بيت داود» في الكتاب المقدس أكثر من عشرين مرّة، يزيد رجحان قراءة «بيت داود» قوّة.
الوجه السادس: بيّن غاري رندسبورغ أنّ تسمية السلالات الحاكمة والعائلات بعبارة «بيت كذا» في النقوش الآراميّة، شائع جدًّا؛ بما يجعل استعمال هذا الاسم لدولةٍ لبني إسرائيل (يهوذا) متوقعًا، ويجعل استغناء الناسخ عن الفاصل بين الكلمتين «بيت داود» في نقش تل دان، مفهومًا.
(Gary A. Rendsburg, 'On the Writing Bytdwd in the Aramaic Inscription from Tel Dan,' *Israel Exploration Journal* 45 (1995), pp. 22 - 25).
الوجه السابع: وجود «بيت داود» بعد «بيت إسرائيل» أولى من ذكر «بيت المحبوب»؛ إذ هو يتوافق مع وجود: مملكة يهوذا الجنوبية التي تحكم عاصمة مملكة داود عليه السلام، ومملكة إسرائيل في الشمال.
الوجه الثامن: مشكلة غياب الشاهد الخارجي على وجود منطقة باسم «بيتدود»، أو بعبارة الناقدين دافيد فريدمان وجفري جيوغجان: «لا يوجد أيّ مكان يُعرف بـ «بيتدود» في أيّ نص أو تراث أو نقش» (David Noel Freedman and Jeffrey C. Geoghegan. "'House of David' Is There!» *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 78-79). فافتراض قراءة بعيدة لا يدعمها التاريخ، ولا سياق الكلام في النقش، تكلّفٌ غير منصف.
الوجه التاسع: اعترض أنسون ريني - أستاذ ثقافات الشرق الأدنى القديم واللغويات الساميّة في جامعة تل أبيب - بشدّة على مقالة ديفس، في مقالة أكّد فيها أنّها من جنس مغالطات الهواة، ولا تستحق غير التجاهل. وأشار إلى أنّ غياب علامة الفصل في «بيت داود» في نقش تل دان، ليس بدعًا من الأمر؛ فقد وردت الصورة نفسها في نصب ميشع كما شرحه لومير. كما توجد نماذج لنقوش أخرى آرامية لا تضم علامة الفصل، كما هو في نقش دير علا؛ عن «بلعام بن بعور»؛ إذ لا علامة فصل بين بَر (أي ابن) وبعور، رغم وجود علامة فصل بين بلعام وبربعور، وعدم وجود علامة الفصل بين بِر وركِب في نقوش آرامية من زنجرلي في جنوب تركيا. وأمّا في النصوص الأوغاريتية؛ فقد ذكر أنسون ريني أنّه رغم شيوع استعمال الفاصلة، إلاّ أنّ الدارسين للأوغاريتية لا يستغربون من غياب الفاصلة في بعض النصوص القديمة بهذه اللغة.
(Anson F. Rainey "The 'House of David' and the House of the Deconstructionists,» *Biblical Archaeology Review* 20.6 (1994): 47)
الوجه العاشر: ذهب نأمان إلى أنّ غياب علامة الفصل بين «بيت» و«داود»، سببه أنّ هذا الاسم مسبوق بكلمة «مَلك»، وبين «ملك» و«بيتدود» علامة فصل، فأسقط الناسخ علامة الفصل الثانية بين المضاف والمضاف إليه لوجود علامة أولى بين «ملك» و«بيتدود». وقد أراد بذلك المحافظة على الصورة نفسها في الحديث عن «بيت يسرئل [إسرائيل]» و«بيت دود [داود]»، وقد ذُكرا وراء بعض.
(Nadav Na'aman, 'Beth - David in the Aramaic Stela from Tel Dan,' *Biblische Notizen* 79 (1995), p.20).
الوجه الحادي عشر: نبّه نأمان إلى أنّه إذا كان النصف الثاني من الكلمة هو «دُود» بمعنى محبوب؛ فالأصل أن تُكتب الكلمة - كما هي العادة قديمًا - بحرفي الدال فقط؛ مع إسقاط حرف المدّ الطويل؛ لعادة إسقاط الصوائت. فوجود الواو يدلّ عامة على أنّها هنا ليست من الصوائت، وإنّما استُعملت في النقش مع حركةٍ غير الضمّة الطويلة.
(Nadav Na'aman, 'Beth - David in the Aramaic Stela from Tel Dan', pp. 18 - 19).
الوجه الثاني عشر: بعد نشر ديفس مقالته الشهيرة في النقش سنة 1994، نُشر الجزء الآخر من النقش، والذي أيّد به جميع أصحاب قراءة «بيت داود» قراءتهم.
لقد اتّهم ديفس مخالفيه أنّهم يفرضون إيمانهم بالتوراة على الكشف الأركيولوجي، رغم أنّ عامة الناقدين الذين قرؤوا النص أنّه عن «بيت داود»، لا يؤمنون بقداسة التوراة ابتداء. والحقّ أنّ ديفس متهم عندنا بفرضه رؤيته=

النقش يتحدّث عن بيت داود؛ بما يشير إلى وجود حاكم اسمه داود[1].

قول السواح إنّ داود -عليه السلام- «ليس إلا شبحًا تاريخيًّا لم يعد يؤرق سوى بعض الحلقات الأكاديمية المحافظة»[2]، مجرّد مشاكسة أسيرة للأدلجة اللادينية.

المطلب الثالث: نقش ميشع

بالإضافة إلى نقش تل دان، يتحدّث العلماء عن شهادة لداود -عليه السلام- في نقش ميشع الذي يعود أيضًا إلى منتصف القرن التاسع. وأهم من انتصر لذلك عالم النقوش القديمة أندري لومير الذي أنفق سنوات طويلة في دراسة هذا النقش؛ إذ ذكر أنّ السطر 31 فيه «ب - ت [د] - و - د» أي «بيت داود». والسطر بذلك يقول: «وأما حُورُونَايِم[3]، فقد سكنها بيت داود» في الحديث عن مملكة يهوذا؛ بتسميتها باسم المؤسس داود -عليه السلام-. وهو ما يوافق السياق جيّدًا[4]. وهي قراءة أيّدها لاحقًا عدد من الباحثين، مثل عالم النقوش القديمة إيميل بويش[5]، ولورنس مايكاتيوك[6].

=المتطرّفة التي ترى التاريخ اليهودي القديم محض تلفيق اختُرع في العصر الفارسي وما بعده.
وقد حاول بعضهم ردّ قراءة «بيت داود»؛ بالقول إنّ النقش يقابل بعض ما جاء في التوراة، لكنه يعارضه في التفاصيل. وأجاب نأمان عن ذلك بقوله إنّه لو ثبت هذا التقابل والاختلاف؛ فليس هو بشيء؛ إذ إنّه في كل الحالات التي وجدنا شواهد تاريخيّة خارجية تتعلّق بتاريخ إسرائيل آخر القرن العاشر وبداية التاسع قبل الميلاد (مثال: غزوة شيشنق، ومعركة قرقر، وثورة ميشع، وجزية يهو)، نجد صعوبة في التوفيق بين النص التوراتي والشاهد الخارجي في التفاصيل. ويردّ نأمان ذلك إلى تأخّر تدوين النص التوراتي عن الحدث التاريخي الذي يذكره، وانتماء تلك الشواهد التاريخية إلى جنس أدبي مختلف عن التوراة (أي إنّها تهتم بتمجيد الحكّام لا سرد وقائع التاريخ بحياديّة).
(Nadav Na'aman, 'Beth - David in the Aramaic Stela from Tel Dan, pp.21 - 22).

(1) William Dever, *What did the Biblical Writers Know and When did they Know it?*, pp.128 - 129.

(2) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص58.

(3) مدينة في موآب.

(4) Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', p.368.

(5) Émile Puech, "La stele araméenne de Dan: Bar Hadad II et la coalition des Omrides et de la maison de David,» *Revue Biblique* 101 (1994), p. 215. See also Anson F. Rainey, "The 'House of David' and the House of the Deconstructionists,» *BAR*, November/December 1994.

(6) Lawrence J. Mykytiuk, *Identifying Biblical Persons in Northwest Semitic Inscriptions Of 1200 - 539 B.C.E*, pp.265 - 277.

المطلب الرابع: نقش شيشنق

من الشواهد الأخرى لوجود داود -عليه السلام- (وحكمه) ما جاء في نقش شيشنق الأول. يقول كنث كتشن: «بعد انتصاره على رحبعام ويربعام في 926/ 925 ق.م، نَقَش شيشنق الأول ملك مصر في معبد الكرنك قائمة طويلة لأسماء الأماكن الفلسطينية. بعضها خراب الآن، وبالتالي مفقود بالنسبة لنا، ولكن الكثير منها يمكن التعرف عليه كأماكن معروفة في إسرائيل، ويهوذا، والنجف، والقليل في غرب عبر الأردن. ولكن بقيت قلّة غامضة، ومن بين هذه في مجموعة الأسماء التي من الواضح أن مواقعها مرتبطة بمنطقة النجف/ جنوب يهوذا، هناك موقع يسمى «مرتفعات داوت Dwt». وهذه في الواقع لا يمكن أن تكون دوثان لأنه لا يوجد حرف «ن» في نهايتها، كما أن القرينة هنا خطأ تمامًا بالنسبة لمستوطنة فلسطينية شمالية. ولكن، في نقش نصر أثيوبي يعود لبدايات القرن السادس بعد الميلاد في جنوب غرب العربية، اقتبس إمبراطور أكسوم بوضوح الفقرات (مزامير 65 و19) من «مزامير Dawit»، هنا الحروف نفسها الساكنة لكلمة (Dwt) التي وجدت في حالة شيشق، وفي النسخ المصرية للأسماء الأجنبية (لكل من الأماكن والأشخاص)، فإنّ حرف «ت» يمكن أن يحل محل «د» السامي، وقد حدث هذا أحيانًا، فقد حدث هذا في الدولة الحديثة في أسماء أماكن معروفة مثل «مجدو» (بالمصرية: مكت)، إدرى (Edre'i) (بالمصرية itr، إترعي)، و (Adummim) أدوميم (بالمصرية Itmm إتمم)، دمشق (بالمصرية Tmsq تمسق)، دوثايم/ دوثان (بالمصرية Ttyn). وحَوَت الدولة الوسطى سابقًا نصوص اللعنة لأحد أمراء مجدالي (بالمصرية MKTRY). وبهذا فقط، لدينا هذه الطريقة نفسها في أسماء الأشخاص أيضًا، بما في ذلك شخص يدعى «David داود». الآسيوي، رئيس النجارين، Twti توتي وهو اسم ربّما لشخص يدعى داويد أو دودي منقوشًا على

نصب تذكاري، وشخص آخر محتمل وهو دودي. (ه) أوتو، بالمصرية Tt - w't في إحدى البرديات، وبالتالي فلا مجال للشك أن الـ «د» النهائية تصير الـ«ت» الصامتة في كل من المصرية والأثيوبية (حيث كل منهما، لغات أفروآسيوية)»[1].

(1) ك.أ. كتشن، مصداقية العهد القديم، ص171 - 172.
K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.93.

المبحث الثالث: تاريخية مملكة داود -عليه السلام-

يُهاجم عامة الأركيولوجيين دعوى أنّ داود -عليه السلام- كان على رأس مملكة واسعة وقوية. والاعتماد في تقرير هذا الموقف قائم على إنكار الرواية التوراتية التي جاء فيها تفصيل سعة هذه المملكة التي من المفترض أنها قامت في زمن شاؤول قرابة سنة 1050 ق.م، قبل أن يخلفه داود -عليه السلام- لمدة أربعين سنة، وهي المدة نفسها لحكم سليمان -عليه السلام- (1صموئيل 13/ 1، 2صموئيل 5/ 4، 1ملوك 11/ 42).

وهو جدل محتدم، كُتبت فيه مؤلفات كثيرة، وعُقدت لأجله مؤتمرات وندوات دراسية متتالية. ولا يزال هذا النقاش إلى اليوم محلّ أخذ وردّ؛ وإن كان اللادينيون العرب لا يزالون يُصَدِّرون كتابات فراس السواح في الباب باعتبارها نهاية القول في الموضوع، رغم أنّها **ملخّصات** سيّئة لجدل حيّ عريض ومتعدّد الأقوال؛ فهي منشورات تكتفي بعرض الرأي المتطرّف، وتشويه الرأي المخالف في شكل كاريكاتوري؛ بوصفه أنه رأي دينيّ «لا عِلميّ»، مع ضعفٍ بيّن في رصد أبحاث الأركيولوجيين المعارضين للقول بوجود مملكة قوية لداود -عليه السلام-[1]. ولذلك علينا أن ندرس الأمر عن كثب، مع محاولة الإفادة من أهم الدراسات والكشوف وأحدثها في الباب، بعد أن نكشف عن الصورة القرآنيّة لمملكة داود -عليه السلام-.

---

(1) ومن العجيب قول السواح: «وفيما عدا كتابي الذي صدرت طبعته الأولى عام 1995 تحت عنوان: «آرام دمشق وإسرائيل»، فإن البحث التاريخي العربي بقي غير معنيّ بالجدل الدائر في الغرب بخصوص تاريخ فلسطين» (فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص14)، رغم أنّ د. محمد بيومي مهران - كمثال - قد نشر موسوعته التاريخية «إسرائيل» في أربعة مجلدات سنة 1979م، وفيها اطلاع واسع على الجدل الأركيولوجي في الغرب حول تاريخ فلسطين القديم.

المطلب الأول: الوصف القرآني لمملكة داود -عليه السلام-

تحدثت التوراة عن مملكة داود -عليه السلام- في سفر صموئيل الثاني وسفر الملوك الأول. وتبدو هذه المملكة ممتدة من البحر المتوسط إلى الصحراء العربية، ومن البحر الأحمر إلى الفرات. وزادت قوّتها لاحقًا في عصر سليمان -عليه السلام- الذي بنى مدنًا قوّية، مثل مجدو وحاصور وجازر.

وليس في القرآن خبر عن مملكة واسعة وعمران عظيم لدولة داود -عليه السلام-. وإنّما في الآيات خبر سلطان داود -عليه السلام- المعجز، دون وصف لسعة الأرض، وتعدّد الغزوات.

قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الأنبياء/ 78 – 79).

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ (النمل/ 15).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (سبأ/ 10 – 11).

وقال سبحانه: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ (ص/ 17 – 20).

ليس في وصف دولة داود وسليمان – عليهما السلام – في القرآن ما يُظهر سعتها، ولكن بإمكاننا القول إنّ دولتهما – كما هي في القرآن – لم تكن مجرّد قرية على تلّة في أورشليم – كما هو قول فنكلشتاين –، وذلك من دلالة قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ

صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ (الأنبياء/ 80)، إذ يُفهم من الآية السالفة أنّ داود -عليه السلام- كان رجل حرب، يحتاج دروعًا لجنده؛ فقد كانت لداود -عليه السلام- معارك تحتاج بأسًا شديدًا. كما أنّ قدوم ملكة سبأ - صاحبة العرش العظيم - من أقصى جنوب الجزيرة العربية إلى مملكة سليمان، دون أن تزدري مُلك هذا النبي بعد أن رأته بعينيها، حجّة أنّها لم تر قرية نائية في الشام بعد رحلتها المضنية إليها من اليمن.

وإذا كانت مملكة داود وسليمان - عليهما السلام - القرآنيّة تحمل مظاهر القوّة والبأس - وإن لم تبلغ في سعتها ما تذكره التوراة - ؛ فعلينا أن نطرح مجموعة من الأسئلة الجادة التي تطلب جوابًا:

- لماذا لا نجد ذكرًا لمملكة داود وسليمان - عليهما السلام - في أخبار البلاد المجاورة لها في عصرها؟
- هل يجب أن تشهد آثار فلسطين عامة، وأورشليم خاصة، لوجود هذه المملكة؟
- هل حقًا تشهد الآثار لامتناع قيام هذه الدولة في القرن العاشر قبل الميلاد؟
- ما القول العدل في نظرية فنكلشتاين - وهي الأشهر إعلاميًا - في شأن هذه المملكة؟
- ما هي القيمة العلميّة لما طرحه فراس السواح في شأن أصل هذه المملكة؟

المطلب الثاني: مملكة داود -عليه السلام- في أخبار دول الجوار

ردّ الأركيولوجي الشهير عميحاي مازار على الاستدلال بغياب الشواهد التاريخية الخارجية على مملكة داود -عليه السلام- ؛ لإنكار وجود هذه المملكة، بقوله: «يجب ألا يفاجئنا عدم وجود مصادر خارجية تتعلق بمملكة مثل مملكة داود وسليمان، لأنّه لم تكن هناك إمبراطوريات أو قوى سياسية كبرى في القرن العاشر قبل

الميلاد من الممكن أن تترك وراءها وثائق مكتوبة كثيرة. المصدر الخارجي الوحيد المتعلق بهذه الفترة هو نقش شيشنق الأول...الذي يشير إلى غارة عسكرية ضد أرض إسرائيل وقعت حوالي 920 قبل الميلاد. أولًا، يجب أن ندرك أنّ ذكر حملة شيشنق في ملوك الأول 14/ 25-28[1] لا يمكن تفسيره على أنه اختراع لمؤلف من القرن السابع قبل الميلاد وما بعده؛ لأنّه يجب أن تكون لكاتب هذا النص سجلات من نوع ما. وهذا في حد ذاته حجّة مهمّة للبعد التاريخي للسرد الكتابي والطريقة التي ظهرت بها.

على عكس أي من الحملات العسكرية السابقة للمملكة المصرية الحديثة في كنعان، تذكر قائمة شيشنق مواقع شمال القدس، مثل بيت حورون وجبعون. **يجب أن يكون التفسير الوحيد المعقول لهذا هو وجود قوة سياسية في بلد التل المركزي كانت مهمة بدرجة كافية في عيون المصريين لتسويغ مثل هذا الطريق الاستثنائي للحملة.** المرشّح الوحيد المعقول لمثل هذه القوة هو مملكة سليمان.... إذا كانت هذه الغارة قد تمّت بالفعل بعد وفاة سليمان، ربما كان شيشنق يحاول من خلالها استغلال هذه المملكة في زمن الضعف وتوجيه ضربة لدولة إسرائيل الناشئة»[2].

شاغب فراس السواح - تبعًا لتيّار «الحد الأدنى» في الغرب - على الحقيقة السابقة، بأمرين[3]:

الفرعون صهر سليمان -عليه السلام-: قال السواح: «سجلّات الفرعون سيامون (آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين)، الذي يفترض المؤرّخون التوراتيون أنّه الفرعون الذي زوج ابنته لسليمان، تخلو من أية إشارة إلى الأحوال السائدة في

(1) «وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْمَلِكِ رَحُبْعَامَ، صَعِدَ شِيشَقُ مَلِكُ مِصْرَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَخَذَ خَزَائِنَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَأَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ. وَأَخَذَ جَمِيعَ أَتْرَاسِ الذَّهَبِ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ. فَعَمِلَ الْمَلِكُ رَحُبْعَامُ عِوَضًا عَنْهَا أَتْرَاسَ نُحَاسٍ وَسَلَّمَهَا لِيَدِ رُؤَسَاءِ السُّعَاةِ الْحَافِظِينَ بَابَ بَيْتِ الْمَلِكِ».

(2) Israel Finkelstein and Amihai Mazar, *The Quest for the Historical Israel*, pp.123 - 124.

(3) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص67.

فلسطين أو إلى قيام أي نوع من العلاقات الديبلوماسية بين البلاد المصرية والممالك الفلسطينية»[1].

وهنا وقع السواح - كعادته - في أخطاء منهجية في التعامل مع الخبر التاريخي؛ فهو يرى أنّ خطأ الخبر التوراتي في جزئية من القصة الكبرى؛ سبب لنسفها رأسًا. فيدين بذلك القرآن بجريرة التوراة!

جاء في 1ملوك 3/ 1: «وَصَاهَرَ سُلَيْمَانُ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ، وَأَخَذَ بِنْتَ فِرْعَوْنَ وَأَتَى بِهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ إِلَى أَنْ أَكْمَلَ بِنَاءَ بَيْتِهِ وَبَيْتِ الرَّبِّ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ حَوَالَيْهَا». وهو خبر مريب؛ يستبعده المسلم لعدم وروده في القرآن أو السنّة، رغم ورود الخبر في السنّة عن زواج سليمان من مئة امرأة، وقصّته مع ملكة سبأ، بالإضافة إلى بعد احتمال زواج نبي كريم من امرأة وثنية، خاصة إذا كانت ابنة فرعون الذي كان سلفه قبل ثلاثة قرون أكبر عدو للتوحيد في قصّة موسى -عليه السلام-. ولسنا مع ذلك نقطع بنفي ذلك - إسلاميًا - لجهلنا بشريعة التوراة - غير المحرفة - التي كان عليها سليمان -عليه السلام-، ولكنّنا نراه بعيدًا. وصَمْتُ الخبر القرآني - على كل حال - يمنع الاستدلال بدعوى هذه المصاهرة؛ للقول إنّ صَمْتَ الآثار المصرية عن خبر مملكة سليمان -عليه السلام- ؛ حُجّة لعدم وجودها.

نقش شيشنق: أشار المعارضون إلى عدم ذكر أورشليم في نقش شيشنق؛ للتشكيك في وجود عاصمة دولة داود -عليه السلام- فيها. والجواب هو أنّ غياب اسم إسرائيل لا ينفي أن تكون أورشليم مدينة مأهولة بالسكان آنذاك؛ لواحد من الأسباب التالية:

- النقش غير كامل؛ فإنّ أسماء كثيرة فيه قد مُحيت منه بعوامل الزمان، كليًا أو جزئيًا[2]. كما أنّ هناك أسماء أخرى في النقش باهتة يستحيل - أو يصعب

(1) المصدر السابق.

(2) Hermann Michael Niemann, 'The sociopolitical shadow cast by the biblical Solomon', in *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium*, ed. Lowell K. Handy (New York: BRILL, 1997), p.297.

- قراءتها[1]، ولا ندري إن كانت أورشليم مذكورة في الجزء المفقود أو الباهت أم لا، خاصة أن ترتيب المناطق غير مفهوم؛ إذ هو ليس مطابقًا ضرورة للتقارب الجغرافي بين هذه المناطق. فلا يُمكن أن نبني على الجهل مذهبًا في وجود مدينة أو عدمه.

- ربّما استعصت المدينة على شيشنق؛ فلم يذكرها في نقش انتصاره.
- ربّما حقّقت غزوة شيشنق (التي اختلف النقّاد في سببها وأغراضها) هدفها دون الوصول إلى أورشليم.
- ربما كان غزو شيشنق للمناطق القريبة من أورشليم كاذبًا؛ فإنّ عادة الفراعنة في نسبة انتصارات وهمية إلى سجلّهم الحربي معروفة، خاصة أنّ قائمة المدن التي يزعم النقش أنه تم غزوها طويلة تضم 12 صفًا من الأسماء. ولذلك ذهب الأركيولوجي وليام فوكسول أولبرايت إلى أنّ شيشنق قد أخذ هذه الأسماء من القوائم القديمة التي سجلها الملوك السابقون على أجزاء أخرى من مجمع الكرنك؛ من أجل إعطاء الانطباع بأنه كان أيضًا فاتحًا عظيمًا[2]. كما أشار فراس السواح إلى «تناقض معلومات النص مع بعض الحقائق التاريخية؛ فمملكة «ميتاني» التي يتباهى الفرعون بإخضاعها لم تكن قائمة في زمانه»[3].
- ربّما جنّب رحبعام الملك أورشليم الغزو بالاستسلام ودفع الجزية؛ فقد جاء في سفر الملوك الأول 14/ 26 أنّ شيشنق «أَخَذَ خَزَائِنَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَأَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ. وَأَخَذَ جَمِيعَ أَتْرَاسِ الذَّهَبِ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ».

(1) Yigal Levin, 'Did Pharaoh Sheshonq Attack Jerusalem?', Biblical Archaeology Review 38.4 (2012): 43-45, 48-52.

(2) William F. Albright, 'Egypt and the Early History of the Negeb,' *Journal of the Palestine Oriental Society* 4 (1924), pp. 131-161.

(3) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص73.

نقش غزوات شيشنق في الكرنك
وفيه مواضع أسماء كثيرة مطموسة



صورة أقرب لنقش شيشنق
وفيها صور العبيد وعليهم خرطوش فيه اسم البلاد المغزوة
وفيها آثار المحو



ويوضح كتشن ما أجمله مازار سابقًا في شأن صمت دول الجوار عن خبر الحال السياسي في فلسطين ببيانه الحال في القرن العاشر في بلاد الرافدين والشام، بما يجعل غياب ذكر دولة داود -عليه السلام- فيها، غير صادم للمؤرّخين:

بلاد الرافدين: لم يبدأ ملوك آشور في ذكر أسماء خصومهم إلا منذ سنة 853 ق.م فصاعدًا. وقد بدأ اتصالهم ببني إسرائيل سنة 853 ق.م[1].

مصر: ليس لدينا أي نقش تاريخي من أي نوع، يذكر القوى الفلسطينية بين عصر رمسيس الثالث (حوالي 1184 - 1153 ق.م) وشيشنق الأول (حوالي 945 - 924 ق.م) [2]. ونحن لا نملك من تلك الفترة سوى عملين أدبيين: «ون.آمون» الذي يشير فقط إلى الموانئ الساحلية (من دور إلى بيبلوس)، ورسالة موسكو الأدبية التي تذكر جبل سير، بالإضافة إلى شقفات مشهد انتصار الملك سا. أمون (حوالي 979 / 978 ق.م - 960/ 959 ق.م)، والمعاصرة للسنوات الأولى لحكم سليمان -عليه السلام-، عندما غزا أحد الفراعنة جازر وأعطاها له على زعم التوراة (1 ملوك 9 / 16)[3].

الشام: بعد أن علمتَ أنه لم يكن للدول العظمى المجاورة للشام في القرن العاشر أي دور في جنوب منطقة الشام، سيكون من البعيد أن نتوقّع ذكرًا لداود -عليه السلام- ومملكته في الممالك الصغرى. وقد كشفت النصوص الهيروغليفية من الممالك الحية الحديثة مثل كركميش، ومالاتيا، وجورجوم، وباتينو، وحتى حماة، أنّها تقريبًا لا تعتني بغير شؤونها الخاصة. كما أنّه لا يوجد أيّ نقش آرامي أثري يؤرّخ لما قبل القرن التاسع من منطقة بلاد الشام حتى الآن[4].

وظاهرة ندرة آثار الممالك القديمة القوية في منطقة الشام، معروفة، فهذا - مثلًا - حزائيل ملك آرام دمشق، صاحب السلطان العظيم، لم يُترك لنا من خبره سوى بعض

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, pp.88 - 89.

(2) ولا نملك من عصر شيشنق الأول عن فلسطين سوى النقش السابق، ولم تُبقِ لنا الآثار نصوصًا في وصف الغزوة، أو وثائق أو نصوصًا إداريّة تتحدّث عن الأسرى أو الغنائم، رغم أهمية هذه الغزوة.. فكيف يرى - مع ذلك - المخالف وجوب ذكر فلسطين في عصر داود وابنه عليهما السلام، وليس بين البلدين تماس؟!

(3) Ibid., 156 - 157.

(4) Ibid., 90.

الشذرات في أماكن مختلفة، ولم يبق لبنهدد سوى نصب تذكاريّ واحد، ولم يبق من خبر ملوك موآب كلّهم سوى نصب ميشع وقصاصة واحدة. وأما الأختام؛ فلا نملك سوى ثلاث قطع صغيرة في خبر ملوك بني عمون، ولا شيء عن ملوك أدوم. ورغم أننا نملك كتابات قصيرة عن الملوك الأربعة الأوائل لبيبلوس، إلا أننا لا نملك شيئًا عن ملوك صور وصيدا قبل القرن السادس[1].

المطلب الثالث: مملكة داود ومشكلة آثار فلسطين

المسارعة إلى إنكار وجود مملكة داود وسليمان - عليهما السلام -، أو إنكار قوّتها في عصرها، عجلة لا تتأنّى للنظر في عدد من الأمور التي تنبّه إلى وجوب التريّث قبل إعلان أنّ آثار فلسطين قد كشفت أنّ تلك المملكة لم توجد أو كانت مجرّد قرية صغيرة في القرن العاشر قبل الميلاد.

ومن هذه الأمور المهمّة:

أ. ندرة النقوش

نبّه عالم النقوش القديمة أندري لومير إلى أنّ النقوش السامية الغربية منذ بداية العصر الحديدي حتى حوالي 830 قبل الميلاد، لا تزال نادرة جدًّا، ولم تبدأ هذه النقوش بالظهور البيّن إلّا مع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، في مصر، وجنوب الأناضول، وشرق الأردن، وشمال بلاد ما بين النهرين[2].

ثم إنّ بعض النقوش لها دلالات على أزمة الدليل الأركيولوجي عند أنصار الحد الأدنى؛ فإنّ هؤلاء الأركيولوجيين ينكرون وجود مملكة يهوذا في القرن التاسع أو يرونها كيانًا هامشيًّا جدًّا، ولكن كشف نقش تل دان وجود دولة قائمة لها صيت في القرن التاسع قبل الميلاد، تُنسب إلى داود -عليه السلام-، وكانت متحالفة مع المملكة الشمالية بعد قرن واحد فقط من وفاة سليمان -عليه السلام-.

(1) Ibid., p.91.

(2) Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', pp.366 - 367

ب. ندرة البرديات

أشار ألان ميلارد - عالم اللغات الشرقية والنقوش القديمة - إلى أنّ غياب مادة أرشيفية لمملكة داود وسليمان - عليهما السلام -، يجب ألّا يفاجئنا، ومن الراجح ألاّ يُكتشف أبدًا؛ لأنّ أرشيف القرن العاشر قبل الميلاد كان مكتوبًا على ورق البردي، ولا يبقى محفوظًا إلّا عندما يُدفن في مناطق جافة[1]. ومما يؤيّد ذلك ندرة وثائق القرن التاسع (بما فيها النقوش) رغم أنّ وجود المملكة الشمالية في القرن التاسع حقيقة لا شك فيها[2].

ت. ظاهرة الهدم المتكرر

النقوش لا تكون عادة إلّا على المعابد والقصور والبنايات الرسمية؛ فهي إن وجدت فستكون في أورشليم. وتَلَفُ هذه النقوش - إن وجدت بدءًا - متوقّع إذا علمنا أنّ أورشليم قد تعرضت إلى إعادة البناء مرات كثيرة؛ فقد سُكِنَتْ باستمرار على مدى قرون متتالية، واستُخدمت حجارتها في إعادة بناء العمران الجديد، كما بُنِيت بنايات جديدة فوق البناء القديم في العصور المتتالية التي تمتد إلى ثلاثة آلاف سنة. وهو أمر معروف لا يُنكره أحد؛ فنحن أمام ظاهرة متكررة للهدم، وإعادة البناء باستخدام الحجارة نفسها[3]. وذاك شبيه بتاريخ دمشق التي أُعِيدَ بناؤها مرارًا على مدى ألفية كاملة، ولم تترك لنا - حتى الآن - أي نقوش من العصر الحديدي[4].

وقد أشار الأركيولوجي نأمان إلى معضلة دراسة المناطق التي تتكون من طبقات متتالية من البناء؛ فقال: «يبدو أنّه في التلال ذات الطبقات المتعدّدة، قد تنتهي الأبحاث الأركيولوجيّة إلى استنباط أمور خطأ من نتائج الحفر، خاصة في الفترات التي تكون فيها الثقافة الحضرية في حال انحدار ويتم إنشاء أبنية قليلة وبسيطة، وغالبًا على أسس

(1) Alan R Millard, 'Texts and Archaeology: Weighing the Evidence. The Case for King Solomon', in *Palestine Exploration Quarterly* (January - June 1991): 25

(2) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, pp.134 - 135.

(3) See Nadav Na'aman, 'Ancient Israel's History and Historiography: The First Temple Period', p.3

(4) See K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.91.

الأبنية السابقة. هذا صحيح لا سيّما في مدينة أورشليم القديمة [...]، فقد أقامت كل مدينة جديدة أصولها على حجر أساس [المدينة السابقة]، ودمرت ما كان يقوم سابقًا على حجر الأساس»(1).

كما قدّم نأمان إشارة مهمّة جدًّا في شأن الاعتماد على الأركيولوجيا لرسم تاريخ ممالك قديمة هُدمت آثارها؛ كعامة الحضارات القديمة. فقد ذكر أنّه طبق ما جاء في رسائل تل العمارنة - المكتشفة في أرشيف أخناتون، والتي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وتمثّل مراسلات دبلوماسية خارجية مع أخناتون - كانت أورشليم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد عاصمة ملك محلي، ولكن لا نكاد نجد أي بناء في الحفريات يعود إلى ذاك العصر في أورشليم رغم القيام بعدة حفريات في المنطقة التي من المفترض أن البنايات الرسمية كانت متواجدة فيها في أورشليم. وقد دفع هذا الفشل الأركيولوجي الباحثَين فرانكن وشتاينر إلى إنكار أن تكون يوروساليم تل العمارنة هي نفسها أورشليم. وهو مذهب يردّه الأركيولوجيون لأنّ كلّ القرائن تدل على التطابق بين المدينتين(2).

تخبرنا رسائل العمارنة أنّ أورشليم كانت عاصمة لملك كان يُنصّبه فرعون مصر. وقد كان يعيش في قصرٍ، وله حامية عسكريّة من قرابة خمسين رجلًا تُرابِط عند هذا القصر. وكان رُسل الفرعون يزورون ملك أورشليم باستمرار. وكان هذا الملك يرسل قوافل إلى الفرعون فيها الجزية والهدايا. وامتدّ إقليم أورشليم ذاك للزمان من بيت إيل في الشمال إلى حبرون في الجنوب، ومن الأردن في الشرق إلى تلال شفيلا في الغرب.

وأما صورة أورشليم لتلك الفترة في البحث الأركيولوجي فبعيدةٌ كليّة عمّا علمناه من رسائل تل العمارنة؛ إذ لم تدلّنا الحفريات إلّا على قطع فخارية قليلة، وبقايا بنايات

(1) Nadav Na'aman, 'Does Archaeology Really Deserve the Status of A 'High Court'? ', in *Between Evidence and Ideology*, p.183

(2) Nadav Na'aman, *Ancient Israel's History and Historiography: The First Temple Period* (Winona Lake, Ind.: Eisenbrauns, 2006), p.4.

قليلة مطمورة، وبقيةِ نُصْبٍ مصريّ عليه كلام هيروغليفيّ مجهول السياق. ولم يُكتشف بعد كلّ الحفريات إلا موقعان لذاك العصر. ولذلك؛ فعلى أساس النظر الأركيولوجي الصرف؛ على العلماء أن ينتهوا إلى أنّ أورشليم قد كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وما قاربه مجرّد مجمع لعدد قليل من المجتمعات الريفية الصغيرة، بالإضافة إلى مجموعات رعوية منعزلة للاجئين عاشوا في مرتفعات يهوذا وبنيامين[1].

ومما يزيد في إظهار عجز الشاهد الأركيولوجي، وجود ستّ رسائل (في أرشيف تل العمارنة) أرسلها ملك أورشليم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى الفرعون، تظهر جانب التعقيد في الجهاز الدبلوماسي لهذا الملك وقيمة النُسّاخ الذين عنده، في حين أنّه لا سبيل البتة للأركيولوجيين أن يهتدوا إلى أي نشاط للنسّاخ في تلك الفترة إذا اكتفوا بالشاهد الأركيولوجي[2].

رسالة من ملك أورشليم عبدي هيبا
إلى فرعون مصر (أرشيف تل العمارنة)[3]



(1) Ibid.,6.

(2) Ibid.,8.

(3) Michael D. Coogan, 'Assessing David & Solomon,' *Biblical Archaeology Review* 32.4 (2006): 56-60.

ونبّه نأمان أيضًا إلى أنّ مدينة شكيم (نابلس) وأرضها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد كما تظهر في البحث الأركيولوجي تختلف كثيرًا عمّا يُفهم من رسائل تل العمارنة؛ إذ إنّه طبق الشواهد الأركيولوجية وحدها، تبدو شكيم في ذاك العصر مركز مدينة - دولة متوسطة الحجم، تسكن مرتفعاتها أساسًا مجموعات قروية ورعوية مستقلة. وصورة شكيم الحقيقية بعيدة عن ذلك كثيرًا طبق مكتوبات العصر؛ فقد كانت مملكة كنعانية قوية، تمتد مساحتها من وادي يزرعئيل في الشمال إلى نحل شيلوه في الجنوب، ومن وادي الأردن في الشرق إلى سهل شارون في الغرب. وقد أخضع حكّامها المدن - الدول القريبة، مع اجتهادهم لمدّ مساحة حكمهم غربًا وشمالًا. وقد بلغت قوّة هذه المملكة أن تنبّهت لمخاطرها الممالك الكنعانية الأخرى البعيدة كأورشليم وجزر وغيرهما.[1]

ولا شكّ أنّ هذين المثالين اللذين ساقهما نأمان لهما اتصال مباشر بمعرفة القيمة العلمية لدراسة مملكة داود وسليمان -عليهما السلام- اكتفاء بالشاهد الأركيولوجي وحده، والمتأثّر بعوامل الخراب والتبدّل العمراني اللاحق والمتتابع على الأرض نفسها. لقد كانت أورشليم وشكيم مملكتين قويتين في عصرهما، كلّ واحدة منهما يحكمها ملك قوي ذائع الصيت، له عاصمة، وقصر، ومحكمة، وعبيد، وهيكل، وإن لم تدل الآثار الباقية على شيء من ذلك. وكذلك هو حال مملكة داود -عليه السلام- وسليمان -عليه السلام-.

ولذلك انتهى نأمان - الذي كانت أطروحته للدكتوراه في وثائق تل العمارنة[2] - إلى أنّ التحليل الدقيق لبعض النصوص التوراتية والشواهد الأركيولوجية، إلى جانب الدروس المستفادة من وثائق تل العمارنة، سيدفعاننا إلى أن نصل إلى أنّ أورشليم كانت مركزًا لسلطة تحكم مملكة في القرن العاشر قبل الميلاد حيث داود -عليه السلام- ومن أعقبه من الحكام يديرون السلطة[3].

(1) Nadav Na'aman, *Ancient Israel's History and Historiography*, p.5.

(2) عنوانها: The Political Disposition and Historical Development of Eretz - Israel according to the Amarna Letters.

(3) Nadav Na'aman, *Ancient Israel's History and Historiography*, p.14.

ث. ضعف الحفريات

مناطق مهمّة في أورشليم القديمة لم تعرف حفريات البتة، أو لم تمسّها حفريات إلّا قليلًا (هضبة عوفيل والحافة الشرقية)؛ بسبب الوضع السكاني للمنطقة[1]. ولم تمسّ حفريات مس كينيون - على شهرتها، وكثرة الإحالة إليها عند فراس السواح وغيره من التشكيكيين - سوى 2 ٪ من المنطقة[2]!

ليست الاعتراضات الواردة في النقاط الأربع السابقة محض دعاوى للدفاع عن وجود ما لم يوجد في أورشليم؛ وإنّما هي حقائق تاريخية مادية، لم يستطع أن يصمّ أذنيه عنها حتى فنكلشتاين القائل: «تم إبراز حجج قوية في مواجهة بعض اعتراضات المعتدلين التوراتيين. فقد جادل العديد من العلماء قائلين بأن غياب أي آثار تعود للفترة السليمانية في أورشليم (القدس)، إنما سببه استئصال تلك الآثار بالكامل بسبب الإنشاءات الهيرودية Herodian الهائلة على جبل الهيكل في الفترة الرومانية المبكرة. كما أن غياب الشواهد الخارجية في النقوش القديمة على حكم داود وسليمان أمر مفهوم جدًا (جدًّا)؛ لأن الفترة الزمنية التي يعتقد أن داود وسليمان حكما فيها (1005 - 930 ق.م) كانت فترة انحطاط للإمبراطوريات العظيمة في مصر وبلاد ما بين النهرين. فليس هناك ما يفاجئ في عدم وجود إشارات إما على حكم داود أو على حكم سليمان؛ سواء في النصوص الضئيلة المصرية المعاصرة لتلك الفترة، أو النصوص ما بين النهرينية»[3].

كما اعترف فراس السواح، قائلًا: «أمّا عن عظمة أورشليم أيام الملك سليمان فإن علم الآثار (كما بينا سابقًا بالتفصيل) لا يستطيع تقديم بينة عليها لأن المدينة

---

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.157.

(2) Ibid., 51.

(3) إسرائيل فنكلشتاين ونيل سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، تعريب: سعد رستم (دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 1427هـ/ 2007م)، ص173 - 174.

بكاملها قد ضاعت بسبب استخدامها كمقالع للحجارة، عدا أجزاء من السور لا تقدم كثيرًا من المعلومات الدقيقة، رغم تقديمها لتواريخ أكيدة. والشيء نفسه ينطبق على هيكل سليمان الذي لم يبق منه ولا من أسواره حجر واحد...

وتؤكد عالمة الآثار السيدة كاثلين كينيون، التي كشفت عن كل ما يمكن كشفه في موقع أورشليم القديمة، عدم جدوى البحث عن هيكل سليمان لأنه قد ضاع إلى الأبد»[1].

وقال السواح أيضًا: «المدينة السليمانية قد زالت مع المدينة اليبوسية بسبب اقتلاع الحجارة لاستعمالها في إعادة البناء... فإنّ علم الآثار لا يستطيع إعطاء فكرة عن أبنية سليمان وقصوره الفارهة التي أطنب كتاب التوراة في وصفها (هامش: هذا إذا كانت هذه الأبنية قد وجدت أصلًا)»[2].

بل يقول عن بنايات أورشليم: «كلّ البنى المعمارية السابقة على العصر البيزنطي قد زالت بسبب الاقتلاع الدائم لحجارة (كذا) في كل طبقة آثارية واستخدامها في الطبقة التي تليها»[3]. فمعمار أورشليم قبل المسيح وقرونًا بعد المسيح، قد طُمس بسبب إعادة استعمال أحجاره.

ولذلك قال كتشن: «سيكون الأمر معجزة إن بقي بعد ذلك شيء مثل الألواح المنفردة كالأنصاب التذكارية المنقوشة التي تبقى بعد عصور التخريب وإعادة الاستعمال!»[4].

والحقّ أنّ وجود نقوش لتمجيد حكّام العصر وممالكهم - كما هي عادة العصور القديمة - محلّ شك في شأن النبيَّيْنِ داود وسليمان - عليهما السلام - ؛ فإنّ

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص206.
(2) المصدر السابق، ص 147.
(3) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهوذا، ص181.
(4) See K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.91.

عادة الأنبياء الانصراف إلى تعظيم الرب وعبادته، لا تمجيد النفس وطلب تخليد الانتصارات العسكرية؛ إظهارًا للقوة والمجد الشخصيين.

المطلب الرابع: شواهد تاريخية على مملكة داود وسليمان -عليهما السّلام-

لم يمنع ما سبق، من وجود شواهد على وجود داود -عليه السلام- ودولته؛ فقد دلّت الشواهد التاريخية الثلاث السابقة (نقوش تل دان وغيره)، على وجود داود -عليه السلام- ومملكته. وظهرت أدلّة أركيولوجيّة على أنّ مملكته وسليمان -عليهما السلام- أكبر من حدود أورشليم، ومنها:

أ. خربة قيافا

قدّم الأركيولوجي غارفنكل[1] منذ سنوات قليلة نتائج حفرياته في خربة قيافا (عشرون ميلًا غرب القدس)، معتبرًا ذلك ضربة قاتلة لتيّار «الحد الأدنى»؛ إذ ذهب إلى أنّ التأريخ الكربوني لما عُثر عليه في هذا المكان يدل على أنّ آثاره تعود إلى عصر داود -عليه السلام-، وأنّ أهل خربة قيافا كانوا على دين بني إسرائيل لأنّ بقايا أكلهم لا تضم عظام الخنزير على خلافِ وثنيّي ذاك العصر في البيئة القريبة، كما أنّ البوّابة الرئيسية مواجهة لأورشليم لا فلستيا، وتدلّ بقايا السور العظيم والبوابات والقاعة الإدارية الكبيرة على أنّ الإسرائيليين قد اتخذوا خربة قيافا في ذاك العصر أرضًا محصنة، ومنطقة إدارية تابعة لأورشليم التي فيها داود -عليه السلام-[2].

وأكّد ويليام ديفر على أهميّة هذا الكشف، ببيانه أنّ طبيعة التخطيط والتحصين العظيمة لخربة قيافا لا يمكن أن تُنسب إلى مجموعة من المزارعين أو القرويين؛ إذ لا

---

(1) يوسف غارفنكل Yosef Garfinkel (1956-): أستاذ أركيولوجيا ما قبل التاريخ وأركيولوجيا عصر الكتاب المقدس في الجامعة العبرية.

(2) Yosef Garfinkel *et al*, *In the Footsteps of King David: revelations from an ancient biblical city* (London; New York: Thames & Hudson, 2018).

محيد من نسبة ذلك إلى سلطة مركزيّة خطّطت وبنَتْ. والمرشّح الوحيد لذلك في القرن العاشر هو داود -عليه السلام-، من عاصمة المملكة في أورشليم. وممّا يقوّي ذلك العثور على نقش على جرّة في هذا الحصن، مكتوب عليها «إش - بعل» «אֶשְׁבַּעַל»: «رجل بعل» بالخط الكنعاني القديم الذي كانت تكتب بمثله العبرية. وهو أوّل توثيق لهذا الاسم العبري خارج الكتاب المقدس. وقد ورد هذا الاسم في الكتاب المقدس على أنه ابن شاؤول الذي حاول أن يحكم قبل تولي داود -عليه السلام- الحكم (1 أخبار الأيام 8/ 33). وقد غيّر مؤلّف 2صموئيل 2/ 10 الاسم إلى «إيشْبُوشث» «איש־בֹּשֶׁת»: أي «رجل العار»؛ لأنّ الإله الكنعاني «بعل» رمز لعار الوثنية. واللافت للنظر هنا أنّ اسم «إش - بعل» لم يرد في الكتاب المقدس إلا في قصّة داود -عليه السلام-[1].

ب. تل عتون[2]

يذهب عامة الأركيولوجيين إلى أنّ تل عتون هو نفسه منطقة عجلون المذكورة في الكتاب المقدس (يشوع 10/ 34 - 36). وهي منطقة كانت جزءًا من مملكة يهوذا بعد انقسام المملكة. وقد دلّت الحفريات في السنوات الأخيرة، والتي رَأَسها أبراهام فوست - أحد الأركيولوجيين من جامعة Bar - Ilan - أنّ هذه المنطقة كانت مزدهرة وقوية في القرن العاشر؛ بدلالة ما فيها من بنايات إدارية عظيمة. وذاك يُخالف ما شاع من أنّ يهوذا برمتها كانت قبل القرن الثامن قبل الميلاد بلا نظام اجتماعي معقّد[3]. وهذا الكشف، وإن كان لا يدل مباشرة على وجود مملكة داود وسليمان -عليهما السلام-، إلّا أنّه يتوافق - في أدنى تقدير - مع القول بوجود مملكة قوية في القرن العاشر في تلك المنطقة وما جاورها، وهو ما لا يتوافق مع جوهر دعوى أنصار

(1) William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?*, p.81.

(2) Tel Eton

(3) Avraham Faust and Yair Sapir, 'The "Governor's Residency» at Tel 'Eton, The United Monarchy, and the Impact of the Old - House Effect on Large - Scale Archaeological Reconstructions', *Radiocarbon* , Volume 60 , Issue 3 , June 2018, pp. 801 - 820. < https://www.cambridge.org/core/journals/radiocarbon/article/governors - residency - at - tel - eton - the - united - monarchy - and - the - impact - of - the - oldhouse - effect - on - largescale - archaeological - reconstructions/5CE54AE6CEE838CC0D076186A2FBACE5>.

مدرسة «الحد الأدنى» وكثير من الأركيولوجيين الآخرين المنكرين لسعة مملكة داود -عليه السلام- وابنه سليمان -عليه السلام-.

ت. مدن حاصور ومجدو وجازر

أشهر ما كان يُستدل به لوجود مملكة سليمان -عليه السلام- في مساحة أكبر من منطقة أورشليم، الآثار المكتشفة في حاصور ومجدو وجازر، بما يوافق ما جاء في 1 ملوك 9/ 15: «وَهذَا هُوَ سَبَبُ التَّسْخِيرِ الَّذِي جَعَلَهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِبِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِهِ وَالْقَلْعَةِ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ وَحَاصُورَ وَمَجِدُّو وَجَازَرَ».

شكّلت الكشوف الأركيولوجية التي تعود إلى حاصور ومجدو وجازر إلى القرن العاشر مشكلة للرافضين لوجود مملكة قوية لسليمان -عليه السلام- في القرن العاشر؛ فإنّ طريقة التأريخ التقليدي للفخاريات تشير إلى أنّ هذه المدن قد تم بناؤها في القرن العاشر قبل الميلاد. وهو ما دفع الأركيولوجي ويليام ديفر أن يصرّح، قطعًا لتشغيب المشاغبين: «رددنا جدران مدينة جازر III وبواباتها إلى منتصف القرن العاشر على أساس الرؤية المتفق عليه عامة حول الفخاريات - لا على أساس القبول الساذج لقصص الكتاب المقدس حول «سليمان وكلّ مجده» - »[1].

أزعج هذا الكشف أنصار مدرسة «الحد الأدنى» كثيرًا، فحاولوا الخروج من هذا المأزق بأيّ صورة. وقد قدّم لهم فنكلشتاين - من خارج تيّار «الحد الأدنى» - المعارضة التي اجتمع حولها عامة منكري نسبة هذه البنايات في هذه المدن الثلاث إلى سليمان -عليه السلام-. وخلاصة قوله هو أنّه لا بدّ من إعادة تأصيل قواعد تزمين الآثار، بما يُسمى « التسلسل الزمني المنخفض» «Low Chronology» الذي يُقابل «التسلسل الزمني التقليدي (العالي)» «Traditional (or high) Chronology»؛ بما يجعل آثار القرن العاشر قبل الميلاد تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

(1) William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p.132.

ومذهب فنكلشتاين في التسلسل الزمني قد انتُقد في دراسات كثيرة من نواحي فنيّة وتاريخية[1]؛ منها أنّ النماذج التي اختارها للفحص لا تعود إلى بداية العصر الحديدي الثاني وإنما إلى مرحلة متأخرة في العصر ذاته، ومنها الاعتماد كليّة على نماذج من مدن المملكة الشمالية لا الجنوبية، رغم أنّ التوراة تنصّ على أسبقية اعتماد أورشليم كعاصمة على تأسيس السامرة بمئة وعشرين سنة. بل إنّ الدراسة الكربونية التي أجراها فنكلشتاين نفسه سنة 2007، ونُشرت سنة 2009 على نماذج من مجدو (الطبقة 4 - K) وتل كيسان (الطبقة 9أ) ويوكنعام (الطبقة 17) (وكلّها من المملكة الشمالية) قد دلّت أنّها تعود حوالي 1000 ق.م[2]؛ وهو ما يوافق التزمين التقليدي!

ثم إنّنا لو أردنا أن ننطلق في تزمين المنطقة من حدث معلوم؛ فسنجد أنفسنا ضرورة نتجّه إلى غزو شيشنق لفلسطين في السنة الخامسة للملك رحبعام (أي بعد خمس سنوات من موت سليمان -عليه السلام-)؛ فإنّ هذا الحدث يشهد له التاريخ المصري - كما سبق ذكره - وسفر الملوك الأول 14/ 25 - 28. وقد جاء في نقوش الكرنك أنّ من الأماكن التي تمّ غزو أهلها منطقة عراد עֲרָד؛ بما يدلّ أنّ عراد كانت منطقة سكنية مأهولة زمن سليمان -عليه السلام-. وقد دلّت حفريات يوحنان

(1) Amnon Ben - Tor and Doron Ben - Ami, 'Hazor and the Archaeology of the Tenth Century B.C.E.,' *Israel Exploration Journal* 48 (1998), pp. 1-37; William G. Dever, 'Archaeology, Urbanism and the Rise of the Israelite State,' in Walter E. Aufrecht, Neil A. Mirau and Steven W. Gauley, eds., *Aspects of Urbanism in Antiquity, From Mesopotamia to Crete* (Sheffield: Sheffield Academic Press, 1997), pp. 172-193; Lawrence E. Stager, 'The Patrimonial Kingdom of Solomon,' in William G. Dever and Seymour Gitin, eds., *Symbiosis, Symbolism and the Power of the Past: Canaan, Ancient Israel and Their Neighbors from the Late Bronze Age Through Roman Palaestina* (Winona Lake, IN: Eisenbrauns, 2003), pp. 63-74; Raz Kletter, 'Chronology and United Monarchy: A Methodological Review,' Zeitschrift des Deutschen Palastina - Vereins 120 (2004), pp. 13-54; Amihai Mazar, 'The Spade and the Text: The Interaction Between Archaeology and Israelite History,' in H.G.M. Williamson, ed., *Understanding the History of Ancient Israel* (Oxford: Oxford Univ. Press, 2007), pp. 143-171 (Dever, William G., and Aaron A. Burke. "Divided Kingdom, United Critics,» *Biblical Archaeology Review* 40.4 (2014): 37-41, 71).

(2) Israel Finkelstein and Eli Piasetzky, '14C and the Iron Age Chronology Debate: Rehov, Khirbet en - Nahas, Dan and Megiddo,' Radiocarbon 48 (2006), pp. 373-386.

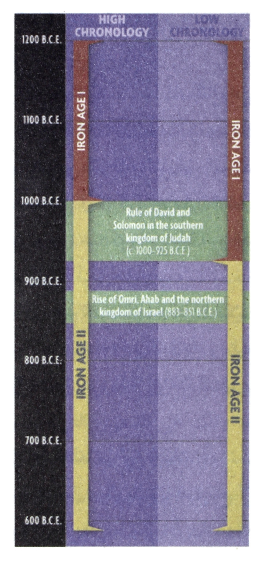
أهاروني في المستوطنات المبكّرة في المنطقة أنّها تضم فخاريات تشابه الفخاريات المكتشفة في يهوذا التي تمّ ردّها - تقليديًّا - إلى القرن العاشر (في بئر سبع ولخيش לכיש). وهو ما يتعارض مع ردّ عراد وغيرها من المستوطنات إلى القرن التاسع قبل الميلاد على مذهب فنكلشتاين[1].

وإنّ أقلّ ما يُقال في علامات الطابع الحضري في المدن المنسوبة إلى المملكة المتحدة في القرن العاشر قبل الميلاد، أنّها تدلّ على احتمالٍ لوجود هذه المملكة، لم يتمّ نقضه بأدلّة نهائية من المخالفين حتّى الآن؛ بما يمنعهم من الجزم أنّ آثار فلسطين لا تشهد لهذه الدولة زمن داود -عليه السلام- وسليمان -عليه السلام-، وبما يُسقط العبارة الحماسية لفراس السواح في إشارته الصريحة إلى كتابات فنكلشتاين ومشايعيه: «وقد قام الجيل الجديد من علماء الآثار في إسرائيل بالإجهاز على مفهوم أركيولوجيا المملكة الموحّدة، إجهازًا تامًّا، وبكل علمية وموضوعية»[2]!

(1) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, pp.121 - 122.

(2) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص81.

التزمين الأعلى والأدنى
وعصر داود -عليه السلام- وسليمان -عليه السلام- [1]



ث. طبيعة الحياة في أورشليم القرن التاسع قبل الميلاد

كشف إلي شكرون وروني رايك في القدس عن بركة منحوتة في الصخر بالقرب من نبع، وفي داخلها عدد كبير من الأواني الفخارية من العصر الحديدي2أ، تعود إلى آخر القرن التاسع قبل الميلاد. وعند غربلة الأرض تمّ العثور على عدد كبير من

(1) Yosef Garfinkel, 'The Birth & Death of Biblical Minimalism,' *Biblical Archaeology Review* 37.3 (2011): 49.

الأختام التي كانت ملتصقة برسائل من ورق البردي، كما عُثر على أختام عليها آثارُ أقمشة منسوجة وقش وعصيّ؛ بما يدلّ على أنّها بضاعة، معبّأة، ومختومة. كما أظهر تحليل عظام السمك المكتشف مع ما سبق، أنّ الجزء الأكبر قد اصطِيد من البحر الأبيض المتوسط، وبعضه من النيل.

وهذا الكشف - غير المتوقّع - يُخالف ما كان يُقال عن أورشليم القرن التاسع، حتّى عند من كانوا يقولون إنّها إذ ذاك عاصمة مملكة يهوذا؛ فإنّ ما عُثر عليه في هذه البركة دال أنّه كانت لأورشليم في القرن التاسع قبل الميلاد شبكة تجاريّة مع شمال فلستيا متطوّرة، كما تدلّ رسائل ورق البردي على انتشار الكتابة، وتدلّ النقوش المختلفة على الأختام على وجود عدد كبير من علية الموظفين والشخصيات المدنيّة المهمة التي تملك أختامًا خاصة[1].

هذه الصورة المثيرة لأورشليم القرن التاسع قبل الميلاد أقرب إلى ميراث الدولة الموحدة التي كان على رأسها داود -عليه السلام- وسليمان -عليه السلام-، من صورة أورشليم القروية الضعيفة التي روّج لها فنكلشتاين، أو الصورة الأهون منها عند أنصار مدرسة «الحد الأدنى».

ج. التغيّر الجيوسياسيّ للقرن العاشر قبل الميلاد

نبّه الأركيولوجي عميحاي مازار إلى التغيّر الواضح لأحجام المستوطنات في فلستيا التي لم تمتد إليها مملكة داود وسليمان - عليهما السلام - ؛ فإنّ المدن المحاذية لفلستيا من الجهة التي يقال إنّ داود وسليمان - عليهما السلام - قد سيطرا عليها، قد عرفت تقلّصًا في حجمها في القرن العاشر قبل الميلاد، مثل مدينة عكرون التي كانت واحدة من أكبر مدن فلستيا بمساحة تقارب عشرين هكتارًا؛ فقد تقلّص حجمها القرن العاشر قبل الميلاد إلى حوالي أربعة هكتارات، في حين أنّ أشدود التي تقع في المناطق الساحلية (وبالتالي هي أبعد عن داود وسليمان - عليهما

(1) Nadav Na'aman, 'Does Archaeology Really Deserve the Status of A 'High Court'?', pp.169 - 170.

السلام -) قد عرفت في القرن العاشر قبل الميلاد توسّعًا في مناطق الاستيطان من ثمانية هكتارات إلى أربعين هكتارًا. والتفسير الأقرب لذلك هو ضغط المملكة الجديدة على جهة التماس مع فلستيا؛ ممّا ألجأ فريقًا من السكان إلى الهجرة إلى المناطق الأبعد في فلستيا»[1].

كما أشار ويليام ديفر إلى أنّه عند النظر في الحفريات التي تمّت عند المناطق الإسرائيلية والفلستية عند الحدود المفترضة لمنطقة يهوذا؛ بإمكاننا أن نلاحظ - بعد وضع آثار طبقات هذه المناطق متحاذيّة زمنيًّا - ؛ وجود حدود حقيقية كانت قائمة بين المنطقة الإسرائيلية والمنطقة الفلستيّة. كما بإمكاننا ملاحظة أنّ المناطق الفلستية قد عرفت اضطرابات ثم دمار في منتصف القرن العاشر، ثم زالت بعد ذلك كليّة. «وهذه حجّة قويّة أنّ داود لم يكتفِ بالقيام بهذه الحروب، وإنّما انتصر فيها كلّها أيضًا»[2].

ح. طبيعة مملكة داود وسليمان - عليهما السَّلام-

نقرأ في 1ملوك 4/ 21: «وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ [=نهر الفرات] إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ، وَإِلَى تُخُومِ مِصْرَ. كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا وَيَخْدِمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ». وتلك هي الدعوى التي رفضها الأركيولوجيون؛ لأنها تتحدث عن مملكة واسعة جدًا (جدًّا) في منطقة الشام. وقد اشتهر في هذا الصدد زعم فنكلشتاين المؤمن بوجود «حاكمين» اسمهما داود وسليمان، أنّ حكم داود وابنه - عليهما السلام - لم يتجاوز قرية صغيرة في أورشليم.

والناظر في الوصف القرآني لا يجد فيه مشايعة لزعم التوراة، بل حديثًا عن طبائع أخرى لمُلك هذين النبيين؛ بما يُوحي أنّ الخبر القرآني ينبّهنا إلى عدم صحّة الرواية التوراتيّة في زمنٍ كانت موافقة الخبر التوراتي ما ينتظره السامعون من أهل الكتاب لقصص القرآن عن الأنبياء السابقين.

(1) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p. 135.
(2) William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?*, p.80.

ونحن إذا رفضنا المبالغات التوراتية، فلسنا نميل إلى مذهب فنكلشتاين - وقد علمتَ عيوبه -، ونرى أنّ الشكل الأقرب إلى هذه الدولة أنّها كانت على هيئة مركز (أورشليم)، ثم مقاطعات خاضعةً للملِك، وأخرى أبعد يحكمها حلفاء خاضعون له.

ولعل ذلك قريب ممّا ذهب إليه أستاذ الأركيولوجيا في الجامعة العبرية في القدس، يوسف غارفنكل؛ من أنّ داود -عليه السلام- قد أسّس منطقة محاطة بـ«دول - مدن» «city - states» لها استقلالها الخاص، ليتطور الأمر ببطء لاحقًا إلى إنشاء مملكة. وقد جلب داود -عليه السلام- تابوت العهد إلى أورشليم ليمنحها سلطانًا دينيًّا خاصًّا ويرسّخ عبادة مركزية في المملكة، كما أقام ابنه بعده قصرًا كبيرًا، اتّخذه لتخزين المؤونة، وبنى معبدًا عظيمًا[1].

والقول إن مملكة داود -عليه السلام- وسليمان -عليه السلام- متوسطة الحجم يوافق نوعية خاصة من «الإمبراطوريات الصغيرة»[2] التي تلائم فقط الفترة ما بين 1180 - 870 ق.م، ولا توجد في أي فترة أخرى في الألفية الأولى قبل الميلاد. وذاك نوع من الدول معروف أيضًا عند الحيثيين والآراميين[3].

وليس بغريب أن يكون حكم داود -عليه السلام- وسليمان -عليه السلام- غير مركزيّ؛ فإنّ هذا الطابع متوقّع في ظلّ دولة حادثة، وتوسّعيّة، لها جيران يناصبونها العداء. وقد رأينا في التاريخ نماذج لسلطان ملوك استطاعوا من عواصم صغيرة تحقيق إنجازات سياسية وعسكرية كبيرة، ومن ذلك طرد أحمس الأول الهكسوس، رغم أنّه كان متمركزًا في عاصمة صغيرة - هي طيبة المملكة بعد الوسطى - حتّى وصل إلى كنعان، وسار جنوبًا في النوبة؛ حتّى توسّعت مملكته بطول 1400 ميل من الشمال إلى الجنوب، بالإضافة إلى سلطانه في كنعان. واستطاع خليفته بعده -

(1) Yosef Garfinkel, Saar Ganor, and Michael G. Hasel, *In the Footsteps of King David: Revelations from an Ancient Biblical City* (London: Thames & Hudson, 2018)

(2) كلمة إمبراطور لا تُستعمل هنا بالمعنى السلبي الذي قد يتبادر لذهن البعض بمعنى الحاكم المتسلّط. هي كلمة قريبة من معنى «الملك».

(3) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.157.

تحتمس الأول - الوصول إلى ما بعد الشلاّل الرابع من النيل النوبي وشمالًا إلى الفرات وكركميش، وهو تمدّد هائل يبلغ حوالي 2300 ميل. ولا تزال طيبة عندها مدينة صغيرة[1]!

المطلب الخامس: المملكة المفتراة وتناقضات فنكلشتاين

يهتم الكُتّاب العرب الذين يروج الإلحاد العربي الشعبي لكتاباتهم بتبني أطروحات فنكلشتاين والترويج لها، كلّها أو عامتها؛ لأنّها تشكك في روايات توراتية وقرآنية عن تاريخ بني إسرائيل. ويفخر فنكلشتاين في مؤلفاته في العقدين الأخيرين بالتأكيد أنّه يمثّل تيارًا وسطًا بين مدرسة «الحد الأدنى» - خاصة كما تظهر في أدبيات توماس تومسون - ومدرسة «الحدّ الأعلى» - كما هي في أدبيات ويليام فوكسويل أولبرايت-.

ويلخّص فنكلشتاين أطروحته في أنّه يرى أنّ كتابة أسفار التوراة المنسوبة إلى موسى -عليه السلام- (الأربعة الأولى)، وأسفار التاريخ التثنوي[2] (سفر التثنية، وسفر يشوع، وسفر القضاة، وسفرَي صموئيل، وسفرَي الملوك)، وأجزاء كبيرة من الأسفار النبوية وأسفار الحكمة قد تمّت آخر العصر المملكي (من القرن الثامن إلى بداية القرن السادس قبل الميلاد)، في حين تم تنقيح هذه الأسفار وتضخيمها وتعديلها في حقبة السبي وما بعدها[3].

ويعرض موقفه من القيمة التاريخية لهذه الأسفار بقوله عن العلماء الذين يتّخذون هذا الموقف «الوسط»: «إنّهم يعترفون بقيمة هذه النصوص لحفظ أدلّة موثوقة على تاريخ إسرائيل في العصور المملكيّة. ومع ذلك هم يرون هذه القصص - كما قُدّمت في النصّ - مؤدلجة بصورة بالغة، وقد تمّ تبنّيها لحاجات الجماعة في عصر جمعها»[4].

---

(1) Ibid.,154.

(2) Deuteronomistic History.

(3) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.29.

(4) Ibid.,14 - 15.

اعترض فنكلشتاين على تيّار «الحدّ الأدنى» القائل إنّ تاريخ إسرائيل مزيّف، وإنّه اختلاق متأخّر لصناعة تاريخ قومي مجيد، مركزه أورشليم، وإنّه قد تمّ نسج هذه المؤامرة في حدود القرن الخامس قبل الميلاد أو ما بعده. ووصف هذا التيّار أنّه متناقض منطقيًّا وأركيولوجيًّا. وحجّته في هذا الوصف الاستنكاري:

- النشاط الأدبي والنسخي في أورشليم بعد السبي (في العصرين الفارسي والهلنستي) أقلّ تأثيرًا في بيئته منه في القرن السابع قبل الميلاد كما بيّنه الناقد ويليام شنيدوند؛ولذلك فمن غير المتصوّر أنّه في القرن الخامس أو الرابع أو حتّى الثاني قبل الميلاد، قام النسّاخ في هيكل صغير ضعيف التأثير في جبال اليهودية بكتابة تاريخ طويل وتفصيلي خيالي لإسرائيل في العصر الحديدي دون الاعتماد على مصادر قديمة.
- العدد الكبير لقوائم الأسماء والهياكل الإدارية الملَكية في مملكة يهوذا كما هي في التاريخ التثنوي، تبدو غير ضرورية في تاريخ أسطوري.
- شهادة الأركيولوجيا لصحة عامة الأخبار المتعلقة بالحدود الجغرافية للقبائل ومقاطعات المملكة في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، تبدو صدفة غير مفهومة إذا كان هذا التاريخ محض زيف.
- يزيد الأمر نكارة الكشف عن أنّ الوثائق غير التوراتية - خاصة الآشورية - لذاك العصر، تشهد لعدد كبير من الأحداث التي جاء ذكرها في الكتاب المقدس في شأن القرون التاسع - السابع قبل الميلاد.
- كُتب التاريخ التثنوي بعبرية تختلف عن عبرية ما بعد السبي، كما شهد بذلك Avi Hurwitz.
- قول أنصار مدرسة «الحد الأدنى» إنّ داود وسليمان شخصيات خرافية، تعرّض لضربة قاضية بعد الكشف عن نقش تل دان الذي يذكر اسم داود -عليه السلام-[1].

---

(1) Ibid.,13 - 14.

ونحن نتفق في أصل موقف المذهب الوسط لفنكلشتاين (وديفر ومازار)، أنّ هذه الأسفار قد كتبت بعد عصر داود -عليه السلام-، وأنّه أعيد تحرير أجزاء منها لاحقًا، وأنّها تضم حقًّا وباطلًا تاريخيين، وأنّها تأثّرت بأغراض تمجيدية دعائيّة تظهر في قصص الحروب وأعداد الجيوش وإنجازات سليمان -عليه السلام- وغيره.

ونحن نقبل ما سبق لسببين، أحدهما مادي تاريخي وثانيهما شرعي قرآني. أمّا المادي؛ فلأنّ هذه الأسفار تُظهر بما لا شكّ فيه أنّها قد كُتبت في زمن بعيد عن الأحداث الأولى، وهو ما يظهر أساسًا في المفارقات التاريخية؛ بنسبةِ شخصيّةٍ أو اسمِ ظاهرةٍ إلى غير عصرها، كتدجين الجِمال زمن الآباء، ووصف أرض فلسطين أنّها أرض العبرانيين ארץ העברים قبل غزو كنعان (تكوين 40/ 15). وأمّا الوجه الشرعيّ؛ فلأنّنا نمنع - بلا تردّد - أن تكون هذه الأسفار متاحة في عصر النبيّين الملكين (داود وسليمان - عليهما السلام -) اللذين كانا يملكان القدرة على طمس هذه الأسفار التي تفتري على الله الكذب في شأن الله وكمال صفاته، وعلى الأنبياء بإنكارها عصمتهم. ولا يمكن أن تنتشر هذه الأسفار إلا بعد عصر سليمان -عليه السلام- حين أصبح صوت الأنبياء ضعيف التأثير في أمّة بني إسرائيل المارقة.

ونحن مع ذلك نرى في مذهب فنكلشتاين اضطرابًا منهجيًا جليًا؛ إذ إنّ تأكيد موثوقية جوهر الخبر التاريخي للأسفار التثنوية في خبر ما بعد انقسام المملكة المتحدة، ووجود داود وسليمان - عليهما السلام -، لا يلتقي مع إنكار جلّ خبر هذه الأسفار عن المملكة المتحدة، واعتبارها جغرافيًا وسياسيًا وعسكريًا من الزيف الفاحش... إنّنا هنا لا نتحدّث عن مبالغة تُردّ تفاصيلها بسبب الأغراض التمجيدية، وإنّما نتحدّث عن عامة ما جاء في خبر المملكة، بما فيه من تفاصيل سياسية وجغرافية وأسماء لرجال دين وسياسة وعسكر وحلفاء وأعداء.. ألا تبدو هذه التفاصيل إضافة لا معنى لها إذا كانت مجرّد زيف؟!

ونحن إذا صدّقنا - مع أميحاي مازار وغيره - أنّ النقوش الآشورية والمحليّة (مثل نقش ميشع) تطابق الإطار التاريخي العام للرواية التثنوية عن القرن التاسع قبل الميلاد[1] - أي بعد قرن واحد فقط من عصر المملكة المتّحدة - ؛ فسيغدو عندها أمر تزييف تاريخ القرن العاشر كليّة - تقريبًا - مصدر إشكال. وسنقول مع هؤلاء الأركيولوجيين إنّه لا معنى لقبول أخبار القرن التاسع قبل الميلاد من أسفار أُلّفت في القرن السابع قبل الميلاد، ثم نرفض - تقريبًا - كلّ ما تقوله عن عصر آخر لا يبعد عن الأوّل سوى قرن واحد[2]!

إنّ قيام أطروحة فنكلشتاين على أنّ الدليل الأركيولوجي لا يدعم وجود مملكة متحدة قويّة، كاشف لانتقائية فنكلشتاين في تعامله مع الشاهد الأركيولوجي، واستعماله «دليل الصمت» حُجّة في الباب؛ فإنّ فنكلشتاين -ويا للعجب! - يصرّح أنّه لا شكّ أنّ الهيكل وقصر ملوك مملكة يهوذا كانا مَبْنِيّين في مركز أورشليم[3]، رغم أنّه لا أثر للهيكل اليوم، ولا قصر ملوك يهوذا!

وفنكلشتاين متناقض أيضًا بقوله إنّه «من غير المتصوّر أنّ كُتّاب الأسفار قد اخترعوا القصص»؛ مؤكّدًا أنّ قبول هذه الأسفار في بيئتها يقتضي ضرورة أن تكون قد كُتبت على صورة تمنحها موثوقيّة في آذان السامعين وعيون القرّاء، وأنّ عدم التزامهم بذلك يهددهم بأن يفقدوا ثقة الناس في ما يكتبون[4]، لكنّه مع ذلك يجعل أهمّ حدَثٍ قريب في تاريخ شعب مملكة يهوذا، وهو أنهم امتداد لدولة عظيمة يرأسها ملك قوي، مجرّد أسطورة رقيعة!

ولعلّ أغرب مواقف فنكلشتاين ما جاء في مقالِهِ الذي نشره السنة الماضيْة[5]، مؤكدًا جوهر ما قرّره في كتابه «المملكة المفقودة» الذي نشره بالفرنسية سنة

(1) Ibid., 30
(2) Ibid., 118.
(3) Ibid., 188.
(4) Ibid., 185.
(5) 'Saul and Highlands of Benjamin Update: The Role of Jerusalem'.

2013 [1]، ثم نُشِر في السنة نفسها بالإنجليزية[2]؛ إذ ذهب إلى أنّ شاؤول الذي حكم - في التوراة - المملكة المتّحدة قبل داود -عليه السلام-، قد عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، وبعد أن تسلّط على جبعون، استولى على أورشليم في الجنوب وشكيم في الشمال؛ فأنشأ بذلك دولة مُهدِّدة للمطامع السياسية لمصر؛ مما اضطر الفرعون شيشنق الأول أن يغزوها، ويقضي عليها، ويُنصّب داود -عليه السلام- حاكمًا على أورشليم، ويربعام الأول حاكمًا على شكيم؛ كحاكمين محليّيْنِ، تابعَيْن لمصر[3].

وما انتهى إليه هنا فنكلشتاين يَكفي لينهي الجدل لصالح مقالتنا؛ فإنّ فنكلشتاين يصوّر لنا واقع القرن العاشر قبل الميلاد على الصورة التالية:

- كان شاؤول من المنطقة الجنوبيّة لفلسطين.
- تقع جبعون في الجهة الجنوبية، ولا تبعد عن أورشليم سوى 6 أميال.
- كان شاؤول يحكم مناطق واسعة ممّا سيُسمّى لاحقًا بمملكة يهوذا ومملكة السامرة؛ وهي أرض تمتد من الجنوب إلى السامرة وما بعدها حتى وادي يزرعئيل (مرج ابن عامر) في الشمال.
- كانت هذه المملكة على درجة معتبرة من القوّة؛ حتّى إنّ أعظم قوّة بجانبها (مصر) كانت تدرك خطورتها.

أي إنّنا إذا وضعنا اسم داود مكان اسم شاؤول؛ فستكون عندنا دولة قويّة في القرن العاشر، يحكمها داود -عليه السلام-، تمتد على عامة الأرض التي انقسمت لاحقًا إلى مملكة يهوذا ومملكة السامرة. وأمّا ضعف العمران (النسبي) في أورشليم؛ فيُتجاوز عنه بالقول إنّنا لا نقبل مبالغات التوراة، كما أنّ داود -عليه السلام- كان منشغلًا

---

(1) Le Royaume Biblique Oubliè

(2) The Forgotten Kingdom: The Archaeology and History of Northern Israel

(3) Israel Finkelstein, 'Saul and Highlands of Benjamin Update: The Role of Jerusalem', in Joachim J. Krause, Omer Sergi, and Kristin Weingart, eds. *Saul, Benjamin, and the Emergence of Monarchy in Israel: Biblical and Archaeological Perspectives* (Atlanta: SBL Press, 2020), pp. 43 - 51.

بالتوسّع عند حدود مملكته، ولم يكن هو ولا ابنه -عليه السلام- من أهل البذخ... وهكذا ينتصر فنكلشتاين لخبر القرآن، ويبقى الخلاف معه صوريًّا، في اسم الحاكم.

ولا أدري هل سيعود فراس السواح القائل: «ونحن لا نشكّك في قيام المملكة الموحّدة لكل إسرائيل خلال القرن العاشر، بل نقول إنه من المستحيل أن تكون قد قامت»[1] إلى الاعتراف بوجود هذه المملكة بعد إقرار «نجمه المفضّل» فنكلشتاين بها - وإن لم يشاركنا الأسماء - ؟

لا أرى ذلك بعيدًا إن نُسئ في أجله؛ فإنّ السواح، مقلّد، متأرجح؛ فقد كان معترفًا بوجود المملكة المتحدة في كتابه «الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم» حيث قال: «يُمكن لنتائج التنقيب الأثريّ، وخصوصًا في المدن الملكية الثلاثة مجدو وجازر وحاصور أن تسند واقعة قيام سلطة مركزية خلال القرن العاشر قبل الميلاد في فلسطين الداخلية»[2]؛ تقليدًا للأركيولوجيّة كاثلين كنيون[3]، ثم عاد في كتابه «تاريخ أورشليم» إلى إنكار وجودها تقليدًا لتوماس تومسون[4]؛ فلزمه أن يذهب اليوم إلى مذهب فنكلشتاين، خاصة أنه عنده «أبرز علماء الآثار في الكيان الصهيوني اليوم»[5]!

المطلب السادس: فراس السواح، والمؤامرة الساذجة

لا يُعرف لفراس السواح كتاب جديد في مسألة التاريخ الإسرائيلي وأورشليم منذ عقدين من الزمان. ومؤلفاته قبل ذلك هي: «الحدث التوراتي والشرق الأدنى

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 66.

(2) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص205.

(3) كاثلين كنيون Kathleen Kenyon (1906 - 1978): أركيولوجية بريطانية.

(4) «وقد قام الجيل الجديد من علماء الآثار في إسرائيل بالإجهاز على مفهوم أركيولوجيا المملكة الموحّدة، إجهازًا تامًا، وبكلّ علميّة وموضوعية. فقد خرج عالم الآثار اللامع فنكلشتاين وزميله D. Ussishkin (وكلاهما من الجامعة العبرية في تل أبيب [قلتُ سامي: الجامعة العبرية في القدس، وهي غير جامعة تل أبيب]) من دراستهما الميدانية للبُنى المعمارية المعزوة لعصر المملكة الموحّدة، بنتيجة مفادها أن جميع هذه المنشآت تعود إلى القرن التاسع، ولا علاقة لها بسليمان أو المملكة المتحدة» (السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 81 - 82).

(5) المصدر السابق، ص89.

القديم»، و«آرام دمشق وإسرائيل»، و«تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود».
وقد كان في كتابه «الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم» على مذهب قريب من المحافظين (فيما يتعلّق بعصر القضاة وما بعده)، معتمدًا على تلخيص جهود الأركيولوجية كاثلين كنيون، وموافقًا لها في تاريخية كثير من أخبار التوراة، وإنْ أنكر المبالغات التوراتية التي ينكرها جميع الباحثين[1]، ثم تحوّل في كتابه «آرام دمشق» إلى الذوبان في التيّار المقابل تمامًا، وهو تيّار توماس تومسون؛ فهو ينقل عن تومسون بتوسّع، ويلخّص رؤاه (مع الهجوم العنيف على كنيون، وهجاء فنكلشتاين أنّه صاحب «منظور منحرف الرؤية»![2])، إلى أن وصل إلى المرحلة الثالثة، وهي تمجيد تومسون مع الثناء على فنكلشتاين في كتابه «تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهوذا»؛ لينتقل السوّاح بعد تأليفه كتبه الثلاث إلى تمجيد فنكلشتاين ومدرسته بطريقة قد يراها فنكلشتاين نفسه مبالغًا فيها، دون أن يؤلّف السوّاح كتابًا جديدًا يُظهر فيه سبب انتقاله إلى اليمين فالشمال فالوسط. وإنّي وإن كنتُ لا أنكر على الباحث أن يراجع فكره، ونتائج جهده، إلّا أنّني أرى بوضوح أنّ سبب هذا التحوّل؛ قلّة الاطلاع، والانخداع بلغة الجزم والحسم التي تملأ دراسات عامة الأركيولوجيين الغربيين.

والمشهور من «مذهب» السواح، إقراره بصحة كثير من الأخبار التوراتية عن مملكتي السامرة ويهوذا[3]، غير أنّه يرى أنّ هاتين المملكتين كنعانيتان، لا علاقة لهما باليهودية إثنية ولاهوتًا[4]، وأنّ فريقًا من النسّاخ قد قاموا بعد القرن الخامس بالاستيلاء

---

(1) مقدمة الطبعة الثالثة (1997) لا تعكس روح نص الكتاب، وإنما تعكس روح التحوّل إلى مذهب تومسون.

(2) ص180.

(3) «وقد رأينا من خلال دراستنا الأركيولوجية لعدد من المواقع الرئيسية في المملكتين، تطابق الرواية التوراتية في جزء لا بأس به منها مع نتائج التنقيب الأثري ونصوص الشرق القديم» (فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 207).

(4) «كل الوثائق الأثرية والتاريخية المتوفرة حتى نهاية القرن العشرين، تنفي وجود اليهود كإثنية، واليهودية كدين، قبل القرن الخامس قبل الميلاد» (فراس السواح، تاريخ أورشليم، ص286).

على تاريخ المنطقة الكنعاني، ونسبتِه إلى «تاريخ إسرائيل الموحدة» الأسطوري.

والسوّاح يضع نفسه هنا في مجموعة مآزق:

أولّها أنّ السواح - نفسه - هو القائل: «بدءًا من عصر عُمري تبدأ بعض أحداث وشخصيات الرواية التوراتية بالتقاطع مع الأخبار التاريخية. ويعود السبب في ذلك إلى قرب القرن التاسع نسبيًّا من فترة تدوين التوراة، وبقاء بعض الأحداث حية في الذاكرة الشعبية وفي الأدب الفولكلوري»[1]. فهو يرى أنّ المسافة بين القرن التاسع والقرن الرابع لم تمحُ الذاكرة الشعبية «لبني إسرائيل»؛ ولذلك احتفظت هذه الذاكرة بأخبار تاريخية تفصيلية صحيحة على مدى القرون الماضية، منها ما هو سابق لعصر داود عليه السلام[2]، وبعضها أصلُه مكتوب[3]، ثم إنّها أخبار مخزونة في الذاكرة الشعبية لا فقط في أذهان قلّة من الأحبار. وذاك ما يجعل تصديق «الزهايمر العقدي والتاريخي» عند اليهود، بلا قاعدة تاريخية تسنده.

وهذا القول بالانقطاع المفاجئ للذاكرة، قد دفع رونالد هندل أن يقول في مراجعته لكتاب: «الذاكرة والمدينة في إسرائيل القديمة» (2014)، في شأن هذا النوع من الدعاوى: «يبدو من أنّه من التعسّف تعريف «إسرائيل» على أنها ظاهرة (اختُرِعت) في الفترة الفارسية وتركت **القرون 10 - 6 فارغة، بلا ذكريات أو مفكرين متعلّمين**»[4]!

---

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهوذا، ص151.

(2) يرى السوّاح أنّ ما جاء في سِفر صفنيا 2/ 4 - 5 وحزقيا 25/ 15 - 16 من أنّ الفلستيين פלשתים أَصْلُهم من جزيرة كريت اليونانية (فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى، ص188) تؤيّده الأبحاث الأركيولوجيّة. وقد سأل الناقد رندزبورغ اثنين من كبار الأركيولوجيين في العالم -مستنكراً مذهبهما-: كيف يتذكّر اليهود أصل غيرهم وينسون أصلهم؟ فلم يُحسنا الجواب!

(3) «بيروقراطية البلاط الملكيّ في السامرة (وبعدها في أورشليم) قد بدأت بتقليد بيروقراطية القصور الملكية في عواصم الشرق الكبرى، وراحت تُدوِّنُ أخبار البلاط في حوليّاتٍ تُشبِه ما نعرفه عن حوليّاتِ مُلوكِ فينيقيا المذكورة في المصادر التاريخية.... ويبدو أن نُتَفًا من حوليّات ملوك إسرائيل وحوليّات ملوك يهوذا (التي يذكرها المحرر التوراتي تحت عنوان أخبار الأيام لملوك يهوذا، وأخبار الأيام لملوك إسرائيل) قد وَصَلَتْ إلى محرّري التوراة، ولكن ليس بنصّها الأصلي بل من خلال مراجع ثانوية» (فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهوذا، ص151).

(4) Ronald Hendel, review of D. Edelman and E. Ben Zvi, eds., *Memory and the City in Ancient Israel* (Winona Lake, IN: Eisenbrauns, 2014), *Review of Biblical Literature*, April 21, 2014.

وثانيها أنّ السواح هو القائل - بصدق - في ردّه على أطروحة كمال الصليبي القائلة إن مسرح التوراة جزيرة العرب لا فلسطين: «فإذا كان أقدم نص توراتي من نصوص قمران يرجع إلى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وأقدم ترجمة ذات أصل مستقلّ، وهي السبعونية، ترجع إلى أواسط القرن الثالث قبل الميلاد... فكيف تسنّى لهؤلاء نسيان مسرح الحدث التوراتي في غرب العربية، خلال هذا الوقت القصير؟»[1]. ونحن نسأل السوّاح: إذا كان التوحيد اليهودي قد بدأ في حدود القرن الرابع قبل الميلاد؛ فكيف تسنّى لليهود نسيان عرقهم ودينهم وأصل لغتهم في قرن واحد فقط؟!

وثالثها، أنّ الزعم أنّ اليهود قد رضوا بتغيير عرقهم من الكنعانية إلى الإسرائيلية، ودينهم من الوثنية الشركية، إلى التوحيد، ولم يثوروا رغم مسّهم في هويتهم (العرق والدين واللغة...)، دعوى بعيدة عن التصديق؛ فإنّ عادة الناس أن يختلفوا ويتنازعوا ويتفاضحوا في ما هو أدنى من ذلك، وطبائع ظهور الفرق «الهرطقية» خير شاهد على ذلك..!

ورابعها أنّ السواح يعترف أنّ علم الآثار «لا يوافقه رأيه» في التحوّل التدريجي من ديانة الكنعانيين الشركية إلى ديانة الإسرائيليين التوحيديّة[2]. بل ويعترف هو نفسه أنّه بلا جواب أمام أهمّ سؤال في هذا البحث؛ فقد كتب: «كيف ومتى تمّ الانتقال من عقيدة يهوه الفلسطينية التقليدية إلى عقيدة يهوه التوراتية؟ في الحقيقة نحن جاهلون كل الجهل بالكيفية التي تمّ بها هذا الانتقال. ويعود السبب في ذلك إلى أنّ الفترة التي دوّنت خلالها أسفار التوراة، أي القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، هي فترة ظلام مطبق في تاريخ فلسطين، والنصوص ليست نادرة فحسب وإنّما معدومة»[3].

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص224.
(2) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهوذا، ص133.
(3) المصدر السابق، ص 245.

وأما خزعل الماجدي؛ فذهب إلى أنّ الملك يوشيا أخفى «سفر الشريعة» في هيكل الرب سنة 639 ق.م، ثم دبّر حيلة ليكتشفه كبير الكهنة حلقيا، ثم ينتهي الأمر بعرضه على يوشيا الذي أعلن على إثر ذلك ثورة دينية ضد الشرك[1]. وهكذا انتقل «هذا الشعب الخليط المتفرق المشارب، عديم الهوية، خليط الأعراق»[2] إلى هوية أخرى مختلفة تمامًا؛ بسلاسة عجيبة، لا يصدقها إلا ساذج لا يدرك صعوبة نقل الناس من الشرك إلى التوحيد، وحجم الممانعة الشرسة التي يبديها المشركون أمام دعوة نبذ آلهة الأجداد، بالإضافة إلى سذاجة الظنّ أنّ الأمم تغيّر إثنيتها العرقية بين يوم وليلة!

ويزيدنا الماجدي بعد ذلك عجبًا منه - بعد صفحات من ادعائه السابق - ؛ إذ أخبرنا أنه في شك من ذاك السيناريو الانقلابي؛ ليؤجل الانقلاب إلى القرن الخامس على يد عزرا[3]. وهو بذلك لا يزيد «اجتهاده» إلا وهاء؛ إذ إنّه كلما تأخر سيناريو «الانقلاب التوحيدي»، زاد القول به نكارة؛ فإنّ عصر عزرا أقرب إلى القرن الأول الميلادي، ومع ذلك؛ لم تُبق لنا تلك المؤامرة المدّعاة أي أثر لزلزال الانتقال من الشرك إلى التوحيد، كما أنّنا نملك نُسَخَ أسفارٍ للعهد القديم تنضح بالتوحيد يعود بعضها إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد[4]، بما يدل على أنّ مجموعة الكتب المقدسة كانت مجموعة قبل ذلك بمدة.. بل إنّ دعوة التوحيد منتشرة في عامة الأسفار المقدسة؛ والتراث اليهودي صريح وقاطع في ردها إلى ما قبل عصر عزرا.

---

(1) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص191.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق، ص233.

(4) Timothy H. Lim, John J. Collins, eds. *The Oxford Handbook of the Dead Sea Scrolls* (Oxford: OUP Oxford, 2012), p.281.

الخلاصة:

- السبب الأول للتشكيك في تاريخية داود -عليه السلام- الوصف المبالغ فيه لمملكته، وليس في القرآن ذاك الوصف؛ بل في الآيات القرآنية ما يشهد أن عظمة مملكة داود ليست في سعتها أو عمرانها، وإنما في خوارق النبي الذي يحكمها وابنه.
- القول بخرافية شخصية داود -عليه السلام- مع الإقرار أن البحث الأركيولوجي يشهد لوجود مملكتي إسرائيل ويهوذا[1] بعده بقرن واحد، مذهب انتقائي مضطرب في قبول شهادة التراث الإسرائيلي.
- كشَفَ البحث الأركيولوجي عن وجود اسم داود -عليه السلام-.
- كَشَف البحث الأركيولوجي عن وجود مدن قوية زمن داود وابنه سليمان - عليهما السلام - ضمن مملكتهما.
- رسائل تلّ العمارنة كاشفة أنّ الطبيعة التاريخية لأورشليم قد تطمس آثار دولة قوية.
- لا يزال جمهور المؤرخين والأركيولوجيين - كما هو قول دافيد رودمان في مراجعته لكتاب فنكلشتاين الأخير «المملكة المفقودة» - على أنّ مملكة السامرة ومملكة يهوذا قد ظهرتا بعد انقسام المملكة المتحدة[2].

---

(1) هناك من يردّ مملكة يهوذا إلى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد.

(2) David Rodman, Review 'The forgotten kingdom: the archaeology and history of northern Israel,' *Israel Affairs*, 2005, 21:1, 175.

الفصل الثاني
الوجود التاريخي لسليمان -عليه السلام-

المبحث الأول: سليمان -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

سليمان -عليه السلام-، النبي الكريم، ابن داود -عليه السلام-. أوتي النبوة والملك بعد والده، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ (النمل/ 16).

لم يأتِ خبر سليمان -عليه السلام- في القرآن مستفيضًا؛ فقد اقتصر الأمر على ذكر نبوته، وبيان حكمته، وما أوتيه من خوارق عجيبة، وعلى رأسها تسخير الجنّ له. ولم تستفض الآيات إلا في قصته مع ملكة سبأ في سورة النمل.

كما جاءت السنّة في الإخبار عن طبائع ما اختصّ به سليمان -عليه السلام-، قال - صلّى الله عليه وسلّم -: «لمَّا فرغَ سُلَيْمانُ بنُ داودَ من بناءِ بيتِ المقدِسِ سألَ اللَّهَ ثلاثًا؛ حُكْمًا يصادفُ حُكْمَهُ، وملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدِهِ، وألَّا يأتيَ هذا المسجدَ أحدٌ لا يريدُ إلَّا الصَّلاةَ فيهِ إلَّا خرجَ من ذنوبِهِ كيوم ولدتْهُ أمُّهُ. فقالَ النَّبيُّ - صلّى الله عليه وسلّم -: أمَّا اثنتانِ فقد أُعْطيَهُما، وأرجو أن يَكونَ قد أُعطيَ الثَّالثةَ»[1]. وهو حديث دال أيضًا على أنّ سليمان -عليه السلام- قد بنى - أو قل على الصواب: جدّد بناء مسجد!

كما جاء في حكمة سليمان -عليه السلام-، قول نبيّنا - صلّى الله عليه وسلّم -: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما. فقالت لصاحبتها:

---

(1) رواه ابن ماجه،كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، (ح/ 1408). وصححه الألباني.

إنما ذهب بابنك! وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك! فتحاكمتا إلى داود -عليه السلام- ؛ فقضى به للكبرى؛ فخرجتا على سليمان بن داود - عليهما السلام - ؛ فأخبرتاه. فقال: ائتوني بالسكين أشقّه بينهما! فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها! فقضى به للصغرى»[1].

يوافق الكتابُ المقدس القرآنَ في أنّ سليمان -عليه السلام- قد ورث الملك عن أبيه، وأنّه صاحب حكمة عالية، وأنَّ ملكة سبأ قد زارته، غير أنّه لا يصرّح أنّه نبي. والحقّ أنّ نسبة بعض الأسفار إلى سليمان -عليه السلام- في الكتاب المقدس، حجّة أنّه كان يُنظر إليه قبل زمن المسيح أنّه نبي. ومع ذلك فإنّ أعظم أوجه الخلاف بين القرآن والتوراة، نسبة سليمان -عليه السلام- إلى بناء معابد للآلهة الوثنية بعد أن أَغْوَتْهُ زوجاته؛ حتّى غضب الربّ منه، وهدَّدَهُ بتمزيق مُلكِه!

وردت عامة القصة التوراتية لسليمان -عليه السلام- في الفصول الأحد عشر الأولى من سفر الملوك الأول والفصول التسع الأولى من سفر أخبار الأيام الثاني. وفيها تفاصيل تاريخية وجغرافية غزيرة. وقد تميّز حكم سليمان -عليه السلام- فيها بثراء الدولة، ووفرة المال بين الناس على صورة عجيبة، وعظمة البناء المعماري، وغياب الحروب. وكان أعظم ما بناه سليمان -عليه السلام- الهيكل (المسجد) في أورشليم.

---

(1) رواه البخاري، كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابنًا، (ح/ 6387)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين (ح/ 3245). وقد وردت قصة فيها بعض الشبه بهذه القصة في 1 ملوك 3، 16 - 28.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لسليمان -عليه السلام-

لم يذكر القرآن أحداثًا سياسية قابلة للرصد الأركيولوجي في سيرة سليمان -عليه السلام- سوى بعض المسائل المتعلّقة بملكه، وبزيارة ملكة سبأ له:

- وراثة مملكة داود -عليه السلام-: قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل/ 16). قال ابن كثير: «أي: في الملك والنبوة»[1].
- له محاريب وتماثيل وقصاع عظيمة وقدور كبيرة ثابتة في الأرض (صنعتها له الجن): قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾(سبأ/ 12 - 13).
- له خيول: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ (ص/ 30 - 33).
- له قصر أو بيت أرضه شفافة من قوارير تحتها الماء يجري: قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (النمل/ 44).

ومما سبق، يتبيّن لنا أنّ قصة سليمان -عليه السلام- كما في القرآن ليس فيها

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ/ 1999 م)، 6/ 182.

مما يتقاطع مع السرد التاريخي الذي يقبل الاختبار الأركيولوجي سوى وجود مملكة لسليمان، وما فيها من محاريب وتماثيل وقصاع عظيمة وقدور ثابتة، وهي كلّها مما لا يجزم العلماء أنّها قادرة على مقاومة عاديات الأيام، أو أعمال السلب والنهب المحلي أو الخارجي. وما عدا ذلك فهو سلطان لسليمان -عليه السلام- على الطبيعة بطريقة خارقة. والخوارق خارج دائرة السبر الأركيولوجي.

ورغم أنّ بعض الكتابات العربية الإلحاديّة توهم القراء أنّ البحث الأركيولوجي في الغرب قد انتهى إلى إنكار الوجود التاريخي لسليمان وداود - عليهما السلام -، إلا أنّ الحقيقة أنّ الإشكال ليس في امتناع وجود ملك اسمه سليمان، وإنما الإشكال في التفاصيل المبالغ فيها المذكورة في التوراة لمملكته.

إنّ إنكار وجود سليمان -عليه السلام-، لا بد أن يقوم على القطع أن التراث الإسرائيلي المتوارث في شأنه مزيف كليّة. ولم يقم دليل إلى الآن على ذلك. وأخطاء القصة والمبالغات لا تملك وحدها إنكار الوجود التاريخي لشخص ما، وإلّا لأنكرنا وجود الإسكندر المقدوني وكورش وغيرهما ممن احتفّت بهم المبالغات والأساطير.

وقد ثبت لدينا في البحث السابق وجود داود -عليه السلام-. ولا تجد اليوم ناقدًا ينكر وجود سليمان -عليه السلام- مع إقراره بوجود داود -عليه السلام- ؛ لأنّ الإقرار بالأب يلزم منه الإقرار بابنه. وليس هناك داع جاد لاختلاق وجود سليمان -عليه السلام-، ونسبة أسفار له، والإفاضة في خبره بتوسّع، إذا كان والده قد وُجد حقًّا، وسبقه بالنبوّة والملك.

ومن الغريب أنّ فراس السواح مولع بالتشكيك في وجود سليمان -عليه السلام- في لقاءاته على القنوات؛ والقول إنّه مغرم بأمانة الباحثين اليهود المعاصرين، الذين ينحازون إلى الدليل العلمي ولو خالف أهواءهم، وعلى رأسهم فنكلشتاين الذي يكرّر السواح أنّه قال في أحد كتبه: «إنه ليصعب على روحي الرومانسية أن تقبل

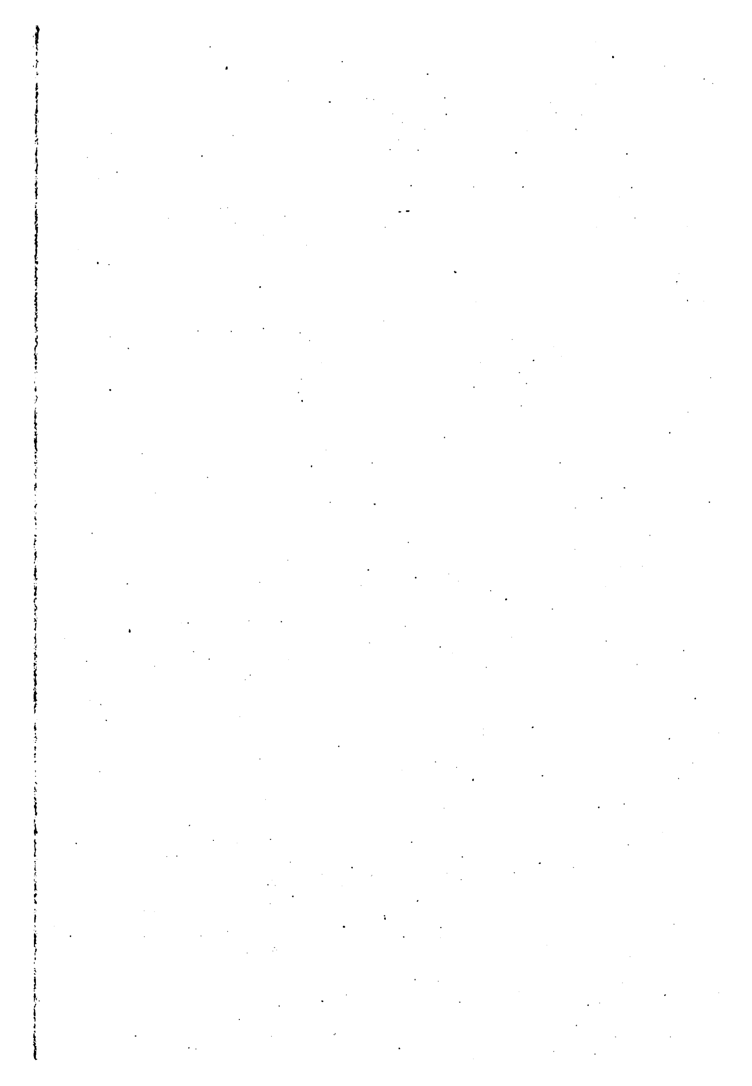
بما وجدناه في علم الأركيولوجيا. أستميحك عذرًا يا سليمان لأنني لم أجدك»[1]!

ومعلوم أنّ فنكلشتاين يقرّر صراحة في كتبه ولقاءاته الصحفية إيمانه بوجود سليمان -عليه السلام-. ومن ذلك قوله: «أنا أَزْعُم - على خلاف مَنْ يُسمَّون بأنصار الحدّ الأدنى - أنّ داود وسليمان شخصيَّتان تاريخيَّتان، مُؤَسِّسا سلالةٍ حاكِمةٍ في مدينة أورشليم اليهوذيّة»[2].

وإذا صحّت عندك أدلّة وجود مملكة داود - كما سبق - ؛ فلن يبقى من الإشكال الذي يعرضه المخالفون سوى الوصف التوراتي لمملكة سليمان -عليه السلام-، ولقائه بملكة سبأ. وهو مضمون حديثنا التالي.

(1) هذا اقتباس بلسان فراس السواح (في حوار تلفزيوني مشهور مع الصحفي المصري إبراهيم عيسى، بالحرف عنه) ينقل كلام فنكلشتاين بالمعنى. وقد كرّره في أكثر من لقاء! وقد حاولتُ أن أحمل كلام السواح على أنه متعلق بمملكة سليمان لا وجوده التاريخي؛ فعجزت؛ لأنّ الاقتباس صريح في الإشارة إلى عجز فنكلشتاين أن يجد سليمان -عليه السلام- نفسه لا دولته.

(2) «Against the so - called minimalists, I contend that David and Solomon are historical figures—the founders of a dynasty based in the Judahite city of Jerusalem.» (Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, pp.107 - 108).



المبحث الثالث: مملكة سليمان، وثراؤها

يتّفق القائلون بتاريخيةِ شخصيةِ سليمان -عليه السلام- أنّه قد حكم المملكة التي ورثها عن أبيه، في القرن العاشر قبل الميلاد. واختلفوا مع ذلك في السنوات التي حكم فيها؛ فمنهم من ذهب إلى أنّه حكم 974 - 943 ق.م، وقال آخرون إنّها 973 - 936 ق.م، وقال غيرهم 970 - 933 ق.م، وقيل 961 - 923 ق.م، و971 - 931 ق.م، و960 - 922 ق.م...[1].

والناظر في الكتاب المقدس تأخذه الدهشة من حجم مملكة سليمان، وطبيعة الرفاه فيها؛ إذ نقرأ - مثلًا - في 1ملوك 4/ 21 - 34: «وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ، وَإِلَى تُخُومِ مِصْرَ. كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا وَيَخْدِمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ. وَكَانَ طَعَامُ سُلَيْمَانَ لِلْيَوْمِ الْوَاحِدِ: ثَلاَثِينَ كُرَّ سَمِيذٍ، وَسِتِّينَ كُرَّ دَقِيق، وَعَشَرَةَ ثِيرَانٍ مُسَمَّنَةٍ، وَعِشْرِينَ ثَوْرًا مِنَ الْمَرَاعِي، وَمِئَةَ خَرُوفٍ، مَا عَدَا الأَيَائِلَ وَالظِّبَاءَ وَالْيَحَامِيرَ وَالإِوَزَّ الْمُسَمَّنَ. لأَنَّهُ كَانَ مُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ مَا عَبْرَ النَّهْرِ مِنْ تَفْسَحَ إِلَى غَزَّةَ، عَلَى كُلِّ مُلُوكِ عَبْرِ النَّهْرِ، وَكَانَ لَهُ صُلْحٌ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ حَوَالَيْهِ. وَسَكَنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلُ آمِنِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ، مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ، كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ. وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِذْوَدٍ لِخَيْلِ مَرْكَبَاتِهِ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ. وَهؤُلاَءِ الْوُكَلاَءُ كَانُوا يَمْتَارُونَ لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ وَلِكُلِّ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَى مَائِدَةِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي شَهْرِهِ. لَمْ يَكُونُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى شَيْءٍ. وَكَانُوا يَأْتُونَ بِشَعِيرٍ وَتِبْنٍ لِلْخَيْلِ وَالْجِيَادِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ، كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ قَضَائِهِ. وَأَعْطَى اللهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْمًا كَثِيرًا جِدًّا، وَرَحْبَةَ قَلْبٍ كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةَ جَمِيعِ بَنِي الْمَشْرِقِ وَكُلَّ حِكْمَةِ مِصْرَ. وَكَانَ

(1) انظر محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، في بلاد الشام، ص 159 - 160.

أَحْكَمَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، مِنْ إِيثَانَ الأَزْرَاحِيِّ وَهَيْمَانَ وَكَلْكُولَ وَدَرْدَعَ بَنِي مَاحُولَ. وَكَانَ صِيتُهُ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ حَوَالَيْهِ. وَتَكَلَّمَ بِثَلاَثَةِ آلاَفِ مَثَل، وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ أَلْفًا وَخَمْسًا. وَتَكَلَّمَ عَنِ الأَشْجَارِ، مِنَ الأَرْزِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى الزُّوفَا النَّابِتِ فِي الْحَائِطِ. وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ وَعَنِ الدَّبِيبِ وَعَنِ السَّمَكِ. وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ».

ولذلك نقرأ في معجم الكتاب المقدس «The Anchor Yale Bible Dictionary»: «جميع الأرقام والأوصاف الواردة في حسابات الأنشطة التجارية لسليمان وعائداته وثروته تمّت المبالغة فيها. من الواضح أن هذه الحسابات لم تؤلف بقصد إعداد تقرير تاريخي عن الأمور المالية لسليمان. لقد كان هدفهم إظهار مبلغ ازدهاره في ظل النعم الإلهية»[1].

وفي المقابل، ليس في القرآن شيء من التفصيل التوراتي؛ فالقرآن يُخالف التوراة من أوجه:

- لم يتحدّث القرآن عن حجم مملكة سليمان، ولم يجعل طبيعتها التوراتية أصل تميّزها، بل أوحت الآيات أنّ ذلك ليس طبيعتها؛ إذ جاء في القرآن: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ (ص/ 35-38). وهذا دالٌّ أنّ المُلك الذي طلبه سليمان -عليه السلام-، وتميّز به، ليس سعة المملكة، ولا وفرة المعادن النفيسة، وإنما هو تسخير الريح والجنّ ليصنعوا له ما يريد. ولا شكّ أنّها مصنوعات مبهرة تغري من غزوا أورشليم من شيشنق - إن صح غزوه لها - إلى من بعده، أن يستولوا عليها قبل أن تمسّها يد البحث الأركيولوجي.
- مصدر النفائس التي يملكها سليمان ما سُخّر له من الجنّ، لا عطايا الأمم.

(1) T. Ishida, art. Solomon (Person), *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 6/105 - 112.

وقد جاء في ملوك الأول 10/ 22: «كَانَ لِلْمَلِكِ فِي الْبَحْرِ سُفُنُ تَرْشِيشَ مَعَ سُفُنِ حِيرَامَ. فَكَانَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ تَأْتِي مَرَّةً فِي كُلِّ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ. أَتَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ حَامِلَةً ذَهَبًا وَفِضَّةً وَعَاجًا وَقُرُودًا وَطَوَاوِيسَ».

- ليس في القرآن ما يشير إلى المناطق التي كان يحكمها سليمان -عليه السلام- مع أورشليم.
- قصّة سليمان -عليه السلام- مع ملكة سبأ دالة أنّ سليمان -عليه السلام- ما كان معروفًا عند السبئيين، ولا كان مشهورًا بالحكمة أو بالثراء في الأرض البعيدة؛ إذ لم تشر الملكة إلى الملأ من قومها أنها تعرف سليمان -عليه السلام-، على خلاف زعم ملوك الأول 10/ 23 - 24: «فَتَعَاظَمَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الأَرْضِ فِي الْغِنَى وَالْحِكْمَةِ. وَكَانَتْ كُلُّ الأَرْضِ مُلْتَمِسَةً وَجْهَ سُلَيْمَانَ لِتَسْمَعَ حِكْمَتَهُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي قَلْبِهِ».
- لم يذكر القرآن العدد الألفي المهول لخيول سليمان -عليه السلام- كما في التوراة (1ملوك 4/ 26).

لا شكّ أنّ الوصف التوراتي لملك سليمان مهول بمقياس عصره، وأنّ شهرته تقتضي أن نجد صدى لخبره عند الأمم المجاورة التي كانت تلهج بذكره. وهو ما لا نرى له أثرًا في الآثار. وأمّا الخبر القرآني؛ فبعيد عن ذلك. ولذلك فالاعتراض الأكبر على عظَم مملكة سليمان أصله فساد الخبر التوراتي. ونحن إذا عدنا إلى الخبر القرآني، لا نجد للاعتراض الكلاسيكي من الأركيولوجيين سبيلًا.

المبحث الرابع: ملكة سبأ

يقول المعترض: جاء في سورة النمل/ 20 - 44 عن سليمان: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا

كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

قصّة سليمان في القرآن مع ملكة سبأ فيها - على دعوى المعارضين - أخطاء ثلاث:

1 - مملكة سبأ تأسّست في القرن الثامن قبل الميلاد.

2 - لم تعرف سبأ ملكة زمن سليمان.

3 - رحلة ملكة من جنوب البلاد العربية إلى فلسطين مستبعدة جدًا؛ لطولها.

وجواب ما سبق، في الحديث التالي.

المطلب الأول: مملكة سبأ في القرن العاشر

يزعم فريق من المنكرين لتاريخية مملكة سبأ أنّ مملكة سبأ لم تظهر إلا بداية من القرن الثامن قبل الميلاد؛ بما يجعل الحديث عن مملكة سبئية في القرن العاشر مفارقة تاريخية.

والحقّ هو أنّ هذا الاعتراض لا يقوم على دليل تاريخي متين؛ فإنّ داعي الاعتراض؛ هو معرفتنا بازدهار سبأ بداية من القرن الثامن قبل الميلاد، لا أنّنا نعلم أنّه لم تكن للسبئيين دولة قبل ذلك. ورغم أنّ إسرائيل فنكلشتاين يُنكر تاريخية وجود مملكة في سبأ زمن سليمان -عليه السلام-، إلا أنه قال: «رغم أنّ الأبحاث الأركيولوجية الحديثة قد كشفت على ما يبدو بقايا أقدم من العصر الحديدي في اليمن، فمن الواضح أن مملكة سبأ قد بدأت في الازدهار فقط من القرن الثامن قبل الميلاد فصاعدًا»[1]. فالمملكة على هذا الفهم قد وجدت قبل القرن الثامن.

(1) Israel Finkelstein, Neil Asher Silberman, *David and Solomon*, pp.170 - 171

وقد كان بحث كنث كتشن الرائع حول تاريخ البلاد العربية القديمة، من أهم الدراسات التي بيّنت أنّ مملكة سبأ تعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وأنّها كانت راسخة الأركان في القرن العاشر قبل الميلاد[1]. وممّا استدلّ به لذلك استمرار ظاهرة تقنيات الريّ وهندستها - نفسها - منذ منتصف الألفية الثانية، عند دراسة مأرب والمناطق السبئية الأخرى[2].

كما أشار لفراني في مقالته «التجارة المبكّرة للقوافل بين جنوب البلاد العربية وبلاد ما بين النهرين» إلى نشر نصوص جديدة تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد. وهي تضم المعلومات الأقدم عن تجارة القوافل العربية في بلاد ما بين النهرين. وهي نصوص صدرت عن ملك سهو Suhu (عند حدود سوريا والعراق اليوم)، وتصف قافلة فيها 200 جمل جاءت من سبأ. كما كشفت نقوش آشور ناصربال الثاني (883 - 859 ق.م) وسلفه توكولتي نينورتا الثاني (890 - 884 ق.م) أنّه منذ بداية القرن التاسع قبل الميلاد كانت منطقة هندانو المذكورة في نصوص ملك سهو مخرج أهم طرق القوافل من البلاد العربية إلى بلاد الرافدين. ولذلك نبّه لفراني إلى أنّ تحليل نصوص الجزية يدفع تاريخ معرفتنا بالتجارة بين سبأ وبلاد الرافدين إلى قرابة سنة 890 ق.م[3]، أي بعد عقود قليلة من وفاة سليمان -عليه السلام-.

المطلب الثاني: لماذا اختفى اسم ملكة سبأ؟

نبّه كتشن إلى أنّ الاستدلال بغياب ذكر ملكةٍ لسبأ زمن سليمان -عليه السلام- خارج الكتاب المقدس، ليس حجّة حاسمة لإنكار وجود هذه الملكة، وأنّه حكم متعجّل؛ لأسباب:

أولًا: التاريخ الكامل والدقيق للملوك الأوائل لسبأ لا يزال غير نهائي؛ فهو مجرّد

(1) Kenneth A. Kitchen, *Documentation for ancient Arabia. Part 1, Chronological framework & historical sources* (Liverpool: University of Liverpool Press, 1994).

(2) Ibid., 131.

(3) Liverani, M. 1992. Early caravan trade between South Arabia and Mesopotamia. *Yemen* 1:111-5.

صناعة افتراضية مما بقي من الآثار[1]. وليس بإمكاننا أن نحصي دائمًا حكام البلاد؛ فبعضهم قد يملك لأشهر أو لسنوات قليلة لا تترك أثرًا في المنقوشات التي تصنع أيام حكمهم، والتي هي مصدر معرفتنا الأساسي بذاك العصر. وتاريخ بلاد العرب فيه انقطاعات واضحة، ومن ذلك أنّ منطقة القريا في الشمال الغربي للجزيرة العربية قد عرفت طفرة ثقافية في القرنين الثالث عشر والثاني عشر، وعُرفت بالتواصل مع مصر أثناء حكم رمسيس الثاني، ثم صمتت المصادر التاريخية عنها كلية حتى ظهور أخبار معركة قرقور سنة 853 ق.م التي ذكرت أهلها. وكذلك فإنّ منطقة دلمون في الجهة الشرقية للبلاد العربية والبحرين كانت منطقة مهمة في الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى حوالي سنة 1425 ق.م. وقد انقطع الخبر التاريخي عنها بين حوالي 1150 و720 ق.م[2].

وإنّ مما يزهّد الباحث في القطع بمعرفتنا بملكات سبأ الأوائل أنّه على مدى 15 قرنًا في جنوب البلاد العربية (حيث سبأ)، لا نجد أيّ شهادة صريحة لأي ملكة سوى شهادة لواحدة، وهي الملكة (Halik - malik) (في حدود 225م)، علمًا أنه لم يصلنا خبرها إلا لأنّ أخاها (ملك سبأ) قد خطفها من زوجها (ملك حضرموت) لسوء مسلكه[3]. والراجح أنّ أسماء الملكات قد ضاعت؛ إذ إنّ الوثائق الآشورية تخبرنا عمّا لا يقل عن أربع ملكات متتاليات في شمال البلاد العربية بين 750 - 690 ق.م.

ثانيًا: لا أحد يعلم ما تخبئه الأيام، خاصة أنّ تلال مأرب لا تكاد تعرف حفريات البتة، علمًا أنّ المادة التاريخية لسبأ في القرن العاشر قبل الميلاد تقع في الأغلب تحت 70 قدمًا أو أكثر تحت «تل» مأرب القديمة[4].

(1) Kenneth A. Kitchen, 'Sheba and Arabia', in *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium*, ed. Lowell K. Handy (Leiden: BRILL, 1997), pp.142, 152.

(2) Kenneth A. Kitchen, 'External Textual Sources - Early Arabia', in André Lemaire; Baruch Halpern, eds. *The Books of Kings: Sources, Composition, Historiography and Reception* (Atlanta, Georgia: SBL Press, 2017) p.382.

(3) Kenneth A. Kitchen, 'External Textual Sources - Early Arabia', p.383.

(4) Kenneth A. Kitchen, 'Sheba and Arabia', in *The Age of Solomon*, p.152.

ثالثًا: إذا كان عامة النقاد على أنّ سليمان -عليه السلام- إنْ وُجد، فسيكون حكمه في حدود 970 - 930 ق.م؛ فإنّه من الناحية النظرية هناك انقطاع في الخط العائلي بين يدع إيل ينوف و ذمار علي الأول؛ إذ لا يزال أمرهما مقتصرًا على اجتهاد نظريّ؛ ولذلك فبالإمكان إقحام حكم ملكةٍ في حدود 970 - 960 ق.م[1].

ونضيف إلى ما قاله كتشن شهادة القرآن أنّ ملكة سبأ قد أسلمت بعد أن زارته في فلسطين، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (النمل/ 44). ولا يُتوقّع عندها أن يُبقي أهل سبأ لملكةٍ (أو زوجة ملك) خبرًا على منحوتاتهم؛ إذ هي عندهم خائنة، مرتدّة عن دين الآباء والأجداد. ولعلّها بعد زيارة فلسطين لم تعد إلى بلدها؛ لعلمها بمآل من ارتدّ عند قومها عابدي الشمس.

المطلب الثالث: زوجة الملك، الحاكمة؟

يذهب كتشن إلى أنّ الملكة التي جاء ذكرها في قصة سليمان -عليه السلام- من الممكن أن تكون زوجة ملك كان يحكم سبأ. وأنّ سلطانها ناتج عن تفويض الملك لها كثيرًا من السلطات، ومنها التفاوض مع سليمان -عليه السلام-. ومن أمثلة ذلك في التاريخ، حال شجرة الدر مع الملك عز الدين أيبك؛ فقد كانت تملك أثناء حُكمِه أمور السياسة في البلاد مدّةً من الزمان، حتّى قال المؤرخ ابن تغري بردي: «كانت مسؤولة عن أيبك في جميع أحواله، ليس له معها كلام»[2].

وهناك احتمال أقوى، وهو أنّ ملكة سبأ كانت أُمًّا لأحد الملوك القاصرين، وصيّةً عليه في إدارة الأمر؛ فإنّه في العصر الذي حكم فيه سليمان -عليه السلام- المملكة

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.117

(2) جمال الدين بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1992م)، 6/ 334.

المتحدة - في حدود ما يُفترض عند المؤرخين -، كان ثلاثةٌ من الحكام الأربعة الذين حكموا سبأ، سلسلة: أب ثم ابن. وإذا قلنا إنّ أحد هؤلاء الملوك كان طفلًا عندما مات أبوه، سَهُلَ عندها افتراض وصاية أُمّه عليه[1].

المطلب الرابع: الرحلة من سبأ إلى فلسطين

استبعد بعضهم رحلة ملكة سبأ إلى فلسطين بما يقارب 1400 ميل؛ باعتبار ذلك أمرًا شاقًّا، ومخالفًا لعوائد العصر. وهو اعتراض يدلّ على جهلهم بتاريخ العصر؛ إذ التاريخ القديم يشهد أنّه في الألفية الثالثة قبل الميلاد، قام سرجون بحملة سافر فيها إلى «جبال الفضّة»، عَبَرَ خلالها 900 ميل. وسافر تحتمس الأول والثالث وأمنحتب الثالث (القرن الخامس عشر والرابع عشر) جنوبًا من منف إلى شلال النيل الرابع وما وراءه، مسافة 1300 أو 1400 ميل. وفي آخر القرن الثامن، جلب الأمير طهارقة جيشًا من أعلى النوبة إلى منف، من مسافة 1800ميل. وسار أشوربانيبال وقواته من نينوى إلى طيبة ذهابًا وإيابًا، مسافة 2700 ميل[2].

كما أنّ سَفَرَ القوافل التجارية من سبأ وإليها من آشور وغيرها، معروف في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، وكذلك إلى فلسطين ودول البحر الأبيض المتوسط. ولم يبدأ هذا التواصل مع بداية القرن التاسع قبل الميلاد؛ إذ المنطقة قد عرفت نشاطًا فلاحيًّا قائمًا على الريّ قبل ذلك بقرون لكنّ أخبارها لم تدوّن إلّا متأخّرًا؛ فإنّه لم تجدّ الحاجة إلى تبني الحروف الألفبائية والكتابة إلّا مع القرن الثالث عشر/ الثاني عشر[3].

(1) Nicholas Clapp, *Sheba: Through the Desert in Search of the Legendary Queen* (Houghton Mifflin Harcourt, 2001), p.206.

(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.120.

(3) Ibid., p.118.

الخلاصة:

- القول بخرافية شخصية سليمان -عليه السلام-، مع الإقرار بوجود داود -عليه السلام- ؛ مذهب لا يكاد يُعرف.
- السبب الأول للتشكيك في تاريخية سليمان -عليه السلام-، الوصف المبالغ فيه لمملكته. وليس في القرآن ذاك الوصف؛ بل في الآيات القرآنية ما يشهد أن عظمة مملكة سليمان -عليه السلام- ليست في سعتها أو ثراء أهلها.

الفصل الثالث
الوجود التاريخي لليسع -عليه السلام-

المبحث الأول: اليسع -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

جاء ذكر اليسع -عليه السلام- في القرآن مرتين فقط؛ الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (الأنعام/ 86)، والثانية في قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾(ص/ 48).

ليس في القرآن في أمر اليسع -عليه السلام- - إذن - أي خبر، غير ذكر نبوّته، فلا تفصيل في التاريخ أو الموطن. ولذلك؛ فليس للمؤرخ أن يُظهر أي اعتراض لإنكار وجود هذا النبي وفق الخبر الإسلامي.

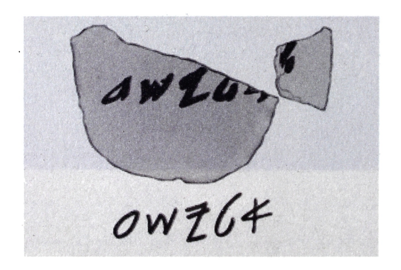
وأمّا الكتاب المقدس، فإنّه يذكر اليسع باسم «أليشع بن شافاط» «אֱלִישָׁע בֶּן־שָׁפָט» في ملوك الأول 19/ 16. وقد جاءت سيرته في سفر الملوك الثاني 2 - 9. ومعنى اسمه «الله خلاص». وهو خليفة إلياس -عليه السلام- في العمل النبوي في المملكة الشمالية. وقد أمر الله إلياس -عليه السلام- بمسحه ليكون في عقبه. ويبدو أنّه كان يدعو أيام الملوك أخاب وأخزيا ويهورام في النصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد. وقد سكن آبل محولة في وادي الأردن، وكانت له معجزات كثيرة، بعضها شبيه بمعجزات المسيح.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لليسع -عليه السلام-

ليس في روايات سفر الملوك الثاني ما يلزم أن تحتفظ به الآثار، وإن كان سفر الملوك الثاني يذكر لأليشع نشاطات قريبة من النشاط السياسي. ويكفي في هذه الحال حفظ التراث الإسرائيلي لخبر أليشع ليكون وجوده ممكنًا أو راجحًا ما لم يقم مانع تاريخي من تصديق هذه الرواية، ولا مانع.

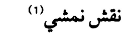
ومن اللافت أنّه قد اكتُشفت سنة 2013 في تل رحوب (تل الصارم اليوم) قطعة من الفخار تعود إلى منتصف القرن التاسع، كتب عليها نص قديم بالحبر الأحمر، ومن الممكن قراءة اسم أليشع عليها بوضوح[1].

رسم لصورة القطعة الفخارية
وعليها اسم أليشع

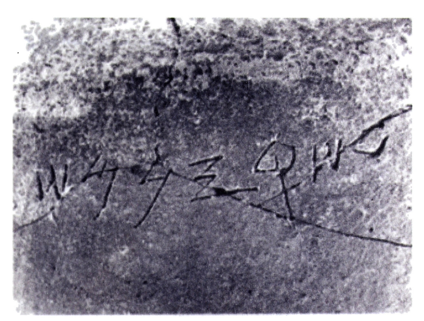


(1) Noah Wiener, Tel Rehov House Associated with the Biblical Prophet Elisha, Bible and archaeology news, July 23, 2013, *Biblical Archaeology Society* < https://www.biblicalarchaeology.org/daily/news/tel - rehov - house - associated - with - the - biblical - prophet - elisha/ >.

ولا نستطيع أن نجزم أنّ هذه القطعة الفخارية تذكر اسم النبي أليشع، لكنّ هناك قرائن تجعل هذا الافتراض جادًّا، وأهمّها أنّ هذه القطعة الفخاريّة تعود إلى عصر هذا النبي، وأنّها لا تبعد عن آبل محولة - التي كان أليشع يمضي فيها وقتًا طويلًا - إلا بضعة أميال، وأنّ نقشًا يحمل اسم نمشي قد وُجد قريبًا منها، علمًا أنّه قد جاء في سفر الملوك الثاني 9/ 1 - 3 أنّ أليشع قد طلب من أحد تلاميذه أن يمسح مَلِكًا على إسرائيل رجلًا اسمه «يَهُوشَافَاطَ بْنَ نِمْشِي».



نقش نمشي(1)



(1) Nava Panitz - Cohen, 'To What God?' *Biblical Archaeology Review* 34.4 (2008): 40, 42, 44-47. < https://www.baslibrary.org/biblical - archaeology - review/34/4/10>.

الخلاصة:

- ليس في أخبار اليسع -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة.
- ليس في خبر القرآن عن اليسع -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.

الفصل الرابع
الوجود التاريخي لأيوب -عليه السلام-

المبحث الأول: أيوب -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

أيوب -عليه السلام-، نبي ارتبط اسمه في القرآن والتراث الإسلامي، بالصبر؛ فهو المثال الذي يُحتذى به في الثبات عند اللأواء، خاصة أوجاع المرض إذا طالت أيامه، وقد عافى الله أيوب -عليه السلام- بأمره له أن يغتسل بماء بارد، ويشرب منه، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾﴾ (ص/ 41 - 42). كما أكرم الله أيوب -عليه السلام- بالمال الوفير. قال - صلّى الله عليه وسلّم -: «بينما أيوب يغتسل عريانًا، خرّ عليه رِجْل[1] جراد من ذهب؛ فجعل يحثي في ثوبه؛ فناداه ربه: «يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟!» قال: «بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك»[2].

وأما الكتاب المقدس، ففيه سِفر منسوب إلى أيوب -عليه السلام-. وفي فصوله تفاصيل قصّته التي ملخصها أنّ أيوب -عليه السلام- رجل يسكن أرض عيص אֶרֶץ־עוּץ (لا يُعرف مكانها اليوم)، بالقرب من الصحراء، في بيئة كان الكلدانيون يقومون فيها بغزوات. وقد كان في نعمة وعافية وثراء. وفي يوم تحدّى الشيطان الربّ ليثبت له أنّ أيوب -عليه السلام- ما أظهر التقوى إلا بسبب ما به من نعمة؛ فسمح الربّ للشيطان أن يختبر أيوب -عليه السلام- في أملاكه؛ ففقد أيوب أملاكه، ولم يفقد إيمانه بعدل الربّ. ثم طلب الشيطان أن يُسمح له أن يمتحن أيوب -عليه

(1) أي جماعة.

(2) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (ح/ 3211).

السلام- في صحّته؛ فأظهر أيوب -عليه السلام- الرضى والصبر. ثمّ جاءه ثلاثة من أصحابه؛ فجزعوا لحاله؛ حتّى إنّه أظهر السخط وسبّ يومه لما آل إليه أمره، وقال في عدل الله قولًا عظيمًا؛ كصرخته: «فَهِّمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! أَحَسَنٌ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ، أَنْ تُرْذِلَ عَمَلَ يَدَيْكَ، وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الأَشْرَارِ؟» (أيوب10/ 2 - 3)! وفي السِّفر حديث مطوّل بين أيوب -عليه السلام- وأصدقائه في فهم الحكمة من الابتلاء.

ثم تدخّل شاب حكيم اسمه أليهو، أدان أيوب -عليه السلام- الذي ظنّ أنّ الله يعاقبه رغم برّه، وأدان أصحاب أيوب -عليه السلام- الذين لم يحسنوا فهم حِكمة الله، ثم تكلّم الربّ من العاصفة مؤنبًا أيوب -عليه السلام- ومعلّمًا له.

وفي آخر السفر، يظهر أيوب -عليه السلام- ندمه، ويرضى عنه الربّ ويُباركه. والسفر في جوهره طرح فلسفي لمشكلة ابتلاء البار في عالَمٍ خَلَقَهُ إلهٌ رحيم.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لأيوب -عليه السلام-

تتراوح تقديرات النقاد لزمن تأليف سفر أيوب، بين عصر الآباء إلى ما بعد السبي[1]، أو حتّى من الألفية الثالثة قبل الميلاد وسنة 400 ق.م. وسبب ذلك أنّه لا توجد علامة واضحة من الممكن معرفة زمن التأليف من خلالها.

وهو اضطراب يظهر في «قاموس الكتاب المقدس» (تحت إشراف بطرس عبد الملك، النصراني) الذي قال - رغم طابعه المحافظ والتقليدي -: «ولا يمكن تعيين تاريخ كتابة السفر على وجه التحقيق. وقد ظنّ بعض النقاد أنّه كُتِب في عصر إرميا. وظنّ آخرون أنّه كتب بعد السبي بسبب الصراع الواضح فيه بشأن الثواب والعقاب. أما لغة السفر ففيها بعض من مؤثرات آرامية أو عربية آرامية، وربّما تشير إلى تاريخ متأخّر لكتابة السّفر. ومع أن بعض العلماء يقولون إنه كُتب حالًا بعد السبي، إلّا أنّ غيرهم يظنّون أنه كُتب في القرن الرابع قبل الميلاد تقريبًا،كما أن هناك علماء يعتقدون أنه بما أن البيئة والظروف التي يتحدث عنها السفر تشبه البيئة والظروف التي عاش فيها الآباء الأولون فلذلك يحتمل أنه يرجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد»[2].

وعامة محاولات معرفة زمن تأليف سفر أيوب تعتمد على أمرين، لغة السفر وعلاقة نصه ببعض المقاطع في أسفار العهد القديم. والبحث عن حلّ من خلالهما؛ لم يهدِ الباحثين إلى يقين أو ظنٍّ غالب قويّ.

فيما يتعلّق بلغة السفر؛ تُخالِف لهجةُ الكتاب طبيعة اللهجة المستعملة في بقية أسفار العهد القديم، مع ثراء لفظيّ متميّز. ولا تشهد أيّ من نصوص السامية الشمالية الغربية المكتشفة، لهذه اللهجة[3]. وقد وقع الاختلاف لذلك في اللغة الأصل للسّفر؛

---

(1) John E. Hartley, *The Book of Job* (Wm. B. Eerdmans Publishing, 1988), p.17.

(2) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 148.

(3) John E. Hartley, *The Book of Job*, p.17.

فقد قيل هي العبرية، وقيل الآرامية[1]، وقيل الأدومية[2]، وقيل العربية[3].

وأمّا تقاطع سِفر أيوب مع بقية أسفار العهد القديم؛ فمشكلته عجزنا عن تأريخ هذه المقاطع، بجزم (مثال: مزمور 8، 107، إشعياء 40 - 55)، وصعوبة تحديد النص المتأثّر بالآخر، أو إن كان النصان قد تأثّرا بنص ثالث[4].

خلاصة الأمر في سفر أيوب ما قاله موريس أوسليفان: «هناك أمور قليلة اتفق العلماء والنقاد عليها في شأن سفر أيوب»[5]. وهو ما يجعل القول في الزمن الافتراضي لحياة أيوب -عليه السلام- في التراث التوراتي، محض رمي في عماية.

وأمّا اسم «أيوب» فمشتق من التراث السامي، وهو معروف خارج الكتاب المقدس؛ ففي إحدى رسائل تل العمارنة (رقم 256) - وتعود إلى حوالي 1350 ق.م -، يظهر أمير عشتروت في باشان (في كنعان) باسم «أيّاب»، وهي الصيغة الأقدم للاسم. وفي زمن أبكر من ذلك (حوالي 2000ق.م)، جاء في وثيقة لعن مصرية ذِكْرُ قائدٍ اسمه أيبم. واسم أيّبوم موجود في الوثائق الأكادية من ماري وألالاخ في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. كما جاء اسم أيوب في قائمة أسماء شخصيات القصر في الأوغاريتية[6].

ليس في الخبر القرآني تفاصيل تاريخية تخبر عن موطن أيوب -عليه السلام- وزمنه أو أي حدث من الممكن أن يلتقطه البحث الأركيولوجي؛ وغاية ما فيه أنّ أيوب -عليه السلام- من نسل إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ

(1) N.H. Torczyner, *The Book of Job* (Jerusalem: Hebrew University Press, 1941); N.H. Tur - Sinai, *The Book of Job: A New Commentary* (Jerusalem: Kiryath Sepher, 1957) xxx - xl.

(2) R.H, Pfeiffer, "Edomitic Wisdom», *Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft* 44 (1926) 13 - 25.

(3) F.H. Foster, 'Is the Book of Job a Translation from an Arabic Original?', *American Journal of Semitic Languages and Literatures* 49 (1932 - 1933) 21 - 45.

(4) John E. Hartley, *The Book of Job*, pp.17 - 18.

(5) Maurice J. O'Sullivan, *The Books of Job* (UK: Cambridge Scholars Publishing, 2009), p.9

(6) August H. Konkel, Tremper Longman III, *Job, Ecclesiastes, Song of Songs* (Illinois: Tyndale House, 2016), p.29.

وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (الأنعام/ 84)، وأنّه قد أصابه أذى؛ فدعا الله سبحانه أن يرفعه عنه؛ فأجابه الله لما طلبه، وأكرمه وأهله. ولذلك فليس للمخالف أن يتّهم القرآن بمخالفة التاريخ المعلوم.

الخلاصة:

- ليس في أخبار أيوب -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة.
- ليس في خبر القرآن عن أيوب -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.
- سفر أيوب لم يقرّبنا إلى القصّة الأصليّة؛ فهو مجهول التاريخ.

الفصل الخامس
الوجود التاريخي لإلياس -عليه السلام-

المبحث الأول: إلياس -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

ورد ذكر إلياس -عليه السلام- في القرآن ثلاث مرات، مرتين باسم إلياس: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (الأنعام/ 85)، ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ (الصافات/ 123)، ومرّة واحدة باسم إل ياسين: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ (الصافات/ 130). ولعلّ تسمية القرآن إلياس بإل ياسين، بفصل إل عن بقية الاسم؛ للدلالة على أنّ اسمه ليس من اليأس، وإنّما هو اسم مزجي، نصفه الأول من (إل) بمعنى إله[1]. والعرب تلحق النون بأسماء كثيرة، كما هي تسمية طور سيناء بطور سينين في القرآن، وهي لغة بني أسد[2].

وقد وردت قصّة إلياس -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾(الصافات/ 123 - 132). وخلاصة خبره أنّه قد أُرسل إلى قومه، يدعوهم إلى ترك عبادة البعل، وعبادة الله وحده.

---

(1) رؤوف أبو سعدة، العلم الأعجمي في القرآن مفسّرًا بالقرآن (القاهرة: دار الهلال)، 2/ 168.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 37.

واسم إلياس القرآني، من العبريّة אֵלִיָּהוּ إيلياهو بمعنى: إلهي يهوه. وقد انتقل إلى العرف اللساني العربي قبل الإسلام من اليونانية «إلياس» «Ηλίας»، أو من إحدى صورتيه في السريانية: «إلياس» «ܐܠܝܐܣ».

جاء خبر إيلياهو في العهد القديم، في 1ملوك 17 - 19، 21، و 2ملوك 1 - 2. وهو نبي من بني إسرائيل عاش في عهد الملك أخاب بن عمري الذي تزوّج إيزابيل بنت ملك صور التي دعمت عبادة الآلهة الوثنية، واستقدمت كهنة البعل وأنبياءه إلى المملكة. وقد تصدّى النبي إيليا لأخاب وإيزابيل وكهنة الإله الكنعاني بعل، بقوة. ثم انتهى أمره أن رفعه الله إليه بعد أن عاش أيام حكم أخزيا بن أخاب، وأنكر عليه هو أيضًا إيمانه ببعل زبوب إله عَقْرُون.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لإلياس -عليه السلام-

ليس في الخبر القرآني أي تفصيل تاريخي يقبل الاختبار الأركيولوجي الذي يؤول إلى إثبات وجود إلياس -عليه السلام- أو نفيه؛ فقد اقتصر الخبر القرآنيّ على ذكر أنّ إلياس -عليه السلام- قد دعا قومًا يؤمنون بألوهية البعل إلى التوحيد. وعبادة البعل قد شهد البحث الأركيولوجي لها في القرن التاسع قبل الميلاد وما بعده في فلسطين[1].

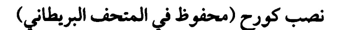
وأما الكتاب المقدس فيخبر أنّ إلياس -عليه السلام- قد عاش في المملكة الشمالية، زمن الملك أخاب، في القرن التاسع قبل الميلاد.

وكلّ ما نعرفه عن الملك أخاب خارج الكتاب المقدس، هو ذِكْرُ اسمِه في نقشِ ميشع الذي كتبه الملك الموآبي ميشع الذيباني، وهو يذكر انتصارات هذا الملك على بني إسرائيل. وكذلك ذُكر أخاب (على القراءة الأشهر) في نصب كورح الذي يعود إلى السنة 853 ق.م، والذي يذكر الملوك الذين هزمهم الملك الآشوري شلمنصر الثالث في معركة قرقور، ومنهم أخاب.

نقش ميشع (محفوظ في متحف اللوفر في باريس)



(1) Avraham Negev, ed. *Archaeological Encyclopedia of the Holy Land* (New York: Continuum), p.45.



نصب كورح (محفوظ في المتحف البريطاني)



وإذا كان حال أهم شخصية في قصّة النبي إلياس -عليه السلام-، وهي شخصية الملك، لا تُعرف في الآثار المحفوظة إلّا في أثرين اثنين فقط، أحدهما محلّ جدل بين العلماء؛ فكيف سيُتوقّع أن تذكر لنا الآثار اسم هذا النبي الذي عاش مطاردًا من هذا الملك؟!

الخلاصة:

- ليس في أخبار إلياس -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة، باستثناء عبادة البعل.
- يشهد البحث الأركيولوجيّ لصدق خبر القرآن عن عبادة البعل زمن إلياس -عليه السلام-.
- ليس في خبر القرآن عن إلياس -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.

الفصل السادس
الوجود التاريخي ليونس -عليه السلام-

المبحث الأول: يونس -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

جاء ذكر النبي يونس -عليه السلام- في القرآن في أربع آيات: قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾(النساء/ 163)، وقوله سبحانه: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾(الأنعام/ 86)، وقوله - جلّ وعلا -: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ (يونس/ 98)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩﴾(الصافات/ 139).

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»[1]. وورد خبره في الكتاب المقدس باسم يونا بن أمِتاي יוֹנָה בֶן־אֲמִתַּי (2 ملوك 14/ 25).

كما لقّب القرآن يونس -عليه السلام- بذي النون، أي الحوت: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ (الأنبياء/ 87)، وهو أيضًا صاحب الحوت: ﴿فَٱصۡبِرۡ

(1) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وإن يونس لمن المرسلين إلى قوله وهو مليم، (ح/ 3234)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس وقول النبي لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى، (ح/ 2376).

لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ (القلم/ 48).

لخّص ابن كثير قصّة يونس -عليه السلام-، بقوله: «قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ بَعَثَ اللَّهُ يُونُسَ -عليه السلام- إِلَى أَهْلِ نِينَوَى مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ - عزّ وجلّ - فَكَذَّبُوهُ وَتَمَرَّدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مَنْ أَمْرِهِمْ، خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ وَوَعَدَهُمْ حُلُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ[1]: فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْهِمْ، وَتَحَقَّقُوا نُزُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ، قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَى نَبِيِّهِمْ؛ فَلَبِسُوا الْمُسُوحَ وَفَرَّقُوا بَيْنَ كُلِّ بَهِيمَةٍ وَوَلَدِهَا، ثُمَّ عَجُّوا إِلَى اللَّهِ - عزّ وجلّ - وَصَرَخُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ وَتَمَسْكَنُوا لَدَيْهِ. وَبَكَى الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ والأُمّهات. وجأرت الأنعام والدواب والمواشي فرغت الْإِبِلُ وَفُصْلَانُهَا. وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا. وَثَغَتِ الْغَنَمُ وَحُمْلَانُهَا. وَكَانَتْ سَاعَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً؛ فَكَشَفَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ عَنْهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي كَانَ قَدِ اتَّصَلَ بِهِمْ بِسَبَبِهِ. وَدَارَ على رؤوسهم كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ (يونس/ 98)؛ أَيْ: هَلَّا وُجِدَتْ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْقُرُونِ قَرْيَةٌ آمَنَتْ بِكَمَالِهَا؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (سبأ/ 34)»[2].

وأما الكتاب المقدس، فيخبر عن قصّة يونس -عليه السلام- في سفر يونان. وهو سِفر صغير يتكوّن من أربعة فصول. وتفاصيل قصته بعيدة عن طابع القصص القرآني؛ فإنّ يونان قد أُرسل من الله سبحانه إلى أهل نينوى، غير أنّه كَرِهَ ذلك لأنه خشي أن

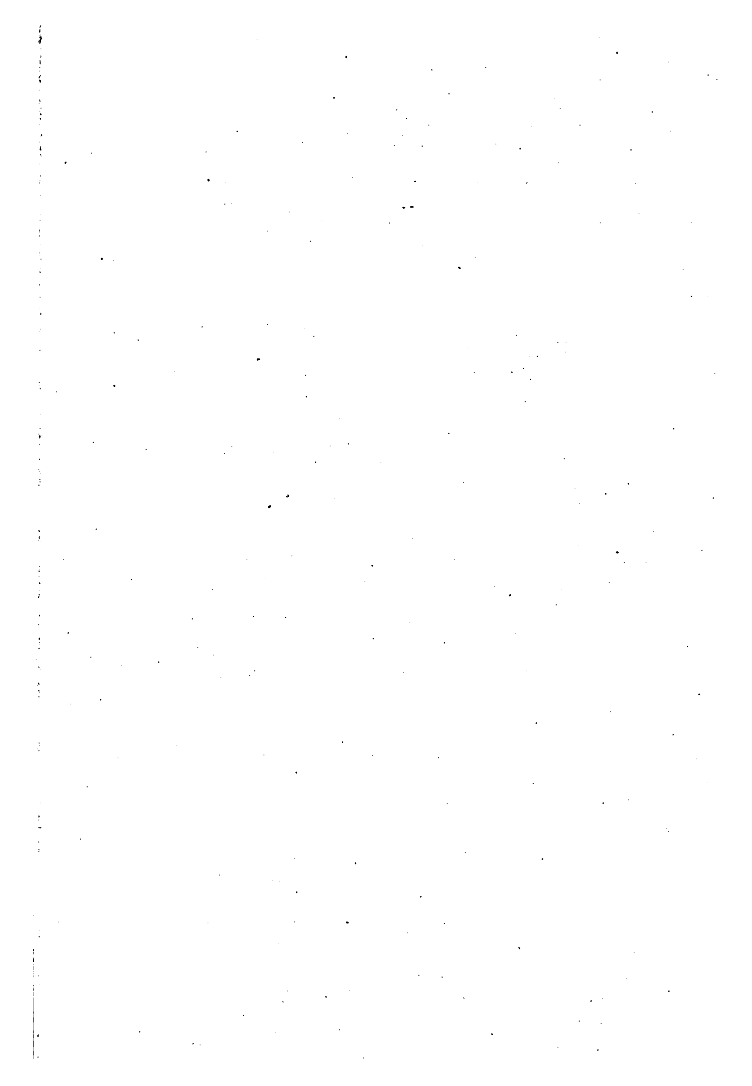
---

(1) لا يخلو هذا السرد في تفاصيله من إسرائيليات (لا تخالف الخبر القرآني).
(2) ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: دار الفكر، 1407 هـ - 1986 م)، 1/ 387.

تُصيبهم رحمة الله (ربما لأنه نبيّ إسرائيليّ، مُبغِضٌ لأهل نينوى، أشهر أعداء بني إسرائيل)؛ فحاول الفرار من الأمر، وركب سفينة ذاهبة إلى ترشيش، غير أن عاصفة عظيمة هبّتْ، وكادت تغرقها. ولمّا اقترع أهل السفينة لمعرفة من هو الخاطئ منهم الذي كان سببًا للعاصفة، وقعت القرعة على يونان الذي أخبرهم أنّه «هارب من وجه الربّ». ولما رموه في البحر، سكنت الأمواج. ثم التقط حوتٌ عظيم يونان، وأبقاه في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليال.

دعا يونان في جوف الحوت الله أن يُنجّيه؛ فألقاه الحوت في البرّ، وأمره الله أن يسير في نينوى، ويُخبر أهلها أنها ستنقلب بعد أربعين يومًا. وعلى إثر سماع أهل نينوى لهذا النذير، تابوا، وأظهروا الخضوع والخشوع والندم؛ الملك ومن معه، والعامة. ولمّا رأى الربّ توبتهم المفاجئة، ندم على العذاب الذي هدّدهم به، ولم يهلكهم.

اغتمّ لذلك يونان، واغتاظ؛ لأنّه كان يريد هلاك أهل نينوى؛ حتّى إنّه قال مؤنّبًا الربّ (!): «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» (يونان 2/ 4-3).



المبحث الثاني: الوجود التاريخي ليونس -عليه السلام-

ليس في سفر يونان تحديد لتاريخ زمن هذا النبيّ. ومع ذلك يربط عامة الباحثين يونس -عليه السلام- بزمن يربعام الثاني ملك السامرة في القرن الثامن قبل الميلاد؛ محتجّين بما جاء في 2ملوك 14/ 23 - 25: «فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ لأَمَصْيَا بْنِ يُوآشَ مَلِكِ يَهُوذَا، مَلَكَ يَرُبْعَامُ بْنُ يُوآشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. لَمْ يَحِدْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ. هُوَ رَدَّ تُخُمَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ، حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبْدِهِ يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ النَّبِيِّ الَّذِي مِنْ جَتَّ حَافِرَ».

والتسليم أنّ «يونان بن أمتاي» في السفرين السابقين شخص واحد، لا يُلزمنا بشيء؛ لأنّنا لا نسلّم صحة ما جاء في سفر الملوك الثاني؛ لانقطاع إسناده إلى أصل الأخبار، ولما فيه من أخطاء تاريخية، خاصة أنّ الإشارة فيه إلى يونان النبيّ كانت عابرة، وخاطفة.

لم يبق لنا إلّا أن ننظر في سفر يونان؛ لأنّه قد كُتب لتفصيل الحديث في أمر هذا النبيّ؛ ولكنّ هذا السِفر مجهول التاريخ؛ إذ ليست فيه أيّ إشارة إلى حدث تاريخيّ له شواهد من خارجه؛ كاسم ملك أو اسم معركة، ولا يُعرف مؤلّفه ولا زمن تأليفه من طريق موثوق من التراث الإسرائيلي. كما أنّ فيه إشكالات تاريخية؛ كحديثه عن «ملك نينوى» (يونان 3/ 6، 7)، رغم أنّ نينوى لم تكن مملكة، وإنما كانت تابعة لكيان سياسي أكبر، وحديثه عن حجم نينوى الذي هو أعظم بكثير من حجمها الحقيقي (يونان 3/ 6)[1].

(1) Steven L. McKenzie, *How to Read the Bible: History, Prophecy, Literature* (Oxford: Oxford University Press, 2005), p.9.

ولعلّ أعدل ما جاء في سفر يونان، قول معجم الكتاب المقدس «The Anchor Yale Bible Dictionary»: «عامّةً، تشير طبيعة الكتاب والاعتبارات المختلفة المذكورة أعلاه إلى أنّ هذا الكتاب ليس من تأليف نبي القرن الثامن يونان المذكور في سفر الملوك، وأنّ الكتاب هو تأليف متأخّر عن ذلك بمدّة كبيرة، وإن كانت التواريخ المقترحة تتراوح من القرن السادس إلى القرن الرابع. مشكلات تاريخ السِفر نفسها، تجعل من المستحيل تحديد شخصية المؤلف، بمجرد استبعاد النبي نفسه»(1).

ثم إننا لو سلّمنا أنّ يونس -عليه السلام- قد عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، وأنّه من جَت حَافِرَ (2ملوك 14/ 25) - القريبة من الناصرة -، وأنّه سافر إلى نينوى، المدينة الآشورية؛ فلسنا نجد ما يجعل علمنا بوجوده أثريًّا أمرًا راجحًا؛ فإنّه لم يكن صاحب سلطان سياسي أو عمائر عظيمة، كما أنّ نينوى لم يصبها العذاب المُهْلِك؛ لعفو الله سبحانه عن أهلها في ختام القصّة.

كما شكّك كثير من الباحثين في تاريخية يونس -عليه السلام- لأنّ في أبرز فصول قصّته خارقةُ ابتلاعِ الحوت له ثم لفظه بعد ذلك حيًّا. وأمر هذه الخارقة ليس من مباحث النظر الأركيولوجي؛ فلن تخبر به أسوار نينوى ولا آنيتها ولا نقوشها.

وأمرُ تصديق الخوارق، فرع عن الإيمان بالله؛ فمن آمن بالخالق الذي أنشأ الوجود من عدم، وخلق الشجر وأنزل المطر، ورفع الجبال ومهّد السُّبل، لا يُعجزه أن يحفظ نبيًّا في بطن حوت أيامًا أو دهرًا. فالإنسان يملك بخارقة إلهية أن يعيش دون تنفس، ويعجز الحوت أن يهضمه لإرادة الله سبحانه ألّا يكون ذلك. والقول إنّه لا يوجد حوت لا يتسع بطنه لإنسان، غير صحيح؛ فإنّ حوت العنبر الذي يبلغ معدّل طول الذكور البالغة منه 16 مترًا، يتّسع بطنه لذلك(2).

---

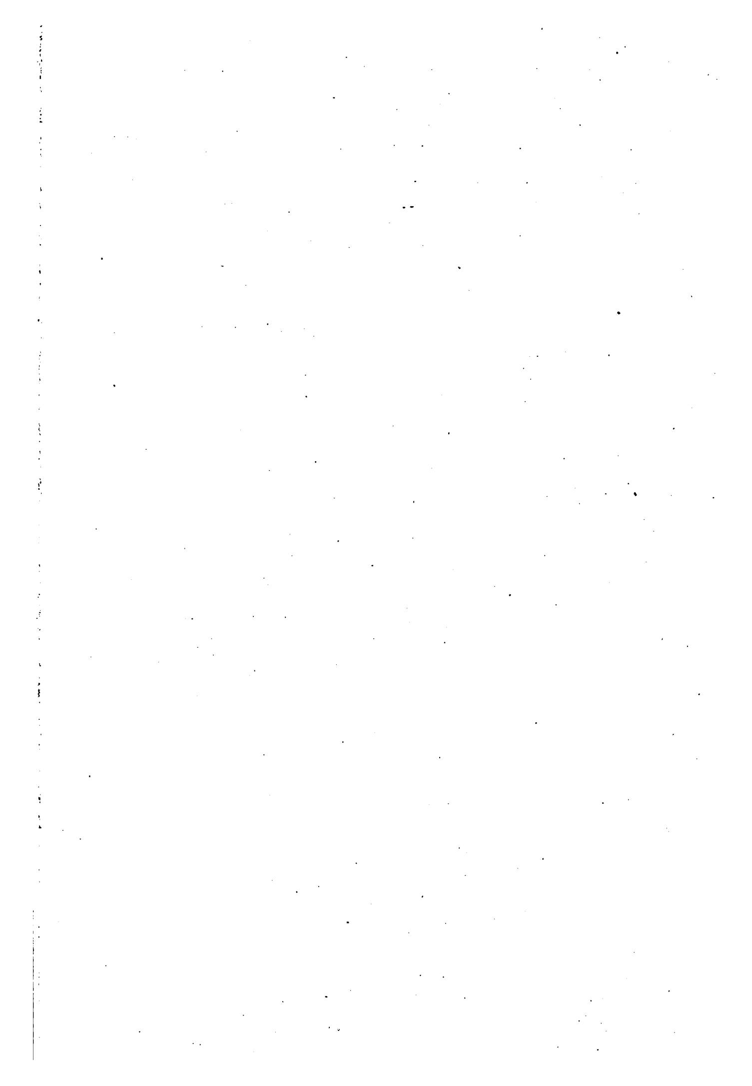
(1) J. Magonet, art. Jonah, Book of, *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 3/941.

(2) أشار جليسون آرتشر إلى عدد من الحوادث الموثّقة التي ابتلعت فيها حيتان ضخمة بعض البشر. ونجا هؤلاء رغم ذلك من الموت.

Gleason L. Archer, *A Survey of Old Testament Introduction* (Chicago, IL: Moody Press, 1965), p.303.

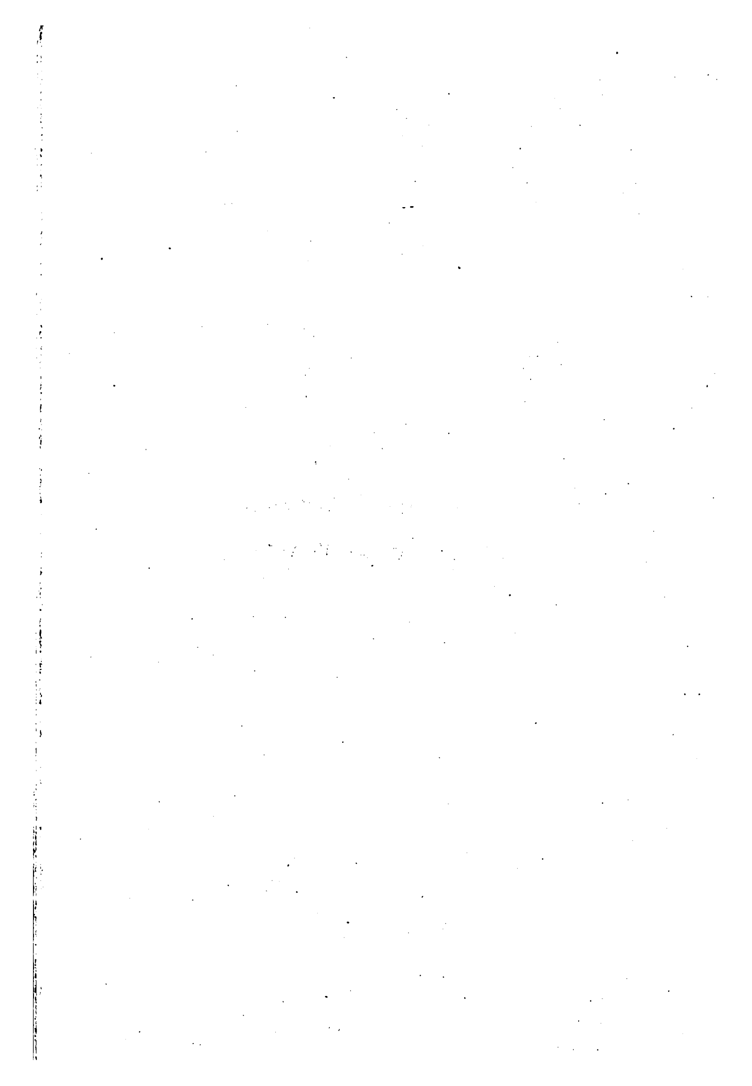
الخلاصة:

- ليس في أخبار يونس -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة.
- ليس في خبر القرآن عن يونس -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.
- إنكار تاريخيّة شخصيّة يونس -عليه السلام- بسبب إنكار معجزة ابتلاع الحوت له، لا يقوم على أساس أركيولوجي، وإنّما يقوم على أساس عقدي، طبيعانيّ، يُنكر الخوارق.
- ليس في القرآن أي تحديد لزمن يونس -عليه السلام-. ولذلك، لا حجّة لمن أراد أن يستنكر تاريخيّة هذا النبي؛ لاستبعاده إيمان أهل نينوى في القرن الثامن قبل الميلاد بنبيّ التوحيد.

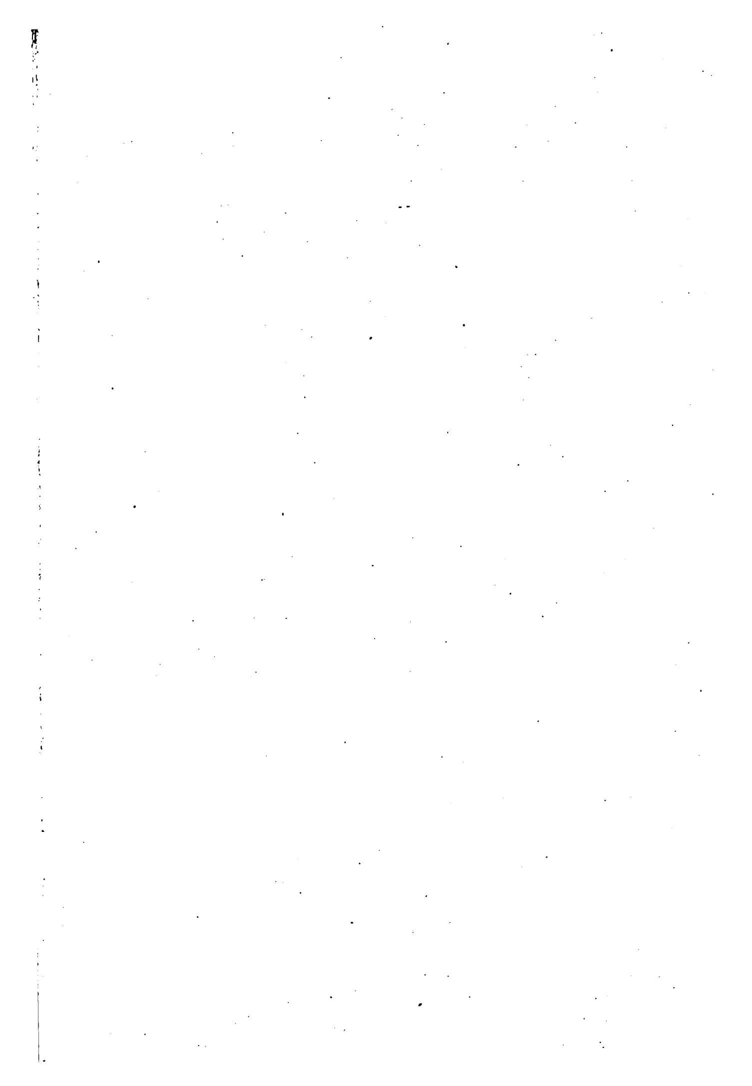


الباب الرابع:

الوجود التاريخي للأنبياء قبل الألفية الأولى قبل الميلاد



يقع خبر أنبياء القرآن في الألفية الثانية قبل الميلاد في مساحة تاريخية أقلّ وضوحًا في ملامحها مما تلاها؛ ولذلك فالقول فيها يطلب مزيدًا من التأني والتمهّل والتواضع، قبل إطلاق الدعاوى العريضة سلبًا أو إيجابًا؛ فإنّ المبادرة إلى حسم ما لا يبدو جليًا، برهان التكلّف وتحكّم الأغراض الأولى في قيادة البحث التاريخي.



الفصل الأول
الوجود التاريخي لموسى وهارون - عليهما السَّلام -

المبحث الأول: موسى وهارون - عليهما السَّلام - في القرآن والكتاب المقدس

موسى -عليه السلام-، نبي من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام -، أحد أولي العزم من الرسل. لم يُذكر في القرآن خبر نبيّ بتفصيل وتكرار مثل خبره. نزلت عليه التوراة التي اتّبعها بعده جميع أنبياء بني إسرائيل. ولم تُنسخ إلّا بنزول القرآن. وقد جاءت قصّة أخيه هارون -عليه السلام- في ثنايا قصّته مع فرعون وما كان في رحلة التيه.

خلاصة قصّتهما - عليهما السّلام - أنّ موسى -عليه السلام- قد وُلد في زمن استضعاف فرعون لبني إسرائيل في مصر. ولمّا خشيت عليه أمّه أن يُقتل، أُلهمت أن تضعه في تابوت، وترميه في اليمّ. وساقه الله سبحانه بعد ذلك في الماء إلى زوجة فرعون التي طلبت الاحتفاظ به لتربّيه.

نشأ موسى -عليه السلام- في قصر حاكم مصر، ثم لمّا بلغ واشتدّ عوده، خرج من مصر إلى مدين بعد أن قتل مصريًّا - بعد أن ضربه لزجره لا لإزهاق روحه - كان يتضارب مع إسرائيليّ. هناك، وبقي لسنوات[1]، وتزوّج من ابنة رجل مدياني.

حنّ موسى -عليه السلام- إلى أهله في مصر، فرجع مع زوجه إليها. وفي الطريق إليها أمره الله سبحانه عند جانب الطور أن يذهب إلى فرعون وملئه، وبعث معه أخاه هارون -عليه السلام-، عونًا له؛ لدعوة فرعون إلى الإيمان، وإطلاق بني إسرائيل

---

(1) عشر سنوات على الأرجح.

ليذهبوا مع موسى وهارون - عليهما السلام -.

لقي موسى وهارون - عليهما السلام - فرعون؛ فدَعَواه إلى عبادة الله وحده، وأن يرفع أذاه عن بني إسرائيل، ويتركهم يعبدون الله حيث شاؤوا، وأظهر موسى -عليه السلام- أمامه الآيات العظيمة الخارقة، إلا أنّ فرعون كذّب وطغى، واستمرّ في إيذاء بني إسرائيل واضطهادهم. فيسّر الله سبحانه لبني إسرائيل في هذه المحنة سبيل الخروج من مصر، وجعل لهم أرض البحر يبسًا، غير أنّ فرعون تبعهم وجنوده؛ فأطبق الله سبحانه عليه البحر؛ فهلكوا.

طلب موسى -عليه السلام- من بني إسرائيل غزو أورشليم، إلا أنّ بني إسرائيل جبنوا خوفًا من أهلها؛ فَكَتَبَ الله - سبحانه - عليهم التّيه أربعين سنة لا يجدون مخرجًا. وفي أثناء التيه أكرمهم الله بالخوارق لحفظهم من الهلاك، لكنّهم استمروا في إظهار الفساد. وقد مات موسى -عليه السلام- قبل انقضاء سنوات التّيه كاملة.

وَرَدَتْ أهم تفاصيل قصّة موسى وهارون - عليهما السلام - عند أهل الكتاب في سِفر الخروج في الكتاب المقدّس. والقصّة مشابهة للخبر القرآني كثيرًا، وعامة الاختلافات في التفاصيل لا في مراحل تطوّر القصة من ولادة موسى -عليه السلام- إلى التيه؛ فمن الاختلافات أنّ الذي التقط موسى -عليه السلام- من الماء ابنة فرعون لا زوجته، وأنّ الذي صنع العجل هارون -عليه السلام- لا السّامريّ.

بعض الاختلافات بين القصّتين لها وزن خاص في البحث الأركيولوجي في قصّة موسى وهارون - عليهما السلام -، ستأتي الإشارة إليها لاحقًا.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لموسى وهارون - عليهما السّلام -

قصة موسى وأخيه هارون - عليهما السلام -، في مصر وخارجها، غنيّة بالأحداث التاريخية، وكثير منها غير قابل للرصد الأركيولوجي؛ كوضع أمّ موسى ابنها في النهر بعد ولادته، وضرب موسى -عليه السلام- لأحد الإسرائيليين ضربة قتلته، ولقائه بابنتي رجل مدين، وزواجه من إحداهما، وذبحه البقرة في قصّة النفس المقتولة في سورة البقرة، وقصّة السبت واحتيال بني إسرائيل على أحكام الشرع، وقصّة موسى -عليه السلام- مع الرجل الصالح في سورة الكهف، وإطعامه بني إسرائيل - بمعجزة - المنّ والسلوى... فإنّ حفظ هذه الأمور ليس من طبيعة السجلات التاريخية لمصر أو مَدْيَنَ أو غيرهما.

ونحن إذا نظرنا إلى قصّة موسى وهارون - عليهما السّلام - كما وردت في القرآن؛ نلحظ أنّ فيها أحداثًا من الممكن أن توجد لها آثار تذكرها أو تشهد لها، وهي:

- حياة بني إسرائيل في مصر: قال تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (القصص/ 3 - 4).
- تربية موسى -عليه السلام- في قصر فرعون: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (القصص/ 7 - 9).

- ادّعاء فرعون الألوهية: قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الشعراء/ 30).
- اضطهاد فرعون لبني إسرائيل، وقتل أبنائهم لئلا يتكاثروا: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (القصص/ 4).
- تحدي موسى وهارون - عليهما السّلام - لفرعون مصر على مشهدٍ من الناس: قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ

رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ (الأعراف/ 104 - 126).

- الأوبئة التي أصابت المصريين: الطُّوفانُ والجرادُ والقمّلُ والضَّفادعُ والدَّمُ: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ (الأعراف/ 132 - 133).

- انفلاق البحر، وهو حدثٌ وإن كان معجزة؛ فقد شهده الجيش المصري: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (الشعراء/ 61 - 66).

- رحلة التّيه أربعين سنة، وإطعامهم المنّ والسّلوى، وظهور الماء لهم: قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (المائدة/ 26).

- اختيار بني إسرائيل صنم العِجْلِ ليكون لهم إلهًا: قال تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ

فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ (طه/ 83 - 91).

والناظر في الأخبار السابقة، يلحظ أنّها في النظر التاريخي تنقسم إلى صنفين؛ أخبار عليها شواهد تاريخية، وأخرى لا شواهد عليها إلى الآن. وليس الأمر كما يقول دعاة خرافية قصّة موسى -عليه السلام-، من أنّها كلّها محض خرافة.

المطلب الأول: أخبار لها شواهد تاريخية

الغالب على عامة علماء المصريات المعتنين بقصة موسى -عليه السلام- في مصر الاعتقاد أنّ موسى -عليه السلام- قد عاش تحت حكم رمسيس الثاني (على الأقل فترة من حياته)[1]. والناظر في قصّة هذا النبي وقومه في ضوء ما نعرفه من التاريخ المصري القديم، سيلحظ أنّ لهذه القصّة شواهد مباشرة وغير مباشرة من تاريخ هذه الأرض تلك الفترة.

أ. وجود بني إسرائيل زمن الفراعنة

اكتشف فلندرز بيتري سنة 1896م لوحة تذكارية لفرعون مصر مرنبتاح بن رمسيس الثاني تعود إلى سنة 1210 ق.م، أو إلى ما بعد ذلك بقليل. وقد ذُكر اسم «إسرائيل» في السطر السابع والعشرين من النص المنقوش على اللوحة.

هذه القصيدة منقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود، وقد أقيمت في معبد الملك الجنائزي، وعلى لوحة في معبد الكرنك كما يستدل على ذلك بقطعة وجدت هناك. وهي قصيدة مضمونها الفخر بالنصر الذي أحرزه الملك على الليبيين في السنة الخامسة من حكمه (1220 ق.م)، وما لحق عدوّه من خسائر، والرخاء

(1) James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition*, p.126

الذي عمّ البلاد بعد هذا الانتصار؛ حتّى «الحيوان قد تُرِك جائلًا دون راعٍ» في حين أنّ «أصحابهم يروحون ويغدون مُغنّين، وليس هناك صِياحُ قومٍ متوجّعين». وفي ختام القصيدة يُعدّد الشاعر القبائل أو الأقاليم التي أَخضعَها «مرنبتاح»[1].

ونقرأ على هذه اللوحة النص التالي:

«يقول الرؤساء منطرحين أرضًا: السّلام

ولم يعد يرفع واحدٌ من بين قبائل البدو «تسعة الأقواس»[2] رأسه.

والتحنو قد خَرِبَتْ.

وبلاد خاتي أصبحت مسالمة.

وكنعان أُسِرت مع كلّ خبيثٍ.

وأُزيلَتْ عسقلان.

وجيزر قُبِضَ عليها.

وبنوام أصبحت لاشيء.

وإسرائيل خربت وليس لها بذر.

وخارو[3] أصبحت أرملةً لمصر.

وكلّ الأراضي قد وَجَدَت السّلم.

وكلّ من ذَهَبَ جائلًا أَخضعه ملك الوجه القِبليّ والبحريّ بنرع - محبوب - آمون.

ابن الشمس مرنبتاح منشرح بالصّدق.

مُعطي الحياة مثل رع كل يوم»[4].

---

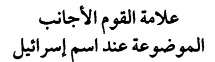
(1) سليم حسن، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940م)، 2/ 214.

(2) اسم قديم لأعداء مصر المجاورين لها.

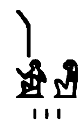
(3) فلسطين.

(4) سليم حسن، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، 2/ 218 - 219.

وقد كتب الأركيولوجي ويليام ديفر في تلخيص موقف النقاد من نص اللوحة: «يتفق جميع العلماء على أن التاريخ محدد في هامش أقل من خمس سنوات بحساب فلكي، وأنّ قراءة «إسرائيل» مؤكدة؛ وأنّ «إسرائيل» متبوعة بعلامة مصرية للأمم أو علامة محددة لـ «شعوب»، بدلاً من علامة مملكة أو دولة - مدينة أو ما شابه ذلك؛ وبالتالي فلا بدّ أنّ هذه العلامة متعلقة بتعيين مجموعة عِرقيّة خاصّة؛ وأنّ هذا الكيان - أيًّا كان - كان متميّزًا في أذهان المصريين عن الكنعانيين والحوريين والشاسو البدو أو غيرهم من الجماعات في كنعان المعروفة لدى المصريين والمذكورة في هذا النص وغيره من النصوص المصرية»[1].



علامة القوم الأجانب
الموضوعة عند اسم إسرائيل



إنّنا - إذن - أمام نص تاريخي قديم مثير:

- من العصر الافتراضي لموسى -عليه السلام-.
- يذكر كلمة إسرائيل.
- العلامة الموضوعة بجانب كلمة «إسرائيل» مختلفة عن العلامة الموضوعة للكلمات الأخرى، والتي هي علامة الدول أو البلاد الأجنبية؛ إذ وضعت «لإسرائيل» علامة هي صورة رجل وامرأة للدلالة على أن الحديث عن جماعة من الناس ليست لهم دولة؛ فلا أرض لهم يملكونها.

(1) William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p.118.

تعود هذه اللوحة إلى السنة الخامسة من حكم مرنبتاح بن رمسيس الثاني. ويرى العلماء الذين ينتصرون للقول إنّ مرنبتاح الفرعون الذي غرق في البحر أثناء مطاردة موسى -عليه السلام- وقومه - ومنهم إميلي شتاين، رئيس قسم المصريات في الجامعة العِبرية -، أنّ هذه اللوحة تَذْكُر حال بني إسرائيل تحت حُكم مرنبتاح، وقبل الخروج؛ فهي مُخبرة عن وجود «إسرائيل» دون أرض لأهلها، وأنّ الفرعون قد نجح في قتل ذراريهم: إفناء بذرتهم (هو وأبوه من قبله)[1]. وهو ما جاء في سورة البقرة/ 49: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾، وسفر الخروج 1/ 22: «ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلاً: «كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا». ويرى الذين يقولون إن فرعون الخروج هو رمسيس الثاني مذهبًا آخر في تفسير الإشارة إلى إسرائيل في اللوحة[2].

وقد حاول التيار الأركيولوجي المتطرف التشكيك في أهمية هذا الشاهد على وجود إسرائيل ذاك الزمن؛ بالقول إنّنا أمام شاهد واحد لهذه الدعوى. والحق أنّ وجود شاهد واحد موثوق يكفي لإقامة الحجة أمام القضاء في إثبات مثل هذه الأمور. وكم من خبر عن الحضارات القديمة في بلاد الرافدين أو كنعان أو البلاد العربية يُسلّم النقاد لحجّيّته بشاهد تاريخيّ واحد!

---

(1) Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh in the Bible, Qur'an and History* (Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, 2008), p.94.

عبارة «إفناء البذرة» هنا، تماثل الحديث عن تدمير إسرائيل في نصب ميشع؛ فالمعنى الإثخان لا الإبادة.

(2) انظر رشدي البدراوي، موسى وهارون عليهما السلام (قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع) (القاهرة: د.ن، 1998)، ص 668 - 677.

لوحة مرنبتاح
المتحف المصري بالقاهرة



اسم إسرائيل على لوحة مرنبتاح



ب.ادّعاء فرعون الألوهية

لم تذكر التوراة ادّعاء فرعون الأُلوهيّة، وخالفها القرآن في هذا الأمر، إذ ذكر ادّعاءه الألوهية، وجعل ذلك أمرًا مركزيًا في قصّة موسى -عليه السلام- وصراعه مع حاكم مصر. ويعترف الباحثون النصارى وغيرهم اليوم بصحّة الخبر القرآني عن فرعون موسى -عليه السلام- ؛ إذ تدلّ النقوش المصرية القديمة وغيرها على ادّعاء

كثيرٍ من الفراعنة الأُلوهيّة، ومنها رمسيس الثاني.

يقول جون كورد - المتخصص في الدراسات التوراتية والأركيولوجيا - عن الفرعون في مصر: «اعتبره المصريّون صاحب قُدرةٍ مطلقة بسبب تلك السلطات المنسوبة إليه. لقد حكم الأرض كإلهٍ، كابنٍ لرع وتَجَسَّد له... وكاجتماعٍ لآلهة مصر العُليا والسُّفلى. نَصبُ سع حتب رع من أبيدوس يأمر بعبادة الملك ني ماعت رع (أمنمحات الثالث، 1844 - 1797 قبل الميلاد) كإله:

اعبدوا الملك ني مات رع، حيًّا إلى الأبد، داخل أجسادكم، وجلالته في قلوبكم.
إنه إدراك في قلوب الرجال،
وعيناه تفحص كلّ جسد.
إنه رع، الذي يرى الناس من خلال أشعته
هو الذي يُنير الأرضين أكثر من قُرصِ الشمس....
هو الذي لا يكون إلا خلقه
لأنّه خنوم[1] جميع الأجساد.

وصفَ المصريون فرعون بأنه أَبَدِيّ، يستحقُّ العبادة، وكلّيّ العِلم؛ منحَ مصر الوجود والقوّة. وعلّموا الناس أنه كان «كا»: قوة حياة مصر وروحها. وكان تاج الأفعى يرمز إلى تأليههِ وعظمتِه. عندما جعل موسى هارون يقذف ثعبان العصا أمام فرعون، كان يهاجم مباشرة رمز السيادة الفرعونية ؛ لقد كان المشهد مليئًا بالسّخرية. وعندما ابتلعت عصا هارون عصيّ السحرة المصريين، هوجمت ألوهية فرعون وقدرته المطلقة، ورفِضتا كليّة»[2].

---

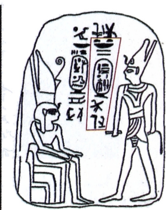
(1) خنوم: إله عند المصريين القدماء، خلق الإنسان من طمي النيل.

(2) John Currid, *Ancient Egypt and the Old Testament* (Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 1999), pp.93 - 94.

وقد ألّف لبيب حبشي (1906 - 1984) - عالم المصريات الكبير، صاحب الصيت في الأوساط العلمية في العالم - (وهو نصرانيّ) كتابًا بعنوان: «Features of the deification of Ramesses II» في بيان مظاهر تأليه رمسيس الثاني كما تظهر في الآثار المصريّة.

ولخّص صاحب كتاب: «الآلهة والبشر في الشرق الأدنى القديم» حال دعوى ألوهية الفرعون عصرَ رمسيس الثاني، بقوله: «حمل رمسيس الثاني دعوى ألوهيته إلى مستوى آخر تمامًا... وَصَفَ نصب 410 في متحف هيلدسهايم[1] - ألمانيا - رمسيس الثاني بعبارة: «ملك مصر العليا والسفلى، ربّ الأرضين، رمسيس - مريآمون، الإله». لم يكتفِ رمسيس الثاني بإعلان نفسه ملكًا أو حاكمًا بأمر الإله، وإنّما أعلن أنّه لا شيء غير «الإله»[2].

نصب 410 في متحف هايلشيم





ت. الولع بالسِّحر في مصر

جاء في القرآن والتوراة أنّ فرعون قد تحدّى موسى -عليه السلام- ؛ بأن أحضر له السَّحَرة لمغالبته. ولم يكن اختيار فرعون للسّحَرة اعتباطًا؛ فقد كان أمر السِّحر رائجًا في الثقافة المصرية القديمة على صورة واضحة، يحتفي به العامة والخاصة كثيرًا.

ومن ذلك ما جاء في برديّة وستكار، أو قصّة خوفو والسّحرة؛ إذ يَظهر فيها الفرعون «خوفو» مغرمًا بقصص السحر. ومن قصص البردية التي تُروى للفرعون؛ قصة الكاهن «أوبا أونر» الذي لمّا علم خيانة زوجته مع شابٍّ، صنع من الشَّمْع كهيئة

(1) Roemer - und Pelizaeus - Museum Hildesheim

(2) Tyson L. Putthoff, *Gods and Humans in the Ancient Near East* (Cambridge: Cambridge University Press, 2020), p.42.

التمساح، وألقاه في البحيرة؛ فبثّت فيه الروح بعد أن قرأ عليه الكاهن من تمتماته السحرية. ولما نزل عشيق الزوجة إلى الماء، أمسك به التمساح وغاص به إلى القاع، ثم أخبر الكاهن الملك بما كان من زوجته، وأخذه إلى البحيرة حيث أراه التمساح. وعند رؤية الملك للتمساح، ارتاع؛ فانحنى الكاهن ليلتقط التمساح الذي عاد مباشرة إلى حاله الأوّل، دُميةً من الشّمع.

وجاء في البردية أيضًا ذكر قصة الساحر «ددي» الذي برع في السحر حتّى إنه أوتي القدرة على أن يلحم الرأس المقطوع، ويذلّل الأسد لإرادته. وقد ذاع صيته حتى إنّ الفرعون «خوفو» استدعاه ليختبره؛ فقدّم له إوزّة ثم ثورًا مفصولي الرأس؛ فردّ الرأس إلى بقيّة الجسد. ثم أعاد الفرعون اختباره ببطّة وثور مفصولي الرأس؛ فنجح مرّة أخرى في الاختبار[1].

ث.مدينة بر - رمسيس

تقوم دعوى خرافية شخصية موسى -عليه السلام- على أنّ التراث التوراتي - اليهودي عن موسى -عليه السلام- ومقامه في مصر، كلّه اختلاق متأخّر جدًّا، بعد قرون من عصر رمسيس الثاني.

والناظر في التوراة اليهودية يرى أنّ فيها بقايا تاريخية تشهد لتراثٍ قديم محفوظ من الألفية الثانية للميلاد. ومن أمثلة ذلك إخبار سفر الخروج 1/ 11 أنّ موسى -عليه السلام- قد وُلد في زمن حكم الفرعون الذي أمر ببناء مدينة رعمسيس רַעְמְסֵס. والناظر في التاريخ يُدرك أنّ خبر مدينةٍ بهذا الاسم كان مطويًّا في القرن الثامن قبل الميلاد وما بعده؛ فقد تحوّلت عاصمةُ شرق الدلتا قبل نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد من بر - رمسيس إلى تانيس، ولم تزدهر بر - رمسيس سوى 250 سنة (حوالي 1270 - 1120 ق.م)[2]؛ أي إنّ «بر - رمسيس قد غابت عن النصوص بعد الأسرة

(1) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999)، 1/ 292 - 294.

(2) James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition* (New York; Oxford: Oxford University Press, 2005), p.57

العشرين ولم تعد إلى الظهور بعد غيبة طويلة إلّا في القرن الثالث قبل الميلاد»[1]؛ بما يُثبت أنّ القصة التوراتية لموسى -عليه السلام- ليست أثرًا عن جغرافيا القرن السابع قبل الميلاد أو ما بعده على دعوى أنصار مدرسة «الحد الأدنى»[2]. وهذا يتجلّى كثيرًا من خلال نصّ مزمور 78/ 11 - 12 الذي يتحدث عن بني إسرائيل زمن موسى -عليه السلام-: «وَنَسُوا أَفْعَالَهُ وَعَجَائِبَهُ الَّتِي أَرَاهُمْ. قُدَّامَ آبَائِهِمْ صَنَعَ أُعْجُوبَةً فِي أَرْضِ مِصْرَ، بِلاَدِ صُوعَنَ». وهاهنا تحدّث صاحب المزمور الذي كتب بعد عصر داود -عليه السلام- في الألفية الأولى قبل الميلاد (والمنسوب لآساف)، عن صوعن المسمّاة تانيس Τάνεως [تانيوس] عند اليونان[3]. ولا ذكر لصوعن في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى -عليه السلام- إلّا مرّة واحدة عابرة في سفر العدد 13/ 22. وسبب ذلك أنّ تراث خبر موسى مرتبط بالقصّة الأولى لما كانت بر - رمسيس هي العاصمة، وأمّا تانيس فقد صارت العاصمة زمن الأسرة الحادية والعشرين (1078 - 945 ق.م).

ج. اختيار بني إسرائيل لصنم العِجْل ليكون لهم إلهًا

جاء في القرآن والتوراة اليهودية أنّ بني إسرائيل قد اتخذوا صنمًا على صورة العجل إلهًا، قال تعالى عن قول بني إسرائيل لموسى -عليه السلام-: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ (طه/ 87 - 89).

وجاء في التوراة: «وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ

(1) Manfred Bietak, 'On the Historicity of the Exodus: What Egyptology Today Can Contribute to Assessing the Biblical Account of the Sojourn in Egypt', in *Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective*, p.29.

(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.256.

(3) V. H.Matthews, M. W.Chavalas & J. H. Walton, *The IVP Bible background commentary: Old Testament* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000), Ps 78:12

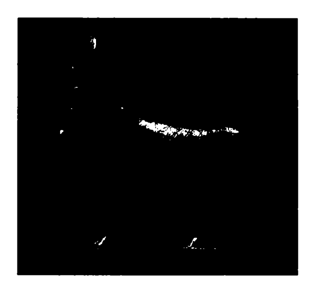
الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلًا مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»» (الخروج 32/ 1 – 4).

وبعيدًا عن الخلاف بين القرآن وتوراة اليهود في تحديد من قام على صناعة العِجْل من حليّ بني إسرائيل (هارون -عليه السلام- أم السامري)؛ لنا أن نقول إنّ خبر عبادة بني إسرائيل صنمًا على صورة عِجْل يحمل مصداقية تاريخية من جهة علاقة ذلك بمعبودات القوم الذين عاش بينهم بنو إسرائيل.

يقول عالم المصريات د. محمد بيومي مهران: «وليس هناك من ريب في أنّ هذا، إنما كان، مرة أخرى، من تأثير الوثنية المصرية على بني إسرائيل، ذلك أن عبادة العجل في مصر جِدُّ عميقة الجذور، إذ ترجع إلى ما قبل عصر موسى بكثير، إلى أيام الأسرة الأولى حوالي عام ٣٢٠٠ ق. م، ثم استمرت حتى ظهور المسيحية وغَلَبَتِها عليها، ويذهب «والتر إمري» إلى أن العجل كان في نظر القوم، رمزًا للقوة في الحروب، كما أنّه رمز للإخصاب، في نفس الوقت، وأنّ عبادته بدأت منذ أيام الأسرة الأولى، اعتمادًا على تصوير ملوك هذه الأسرة على هيئة ثيران، هذا وقد اشتهرت هذه العبادة باسم «مرور وعبي» (منفيس وأبيس في تصحيف اليونان) حيث عبد الأول في «أون» (عين شمس) رمزًا لإله الشمس رع، وعبد الثاني في منف مدينة بتاح، رمزًا للإله بتاح. وقد احتفظ المصريون في معبد بتاح بالعجل المقدس «أبيس»، دون أن تكون هناك علاقة ما بين الإلهين، على الأقل في العصور القديمة. كما أنّ «بتاح» لم يصوّر أبدًا على هيئة ثور، ولم يعتقد أحد أنه تجسد في ثور، ولم يعتبر أبيس كروح للإله بتاح، إلّا على أيام الدولة الحديثة، وإن كان هناك اعتقاد يجعل من «أبيس»، وكذا «منقيس» عجل أون، رسولين يقومان بتبليغ الرسائل إلى إلهها، وهو اعتقاد يرجع كذلك إلى

عهد الدولة الحديثة (١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق. م)»[1].

أبيس
متحف اللوفر، فرنسا



ح. التراث واللغة المصريّان

انتهى عالم المصريات جيمس هوفماير في كتابه «إسرائيل القديمة في سيناء» إلى إثبات وجود عدد كبير من الكلمات المصرية القديمة في قصة موسى -عليه السلام-، خاصة ما تعلّق منها بالمظاهر المادية للعبادة في زمن التيه (خيمة العبادة...)[2].

وقد سبقته إلى ذلك كارول مايرز بقولها: «من الممكن إظهار أنّ عدّة خصائص للمَعبد المتحرّك، هي من الناحية الأركيولوجيّة واللغوية، والتاريخيّة، ذات أصول في ثقافة الشرق الأدنى في آخر العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي، عصر موسى ويوشع والقضاة»[3]. وكانت قد ذكرت أنّ خيمة الاجتماع אֹהֶל מוֹעֵד التي كانت مكان

---

(1) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، في مصر (القاهرة: دار النهضة العربية، 1408هـ/ 1988م)، ص 351 - 352.

(2) James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition*, pp.221 - 222.

(3) Carol L. Meyers, 'The Elusive Temple,' *BA* 45, no. 1 (1982): 37.

العبادة في عصر التيه - كما وصلنا وصفها في التوراة - تحمل علامات التصميم والتكنولوجيا المصريّة. وهو ما ذكره أيضًا مايكل هومان[1]؛ ببيانه أنّ خيمة الاجتماع توافق في شكلها وتفاصيلها وزينتها خيمة الفرعون رمسيس الثاني في الحروب[2].

واستنتجت مايرز من ذلك أنّ هذا التأثير لا يمكن أن يُعزى إلّا إلى آثار عصرٍ تالٍ مباشرة للعصر الذي ذَكَرَ النقّاد أنّه زمن خروج بني إسرائيل من مصر[3].

وجمع الناقد التوراتي غاري رندزبورغ[4] قائمة من العناصر المنسوبة إلى التراث المصري في قصة الخروج. وانتهى إلى أن القصة في سفر الخروج 1/ 15 «تُظهر بشكل متكرّر الإلمام بالتقاليد المصريّة»[5].

كما رجّح المؤرّخ أبراهام مالامت[6] - في ورقة قدّمها في جامعة براون الأمريكيّة سنة 1992 - تاريخيّة قصّة الخروج؛ في ضوء التشابهات مع التراث المصري القديم[7]. ووافقه النتيجة نفسها الناقد الهولندي يوهانس دو مور[8] بالاعتماد على النصوص نفسها.

ومن المشابهات المتميّزة خارج قصّة الخروج، ما جاء في أمر صناعة اللِّبْن[9]؛ إذ تُخبرنا التوراة أنّ المصريين قد أُلزِموا بصناعة اللبن (خروج 1/ 14)، وأنّهم قد

(1) مايكل هومان Michael Homan (1966): ناقد أمريكي. درّس التوراة والعبريّة وديانات الشرق الأدنى في Xavier University. له اهتمام بالبحث الأركيولوجي.

(2) Michael Homan, *To Your Tents, O Israel!* (Leiden: Brill, 2002), pp. 111-115.

(3) Ibid.

(4) غاري أ. رندزبورغ Gary A. Rendsburg (1954 -): أستاذ اللغة العبرية واليهوديّة القديمة في Rutgers University، في نيو جرسي بأمريكا.

(5) Gary Rendsburg, "Moses the Magician," T.E. Levy, T. Schneider and W.H.C. Propp, eds. *Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective: Text, Archeology, Culture and Geoscience* (Cham, Switzerland; New York: Springer, 2015), pp. 243-256.

(6) أبراهام مالامت Abraham Malamat (1922 - 2010): أستاذ التاريخ اليهودي في الجامعة العبريّة. له اهتمام خاص بعلاقة التوراة بتراث الشرق الأدنى القديم، ونشأة إسرائيل.

(7) نُشر ذلك لاحقًا في:

Abraham Malamat, *The History of Biblical Israel* (Leiden: Brill, 2001).

(8) يوهانس دو مور Johannes de Moor (1935): أستاذ اللغات الساميّة وثقافات الشرق الأدنى القديم في جامعة أمستردام اللاهوتية البروتستانتية.

(9) Bricks.

اشتكوا من منعهم من التبن عند صناعته (خروج 5/ 6 - 16)، وأنّهم قد أُلزِموا بعدد يوميّ من اللبن المطلوب (خروج 5/ 18 - 19). وفي ذلك يقول باروخ هالبرن: «تعكس صناعة الطوب كما هي مذكورة في قصّة الاضطهاد، وجود معرفة جيّدة بالظروف في مصر. تصوّر لوحة قبرٍ من القرن الخامس عشر الأسرى الكنعانيين والنوبيين وهم يصنعون الطوب اللبن في طيبة. ويشكو نصٌّ من ندرة التبن لصناعة الطوب. وهو الوضع الذي واجهته إسرائيل في مصر. في المقابل، لم يكن التبن في كنعان بشكل موحّد أحد مكوّنات طوب اللبن. تعكس كلّ التفاصيل - تقريبًا - في التراث أحوال مصر في ظلّ حكم الأسرة 19»[1].

لا تثبت التشابهات السابقة - بصورة مباشرة - صدق الخبر التوراتي لقصّة موسى عليه السلام، وإنّما تُظهر وجود إطار مصري قديم للخبر التوراتي؛ بما يُضعف القول إنّ قصّة موسى عليه السلام في مصر من صناعة عصر قريب من السبي.

المطلب الثاني: أخبار لا شواهد تاريخية لها

يعترض المنكرون لتاريخيّة موسى -عليه السلام- على الخبر القرآني أنّ القصّة القرآنيّة مواجَهة بصمت التاريخ المصري القديم. وهو صمت يدفع إلى إنكار صدق ما جاء فيها من تفاصيل.

ولإنصاف البحث؛ فلن نكتفي بالحديث عن قصور الاستدلال بالصمت للنفي في البحث التاريخيّ، وإنّما سنناقش المسائل التي ينفيها المنكرون لتاريخيّة موسى -عليه السلام- وقومه، أو يستنكرونها تاريخيًّا. وهي أساسًا:

- تربية موسى -عليه السلام- في قصر فرعون.
- اضطهاد الفرعون لبني إسرائيل، وقتل أبنائهم لئلا يتكاثروا.
- الضربات التي أصابت المصريين: الطُّوفانُ والجرادُ والقمَّلُ والضَّفادعُ وَالدَّمُ...

(1) Halpern, "The Exodus and the Israelite Historians', *Eretz Israel*, 1992, 92.

o الخروج من مصر بعد انفلاق البحر.

o رِحْلَةُ التّيه خارج مصر أربعين سنة.

o كما تطرح قصّة ميلاد موسى -عليه السلام- سؤال اقتباسها من أسطورة ميلاد سرجون.

أ. صمت الآثار

لا يتصوّر مُنصِفٌ أنّ قصّة قِلّةٍ مُستضعَفةٍ في مصر، هاجرتْ في زمن طاغيةٍ مُتألّهٍ، منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ستترك بصماتها في مباني مصر أو سيناء.. ولذلك فغياب شواهد هذه القصّة (اسم موسى -عليه السلام-، ومواجهته لفرعون، وخروجه وقومه من مصر، وانفلاق البحر...) في الآثار العمرانية، أمر متوقّع. وأما رفض كثير من الأركيولوجيين أصالةَ القصّة؛ فليس لأنّهم قد اكتشفوا أنّها لا تصحّ، وإنّما لغياب الدليل المباشر على وقوعها.

والأناة تقتضي دراسة القصّة في ضوء ما احتفّ بها من أحوال، مع مراعاة طبائع الزمان والثقافات:

أوّلًا: التاريخ المصري ليس أَمِينًا في ذِكر أخبار العصر؛ فإنّ المنقوشات الأثريّة - رغم كثرتها وتنوّعها - ليست على طريقة السرد التاريخي المعروف في كتب المؤرخين المتأخرين، وإنّما هي سرديّاتٌ - في أغلبها - قد نُقشت لتمجيد الفرعون، وسرد بطولاته. وتتكرّر فيها أخبار فتوحات الفرعون، وقوته، وكرمه، وعدله، ومبانيه التي بناها للآلهة، وتقدماته لهم.

وقد يبلغ الأمر في التعامل مع الأحداث، الكذب أو التدليس؛ صيانةً لِسُمعةِ الفرعون ممّا شابها على الأرض من سوءٍ؛ ومن ذلك أنّه بعد معركة قادش (1274 ق.م) احتفى رمسيس الثاني بالمعركة وكأنّه قد حقّق نصرًا عسكريًّا عظيمًا، فأكثر من ذكر أخبار المعركة في نصوص طويلة على جدران المعابد،

رغم أنّه في الحقيقة لم يأخذ قادش، وعانى بعض الهزيمة أثناء المعركة، وكاد يُقتل فيها[1].

كما تظهر المبالغة والكذب في الآثار المصرية في مواضع أخرى، ومنها ما نقرأه على نصب سفنكس أمنحتب الثاني، على لسان هذا الفرعون: «أمرني [آمون رع] أن استولي على كلّ الأراضي دون هزيمة... كلّ البلاد الأجنبية تحت قدميه». ولا يخلو نصب مرنبتاح الثاني الشهير هو أيضًا من مبالغات[2].

وممّا يؤيّد الحرج من ذكر هزائم الفرعون، ظاهرة غياب أسماء أعداء الفرعون في عصر المملكة الحديثة التي عاش أثناءها موسى -عليه السلام-. والشواهد على ذلك كثيرة. منها أنّ حملة تحتمس الثالث ضد تحالف الثائرين في مجدو، لم تذكر اسم ملك قادش، واكتفت بتسميته بـ«ذاك العدو البائس القادشي» أو «ذاك العدو البائس» كما في حوليات تحتمس الثالث وفي نصب جبل بركل في الخرطوم. وفي نصب أمنحتب الثاني في ممفيس، جاء ذكر حملات أدوم وكنعان وسوريا، وهزيمة الملوك أو قتلهم، دون ذكرٍ لأسمائهم. وقد تكرّر هذا الأمر في عصر رمسيس الثاني رغم ثراء المادة التاريخية في آثاره الواسعة؛ فعادة ذِكْرِ ملوك الأعداء وقادتهم في تلك الفترة، هي وَصْفهم أنهم «قادة أرضِ كذا» أو «القائد البائس لقوم كذا»[3].

ولذلك يقول ريتشارد فروند - أستاذ التاريخ اليهودي، والأركيولوجيا الكتابية، والمشرف على عدد كبير من الحفريات الأركيولوجية -: «ليست قصة الخروج نفسها هي التي تثير الجدالات عند علماء الأركيولوجيا الكتابية. إنّ الأمر هو أنّه ليس لدينا مادة مقارنة من الأدلة الأركيولوجيّة لمناقشة الدقة التاريخية لهذه القصة. عندما كنت طالبًا قبل حوالي ثلاثين عامًا، كانت الأسئلة حول الخروج قد بدأت تردني... درستُ فيما بعد الحضارة المصرية القديمة بتفصيل كبير، واقتنعت بأن المصريين

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.470

(2) James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition*, p.41.

(3) Ibid., p.109 - 110

كانوا مثل النظام الستاليني في الاتحاد السوفياتي السابق، مهتمين بالتحكّم في تدفق المعلومات، وأنّه كان لديهم منظور شامل حول تاريخهم التراكمي، وكانوا بالفعل خبراء في العلاقات العامة... بالإضافة إلى ذلك، وكما هو الحال مع العديد من الشعوب الأخرى في العصور القديمة، فإن التاريخ المسجل للمصريين كان تاريخ النخبة من المصريين الأصليين، واستثناء أي «أجانب/ شعوب» سكنت مصر على وجه الخصوص. لذلك تعلّمت الدرس الأول من البحث عن التاريخ في شواهد التاريخ المصري. **احذر ممّا تجده وممّا لا تجده**»[1].

ولا يبقى لنا - تقريبًا - إلا أن نبحث في البرديات التي قد تحفظ لنا خبر الصراع مع موسى -عليه السلام-، وخروج بني إسرائيل؛ فقد يُرجى أن تؤرّخ لبعض أحداث العصر بعيدًا عن لغة التمجيد الرسميّة على المعابد والقصور.

ويسعفنا عالم المصريات جيمس هوفماير بالجواب السريع، في قوله: «لم تقدّم لنا دلتا النيل حيث يقول الكتاب المقدس إنّ الإسرائيليين القدماء عاشوا أيّ وثائق تاريخية أو إدارية قد تسلط الضوء على أي فترة»[2].

وبعبارة أكثر تفصيلًا، يقول عالم المصريات الكبير كنث كتشن في ردّه على الذين يعجبون من الجمع بين الإيمان بوجود بني إسرائيل في مصر وغياب ذكرهم في الآثار المصرية: «بخصوص تحديد موقع العبرانيين الذين تم ذكرهم في الكتاب المقدس وتحركاتهم على الأرض في مصر، فنحن محدودون بمنطقة شرق الدلتا من الناحية الجغرافية.

تفرض هذه الحقيقة حدودًا شديدة على كل تساؤل في الموضوع. الدلتا هي مكان مليء بالطمي المترسّب هناك عبر آلاف السنين بواسطة فيضان النيل سنويًّا، وليس بها مصدر حجري. إنها طين، طين وتعريشات، وأبنية من الطوب المصنوع من الطين، وهي ذات استمرارية واستعمال محدودين، وتُهدم وتُستبدل تكرارًا،

---

(1) Richard Freund, *Digging through the Bible: modern archaeology and the ancient Bible* (Lanham, Maryland: Rowman & Littlefield, 2010), p.56.

(2) James K. Hoffmeier, 'Out of Egypt,' *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41.

وكثيرًا ما تختلط بطين الحقول، لذا فهؤلاء الذين يجعجعون من وقت لآخر: «لم يُعْثَرْ على آثار للعبرانيين أبدًا» (وبالتالي فلا خروج بالطبع!)، يُضيّعون أنفاسهم بلا طائل؛ فإنّ الأكواخ الطينيّة لعبيدِ حقولِ الطُّوب والمزارعين المتواضعين مرّ عليها الكثير منذ عادت لأصولها في الطين، ولن تُرى ثانية أبدًا. حتى المباني الحجرية التي نجت (مثل المعابد)، في تباين مذهل مع المواقع في الوادي المحاط بجرف صخري في وادي صعيد مصر في الجنوب. الحجر كلُّه نُقِلَ قديمًا بالسُّفن من الجنوب، ويعاد استخدامه من فترة لأخرى مرارًا وتكرارًا. وهكذا أُعِيد استخدام الكتل التي تخصّ الأُسرة الثامنة عشرة في معابد رمسيس، ومعابد الرَّعامسة اُستبدلت تحت الأُسرات التالية بكثرة، بعد إعادة استخدام الأحجار مرة أخرى، وخلال حقبة الأُسرة 26، والحقبة البطلميّة، والرومانية البيزنطية، والإسلامية تكرّرت العملية. وفي القرون الأكثر حداثة، يحرق الحجر الجيريّ على مستوى واسع للحصول على الجير، أمّا الأحجار الأكثر صلابة فغالبًا ما يعاد استخدامها كأحجارِ رحى أو أي شيء آخر. القليل من العجب، أنه من الناحية العمليّة لم تُسترجع أيّ سجلات مكتوبة عن أي شيء من مواقع الدلتا التي تحولت إلى خِرَب وتلال من الطوب (وأُزيل طوبُها نفسه لتحويله إلى سَمادٍ، سباخ)، حتى المعابد الضخمة تحولت إلى كومة من الأحجار المتداعية. وفي الطين، 99 ٪ من البردي المهمل قد فَنِيَ إلى الأبد، فيما جزءٌ صغير جِدًّا يرجع لتاريخٍ متأخّرٍ، عُثِرَ عليه مُكَرْبَنًا (متفحّمًا). مثلما حدث في بومبي. ولكن يمكن فقط فتحها وقراءتها بصعوبة شديدة. فأجزاء ضئيلة للغاية من تقارير شرق الدلتا، تقع في برديات أُنقِذتْ من الصحراء قرب منف. بخلاف ذلك، فسجلّات مصر الإدارية كلّها في الفترات كلّها في الدلتا مفقودة، والنصوص التذكارية هي أيضًا شبه منعدمة. ولأنّ الفراعنة لا يخلّدون أبدًا ذكرى الهزائم على جدران المعابد، فلا يوجد أبدًا سجلٌّ لأيّ ملك عن خروج ناجح لجماعة كبيرةٍ من العبيد الأجانب

(مع فقدان سربٍ كامل من المركبات)، في معابد الدّلتا أو في أي مكان آخر، بخصوص تلك الأمور»[1].

وأجاب كتشن عن غياب ذكر الإسرائيليّين باسمهم؛ بقوله: «لقد وُصِفتْ **شعوب بلاد الشام في مصر بشكل عام ببساطة على أنهم «آسيويون»، وليس بحسب انتماءاتهم الخاصة.** هؤلاء الناس لم يكن لهم مكان في مشاهد المعبد، ما لم يكن قد تم غزوهم خارج مصر... هؤلاء الناس ليس لهم مكان في مشاهد المقابر أيضًا، ما لم تخصّ أُسرة مالكِ المقبرة الشخصية... فقط عندما يتمّ التعامل مع حالة منفردة، فإنّه يتمّ إعطاء أي تفاصيل أخرى؛ مثلًا، رجلٌ سُوريّ، يُدعى ناكادي من أر(فـ)اد في بردية بولونيا 1086»[2].

ثانيًا: لفت موريس بوكاي - الذي يرى أنّ فرعون الخروج هو مرنبتاح بن رمسيس الثاني - في كتابه «موسى وفرعون في الكتاب المقدس والقرآن والتاريخ» النظر إلى أنّنا لا نملك اليوم وثائق تعود إلى السنوات الأخيرة من حكم مرنبتاح، وأنّه في عشرين سنة من تاريخ مصر بدءًا من السنوات الأخيرة من حكم مرنبتاح، عرفت مصر فوضى كبيرة، مع صعود حاكم جديد واغتيالات[3]؛ بما يُظهر أنّنا أمام «تاريخ غامض» و«فوضى» قد توحي بحدثٍ أو أحداث غير مألوفة. وذاك يجعل جَهْلَنا بقصّة الخروج من مصر بعد غرق الفرعون، أمرًا يتّفق مع الطبيعة التاريخية لتلك الفترة.

ثالثًا: طبيعة القصة ليست من جنس الأمجاد المختلَقة؛ إذ إنّ شخصية موسى -عليه السلام- هي الشخصية الأعظم في قصص التوراة، ومع ذلك لم تُظهر التوراة قصّته في صورة الأساطير القديمة، وإنّما أظهرت قصّةَ أمّةٍ مُسْتَعْبَدَةٍ في مصر،

(1) ك.أ. كتشن، مصداقية العهد القديم، تعريب باسم الشرقاوي وأمير سامي (مصر الجديدة: باناريون، 2019)، ص 418 - 419.

(2) المصدر السابق، ص 777.

(3) Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh in the Bible, Qur'an and History*, pp.88 - 89.

ونبيٍّ مُطارَدٍ، وخروج أمّة مهدّدة بالقتل دون أن تنتصر عسكريًّا على الفرعون، ثم متاعب متكررة لهذا النبي مع قومه، وأعظمها قضاء الله عليهم بالتيه في أرض بلا ملامح، وموت موسى -عليه السلام- أثناء ذلك، دون أن يدخلوا الأرض المباركة التي وُعدوها. إنّ قصة الاستضعاف والخروج والتيه لا تشابه الشكل النموذجي للقصص الأسطوري.

ولا يبدو موسى -عليه السلام- في صورتيه القرآنية والتوراتية اليهودية شخصية من جنس أبطال الأساطير؛ فهو بشر، تعتريه أعراض البشر من الخوف والغضب، ويحتاج مساعدة أقرب الناس إليه، ويسوءه عجز قومه عن الوفاء لحقوق الرسالة السماوية. شخصية موسى -عليه السلام- القرآنية والتوراتية اليهودية تحمل ملامح الواقعية التاريخية.

رابعًا: الناظر في الرواية التوراتية، يُدرك أنّ فيها دلالات على تاريخ قديم محفوظ أبعد من الألفية الأولى قبل المسيح، ومنها الكلمات المستعارة من المصرية في قصة موسى -عليه السلام- ؛ فإنّ القصّة التي ترد من ثقافة مختلفة لها لغتها المختلفة قد تترك أثرها في ألفاظها المقترضة من جغرافيا بيئة القصة الأصل، وهو أمر غير متصوّر في قصّة مختلقة كليّة لا يربطها شيء بالأصل القديم المزعوم، خاصة إذا تناءت الديار وبَعُد الزمان.

وقد لاحظ بنجامين نونان أن هناك 27 كلمة مصرية مستعارة في روايات الخروج والتيه في البرية في قصّة موسى -عليه السلام-، مقارنة بواحد وخمسين كلمة مصرية مستعارة فقط في بقية العهد القديم العبري.

وطرح ريتشارد فريدمان سؤالًا قد يرد في ذهن المعارضين، وهو أنّ الكُتّاب اليهود المتأخّرين قد أرادوا خداعنا لإثبات أصالة القصّة بذكر أسماء مصريّة فيها؛ فكتبوا سفر الخروج، ووضعوا فيه أسماء مصريّة من عندهم. وأجاب بجواب ذكيّ، وهو لفت انتباه القارئ إلى خطأ كاتب سفر الخروج في شأن معنى اسم موسى عليه

السلام[1]؛ فإنّه قد جاء فيه أنّ اسم موسى بمعنى «المنتَشَل»[2].

لقد حاول صاحب[3] سفر الخروج أن يفسّر اسم «موسى» بالعبريّة؛ فأخطأ من وجهين؛ إذ زعم أنّ «موشي» «מֹשֶׁה» كلمة عبريّة تعني «منتشَل». والصواب أنّ «موشي» تعني «منتشِل» لا «منتشَل». وزعم أنّ اسم موسى عبري، ولكنّ الإجماع العلمي اليوم على أنّه اسم مصري[4]، وذاك كاشف أنّ صاحب سفر الخروج كان يتعامل مع تراث قديم، لم يخترع أهم معالمه، وإنّما اجتهد ليفكّ مغاليقه. ومن معالم هذا التاريخ طابع مصريّة بعض الأسماء[5]، ومن ذلك اسم بطل رواية الخروج[6].

كما قام نونان أيضًا بتحليل العديد من اللغات والنصوص السامية الشمالية الغربية وخلص إلى أنها تفتقر عمومًا إلى المصطلحات المصرية، بما يظهر أن العدد الكبير

---

(1) Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters*, pp.33 - 34.

(2) «فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَّأَتْهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ. وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتِ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ». فَقَالَتْ أُخْتُهُ لابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ؟» فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي». فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الْوَلَدِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي بِهذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكِ». فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ. وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»» (خروج 2/ 2 - 10).

(3) أو أصحاب!

(4) R. Laird Harris, Gleason L. Archer, Jr., Bruce K. Waltke, eds., *Theological Wordbook of the Old Testament* (Chicago: Moody Publishers, 2003), p. 530.

(5) من هذه الأسماء المصريّة:

«مراري» (William Propp, *Exodus 1-18, The Anchor Bible*, New York: Doubleday, 1998, p. 276).

«حفني» و«فينحاس» (Donald Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times*, Princeton, NJ: Princeton University Press, pp. 417-419).

«حور» (Ernst Axel Knauf, "Hur," *Anchor Bible Dictionary*, vol. 3, p. 334).

(6) تناولتُ فساد التحليل اللغوي لأصل أسماء الآباء وكثير ممن جاء بعدهم في التوراة في كتاب: العلم وحقائقه، بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل (الكويت: مركز رواسخ، 2021م)، ص368 - 387. وذاك يدل أنّ أصحاب الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام قد تلقّوا أسماء الشخصيات الرئيسة لتاريخهم الديني ولم يختلقوها من عندهم.

من الكلمات المستعارة من المصرية في روايات الخروج والبرية، ظاهرة شاذة في السامية الشمالية الغربية[1]؛ بما يمثّل قرينة قويّة أنّ هناك ظرفًا تاريخيًّا معيّنًا ومهمًّا في تاريخ أهل اللغة العبرية قد أدّى إلى هذا الأمر[2].

ب. تربية موسى -عليه السلام- في قصر الفرعون

يَعْجَبُ بعضُهم من أمرِ تربية الفرعون المتألّه، طفلًا من غير نسلِه، من أمّة أجنبيّة. والحقّ إنّ خبر تربية موسى -عليه السلام- في قصر الفرعون ليس مُنكرًا من الناحية التاريخية؛ لسببين:

أولًا: لا يُشترط لقبول تاريخيّة تربية موسى -عليه السلام- في قصر الفرعون أن يكون ذلك من عادة الفراعنة؛ فإنّ الخبر القرآني يقدّم سببًا استثنائيًا لتبنّي موسى -عليه السلام-، وهو أنّ زوجة الفرعون قد وقع في قلبها حبّ هذا الوليد، ولعلّ ذلك لأنّها لم تكن قد أنجبت (بعد): ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾(القصص/ 9). وقد كان لزوجات رمسيس الثاني مكانًا رضيًّا في قلبه، سواء إست (آسية) -التي لقّبت في النقوش بالممجّدة، وسيدة نساء الملك - أو نفرتاري.

ثانيًا: كان من عادة الفراعنة زمن المملكة المصرية الحديثة تربية أبناءٍ غير مصريين؛ فقد أسّس تحتمس الثالث عادة استقدام أبناء الأمم المهزومة لتربيتهم في مصر ليكونوا لاحقًا حكامًا في قومهم مخلصين للفرعون. وكشف بحث لبتسي براين أنّ عدة أطفال يحملون أسماء أجنبية قد ترقّوا في وظائف الدولة إلى مراتب عالية[3].

---

(1) أهم اللغات السامية الشمالية الغربية: العبرية والآرامية القديمة والأوغاريتية.

(2) Benjamin Noonan, 'Egyptian Loanwords as Evidence for the Authenticity of the Exodus and Wilderness Traditions,' in James K. Hoffmeier, *al.*, eds. *"Did I Not Bring Israel Out of Egypt?»: Biblical, Archaeological, and Egyptological Perspectives on the Exodus Narratives* (Winona Lake: Eisenbrauns, 2016), pp.61 - 61.

(3) Betsy Bryan, *The Reign of Thutmose IV* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991), p.261.

ت. تعبيد بني إسرائيل

يُنكر بعض القائلين بخرافية قصّة موسى -عليه السلام- ذكر التوراة استعباد فرعون بني إسرائيل: «فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا» (خروج1/ 13 - 14). وهم في هذا يقولون إنّه لا يوجد دليل على استعباد المصريين لأيٍّ من الأمم الأخرى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

والناظر في القرآن؛ لا يجد في آياته تصريحًا يذكر استعباد الفراعنة بني إسرائيل، وإنّما في القرآن خبر استضعاف بني إسرائيل وإذلالهم، وقتل أبنائهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ (البقرة/ 49)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾(القصص/ 4).

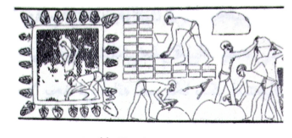
وبعيدًا عن مناقشة صحّة استرقاق المصريين لغيرهم[1]، نقول: استضعاف بني إسرائيل؛ ليس من الأمور المنافية لطبيعة العصر؛ فإنّ المملكة المصرية الحديثة قد اشتهرت بغزواتها العسكرية شمالًا في كنعان وجنوبًا في النوبة. وقد كان يُؤتى بكثير من الأسرى من البلاد المهزومة. وقد عُرضت بعض مشاهدهم في القبر الفخم لرخميرع - وزير تحتمس الثالث وأمنحتب الثاني -. وفي الصور المحفوظة يظهر المشرفون على البناء من المصريين وهم يحملون عصيًّا، ومعهم العمال الأجانب الذين يصنعون الطوب الطيني ويجرُّونه إلى حيث بناء المعبد الجديد. ويذكر النص

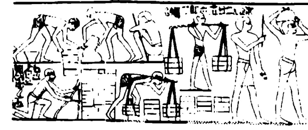
---

(1) ظاهرة الاستعباد معروفة في مصر. ومن شواهدها نص هيروغليفي على قبر أحمس الأول يتحدّث عن طرد الهكسوس من طرف جند الفرعون: «وغنمتُ من هناك رجلًا وثلاث نساء، بما مجموعه أربعة أشخاص. ثم وهبهم لي جلالته عبيدًا».
(James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.333).

المصاحب لهذه الصور أنّ هؤلاء العمال قد جيء بهم من كنعان - سوريا والنوبة بعد الحملات العسكرية التي كانت هناك[1].

صور صناعة الطوب في مقبرة رخميرع[2]







Hoffmeier, James K. "Out of Egypt," *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41. (1)

James Hoffmeier, 'The Exodus and Wilderness Narratives,' in *Ancient Israel's History: An Introduction to Issues and Sources*, eds., Bill Arnold and Richard Hess (Grand Rapids, MI: Baker, 2014), p.51. (2)

كما جاء في بردية (Leiden 348) أنّ «العبيرو... يجرّون الحَجَر إلى الصرح العظيم لـ...» لبناء قصر. وبعيدًا عن جدال العلماء في المطابقة بين العبيرو والعبرانيين تاريخيًا، يبقى أنّ هذه البرديّة التي تعود إلى عصر رمسيس الثاني، تشهد لتسخير غير المصريين لخدمة المصريين[1].

ث. الضربات

يُجادل المخالفون في صدق قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (الأعراف/ 130 - 133).

هذه العقوبات التي أصابت مصر أو الأرض التي عاش فيها فرعون داخل مصر هي:

- قلّة مياه الشرب والزرع.
- ضعف المحاصيل الزراعية بسبب قلّة الماء أو الأمراض التي تصيب الزرع.
- الطوفان بفيضان النيل بما يهلك البيوت والأرض والزرع.
- الجراد الذي يفسد المحاصيل الزراعية.
- القمل الذي يفسد الحرث أو ينغّص على الناس معايشهم.
- الضفادع التي تفسد عليهم مياه الشرب، وتغزو بيوتهم؛ فتكدّر صفوهم.
- الدّمُ الذي يظهر في مياه الشرب.

وقد جاء أمر هذه العقوبات في سفر الخروج 7 - 11 (ما يُعرف بضربات مصر מכות מצרים) على صورة تشابه بعض ما في الخبر القرآني:

(1) Hoffmeier, "Out of Egypt," *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41.

- الدَّمُ الذي أهلك ما يعيش في الأنهار والمياه: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: بِهذَا تَعْرِفُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ: هَا أَنَا أَضْرِبُ بِالْعَصَا الَّتِي فِي يَدِي عَلَى الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَيَتَحَوَّلُ دَمًا. وَيَمُوتُ السَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَيَنْتِنُ النَّهْرُ. فَيَعَافُ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ» (خروج 7/ 17 – 18).
- الضفادع. «قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. وَإِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ فَهَا أَنَا أَضْرِبُ جَمِيعَ تُخُومِكَ بِالضَّفَادِعِ فَيَفِيضُ النَّهْرُ ضَفَادِعَ. فَتَصْعَدُ وَتَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى مِخْدَعِ فِرَاشِكَ وَعَلَى سَرِيرِكَ وَإِلَى بُيُوتِ عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَإِلَى تَنَانِيرِكَ وَإِلَى مَعَاجِنِكَ. عَلَيْكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَبِيدِكَ تَصْعَدُ الضَّفَادِعُ»» (خروج 8/ 1 – 4).
- البعوض: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: مُدَّ عَصَاكَ وَاضْرِبْ تُرَابَ الأَرْضِ لِيَصِيرَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ». فَفَعَلاَ كَذلِكَ. مَدَّ هَارُونُ يَدَهُ بِعَصَاهُ وَضَرَبَ تُرَابَ الأَرْضِ، فَصَارَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. كُلُّ تُرَابِ الأَرْضِ صَارَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ» (خروج 8/ 16 – 17).
- الذباب: «إِنْ كُنْتَ لاَ تُطْلِقُ شَعْبِي، هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الذُّبَّانَ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ذُبَّانًا. وَأَيْضًا الأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا» (خروج 8/ 21).
- إهلاك المواشي: «فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَأً ثَقِيلًا جِدًّا» (خروج 9/ 3).
- البثور على الجلد: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «خُذَا مِلْءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الأَتُونِ، وَلْيُذَرِّهِ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ، لِيَصِيرَ غُبَارًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلَ طَالِعَةً بِبُثُورٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ»» (خروج 9/ 8 – 9).

- البَرَد والنار: «فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَأَعْطَى الرَّبُّ رُعُودًا وَبَرَدًا، وَجَرَتْ نَارٌ عَلَى الأَرْضِ، وَأَمْطَرَ الرَّبُّ بَرَدًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. فَكَانَ بَرَدٌ، وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ فِي وَسَطِ الْبَرَدِ. شَيْءٌ عَظِيمٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أُمَّةً» (خروج 9/ 23 - 24).
- الجراد: «فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَ شَعْبِي هَا أَنَا أَجِيءُ غَدًا بِجَرَادٍ عَلَى تُخُومِكَ، فَيُغَطِّي وَجْهَ الأَرْضِ حَتَّى لاَ يُسْتَطَاعَ نَظَرُ الأَرْضِ. وَيَأْكُلُ الْفَضْلَةَ السَّالِمَةَ الْبَاقِيَةَ لَكُمْ مِنَ الْبَرَدِ. وَيَأْكُلُ جَمِيعَ الشَّجَرِ النَّابِتِ لَكُمْ مِنَ الْحَقْلِ. وَيَمْلأُ بُيُوتَكَ وَبُيُوتَ جَمِيعِ عَبِيدِكَ وَبُيُوتَ جَمِيعِ الْمِصْرِيِّينَ، الأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَرَهُ آبَاؤُكَ وَلاَ آبَاءُ آبَائِكَ مُنْذُ يَوْمَ وُجِدُوا عَلَى الأَرْضِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ»» (خروج 10/ 3 - 6).
- الظلام لثلاثة أيام: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ ظَلاَمٌ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، حَتَّى يُلْمَسُ الظَّلاَمُ». فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ فَكَانَ ظَلاَمٌ دَامِسٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. لَمْ يُبْصِرْ أَحَدٌ أَخَاهُ، وَلاَ قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. وَلكِنْ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لَهُمْ نُورٌ فِي مَسَاكِنِهِمْ» (خروج 10/ 21 - 23).
- موت البكور: «وَقَالَ مُوسَى: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّي نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرُجُ فِي وَسَطِ مِصْرَ، فَيَمُوتُ كُلُّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بِكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلْفَ الرَّحَى، وَكُلُّ بِكْرِ بَهِيمَةٍ» (خروج 11/ 4 - 5).

يقول المعترض: إنّ هذه الآفات العظيمة قد أصابت مصر، ومن المحال أن تُغفلها الآثار لو أنها وقعت حقيقة. ولسنا نجد في الآثار المصرية ذِكرًا لها!

وجواب هذا الاعتراض، قولنا:

أوّلًا: لم تحفظ لنا منطقة دلتا النيل من أخبار عصر رمسيس الثاني وابنه سوى الآثار التي تركها هذان الفرعونان لتمجيد حكمهما، وإظهار عظمتهما. وارتباط

النوازل التي أصابت مصر (الضربات) بموسى -عليه السلام-، يجعل ذكرها في القصور والمعابد بعيدًا جدًّا؛ إذ هي مصدر إذلال للفرعون.

ثانيًا: يبدو أنّ هذه الآفات التي أصابت مصر قد وقعت في وقت متقارب، وربما وقعت كلّها في سنة واحدة، أو في موسم الحصاد فقط. وبالتالي فإغفال أحداث عام واحد أو عامين من تاريخ حكم رمسيس الثاني الذي استغرق 66 سنة، ليس صادمًا.

ثالثًا: جميع الآفات التي جاء بها الخبر القرآني - وهو ما يعنينا في هذا الكتاب - هي من النوازل المألوفة في مصر، والتي لها عادة أسبابها الطبيعية[1]؛ وقد كانت دراسة ج. هورت أهمّ بحث لبيان أنّ هذه الجوائح معروفة في مصر بسبب العوامل الطبيعية المرتبطة بالمناخ والنيل. وقد بيّنَت تكرّر هذه الآفات في تاريخ مصر[2].

ولسنا نعني بذلك أنّ العقوبات التي أصابت آل فرعون ليست من الخوارق، وأنّها أحداث طبيعية؛ فإنّ النص القرآني صريح أنّها معجزات خارقة للسنن الكونية، وإنّما قصدنا أنّ الله - سبحانه - قد عاقب آل فرعون من خلال أحداث تجري على يد موسى -عليه السلام- بنوازل اعتاد فرعون وآله أذاها في مصر؛ فقد كانت العقوبات بمألوف الآفات البغيضة إلى القوم، وإن كانت تجري بكلمة كن فيكون. كما أنّ ظاهرة الدّم في الأنهار والمياه لم تكن مجرّد احمرار للمياه بسبب التربة الحمراء التي يجرفها فيضان أعالي النيل من أثيوبيا وأيضًا السوطيات Flagellates المجهرية التي تغيّر لون الماء وتسمّم الأسماك (كما هي العادة أحيانًا)، وإنّما هي تحوّل حقيقي لبعض المسطحات المائية إلى دم حقيقةً.

وقد كان أهم ما اعتُرض به على ج. هورت أنّ ترتيب الآفات كما في التوراة لا يوافق تتابعها عادة في مصر. والناظر في القرآن يلحظ أمرًا مميّزًا؛ وهو أنّ في القرآن

(1) See Steiglitz, 'Ancient Records and the Exodus Plagues,' *BAR* 13.6 (1987): 46 - 49; N. M. Sarna, *Exploring Exodus: The Heritage of Biblical Israel* (New York: Schocken, 1986).

(2) G. Hort, 'The Plagues of Egypt.' *ZAW* 69 (1957): 84 - 103; 70 (1958): 48 - 59.

ذكرًا «للطوفان» الذي لم يرد في الضربات العشر التوراتية، وأنّه يسبق الجراد والقمّل والضفادع والدّم؛ بما يُمثّل ترتيبًا «طبيعيًّا» لتتالي هذه الآفات.

وبعلمنا بذلك، بإمكاننا أن ندرك أنّ العقل الوثني المبغض لموسى -عليه السلام- سيجد تفسيراً مفترى لتلك الأحداث؛ بربطها بالعاديات لا الخوارق؛ ولذلك فإنّ إغفال ذكر هذه الآفات ليس مما يجب أن يصدم المؤرخين المعاصرين.

ج.الخروج من مصر

أعظم ما استنكره المنكرون لتاريخية موسى -عليه السلام- هو ما جاء في قصة التوراة عن العدد المليونيّ للإسرائيليين الذين خرجوا من مصر؛ فإنَّ هذا الرقم بعيد عن التصديق لسببين؛ أولهما أنّ أربعة قرون بين زمن يعقوب/ إسرائيل -عليه السلام- وخروج بنيه من مصر بقيادة موسى -عليه السلام- لا يمكن أن تحوّل أسرة قليلة الأفراد إلى أمّة بهذا العدد الهائل جدًّا في الزمن القديم (مع ما تعرّضوا له من قتل وظلم على يد الفرعون)؛ حتّى قال فرعون لشعبه: «هُوَ ذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا.» (خروج1/ 9)، والثاني أنّ خروج هذا العدد الضخم من مصر لا يُمكن أن يُغفل تاريخيًّا، فلا بدّ أن يترك آثاره أو بعضها في مصر أو سيناء أو غيرهما؛ إذ إننا أمام شعب يساوي عدده حجم أعظم إمبراطوريات ذاك الزمان أو ما يقاربه. والأمر يحتاج بعض تفصيل:

(1) - عدد الخارجين من مصر:

نقلتْ الموسوعة اليهودية الاتفاق العام أنّ الأحداث الواردة في سفر الخروج لا يمكن أن تكون تاريخية بكل تفاصيلها. وجعلت حجّتها على ذلك ما يذكره هذا السفر عن عدد الخارجين من مصر من الإسرائيليين، والذين يبلغون مليوني نسمة على الأقل. وتساءلَتْ عن معقولية عبور شعب غير منظّم بهذا العدد البحر الأحمر في ليلة واحدة[1].

(1) Isidore Singer, Cyrus Adler, eds. *The Jewish Encyclopedia* (New York: Funk & Wagnalls Company, 1906), 5/294.

وجوابنا، هو أنّنا نوافق هؤلاء المعترضين إنكارهم للخبر التوراتي، لكّننا نقول أيضًا بأنّ إنكار العدد الضخم للإسرائيليين في مصر وأثناء الخروج لا يلزم منه اطّراح القصة برمّتها، وإنكار تاريخية موسى -عليه السلام-.

نحن أمام خيار آخر، وهو اتّهام التوراة بالمبالغة في أعداد الإسرائيليين، دون ردّ أصل القصّة. وقد أحسن الناقد التوراتي الشهير ريتشارد فريدمان، البعيد عن الخطّ المحافظ، والذي اشتهر بدعمه القوي لنظرية الوثائق الأربعة للتوراة؛ إذ قال في نقد إسقاط قصة الخروج بسبب مبالغات التوراة: «ادّعاءات هؤلاء الأركيولوجيين بأنّ الخروج لم يحدث أبدًا، لا تستند إلى أدلّة، وإنّما هي تعتمد إلى حدّ كبير على غيابها. إنهم يؤكدون أننا قمنا بتمشيط سيناء ولم نعثر على أيّ دليل على وجود عددٍ مليونيٍّ من الناس يقول الكتاب المقدس إنهم كانوا هناك لمدة 40 عامًا. هذه الدعوى ليست صحيحةً. لم تكن هناك حفريات كبرى كثيرة في سيناء، وبالتأكيد لم نقم بتمشيطها. علاوة على ذلك، فإنّ الكشف عن الأشياء المدفونة منذ 3200 عام مسعى شاقّ. أخبرني زميلٌ إسرائيلي ضاحكًا أن السيارة التي فُقِدتْ في حرب يوم الغفران عام 1973 تمّ الكشفُ عنها مؤخّرًا تحت 16 مترًا - أي 52 قدمًا - من الرّمال. اثنان وخمسون قدمًا في 40 عامًا!

ومع ذلك، فإننا جميعًا نعترف بأن مليونَي شخص - 603550 من الذُّكور وعائلاتهم، حسب دعوى التوراة - يجب أن يكونوا قد تركوا بعض البقايا التي سنجدها. لكن قلّةً منّا اعتقدت أن هذا الرقم تاريخيٌّ على أي حال. لقد قَدَّرَ أحدهم منذ زمن بعيد أنه إذا كان هذا العدد من الناس يسير، لِنَقُلْ في ثماني مجموعات، فعند وصول الأوائل إلى سيناء، سيكون نصف الناس في مصر لم يغادروها بعد!

لا يوجد دليلٌ أثريّ ضد تاريخيّة الخروج إذا كانت مجموعةٌ أصغر هي التي غادرت مصر. في الواقع، وبوضوح، فإن أوّل ذِكْرٍ كتابيٍّ للخروج - نشيد مريم[1] -،

---

(1) نشيد مريم Song of Miriam: ويُسمّى أيضًا بنشيد البحر. وهو الوارد في نص خروج 15/ 1 - 18. وقد قال فريق من النقاد إنّ لغته العبرية العتيقة، تدلّ على أنّه قديم، وأنّ تدوينه غير بعيد عن عصر موسى عليه السلام.

وهو أقدم نصّ في الكتاب المقدس، لم يذكر أبدًا عدد الأشخاص الذين شاركوا في الخروج، ولم يتحدث أبدًا عن أمّة إسرائيل بأكملها. إنه يشير فقط إلى شعبٍ يغادر مصر.

لم تتمّ إضافة العدد 603550 ذَكَرٍ إلى القصة إلّا بعد فترة متأخّرة بكثير عن الخروج - ما يسمى بالمصدر الكهنوتي، بعد حوالي 400 عام - »[1].

لا شكّ أنّ مليونين إلى أربعة من الإسرائيليين الأجانب العابرين من مصر إلى سيناء - كما هو تقدير المفسّرين التوراتيين المعاصرين - عدد من المحال تصديقه لأسباب؛ منها أنّ عدد سكّان مصر في تلك الفترة كان في حدود 3 - 5 مليون فرد، وأنّ عدد جنود مصر ما كان يتجاوز 25 ألفًا في أقصى الأحوال، وأنّه من المحال أن يملك هذا العدد الضخم من الإسرائيليين أن يعيش شمال شرق الدلتا (بالإضافة إلى غير الإسرائيليين) في تلك الفترة، وأنّ أكثر من ستمائة ألف من العمال كان بإمكانهم التخلّص من السّخرة بسهولة، وأنّ إرسال الفرعون لستمائة عربة لإرجاع الإسرائيليين الهاربين (الخروج 14/ 7) عبثٌ إذا كان عدد الهاربين يفوقهم أكثر من ألف مرة، ومنها أنّ عدد الإسرائيليين في النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد في مملكتي يهوذا والسامرة لم يتجاوز في أقصى الأحوال 900 ألف[2].

وقد نبّه الإمام ابن حزم منذ ما يقرب من ألف عام على براءة القرآن من خطأ التوراة في تقدير عدد الإسرائيليين الخارجين من مصر، في قوله: «أَيْن هَذَا الْكَذِب الْبَارِد من الْحقّ الْوَاضِح فِي قَول الله تَعَالَى حاكيًا عَن فِرْعَوْن أنه قَالَ إِذْ تبع بني إِسْرَائِيل ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٥٤﴾ (الشعراء/ 54)، هَذَا الَّذِي لَا يجوز غَيره وَلَا يُمكن سواهُ أصلًا»[3]. فالذين خرجوا مع موسى -عليه السلام- قلّة من الناس.

---

(1) The Exodus Is Not Fiction An interview with Richard Elliott Friedman <https://reformjudaism.org/exodus - not - fiction>.

(2) James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai*, pp.153 - 155

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1/ 128.

كما نبّه القرآن إلى قتل الإسرائيليين عند ولادة موسى - عليه السّلام - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (القصص/ 4)، وقتلهم عند ظهور نبوة موسى -عليه السلام-، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ (غافر/ 25)، كما نبّه أيضًا إلى أنّ الذين آمنوا بموسى -عليه السلام- من بني إسرائيل قبل الخروج قلّة - على قول طائفة من المفسّرين - في قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (يونس/ 83).

ومن العجيب وقوع فراس السواح في أسرِ التوراة التي يدعو إلى التخلص منها بالكليّة؛ إذ يقول إنّ الباحثين قد فشلوا في إيجاد أساس تاريخي لقصة الخروج من مصر «وبقيت النصوص المصرية صامتة صمتًا مطبقًا عن هذا الحدث المركزي في كتاب التوراة. ممّا يرجّح أنّ الخروج قد قامت به مجموعة صغيرة من الأُجَراء المسخّرين فرّت سلميًّا، أو سمح لها بالخروج والعودة من حيث أَتَتْ. فمن غير المعقول أن يُغادر مصر ستمائة ألف مُسخَّرٍ من أشباه العبيد، وينسحبون من الدلتا في قتال تراجعي نحو برزخ السويس حيث يهزمون الفرعون ويتسببون في مقتله، دون أن تأتي سجلات ذلك العصر، الذي يعتبر من أكبر فترات التاريخ المصري توثيقًا، على ذكرهم»[1]. فبعيدًا عن أنّ الخارجين لم يهزموا الفرعون، وإنّما نجوا منه بعد غَرَقِهِ في البحر، اعترف السواح أنّه من الراجح أنّ للخروج حقيقة تاريخية، وأنّ العدد كان صغيرًا لقلّةٍ تمّ تسخيرها سابقًا في زمن الفرعون (وهو في جوهره عين مقالتنا)، وأنّ «هؤلاء القادمين

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص198.

لم يدخلوا بأعداد كبيرة من شأنها تغيير الطبيعة السكانية للمنطقة والطغيان على الغالبية الكنعانية الموجودة هناك منذ بدايات التاريخ المكتوب»[1]. ولا شكّ أنّنا نوافق السواح أنّ الحق هو أنّ الخارجين من مصر كانوا قلّة، وما غيّروا طبيعة الحياة الكنعانية في الأرض التي سكنوها..

(2) - تسجيل خروج بني إسرائيل من مصر:

يعترض عدد من المخالفين بقولهم إنّ خروج بني إسرائيل من مصر أمر لا يمكن تصديقه؛ لأنّنا لم نعثر على أي إشارة إلى عبور عدد كبير من الإسرائيليين الحدود في وثائق عابري حدود مصر ذاك الزمان.

ويجيب عالم المصريات كتشن هؤلاء، بقوله: «قد قيل لنا: «الحدود بين مصر وكنعان كانت تحت السيطرة اللصيقة وقتها، فإنْ عَبَر عدد ضخم من الإسرائيليين الهاربين عبر حصون الحدود التابعة للسيطرة الفرعونية فيجب أن يوجد سجل لذلك».

ولا شك في أنّ ذلك قد حدث... إننا نعرف من نقوش الحجارة مثل نقوش تلك القضية الناجحة لكاتب الخزانة موز (أو ميس) من محراب مقبرته في رمال سقارة الجافة أنه قد وُجدت أرشيفات ضخمة من البرديات في كل من هليوبوليس (التي للوزير) وفي بر - رمسيس نفسها (ملفات خزانة ومخزن الحبوب) في شرق الدلتا، والتي لم ينج منها ولا أصغر الفتات. في طين الدلتا الرطب الغامرة لم تنج أي برديّةٍ أبدًا (سواء ذكرتْ العبرانيين الهاربين أم لا) ما لم تكن (كما في تانيس الفترة المتأخرة) قد أُحرِقتْ أَوَّلًا وتمّتْ كَرْبَنَتُها تمامًا، وصارت بالتالي غير ممكنة القراءة، إلّا بوساطة تقنيات حديثة خاصة جدًّا. وبعبارة أخرى، فُقِدَتْ أرشيفات القرن الثالث عشر الرسمية من مراكز شرق الدلتا بنسبة 100 ٪، فلا يمكننا أن نتوقع أن نجد ذِكرًا

(1) المصدر السابق، ص201.

فيها عن العبرانيين أو أيّ شخص آخر. الأثرُ الوحيد الإداري الصّرف الذي عُثر عليه في بر - رمسيس (حتى الآن) حفنةٌ من بطاقاتِ محتويات آنية الخمر التي تذكر تفاصيلَ عن خمرٍ من السنة ال 52 من حكم رمسيس الثاني»[1].

خلاصة الكلام في مسألة تاريخيّة قصّة الخروج، هي أنّ هذه القصّة لا تسقط إلّا إذا حاكمنا القصّة إلى جميع ما جاء في التوراة، وهو ما لا يفعله مسلم؛ لمخالفة تفاصيل التوراة اليهوديّة الخبر القرآني. وليس في البحث الأركيولوجي شيء يدين الخبر القرآني.

ومن اللافت هنا قول الأكيولوجي أبراهام فوست[2]: «بينما هناك **إجماع** بين العلماء على أنّ قصّة الخروج لم تقع بالطريقة الموصوفة في الكتاب المقدس، من المثير للدهشة أنّ **معظم العلماء على اتّفاق أنّ القصّة تحتوي على نواة تاريخيّة صحيحة**، وأن بعض مستوطني المرتفعات جاؤوا - بطريقة أو بأخرى - من مصر»[3]. وساق فوست أسماء نقّاد كثر (يبلغ عددهم العشرين) على هذا الرأي[4].

ح. رحلة التِّيْه

يقول المعترض: كيف تكون رحلة تيه بني إسرائيل أربعين سنة في سيناء صادقةً تاريخيًّا، ونحن لم نعثر على آثار إقامتهم فيها هذه السنوات؟!

هذا الاعتراض غافل عن أوصاف حياة بني إسرائيل في مرحلة التيه:

- بنو إسرائيل، كانوا في رحلة التيه جماعة صغيرة تعيش حياةً شِبْهَ بدويّةٍ، بعدما خرجت فارّةً من ظلم الفرعون. وليس من طبيعة هذه الحياة - كما هو متّفق عليه - تركُ بصماتها على الأرض، إلّا نادرًا. وقد اعترف بذلك فنكلشتاين الذي كان له نشاط مَسْحِيّ واسع في سيناء والنّجف؛ فقد قال

---

(1) ك.أ. كتشن، مصداقية العهد القديم، ص 776.

(2) أبراهام فوست Avraham Faust: أركيولوجي من فلسطين المحتلّة. أستاذ في جامعة بار إيلان. له اهتمام خاص بأركيولوجيا إسرائيل القديمة في العصر الحديدي.

(3) Avraham Faust, 'The Emergence of Iron Age Israel,' in T.E. Levy, T. Schneider and W.H.C. Propp, eds. *Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective*, p. 476.

(4) Ibid.

إنّه من الصعب العثور على آثار لساكني الصحراء القدماء، وحتى بدو القرن التاسع عشر[1]، مؤكدًا أنّ طبيعة التنقّل المستمرّ وعدم الاستقرار، تجعلهم يتخفّفون من كثير من الأدوات المعيشية المادية والمظاهر الثقافية التي تترك أثرها عادة في الأرض[2]. وأضاف الأركيولوجي بن يوسف[3] أنّه حتّى المجتمعات البدوية المعقدة والمستقرة والثرية نسبيًا «تبقى شفافة (لا تُرى) في الممارسات الأثرية الشائعة، ما لم تشارك في نشاطات متميّزة مثل التعدين والصهر»[4]. وعلى الرغم من التقدّم الكبير في «علم آثار التنقل» إلّا أنّ مناطق البدو قد تُفلِت من الرصد[5].

- خرج بنو إسرائيل فارّين من مصر، لا يحملون معهم أسباب إقامة العمران في مناطق قفر. والتوراة تذكر أنهم قد سكنوا الخيام أثناء ذلك (خروج 16/ 16، العدد 1/ 52، 9/ 17، تثنية 1/ 27، 33...). وقد شكّك بعضهم في استعمال بني إسرائيل للخيام في ذاك الزمان البعيد. وليس ذاك الاعتراض بشيء؛ إذ من الممكن الإشارة إلى أنّ حوليات تحتمس الثالث ونقوش قادش التي تعود إلى رمسيس الثاني، قد ذكرت تخييم الجيش المصري في هذه الحملات[6].
- لم يلتق بنو إسرائيل بجماعات أخرى للتعاون لإقامة العمران الذي يترك عادةً آثاره في الأرض.

(1) Israel Finkelstein and Avi Perevolotsky, 'Processes of Sedentarization and Nomadization in the History of Sinai and the Negev,' *BASOR* 279 (1990): 67.

(2) Ibid., 68.

الغريب – مع ذلك – أنّ فنكلشتاين قد عاد لاحقًا في كتابه الشهير «The Bible Unearthed» (ص62) إلى الزعم أنّه لا بدّ أن تترك رحلة التيه آثارها الظاهرة التي من الممكن كشفها. ولعلّ ذلك بسبب إيمان فنكلشتاين بالعدد المليوني للإسرائيليين في رحلة التيه.

(3) إريز بن يوسف Erez Ben-Yosef: أستاذ في قسم الأركيولوجيا وثقافات الشرق الأدنى، جامعة تل أبيب. له اهتمام خاص بالمناهج العلميّة الحديثة لتأريخ الآثار القديمة.

(4) E. Ben-Yosef, 'Back to Solomon's Era, results of the first excavations at Slaves' Hill (Site 34, Timna, Israel),' *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* (2016), 376:169.

(5) H. Barnard, W. Wendrich, *The Archaeology of Mobility: Old World and New World Nomadism* (Los Angeles, CA: Cotsen Institute of Archaeology at UCLA, 2008).

(6) James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai*, pp.151—152.

- كان بنو إسرائيل يرجون كلّ سنة في رحلة التيه الطويلة أن يخرجوا من ضياعهم في هذه الأرض الواسعة؛ ليستقروا في بلاد من الممكن إقامة العمران فيها؛ ولذلك فلم يكن من الحكمة أن يقيموا بُنْيانهم في أرض سيرحلون عنها في يوم قريب جدًّا - في ظنّهم-.

ومن المهم الإشارة هنا أنّ من الرافضين لتاريخية خروج بني إسرائيل من مصر، من أقرّ أنّ قصّة الخروج كما في التوراة اليهودية تعكس معرفة جيّدة بجغرافيا شرق الدلتا، وشبه جزيرة سيناء، والنجف، وشرق الأردن، ومنهم الأركيولوجي أميحاي مازار، الذي زعم أنّ ذلك قد يعود إلى أنّ جماعة من العبيد ذوي الأصول الساميّة الغربيّة قد فرّوا من شمال شرقي الدلتا إلى سيناء في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم التحقوا «بالكونفدرالية الإسرائيلية» لاحقًا، وجاؤوا معهم بقصة الخروج مع أفكار دينية جديدة[1].

وما قاله مازار لا يفصله عن الحقيقة سوى أن ينزع من رأسه الرقم المليوني الذي ادعته التوراة للخارجين مع موسى -عليه السلام- من مصر؛ ليصير ما قاله عن هذا الفريق من «العبيد ذوي الأصول السامية الغربية» عين ما نقوله في بني إسرائيل، وخروجهم من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وليستغني - بذلك - المرء عن البحث عن سبب معقول لمعرفة مؤلف التوراة اليهودية بجغرافيا الخروج!

خ. مشابهة ميلاد موسى عليه السلام لميلاد سرجون

عُثر على نص شعري يتحدّث عن الملك سرجون، اتخذه عدد من الكتّاب الملاحدة حجّة للتشكيك في أصالة قصة ميلاد موسى -عليه السلام- في التوراة والقرآن.

(1) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.60

تعود هذه الوثيقة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد[1]، وتتحدّث عن ميلاد سرجون، وتفسّر الصعود السريع لأول حاكم كبير ساميّ الأصل في بلاد الرافدين، سرجون الأول الأكاديّ (2334 - 2279 ق.م).

يذكر النصُّ أنّ سرجون الأول ابنٌ غير شرعيٍّ لكاهنة أهملته لمّا كان رضيعًا؛ لأنّ وظيفتها تمنعها أن يكون لها أولاد[2]. ولم تشتهر هذه الوثيقة إلّا بسبب ما جاء فيها من مشابهة لقصة موسى -عليه السلام- ؛ إذ يذكر النص أنّ أُمّ سرجون قد وضعته في النهر في سلّةٍ من البرديّ قد خُتمت بالزّفت. وهو نصٌّ يُشابه نصّ خروج 2/ 1 - 5: «وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لاَوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لاَوِي، فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَّأَتْهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ. وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ».

وقبل التعليق على دعوى الاقتباس، لا بدّ من نقل ترجمة النصّ؛ لتتّضح الصورة:

«أنا سرجون، الملك العظيم، ملك بلاد أكاد. كانت أُمّي كاهنةً عظيمة، ولا أعرف أبي.

كان أعمامي يسكنون التّلال.

ومدينتي (حيث ولدت) هي أزوبيرانو التي تقع على ضفاف الفرات.

لقد حملتني أُمّي، الكاهنة العظيمة، وولدتني سِرًّا.

---

(1) Bill T. Arnold, Bryan E. Beyer, eds. *Readings from the Ancient Near East: Primary Sources for Old Testament Study* (MI: Baker Academic, 2002), p.75; Benjamin R. Foster, *The Age of Agade: Inventing Empire in Ancient Mesopotamia* (London: Routledge, 2015), p.268; Brian Lewis, *The Sargon Legend: A study of the Akkadian text and the tale of the hero who was exposed at birth* (MA: American Schools of Oriental Research, 1980), pp.106 - 107.

(2) Ibid.

ووضعتني في سلّة من البردي، وختمت غطاءها بالزّفت.

تركتني إلى النهر الذي لا أملك الفرار منه.

حملني النهر، وأخذني إلى غرّاف الماء أكي. انتشلني أكي الغرّاف عندما غمس دلوه في الماء.

ربّاني أكي الغرّاف كابنٍ له.

وجعلني أكي الغرّاف بُستانيًّا عنده.

وعندما كنت بُستانيًّا، أحبّتني عشتار.

(ولذلك) حَكَمْتُ كملكٍ خمسًا وخمسين سنة

تولّيتُ على شعب الرؤوس السوداء[1]، وحَكَمْتُه.

[عبرتُ بين؟] جبالٍ صعبةٍ معتمدًا على فُؤوسٍ من البرونز.

تسلّقْتُ النّطاقات العُليا مرّاتٍ ومرّات.

اجتزتُ النّطاقات الدُّنيا مرّاتٍ ومرّات.

حاصرتُ [أرض؟] البحر ثلاث مرّاتٍ.

غزوتُ تلمون[2]...

صعدت إلى دير العظيمة، و...

حطّمتُ [كزلّو].

أيُّ ملكٍ يأتي بعدي

[ليكن ملكًا 55 عامًا؟

ليتولّى ويحكم] شعب الرؤوس السوداء.

---

(1) لقب للسومريين.

(2) منطقة في البلاد العربيّة.

[ليواجه؟] الجبال الصعبة مستعملًا [فؤوسًا من البرونز]...

ليتسلّق النطاقات العليا مرّاتٍ ومرّاتٍ...»[1].

ونحن نرفض دعوى الاقتباس لأسباب:

أوّلًا: لا تشابه بين القِصَّتَيْنِ سوى في وضع الأُمّ ابنها في نهر، في سفط مطلي بالزّفت. وأما الأمور السابقة لهذه الجزئيّة في قصّة سرجون والتالية لها؛ فلا تشابه قصّة موسى -عليه السلام- في التوراة والقرآن:

- والد موسى -عليه السلام- ليس رجلًا مجهولًا، وإنما هو رجلٌ لاوي.
- أُمّ موسى -عليه السلام- ليست كاهنةً.
- موسى وُضِعَ في مجرى ماء في مصر، في حين وُضع سرجون في مجرى ماءٍ في بلاد ما بين النهرين.
- لم تضع أُمّ موسى -عليه السلام- ابنها في النّهر لأنه ابن زنا، وإنما خشية أن يقتله فرعون.
- في التوراة، اكتشفت ابنة فرعون موسى -عليه السلام- الرّضيع، وفي القرآن اكتشفته زوجة فرعون، في حين أنّ رجلًا فقيرًا، يعمل في وظيفة متدنّية تُسند عادة للأسرى، وهي الاغتراف من الماء، هو مكتشف الوليد في النهر.
- رُبِّيَ سرجون عند هذا المستقي من الماء في حين تربّى موسى -عليه السلام- في قصر الفرعون.
- صار سرجون بستانيًّا، ثمّ أَحَبَّتْهُ إلهةُ الحبّ في بلاد الرافدين، عشتار؛ فصار بذلك ملكًا، في حين تُخبرنا التوراة والقرآن أنّ موسى -عليه السلام- لم يَصِرْ مَلِكًا، بل خرج من قصر الفرعون بعد طفولته، ثمّ خرج من مصر مع قومه المستضعفين.

---

(1) Ibid., pp.75 - 76.

ثانيًا: قصة سرجون كُتبت - كما يقول عامة النّقاد - في منتصف النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد، في عصر سرجون الثاني (توفي 705 ق.م) أو قبله بقرن[1]، قبل عصر موسى -عليه السلام- بقرون. وإثبات أنّ القصة مجرّد نسخٍ لتراثٍ قديمٍ قريبٍ من سرجون الأول (توفي حوالي 2284 ق.م) يحتاج إلى حجّة قوية، كما لا توجد حجّة إلى اليوم لردّ هذه القصة إلى ما قبل عصر موسى -عليه السلام-.

ثالثًا: التشابه في بعض التفاصيل بين القصص لا يلزم منه أنّ أحدها أَخَذَ من الآخر؛ خاصّةً إذا كانت الاختلافات بين القصتين كبيرة. وقد جمع دونالد ردفور كلّ أساطير «الطّفلِ المتروك» المعروفة لنا من الشرق الأدنى القديم، فكانت 32 قصةً. وانتهى إلى تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

- الطفل المتروك بسبب العار.
- حاول الملك أو شخصية أخرى قويّة قتل الطفل لأنه يمثّل تهديدًا لحكمه.
- مجزرة تمّت، تهدّد حياة طفل وآخرين[2].

وانتهى ردفورد إلى أنّ قصّة سرجون تنتمي إلى النوع الأول، في حين تنتمي قصّة موسى -عليه السلام- إلى النوع الثالث[3]. ولذلك أنكرَ أن تكونا حقيقة متقابلتين[4].

رابعًا: فسّر عالم المصريات هوفماير ورود قصة الوليد الذي يُلقى في الماء بعد ولادته طلبًا لنجاته، في عدّة نصوصٍ قديمة في الشرق الأدنى، بقوله: «السبب وراء كثرة قصصِ إلقاء طفلٍ في المياه من جميع أنحاء الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط أنّ ذاك يعكس الممارسة القديمة المتمثلة في إسلام طفلٍ غير مرغوبٍ فيه،

(1) Brian Lewis, *The Sargon Legend: a study of the Akkadian text and tale of the hero, who was exposed at birth* (Cambridge, 1980), 1 - 10.

(2) Donald B. Redford, 'The Literary Motif of the Exposed Child (Cf. Ex. ii 1 - 10)', *Numen*, Vol. 14, Fasc. 3 (Nov., 1967), p.211.

(3) Ibid., pp.214, 218.

(4) Ibid., p.219.

أو شخصٍ يحتاج إلى الحماية، إلى أيدي العناية الإلهيّة. والمقابل الحديث لهذا الأمر هو ترك طفلٍ على درجات دار أيتامٍ أو على باب كنيسةٍ»[1].

ووافَقَهُ بروفان ولونجمان بقولهما: «الغاية من وجود السلّة على الماء في كلتا الثقافتين إسلام الطفل إلى رعاية الإلهِ الذي يتحكّم في المياه. وذاك هو الموازي القديم للممارسة الحديثة بترك طفل غير مرغوبٍ فيه على عتبة منزلٍ أو مستشفى»[2].

خامسًا: عَثر هوفماير على ستّ كلمات في التوراة مقتبسة من اللغة المصرية القديمة في الأعداد القليلة التي جاء فيها خبر ميلاد موسى -عليه السلام- في التوراة[3]. والأصل أن نجد كلماتٍ أكاديّة في القصة التوراتية لو كانت دعوى الاقتباس صحيحة، خاصة مع تسليمنا بالأثر البابليّ في إعادة كتابة التوراة في وقت متأخّر.

أخيرًا، حتى تكون التشابهات لافتة للنظر؛ للقول بالاقتباس؛ تحتاج أن تتوفّر في هذه التشابهات مجموعة معالم مثل أن تكون:

- أوجه التشابه متعدّدة.
- الأحداث المتشابهة غير مألوفة في عامة القصص.
- أوجه التشابه مركّبة (من عناصر متداخلة).
- تخدم هذه التشابهات الأغراض نفسها في القصّتين.
- بالإمكان تاريخيًا رسم علاقةِ أثرٍ وتأثّر بين النَّصَّيْنِ؛ فـالمقتبَسُ منه فيهما أَسْبَقُ تاريخيًا من المقتبِس، إضافة إلى ضرورة التقارب الجغرافي...

وذاك ما لا نجده في بحثنا هنا في المقارنة بين ميلاد موسى -عليه السلام- وقصة ميلاد سرجون.

---

(1) Ibid., 138

(2) Cited in: Josh McDowell and Sean McDowell, *Evidence That Demands a Verdict: Life - Changing Truth for a Skeptical World* (Nashville, Tennessee: Thomas Nelson, 2017), p.465.

(3) Hoffmeier, *Israel in Egypt*, 138-40.

الخلاصة:

- قال عالم المصريات كنث كتشن عن وجود موسى -عليه السلام-: «لا يوجد دليل واقعيّ لاستبعاد مثل هذا الشخص في هذه الفترة، أو أنّه لعب الأدوار المضمَّنة في سفر الخروج إلى سفر التثنية. قدرٌ كبير من المناقشات غير الحاسمة من قبل علماء الكتاب المقدس خلال ما يقرب من مائتي عام لم يُثبِتْ شيئًا تقريبًا بيقين»[1].
- رفع النكارة عن وجود موسى -عليه السلام-، حُجّة لرفع النكارة عن وجود هارون عليه السلام؛ لأنّ قصّة هارون عليه السلام داخلة في قصّة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل وفرعون.
- ليس في القرآن ما يستنكرهُ البحث الأركيولوجي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.
- السبب الرئيس لتشكيك فريق من الأركيولوجيين في وجود موسى -عليه السلام- ما رَوَتْهُ التوراة من وجود ملايين من الإسرائيليّين في مصر في زمانِه، وعند خروجه من مصر، وعند التّيه. وقد أومأ خبر القرآن إلى تكذيب التوراة المحرّفة في مبالغاتها.
- في القرآن دقة تاريخيّة تشفُّ عن مصدره الإلهيّ.

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.299.

الفصل الثاني
الوجود التاريخي ليوسف -عليه السلام-

المبحث الأول: يوسف -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

يوسف -عليه السلام-، النبي الكريم ابن النبي الكريم يعقوب -عليه السلام-، ابن النبي الكريم إسحاق -عليه السلام-، ابن النبي الكريم إبراهيم -عليه السلام-. وقصّته في القرآن الأَكثرُ تفصيلًا بين قصص الأنبياء بعد قصّة موسى -عليه السلام-. وقد ورد خبرُها مجموعًا في سورة يوسف التي تحدَّثَتْ عن حياتِه من الطفولة بين والِدَيْهِ (خارج مصر) حتى التمكين في أرض مصر. وجاء فيها خبرُ حالِه مع أهله، ومكرِ إخوته به، وبيعِه خارج بَلَدِهِ عبدًا في مصر، وفتنة إغواء زوجة من اشتراه، ومكر القوم به بسجنه، وحاله في السجن مع الدعوة إلى التوحيد وتفسيره الرؤى المناميّة، ثم عِلم الملك بقدرته على تفسير المنامات، وتأويله -عليه السلام- للمنام الذي حيّر الملك، ثم تنصيبه في مقام عال في إدارة البلاد، وقدوم أهله لمصر طلبًا للعون زمن المجاعة، والخطة التي دبرها لاستبقاء أخيه بتهمة السرقة، وأخيرًا كشفه نفسه لإخوته، وقدوم أبيه وأمّه وإخوته لمصر آخر القصّة.

وقد جاءت قصة يوسف -عليه السلام- في سفر التكوين 30 - 50. وهي تذكر تفاصيل كثيرة موافقة للخبر القرآني منذ حياته في بيت والده، وتآمر إخوته عليه، وبيعه إلى قافلة مسافرة إلى مصر، وحياته مُسْتَرَقًّا في بيت أحد كبراء مصر، وفتنة زوجة سيّده، وسجنه، ورؤيا ملك مصر، وتفسيره الرؤيا، ومجاعة مصر، واستلامه الوزارة في مصر، وزيارة إخوته له من (كنعان) دون معرفة أنّه أخوهم إلى قدوم أبيه وأهله إليه

آخر القصة، والسجود له، مع بعض المخالفات في التفاصيل. وقد تناولنا بشيء من التفصيل المقارنة بين قصّة يوسف التوراتية والقصة في القرآن، وبيّنّا الفارق التاريخيّ والعَقَديّ والقِيميّ بينهما[1]. والاختلافات التاريخية التي تعنينا في هذا الكتاب ليست كبيرة.

(1) انظر سامي عامري، براهين النبوة (لندن: مركز تكوين، 1438هـ/ 2017م)، ص 380 - 404.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي ليوسف -عليه السلام-

العناصر التاريخية في القصّة القرآنيّة ليوسف -عليه السلام-، القابلة للرصد الأركيولوجي هي:

- دخول يوسف -عليه السلام-، ثم أفراد أسرته أكثر من مرة مصر من جهة كنعان: قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾(يوسف/ 58). وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ (يوسف/ 68). وقال - جلّ وعلا -: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾ (يوسف/ 94). وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾(يوسف/ 99).
- انتشار الشرك في مصر: قال تعالى في قول يوسف -عليه السلام- لمن معه في السجن: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ (يوسف/ 39).
- ظاهرة تأويل الأحلام في مصر: قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٤٦﴾ (يوسف/ 46).
- مجاعةٌ تمتدّ سبع سنوات في مصر: قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾ (يوسف/ 47 – 49).

- تحوّل يوسف إلى أقرب «وزراء» الملك: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾(يوسف/ 54 - 56).

لم تصلنا قصة يوسف -عليه السلام- مع أهله وحاكم مصر في زمانه في الآثار المصرية المحفوظة. والمخالفون منكرون لما جاء في القرآن باستثناء أمر الشرك. والواجب النّظر في وجاهة ما اعترضوا به على الإمكان التاريخي للقصّة.

المطلب الأول: دخول الإسرائيليين مصر

يُخبرنا القرآن عن دخول يوسف -عليه السلام- مصر من البلد المجاور (كنعان). ثم تكرَّر في القصّة ذكر دخول إخوة يوسف مصر منها. وقد بحث العلماء هذه المسألة، واستدلوا لإمكانها بوجود آثار دالة على استيطان مهاجرين من كنعان مصر. قال إسرائيل فنكلشتاين ونيل سلبرمان: «هناك شيء واحد مؤكد، وهو أنّ الموقف الأساسي الموصوف في ملحمة الخروج؛ أي ظاهرة المهاجرين الذين نزلوا إلى مصر من كنعان واستقرّوا في مناطق الحدود الشرقية للدلتا، قد تمّ التحقق منه بوفرة في الاكتشافات الأثرية والنصوص التاريخية»[1] وبعيدًا عن تعريفهما لحقيقة أصحاب هذه الهجرة السامية، فإنّ قولهما يخدم الإطار الذي تقدمه قصة يوسف -عليه السلام- وأهله، وهي هجرة ساميّين في تلك الفترة من كنعان إلى مصر للاستيطان فيها.

وقال ريتشارد فريدمان: «أعتقدُ أن نقطة اتفاقٍ واحدة بين معظم العلماء المشاركين في مؤتمر دولي عقد مؤخرًا بعنوان «الخروج من مصر» حول مسألة تاريخيّةِ الخروج، والبالغ عددهم 45 باحثًا، كانت أن الشعوب السامية، أو الغربيين الآسيويين، كانوا

---

(1) Finkelstein and Silberman, *The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Sacred Texts*, pp.52- 53.

يعيشون في مصر بالفعل. وكانوا يسافرون من مصر وإليها لعدة قرون»[1].

إنّ شواهد التاريخ مخبرةٌ أنّ جماعات من الساميين الغربيين، من العموريين وجماعات أخرى من بلاد الرافدين ترتبط بالإسرائيليين لغويًا وربّما إثنيًا اتجهت من كنعان إلى الدلتا في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد[2].

ومن أشهر شواهد دخول الساميين مصر مشهد من قبور بني حسن. ففي هذا النقش حديث عن خبر 37 آسيويًا جيء بهم إلى مصر لأسباب تجارية. وقد جاء بهم أبي - شا، وهو اسمٌ ساميٌّ كما هو ظاهر.

صور الآسيويين من قبور بني حسن[3]



وجاء في «نبوءات نفرتي» (حوالي 1990 - 1960 ق.م) التي كتبت لانتقاد الواقع القائم وشرعنة حكم أمنمحات الأوّل: «لقد هلكتْ كلُّ الأشياء الطيّبة، والأرض مُثقلةٌ بالبؤس بسبب أولئك الذين يبحثون عن الطعام، الآسيويين الذين يجوبون الأرض. ظهر الأعداء في الشرق، ونزل الآسيويون إلى مصر... ستُبنى أسوار الحاكم لمنع الآسيويين من النزول إلى مصر. سوف يتوسلون للحصول على الماء بالطريقة المعتادة منهم، من أجل ترك قطعانهم تشرب»[4].

(1) The Exodus Is Not Fiction An interview with Richard Elliott Friedman. "https://reformjudaism.org/exodus - not - fiction».

(2) William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?*, pp.19 - 20.

(3) < http://www.asor.org/wp - content/uploads/2019/01/Cohen3 - 1024x179.jpg>.

(4) Nili Shupak, 'The Prophecies of Neferti,' in William Hallo and K. Lawson Younger, eds., *The Context of Scripture: Canonical Compositions, Monumental Inscriptions and Archival Documents. from the Biblical World*, vol. 1, (Leiden: Brill, 1997), pp.107 - 110.

نصب لمرتزق سوري في الجيش المصري، وزوجته، القرن 14 ق.م
Neues Museum، برلين



كما اكتُشِفت في منطقة تل دبعا على دلتا النيل في مصر منطقة سكنية واسعة تعود إلى بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، فيها بيوت، وقبور، وفخار؛ كلّها تقريبًا مطابقة للمادة الثقافية لكنعان القديمة في الفترة نفسها.

وأهمّ من كلّ ما سبق علمنا بسيطرة الهكسوس الساميين، الأجانب عن مصر، على مصر لقرنٍ من الزمان، في الزمن الذي يرى جمهور النقاد أنّه يوافق الزمن التوراتي لوجود يوسف -عليه السلام- في مصر.

المطلب الثاني: الوزير المجهول

لعلّ أشهر ما أُنْكِرَ على قصّة يوسف -عليه السلام-، غياب ذكر يوسف -عليه السلام- في المنقوشات. والحقُّ إنّ القول بعدم وجود يوسف -عليه السلام- فرع

عن العلم بتفصيل حكم ملوك الهكسوس كلّهم، ومن استلموا الوزارة. والعلم التفصيلي بكامل مدّة حُكْمِ الهكسوس لا يزعمه الأركيولوجيون. ولا تزال منه مناطق مظلمةٌ إلى اليوم.

ومن أهمّ الشواهد التاريخية التي تدفع النّكارة عن غياب اسم وزيرٍ في البلاط المصريّ، حال وزيرٍ ساميّ، وصاحب سلطانٍ واسعٍ أثناء حُكْمِ أمنحتب الثالث وأخناتون، اسمه Aper - El. فقد اكتُشف قبرُه سنة 1987 على يدِ عالمِ المصريات الفرنسي ألان زيفي، في قرية سقارة (قرب القاهرة). وAper الهيروغليفية هي المقابل المصري القديم لكلمة عبدٍ الساميّة. ويرى زيفي أنّ الاسم كان يُنطق في الأصل عبدي إيل، أي عبد الإله إيل. وهو اسمٌ أُطلِق في سِفر أخبار الأيام الأول 5/ 15 على أحد الشخصيات עַבְדִּיאֵל. وقد كشف هذا القبر أيضًا عن ساميّة اسم زوجةِ عبدي إيل وأولاده، كما أنّ الدّفن العائلي (كما في حال عبدي إيل وأهله) ظاهرة كنعانية، وليس من العادات المصرية لأهل العصر[1].

ومن ألقاب هذا الوزير: القاضي، و«أبي الإله» بمعنى الشخص المقرّب من الملك والناصح له والمعتني به منذ طفولته، وابن الحضانة[2]، و«رئيسُ كلِّ الأرض» و«رسول الملك». وهو الوزير الوحيد الذي لُقِّبَ بـ«ابن الكاب» (أي الذي رُبّي أو دُرّس في بيت حاكم مصر). كما لُقب بـ«الخادم الأول لآتون»، الإله المصري[3].

ويعلّق هوفماير على الكشف عن قبر هذا الوزير غير المصري في بلاط الفراعنة، بقوله: «هذا الاكتشاف هو أوّل ظهورٍ لاسم شخصية رسمية عالية المرتبة بعد أكثر من

---

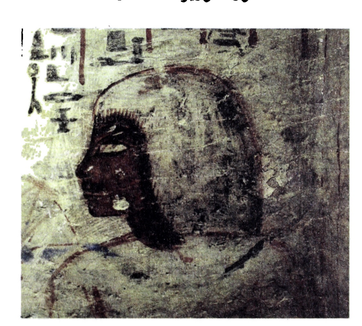
(1) James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt*, p.95.

(2) Ibid., pp.94 - 95

(3) Zivie, Alain. 'Pharaoh's Man, 'Abdiel: The Vizier with a Semitic Name,' *Biblical Archaeology Review* 44.4 (2018): 22-31,64-66.
< https://www.baslibrary.org/biblical-archaeology-review/44/4/2 >.
'Abdiel: Egyptian Vizier and "Servant of the God El»
"https://www.biblicalarchaeology.org/daily/ancient-cultures/ancient-near-eastern-world/abdiel-egyptian-vizier-servant-god-el-alain-zivie/».

قرن من التنقيب في سقارة. وإذا كان أمرُ شخصيّةٍ رسميّةٍ عاليةٍ مثل الوزير أبر - إيل كان مجهولًا كليّة للعلماء المعاصرين حتّى آخر ثمانينيات القرن العشرين رغم حقيقة أنّه قد عاش في واحدة من أفضل العصور توثيقًا في التاريخ المصري، ودُفن في أكثر المناطق تنقيبًا في مصر؛ فإنّه من الخطأ - كما يفعل البعض - أن نطلب أن تكون هناك حجة أركيولوجيّة مباشرة ليوسف إذا كان شخصية تاريخيّة حقيقيّة. وهذا الاعتراض بالذات صحيح في شأن يوسف؛ إذ إنّ مكان وجوده في سفر التكوين هو منطقة الدلتا التي لا تزال إلى الآن ضعيفة التنقيب[1].

صورة الوزير Aper - El



وعِلْمُنا أنّ النبوّة تأبى جنون العظَمة وحبّ تخليد النّفس عند الحكّام وأهل السُّلطة، يجعلنا لا نستبعد أن يَنهى يوسف - عليه السّلام - النحّات في عصره عن رسمِه ونحتِ صورتِه في القصور والمقابر.

(1) Hoffmeier, *Israel in Egypt*, pp.94 - 95.

ولا يبقى لنا إلّا أن نبحث عن العناصر التاريخية لقصّة يوسف -عليه السلام- كما جاءت في القرآن؛ بما يفيدنا في دخولها مجال «الممكن التاريخيّ»؛ أي عدمِ تضمّنها تفاصيلَ من الممتنِع أن توافق طبيعة ذاك العصر. علمًا أنّ جماهير النقّاد على أنّ يوسف -عليه السلام- قد عاش في زمن حُكْمِ الهكسوس مصر، في القرنين السابع عشر والسادس عشر قبل الميلاد (تقريبًا 1650 - 1540 ق.م).

وقد درس عدد من علماء المصريات قصّة يوسف -عليه السلام-، وانتهوا - باستثناء ردفورد - إلى أنّ هذه القصّة تحمل معالم مصريّة قديمة من الألفية الثانية قبل الميلاد. وكان فرجوت من أهمّ من كتبوا في هذا الباب، خاصة في الردّ على المعارضين. وقد سبقه الناقد الهولندي ج.م.أ. جونسون الذي بيّن مصريّة قصة يوسف -عليه السلام-، أساسًا من خلال الحديث عن العبودية، والأحلام، والموظفين الأجانب، والأسماء الشخصية، والمجاعة[1]. ومع اعترافِ جونسن أنّ المادة المصريّة في قصّة التوراة لا تجيب عن كلّ الأسئلة المطروحة، إلّا أنّها تقدّم صورة صادقة عن مصر في فترةٍ ما من الألفية الثانية قبل الميلاد.

المطلب الثالث: تنصيبُ أجنبيٍّ وزيرًا في مصر

ليس تنصيبُ يوسف -عليه السلام- وزيرًا في دولة الهكسوس من العجائب؛ فالهكسوس قوم من الساميّين، وليسوا مصريين. وتقليد الهكسوس لواحد من جنس الساميين غير بعيد. علمًا أنّ الملك الثاني للهكسوس اسمه يعقوب - هير[2].

بل إنّ علماء المصريات يعلمون منذ زمن بعيد أنّه إثر الفوضى التي وقعت بعد موت الفرعون سيتي الأول سنة 1194 ق.م، قام موظف رسمي اسمه باي بجهدٍ عظيم لوضع سبتاح على رأس الحُكْمِ، وحمل لقب «القائد الكبير للأرض كلّها». كما

(1) J.M.A. Jansen, *A Study of the Biblical Story of Joseph* (Leiden: Brill, 1970).

(2) H.R. Hall, *The Ancient History of the Near East* (Routledge, 2015), p.217.

ارتقى رجل له اسمٌ ساميٌّ إلى مرتبة وزيرٍ أثناء حكم الفرعون حتشبسوت (1479 - 1457 ق.م)[1].

ورغم حماسة الباحث اللّادينيّ فراس السواح للقول بخرافيّة قصة يوسف -عليه السلام- برمّتها، إلا أنّه اعترف أنّ «هنالك ذِكرٌ لأكثرَ من شخصيّةٍ آسيويّةٍ توصّلتْ إلى مناصب عاليةٍ في الدّولة، بين هؤلاء رجلٌ اسمه عرشو استلم زمام السلطة في مصر لفترة قصيرة إبّان فترة الفوضى التي جاءت في نهاية حكم الأسرة التاسعة عشر، حوالي 1200 ق.م»[2].

وإذا كان هذا حال الأمر في حكم الفراعنة أبناء البلد؛ فكيف بالأمر في حكم الهكسوس الساميين الغزاة؟!

ثمّ إنّ مَلك مصر قد رأى بعينيه معجزةَ الإخبار بالغيب، مع ما ظهر له من صدق يوسف -عليه السلام- ؛ فاستعان به لهذين الأمرَيْنِ، دون الحاجة إلى النّظر في أصلِه وعِرقِه.

المطلب الرابع: خارقة يوسف

قد يقول قائل: كيف يَغْفُل المصريُّون عن تخليد ذِكرِ هذا الرجل الذي أُثِرَتْ عنه المعجزة العظيمة بالتنبُّؤ بالغيب؟

والجواب أنّ ظاهرة تنبؤ الكهّان بالغيب وقيامهم بالخوارق، شائعة جدًّا في مصر القديمة، ومع ذلك؛ فإنّ أهلها لا يُخلّدون عادةً ذكرى هؤلاء باسمهم. ولسنا نطلب شاهدًا بعيدًا عن عصر يوسف -عليه السلام- لشيوع الإيمان بالخوارق؛ لإثبات ذلك؛ فإنّ المحفوظات الأثرية تخبرنا عن بردية وستكار[3] المكتشفة في مصر في القرن 19، والتي نُسخت زمن حكم الهكسوس في مصر[4]، وهي تضمّ مجموعةَ

(1) James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt*, pp.93 - 94.

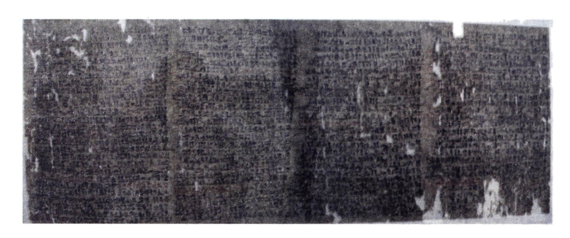
(2) السواح، آرام دمشق، ص55.

(3) Westcar Papyrus.

(4) يذهب بعضهم إلى أنّ أصل هذه المخطوطة المكتوبة في عصر الهكسوس يعود إلى عصر سالف.

قصصٍ - تزعم البردية أنها واقعية - يرويها أبناء الملك خوفو لأبيهم لدفع السَّآمة عنه، ومنها قصة رئيس المرتلين «وباونر» الذي حوّل التمساح الشّمعيَّ إلى تمساح حقيقيٍّ، ورئيس المرتلين «زازا معنخ» الذي تلا تعويذةً سحريّة جعلت أحد جانبي البحيرة على الجانب الآخر، قبل أن يردّه إلى مكانه الأوّل، والساحر «ددي» الذي يملك أن يقطع رأس حيوان ويردّه إليه ليعود حيًّا، والذي تنبّأ أمام خوفو بزوال مُلكِه، وتَوَلِّي أبناء زوجة كاهن رع الحكم بعده...»[1].

البردية وستكار
المتحف المصري، برلين

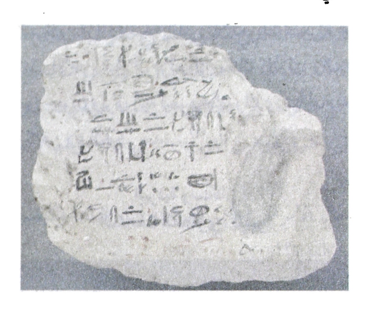


كما نقرأ قبل ذلك نصّ نبوءة نفرتي، وهو نصٌّ يعود إلى عصر المملكة المصرية الوسطى، وإن زُعِمَ أنه يعود إلى ما قبل ذلك بأكثر من ستة قرون؛ ويذكر أنّ الملك سنفرو (قرابة 2613 ق.م) قد طلب من السحرة في مجلسه الترفيه عنه؛ فقال له واحد منهم اسمه نفرتي إنّ عدّة كوارثَ ستضرب مصر؛ وإنّه سيظهر بعد ذلك فرعون اسمه أمني (أي: أمنمحات الأول: 1991 - 1962 ق.م) سيعيد النظام إلى البلد[2].

(1) انظر في ترجمة البردية: سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء السابع عشر (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2017م)، ص 96 - 107.

(2) Elke Blumenthal, 'Die Prophezeiung des Neferti', in *Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde*, Bd. 109 (Berlin 1982), S. 1-27.

قطعةٌ حجريّةٌ عليها مقطع من نبوءة نفرتي
في Los Angeles County Museum of Art



وفي «نصائح إيبور» (حوالي القرنين العشرين/ التاسع عشر، وإن كانت تعود لزمنٍ أَبْكَرَ)، عند الحديث عن أمراض مصر، لاحظ الحكيم أنّ «ما سبق فَتَنَبّأ به الأسلاف قد تحقّقَ الآن»[1].

والتجاءُ ملك مصر للعرّافين لتفسير منامِه، يوافق ما نعرفه عن مصر القديمة. فقد تحدّثت التوراة في سفر التكوين 41/ 8، 24 عن العرافين חַרְטֻמִּים [حَرْطُميم] الذين توجّه إليهم الفرعون ليسألهم تأويل رؤياه. وهو ما يوافق ما يُعرف عن عادةِ مراجعة har'tom أي كبير القرّاء chief reader في مصر القديمة[2]. وهم أشخاص دُرّبوا على تأويل النّصوص ودراسة سحر السّحرة. وفي بعض النصوص يظهرون كسحرة، تمامًا مثل سِفر الخروج 7/ 11، 22، 8/ 3، 9/ 11 [3].

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.387.

(2) انظر في عموم هذا الموضوع:
J. Vergote, Joseph en Égypte: Genèse chap. 37-50 à la lumière des études égyptologiques récentes, Louvain, 1959.

(3) Walter C. Kaiser, *History of Israel* (Tennessee: B&H Publishing Group, 1998), p.71.

المطلب الخامس: الإنباء بسنين الجوع

تنبّأ يوسف -عليه السلام- أنّ مصر ستُصاب بمجاعةٍ شديدة لمدّة سبعة أعوام، بعد سبع سنين رخاء، ثم يتلو ذلك عام رخاء: قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (يوسف/ 47 - 49).

لم يصلنا خبرٌ عن مجاعةٍ امتدّتْ سبع سنوات في العصور التي يَظُنُّ النقّاد أنّ يوسف -عليه السلام- قد عاش فيها. وليس ذلك بمستغربٍ؛ لثلاثة أسباب:

الأول: البحث الأركيولوجيُّ لم يُحِطْ خُبْرًا بعصر الهكسوس؛ إذ إنّ شواهده التاريخية من المكتوبات ضعيفةٌ؛ فإنّ سلطان الهكسوس على مناطق ما وراء الدلتا والمناطق الشمالية كان ضعيفًا، مما حصر آثارهم في منطقة الدلتا[1].

الثاني: عصر الهكسوس في التاريخ المصري، عصرُ احتلالِ أجانبَ غزاةٍ لأرض مصر؛ فلم تكن تلك الفترة من التراث الذي يمجّده المصريون؛ ولذلك فإنّ ردّ الفعل القومي كان بالتخلّص من عامّة آثار ذاك العصر.

الثالث: تكرّرت المجاعات في مصر القديمة. وهذا الخبر - بذلك - ليس من النوادر التي لا يمكن أن تغفلها المنقوشات المصرية القديمة؛ فإنّه من الثابت أنّ مصر قد تعرّضت إلى مراحل جفاف متوالية بسبب نزول مستوى فيضان ماء النيل كلّ سنة[2].

(1) لؤي فتوحي، النبي يوسف عليه السلام في القرآن الكريم والعهد القديم والتاريخ (بيروت: دار الكتب العلمية، 1436هـ/ 2015م)، ص256.

(2) Walter C. Kaiser, *The Old Testament Documents: Are They Reliable Relevant?*, p.96.

الخلاصة:

- ليس في الخبر القرآني عن يوسف -عليه السلام- ما يخالفُ حقيقةً تاريخيّةً.
- وجود يوسف وأهلِه بعده في مصر، قادِمين من كنعان، يوافق طبيعة هجرات الكنعانيين والساميّين عامّةً ذاك العصر.
- اختفاءُ ذكر يوسف -عليه السلام- ليس مفاجئًا للأركيولوجيّين؛ بسبب ضعف آثار الهكسوس عند حكمهم لمصر، ولأنّ طبيعة قصة يوسف ليست من النوادر في الثقافة الشعبية المصرية القديمة.

الفصل الثالث:
الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب - عليهم السّلام-

المبحث الأول: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب - عليهم السّلام - في القرآن والكتاب المقدس

يُطلَقُ اسم الآباء אבות في اليهودية والنصرانية على إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السّلام - ؛ (وأحيانًا مع الأبناء الاثني عشر ليعقوب -عليه السلام- [1])؛ لأنهم سلف بني إسرائيل. وقد عُرف عصرهم بعصر الآباء. وقد أُقصي من هذه التسمية إسماعيل -عليه السلام- ؛ لأنّ النصارى واليهود لا يؤمنون بنبوّته ولا بنبوّةٍ تأتي من نسلِه. ولمّا كان إسماعيل -عليه السلام- قد عاش في «عصر الآباء»؛ فقد وجب أن تُدرس قصته مع بقية أنبياء هذا العصر.

تبدأ قصّة الآباء مع إبراهيم -عليه السلام-، وهو أحد أُولي العزم من الرُّسلِ في القرآن، ومُجَدِّدُ مِلَّةِ التوحيد؛ الذي هَدَمَ أصنام قومِه، واستعلن بالبراءة منها وفارق دين أبيه. تزوَّجَ سارة، ولمّا لم تنجبْ له ذريّةً؛ قدَّمتْ له أَمَتَها هاجر ليكون له منها الولد. رَزَق الله إبراهيم -عليه السلام- من هاجرَ إسماعيلَ، ثم رُزق من سارة بإسحاق.

اختبر الله - سبحانه - إبراهيمَ بأن أراه في المنام أنّه يذبح ابنه. ولمّا كانت رؤيا الأنبياء حقٌّ، أخذ ابنه وأَضْجَعه ليذبحه؛ فبشّره الله أنّه قد نجح في الامتحان، وفدى ابنه بكبش. ثم أمر الله إبراهيم -عليه السلام- أن يأخذ هاجر وابنها إسماعيل -عليه السلام- إلى مكّة؛ حيث لا زرع، ويتركهما هناك. فامتثل إبراهيم -عليه السلام-

(1) K. L. Sparks, art. Patriarchs, *Eerdmans Dictionary of the Bible*, p.1015.

للأَمْرِ. وبقي إسماعيلُ -عليه السلام- في مكّة، ورفع هناك هو وأبوه - عليهما السّلام - قواعد الكعبة.

أنجب إبراهيمُ -عليه السلام- لاحقًا من سارة إسحاق -عليه السلام- الذي أنجبَ يعقوب -عليه السلام-. ومن يعقوب -عليه السلام- جاء بنو إسرائيل الذين فَشَتْ فيهم النبوّة.

جاء عامّة الخبر التاريخيّ التوراتيّ للآباء في سفر التكوين 11 - 49. ويشابه خبرُ إبراهيم -عليه السلام- وبنيه في الكتاب المقدس خبرهم في القرآن في عددٍ من الأمور الكبرى، خاصة العلاقة النّسبيّة بين الآباء، ودعوتهم إلى التوحيد، وبعض الأُطر الجغرافية للأحداث، وإن كان في الكتاب المقدس وفرة من التفاصيل الكثيرة التي لا مقابل لها في الآيات القرآنية.

نقرأ في سفر التكوين عن تارح والد إبراهيم -عليه السلام- (11/ 27)، ووفاته ودفنه (25/ 7 - 10)، وترك إبراهيم -عليه السلام- والده ومسقط رأسه (12/ 1)، وإقامته في مصر وجرار (12/ 10 - 20 ؛ 20/ 1 - 18)، ومعركته مع الملوك (14/ 1 - 16)، ولقائه بملكي صادق (14/ 17 - 20)، وعهد الله معه (15/ 7 - 21 ؛ 17/ 2، 4)، وعلاقته بهاجر وميلاد إسماعيل (16/ 1 - 15)، ووصيّة الختان لإبراهيم ونسله (17/ 9 - 14)، والبشارة بميلاد إسحاق (17/ 15 - 21)، وولادة إسحاق (21/ 1 - 7)، وتقدمة إسحاق (22/ 1 - 19) وموت سارة ودفنها (23/ 1 - 20)[1]. وأمّا خبر إسماعيل؛ فقد جاء مقتضبًا.

حفظ التراث اليهوديّ الشفهي بعض الأخبار المتعلقة بالآباء خارج الكتاب المقدس الحالي، ومنها قصّة كسر إبراهيم -عليه السلام- للأصنام، وقوله إن كبير الأصنام قد كسر الأصنام الأخرى، وإلقاء إبراهيم -عليه السلام- في النار، كما في الفصل 38 من تكوين ربا בְּרֵאשִׁית רַבָּה.

---

(1) Abram, art. Gerald F Hawthorne, et al., eds, *Dictionary of Paul and his letters* (Inter - Varsity Press, 2020).

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب – عليهم السّلام–

العناصر التاريخية في قصّة إبراهيم -عليه السلام- وبنيه القرآنيّة، هي بالأساس:

- إسحاق ويعقوب – عليهما السلام – من نسل إبراهيم -عليه السلام-: قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾(الأنبياء/ 72).
- عاش إبراهيم -عليه السلام- في عصر لوط -عليه السلام-: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾. (هود/ 69 – 70).
- عاش إبرهيم -عليه السلام- في مكان قريب من القرية التي سكنها لوط -عليه السلام-: قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (العنكبوت/ 31 – 32).
- زيارة إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – مكّة حيث رَفَعا قواعد البيت الحرام: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا

مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾. (البقرة/ 125 - 128)

- دعاء إبراهيم الناس في زمانه أن يحجّوا إلى الكعبة: قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج/ 26 - 29].

- حاور إبراهيم -عليه السلام- ملك البلاد التي كان يعيش فيها، في توحيد الله: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (البقرة/ 258).

- والد إبراهيم -عليه السلام- كان عابدًا للأصنام: قال تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ (الأنعام/ 74). وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ (الأنبياء/ 52 - 54).

- كان قوم إبراهيم -عليه السلام- يعبدون الأفلاك، وفي ذلك ناظرَهُم إبراهيم -عليه السلام-: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ

بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأنعام/ 75 - 79).

- أُلقي إبراهيم -عليه السلام- في النار، عقوبةً له من قومه أنه فارقَ عبادتهم الوثنيّة؛ فنجّاه الله منها: قال تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾(الأنبياء/ 68 - 70).
- هجرة إبراهيم ولوط - عليهما السلام - إلى الشام (كنعان)، الأرض المباركة: قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾(الأنبياء/ 71).
- كان إبراهيم سيذبح ابنه اختبارًا من الله: قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (الصافات/ 99 - 108).
- كانت لإبراهيم -عليه السلام- صحفٌ من الوحي: قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (الأعلى/ 16 - 19).
- ولد لإبراهيم إسحاق، ومن إسحاق جاء يعقوب. وكلُّهم من الأنبياء: قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ (هود/ 71)، وقال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ (مريم/ 49).

- آتى الله يعقـوب -عليه السـلام- ذريّـة، منها يوسـف -عليـه السـلام-: قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (البقرة/ 132 - 133).

ليس في العناصر السابقة شيء مما أقام عليه المشككون إنكارهم لتاريخية إبراهيم -عليه السلام- وبنيه. والأعجب من ذلك أنّ حماسة أهل التشكيك موهمة أنّ وراء هذه الريبة دعائم من كشوف تاريخية تثبت أنّ أبا الأنبياء وبنيه مجرّد أُسطورةٍ. فما حقيقة الأمر؟ وهل هناك قرائن تاريخية على خرافية شخصيات الآباء؟ وهل في التاريخ قرائن على وجودهم؟

المطلب الأول: أسباب التشكيك في وجود الآباء

كان المزاج العامّ حتى ثلاثينات القرن الماضي التشكيك في الوجود التاريخي للأنبياء، متعاطفًا مع التيار «العقلاني» للقرن التاسع عشر النَّزّاع لنسبة عامّةِ أخبارِ الأديان إلى الخرافة والأساطير. وقد ذهب بعضُ كتّاب تلك الفترة إلى الزعم أنّ هذه الأسماء هي في حقيقتها أسماءُ آلهةٍ، ومنهم من خَصّص؛ فقال: إنّها آلهةٌ كنعانيّةٌ.

وقد كانت الحفريات في فلسطين وبلاد الرافدين، مصدرًا لقراءةٍ جديدة؛ فقد وفّرتْ ألواح ماري أسماء مشابهةً لأسماء الآباء في المكان والزّمان اللَّذَيْنِ عاش فيهما إبراهيم -عليه السلام-، في حين وفّرت ألواح نوزي معلوماتٍ عن عاداتٍ وقوانينَ مشابهةٍ لما في قصص الآباء في التّوراة. وقد أقام عددٌ من كبار الأركيولوجيين مثل ويليام فوكسويل ألبرايت وسايروس غوردون ورولون دو فو دفاعهم عن تاريخية الآباء على هذه الآثار.

وفي بدايات سبعينيات القرن الماضي، ظهرت كتابات توماس تومسون وفان سيترز، في تحدٍّ مباشرٍ لأطروحة أولبرايت ومن معه.. وعُمدة هذه المعارضة أنّ المشابهات التي ساقها أولبرايت وغيره لها نظيرٌ في منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد. لم تُثبت تلك المعارضات أنّ الآباء لم يوجدوا، وإنّما أثبتتْ أنّ قصص الآباء قد دُوّنت في سِفر التكوين في الألفية الأولى قبل الميلاد؛ بما يظهر من آثار ذاك العصر في قصص الألفية الثانية قبل الميلاد.

لم تتعلّق أطروحة تومسون بإثبات أنّ الشاهد الأركيولوجيّ قد أثبتَ أنّ إبراهيم -عليه السلام- وبنيه - عليهم السّلام - خرافةٌ، على خلاف ظنّ دُعاةِ الإلحاد الشعبي. يقول هوفماير: «لا يَعتقِدُ أيُّ عالم آثارٍ جادٍّ أنه سيتمُّ العثور على دليل أثريٍّ مباشر يمكنه التحقّق من تاريخيّة إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أو أنّ يعقوب وعشيرته قد انتقلوا إلى مصر». [1].

لم يملك الآباء في القرآنِ دولةً، ولا كان لهم سلطانٌ عظيمٌ على جماعةٍ واسعةٍ من الناس، ولم يُعرف لهم أثرٌ عمرانيٌّ إلّا الكعبة التي أقام إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - قواعدها. وقد حفظ العرب نسبتهم إلى إبراهيم، وبنائه الكعبة[2]، كما حفظ بنو إسرائيل انتسابهم إليه. واتهامُ أُمّتَيْنِ ليس بينهما ائتلافٌ على مدى التاريخِ المعلوم لنا أنهما اخْتَلَقَتا شخصية إبراهيم -عليه السلام- من العَدَمِ، ليس من هَيِّن الدّعاوى، خاصّةً وقد أثبتتْ تحاليلُ الحمض النوويّ الصبغيّ أنّ العرب والإسرائيليّين (نسبة إلى بني إسرائيل لا إلى الأخلاط الذين يعيشون في فلسطين

---

(1) James Hoffmeier, 'The Exodus and Wilderness Narratives,' in *Ancient Israel's History: An Introduction to Issues and Sources*, eds., Bill Arnold and Richard Hess (Grand Rapids, MI: Baker, 2014), p.50.

(2) الجدل التاريخي في وجود مكة - كما يثيره بعض الكتّاب - لا اعتبار له هنا؛ لأنّ القرآن لم يزعم أنّ مكة كانت مأهولة عصر إسماعيل - عليه السّلام - ؛ يقول إبراهيم - عليه السّلام -: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾(إبراهيم/ 37).

المحتلّة) يعودون إلى أَصْلٍ واحدٍ منذ زمن ليس بعيدًا، عاش في الشام[1].

وإصرار تيّار «الحدّ الأدنى» على ردّ قصص الآباء إلى القرن السادس قبل الميلاد أو ما قاربه، معارَضٌ بأنّ قصص الآباء تخالِفُ في جنسها الأساطير القديمة السائدة في الشرق الأدنى القديم، فليست فيها أخبارُ الصّراع مع الآلهة أو البطولات الخارقة الناقضة للطبائع البشرية للأبطال كليّة. هي قصصٌ من جنس الأحداث العادية للتاريخ، فيها زواجٌ وسَفَرٌ، وغَيْرةٌ، وأمل، وشِدّة وفَرَجٌ. هي أحداث قد تقع في أي عصرٍ قديم لكثيرٍ من الناس - باستثناء دعوى النبوة -. وهذا ملحظ مهم جدًّا في قصصٍ تُعتبر مؤسسة لأمّة بني إسرائيل؛ إذ إنّ قصص النشأة للأباطرة والقادة في الشرق الأدنى عادة ما تكون مغموسة بالأساطير والعجائب المهيمنة على طبقات الخبر الأوّل.

المطلب الثاني: عصر إبراهيم -عليه السلام-

ليس في القرآن نصٌّ متعلق بزمن إبراهيم -عليه السلام- سوى أنه عاش قبل حفيده يوسف -عليه السلام- ببضعة أجيال. وهذا لا يربطه بأثرٍ تاريخيٍّ خارجيٍّ معلومٍ من الممكن إدراكه اليوم. وأمّا التوراة؛ فتقرّب لنا زمن إبراهيم -عليه السلام- من خلال الإخبار أنّ بني إسرائيل (=من زمن يوسف -عليه السلام-) قد مكثوا في مصر قبل رحلة الخروج منها مع موسى -عليه السلام- 430 سنة؛ وهو ما يضع إبراهيم -عليه السلام- وبنيه في النصف الأوّل من الألفية الثانية.

ونحن اليوم نملك مادة تاريخية جيّدة تعود إلى زمنٍ قريبٍ من الزّمنِ الافتراضيِّ للآباء، تتضمّنُ آثارًا تتحدّثُ عن ثقافة العصر وعاداته. وأشهر هذه النصوص، النصوص المكتشفة في ماري، في بلاد الرافدين، ونصوص مدينة نوزي الحورية

(1) Ann Gibbons, 'Jews and Arabs share recent ancestry, *Science Mag*, Oct. 30, 2000 < https://www.sciencemag.org/news/2000/10/jews - and - arabs - share - recent - ancestry>.

(أيضًا في بلاد ما بين النهرين) ومدينة أوغاريت الكنعانية الشمالية (القرنان الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد). وقد أظهر البحث الأركيولوجيُّ وجود أسماء مشابهة لأسماء الآباء في هذه المناطق، بالإضافة إلى أعراف وقوانين مشابهة لما جاء في قصص الآباء[1].

وقد اجتهد أنصار مدرسة «الحد الأدنى» في ردّ التشابهات التي ساقها أولبرايت مع النصف الأول من الألفية الثانية؛ بردّها إلى عصرٍ قريب من السَّبْيِ؛ بمقارنتها بمعارف منتصف الألفيّة الأُولى. ورغم أنّ عددًا مهمًّا من التشابهات التي ساقها أولبرايت متكلَّفةٌ أو شائعة في أكثرَ من عصرٍ، إلّا أنَّ نَسْفَ كلّ التشابهات المتميزة بين النصف الأول من الألفية الثانية وسفر التكوين، ليس علميًّا.

ومن مظاهر التكلّف الشديد لردّ قصص الآباء إلى منتصف الألفية الأولى، زعم جون فان سيترز أنّ ظاهرة الخيام في قصص الآباء تعكس ظاهرة هجرة العرب في الألفية الأولى[2]. وهو زعمٌ قد ردّ عليه كثيرٌ من الباحثين بالأدلة التاريخية الصارخة، ومنهم جيمس هوفماير الذي ساق شهاداتٍ تاريخيّةً كثيرةً من مصر، من المئة الثامنة قبل الميلاد إلى القرن العشرين قبل الميلاد[3]. وممّا ساقَهُ أنّ تحتمس الثالث لمّا هزمَ الائتلاف الكنعانيّ في مجدو، أَخَذَ أَعمدةَ الخِيام من أعدائه. وهوما يُظهر أنّ الخيام كانت مستعملة في الشام[4]. كما كتبَ عالم الآشوريات وايزمان أنّ آثار بلاد الرافدين تُظهر أنّ الخيام كانت معروفة كثيرًا في مصادر الألفية الثانية قبل الميلاد[5].

ورغم أنّ هذه التشابهات المثيرة التي ساقها أولبرايت وتلاميذه قد ضعفت دلالتها

---

(1) W. A. Elwell & B. J. Beitzel, *Baker encyclopedia of the Bible*, p.1620.

(2) John Van Seters, *Abraham in History and Tradition* (New Haven: Yale University Press, 1975), pp.14, 38, 310.

(3) James Hoffmeier, 'Tents in Egypt and the Ancient Near East,' *JSSEA* 7, no. 3 (1977): 13-28.

(4) Ibid., p.14.

(5) Donald Wiseman, 'They Lived in Tents,' in *Biblical and Near Eastern Studies: Essays in Honor of William Sanford Lasor*, ed. Gary Tuttle (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1978), pp.195-200.

على إثبات أنّ النص التوراتي ينقل حصرًا تراثًا من عصر الآباء، إلّا أنّها مع ذلك لم تفقد دلالتها على أنّ التراث التوراتي اليهودي لم يعارض مكتشفاتنا عن العصر الافتراضي لعصر إبراهيم -عليه السلام- وبنيه.

ثم إنّ البحث التاريخي قد أثبت أن بعض التشابهات بين قصص الآباء في التوراة وعصرهم الافتراضي لا تعكس طبيعة الألفية الأولى قبل الميلاد، ومنها ما جاء في الفصل الرابع عشر من سفر التكوين من أنّ إبراهيم -عليه السلام- وخمسةَ ملوكٍ كنعانيّين قد خاضوا حروبًا عند البحر الميت ضدّ تحالفٍ لأربعة ملوكٍ من عيلام وبلاد الرافدين وجنوب الأناضول.

إذ إنّه في أواخر الألفية الثالثة قبل الميلاد، سيطرتْ على بلاد الرافدين لفترة من الزمن قوّةٌ واحدة، هي سلالة أُور الثالثة. وقد أطاحت عيلام بهذه السّلالة في حوالي عام 2000 قبل الميلاد. ولمدة 250 عامًا بعد ذلك لم تكن هناك قوّةٌ واحدةٌ تحكم في بلاد الرافدين الكبرى، من أُور إلى كركميش. وإنما عرفت المنطقة ظهور مجموعة قوى كبرى وصغرى تتقاسم السّلطة، وتتنازع فيما بينها، ويتحالف فريق منها ضد آخر.

وهو ما يظهر - مثلًا - في الرسالة التي كتبها إتور أسدو -حاكم ماري - حوالي سنة 1770 ق.م؛ إذ كتب: «لا يوجد مَلِكٌ قويٌّ وحدَهُ. عشرة ملوك إلى خمسة عشر ملكًا يتبعون حمورابي رجل بابل. وكذلك رِم سِين رجل لارسا. وأيضًا إبال بي إيل رجل إشنونة، وأيضًا أموت بي إيل رجل قطنا. وعشرون ملكًا يتبعون يريم ليم رجل يمحاض»[1]. كما جاءت الإشارات المتكررة في وثائق أخرى كثيرة لتلك الفترة إلى تحالفات بين أربع أو خمس قوى[2].

(1) James B. Pritchard, *Ancient Near Eastern Texts*, p. 628.

(2) See Kitchen, *Ancient Orient and Old Testament*, pp. 45ff.; for more details, see D.O. Edzard, *Die "Zweite Zwischenzeit» Babyloniens* (Wiesbaden: Harrassowitz, 1957), pp. 105-108, 121, 155-160,

ومنذ - حوالي - القرن الثامن عشر قبل الميلاد تغيّر الوضع جذريًا في بلاد ما بين النهرين؛ فقد أنهتْ انتصارات حمورابي ملك بابل وشامسي آداد الأول عهد التحالفات المتنافسة، واختفت كليّة العديد من القوى الصغيرة في بلاد ما بين النهرين، وسيطرت على الأرض قوتان فقط، آشور وبابل. وأما في الشمال - في الأناضول - ؛ فقد تم استيعاب الزعماء والحكام في المملكة الحثّيّة التي هيمنتْ على المنطقة حتى حوالي 1200 قبل الميلاد.

لاحقًا، خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، سيطرتْ على بلاد الشام دول الآرامية والحثية الجديدة في الشمال، وإسرائيل (فيما بعد إسرائيل ويهوذا) والفلسطينيون في الجنوب، والفينيقيون على طول الساحل، وفي فترةٍ ما عمون وموآب وأدوم شرقي الأردن. ثم خضع الجميع لسلطان آشور المتزايد، وفي معظم الحالات اختفوا سياسيًّا بعد أن نجحتْ بابل ثم الإمبراطوية الفارسية في بسط سلطانها على الأرض.

وما سبق دالٌّ أنّ خبر الفصل 14 من سفر التكوين لا يوافق غير بداية الألفية الثانية حيث المجال لأن توجد تحالفات ظرفيّة بين قوى صغرى في بلاد الرافدين، وأن تشارك عيلام بقوّةٍ في شؤون الشام؛ إذ كانت ترسل رسلها إلى أكثر من منطقة في الشام، وقد ذكر ملك عيلام أنه قد عقد تحالفًا عسكريًا في منطقة الشام في تكوين 14/ 5 - 6 [1].

المطلب الثالث: أسماء الآباء

يُقرّ القائلون بخرافيّة شخصيّات الآباء أنّ أسماءهم كانت شائعة في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. وقد احتجّ المنتصرون لتاريخيّتهم بذلك، غير أنّ المخالفين قالوا إنّ هذا الجنس من الأسماء وُجد لاحقًا. فكان الردّ أنّ هذه الأسماء (إسماعيل

---

(1) Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?» *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 48, 50, 52-57, 88, 90, 92, 94. 181-182.

وإسحاق ويعقوب ويوسف) كلّها تبدأ بحرف الياء في اللغة الأصل (يشماعيل יִשְׁמָעֵאל، ويصحاق יִצְחָק، ويعقوب יַעֲקֹב، ويوسيف יוֹסֵף)، ويُسمّيها علماء اللغات السامية الشمالية الغربية: أسماء «العمّورية غير التامة[1]»[2]. وهي ظاهرة معروفة في أرشيف ماري في القرون المبكرة للألفية الثانية قبل الميلاد وفي الألفية الثالثة في إبلا - مثلًا -. كما نعلم وجودها بكثافة في بداية الألفية الثانية؛ فمن بين 6000 اسم من بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، 16 ٪ منها (قرابة 1369 اسم علم) يبدأ بياء الأسماء غير التامة العمورية.

ثم نحن إذا اقتربنا من العصر البرونزي المتأخر (آخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد)؛ فسنلاحظ التقلّص الهائل لهذا الجنس من الأسماء؛ ففي أوغاريت، من بين 1860 اسمًا مكتوبًا بالحروف الألفبائية، لم نجد سوى 40 اسمًا عموريًّا غير تام، بما يُساوي فقط 2 ٪، ومن بين 4050 اسمًا مكتوبًا بالمقاطع، 120 منها فقط وُجد، أي 3 ٪ فقط.

والأمر في العصر الحديدي لاحقًا، سيّئ أيضًا، فمن بين كل الأسماء الفينيقية، لا تمثّل ظاهرة الأسماء العمّورية غير التامة سوى 6 ٪ من مجموع الأسماء. والأمر قريب من ذلك في الآرامية. وفي المصادر الآشورية من الألفية الأولى قبل الميلاد، لا توجد الأسماء العمّورية غير التامة في 5000 اسم سوى في عشرات منها.

وخلاصة الأمر أن شيوع ظاهرة الأسماء العمّورية غير التامة في قائمة أسماء الآباء (باستثناء إبراهيم -عليه السلام-) يوافق بوضوح العصر المفترض للآباء أكثر من العصور الأخرى[3].

كما أنّ عددًا من أسماء قصّة الآباء كان معروفًا في النصف الأول من الألفية الثانية،

---

(1) ما يقابل ياء المضارع العربية التي تُستعمل للفعل الذي لم يتم وينقضي.

(2) Amorite imperfective

(3) See Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?» *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 90 - 92.

ومنها اسم يعقوب الوارد كأحد الحكام الهكسوس في مصر، وكاسم لإحدى المناطق التي استولى عليها تحتمس الثالث في كنعان، ولا يظهر الاسم في الألفية الأولى قبل الميلاد[1].

كما أنّ القائمة الطبوغرافية التي تعود إلى شيشنق الأول فرعون مصر في 925 ق.م تَذْكُر «منطقة أبرام». ورغم أنّ هذا النص من الممكن أن يُقرأ «منطقة فحول الخيل»، إلا أنّ هذه المنطقة لم تشتهر بالخيل؛ ولِذا يُرجّح - دون جزم - أنّ هذه المنطقة - التي حدّدها العلماء أنها النجف - تشير إلى إبراهيم -عليه السلام-، خاصة أنّه قد جاء في سفر التكوين 12/ 9، 13/ 1، 3، 20/ 1 أنّها كانت إحدى المناطق التي أوى إبراهيم -عليه السلام- إليها[2].

المطلب الرابع: رحلات إبراهيم -عليه السلام-

ذكر المفسّرون - بالنظر في الآيات القرآنية والأحاديث - أنّ إبراهيم -عليه السلام- قد انتقل من العراق إلى كنعان، ومن كنعان إلى أرض مصر، ومن أرض مصر إلى الحجاز حيث رفع قواعد الكعبة.

وأما في التوراة: فالصُّورة العامّة أنّه قد انتقل من أُور الكلدانيين إلى حاران (تكوين 11/ 27 - 31)، وأقام في حاران حيث مات والده (تكوين 11/ 31 - 32)، ثم رحل إلى أرض كنعان (تكوين 12/ 1). وقد أقام في أوّل أمره في شكيم (تكوين 12/ 6)، ثم ذهب إلى بيت إيل (تكوين 12/ 8)، وبعده أرض الجنوب (تكوين 12/ 9)، وعندما وقعت مجاعة انتقل إلى مصر (تكوين 12/ 10)، ثم عاد إلى أرض الجنوب في فلسطين، واستمرّ في الانتقال من مكان إلى آخر في أرض كنعان...[3].

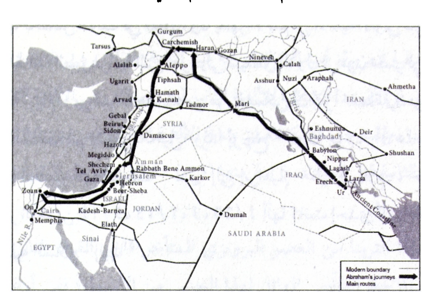
---

(1) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.58.

(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.313.

(3) انظر بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص9 - 11.

خريطة سفر إبراهيم -عليه السلام- في الكتاب المقدس[1]



وليس في رحلة إبراهيم -عليه السلام- من بلاد الرافدين إلى الشام فمصر ثم الحجاز، ما يُخالف ثقافة العصر؛ فقد كانت الحركة بين هذه البلاد قائمة. ولم يُظهر أيُّ مخالفٍ حُجّةً جادّة لنقضها. وأمّا سَفَرُ إبراهيم عليه السّلام إلى الحجاز؛ فهو بأمرٍ من الله - سبحانه - له حتّى يرفعَ قواعد الكعبة. ولا يمنعُ افتراضُ عدمِ سَفَر الناس من مصر إلى الحجاز في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد - جدلًا -، أن يكون إبراهيم قد خالف تلك العادة، ائتمارًا بأمر الله.

المطلب الخامس: سكن الآباء في الدلتا

نصّت التوراة على أنّ يعقوب -عليه السلام- لمّا دخل مصر، استوطن أفضل منطقة فيها، وهي جاسان גשן [جوشِن]؛ فقد قال حاكم مصر ليوسف -عليه السلام- عن أبيه وإخوته القادمين من كنعان: «أَرْضُ مِصْرَ قُدَّامَكَ. فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ أَسْكِنْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ، لِيَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَهُمْ ذَوُو قُدْرَةٍ،

(1) N. Sarna, 'Abraham', in Fred Skolnik, *et al.*, eds. *Encyclopaedia Judaica* (MI: Keter Publishing House, 2007), 1/281.

فَاجْعَلْهُمْ رُؤَسَاءَ مَوَاشٍ عَلَى الَّتِي لِي» (تكوين 47/ 6). وتقع جوشن شرقي دلتا النيل، وتُعرف اليوم بالشرقية الممتدة من جوار أبي زعبل إلى البحر، ومن بريّة جعفر إلى وادي توميلات[1].

وذاك يتوافق مع علمنا أنّه منذ القرن 20 إلى القرن 17 ق.م كان للحكم الفرعونيّ حضورٌ ملكيٌّ في جاسان شرقي دلتا النيل. وأمّا قبل ذلك، في المملكة القديمة؛ فقد كانت بنايات الفراعنة بعيدةً، تبلغ منطقة بوباستس (تل بسطة).

ولما أخذ الهكسوس مصر في القرنين 17 و16، أخذوا العاصمة المصرية القديمة في شرق دلتا النيل وأعادوا بناءها كعاصمة صيفيّةٍ لهم، واسمها أفاريس. ولما استعاد المصريون الحكم من الهكسوس إبّان حُكْمِ الأُسرة 18، لم يتّخذوا في منطقة الدلتا إقامة ملكية لهم باستثناء الفرعون حورمحب (1327 - 1295 ق.م) الذي كان آخر فراعنة الأسرة، فإنه أظهر اهتمامًا بتجديد معبد الإله ست في أفاريس. وأمّا الأسرة التاسعة عشر (التي ظهر أثناءها موسى -عليه السلام-) فقد حوّلت العاصمة إلى بر-رمسيس شرقي الدلتا. وفي القرن الثاني عشر، بعد زمن رمسيس السادس، تم هجر بر-رمسيس.

وما سبق يتوافق مع ما جاء في خبر التوراة اليهودية في شأن أهمية منطقة الدلتا في عصر الآباء وزمن رمسيس الثاني، وليس هو من ثقافة القرن السادس قبل الميلاد وما قاربه، على مذهب مدرسة «الحد الأدنى»[2].

المطلب السادس: غياب اسم الإله بعل

من الأمور اللافتة في نصّ سِفر التكوين استعمال كلمة إيل אל - بمعنى إله - في كثير من النصوص المتعلّقة بأسماء الأشخاص والأماكن والمواضع بتكرار مكثّف غير مألوفٍ في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص242.

(2) Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?» *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 57 - 59.

ويلفت الناقد التوراتي الليبرالي المعروف ناحوم سارنا[1] إلى الدلالة التاريخية لهذا الأمر؛ بقوله: «يبدو أن الغياب الكامل لاسم بعلٍ من سفر التكوين كاسم إلهيٍّ أو شخصيّ - على خلاف اسم إيل المستخدم باستمرار - يشير مرة أخرى إلى أن تراث الآباء يَسبِقُ منتصف الألفية الثانية عندما كان بَعْلُ شخصيّة مهمّةً في الدّيانة الكنعانيّة»[2].

الخلاصة:

- علم الأركيولوجيا غير مؤهل - ابتداء - للبحث في الوجود التاريخي لإبراهيم وبنيه - عليهم السّلام - ؛ لأنّ طبيعة الآثار التي من الممكن أن تدلّ على وجودهم لا تلتقي مع قلّة عددهم، وطبيعة حياتهم البسيطة.
- ليس في الخبر القرآني عن الأنبياء الآباء ما يُعارض حقيقةً تاريخية قطعيّةً.
- التراثان الإسرائيلي والعربي القديم السابقان للإسلام يشهدان لتاريخية إبراهيم وبنيه - عليهم السّلام-.
- قول فراس السواح إنّ الكشف عن معالم تحرير سفر التكوين في الألفية الأولى قبل الميلاد «لا يؤدّي بنا إلّا إلى إسقاط عصر الآباء تمامًا من مرتبة التاريخ، وجعله في زمرة الملاحم الشعبيّة والقصص البطولي المعروف في تراث كلّ الشعوب»[3] فيه عدوانٌ على القرآن بجريرة التوراة، وخلطٌ بين زمن تحرير القصّة في زمنٍ متأخر، وصحّة الخبر الأوّل؛ فإنّ القصص القديم المتوارث على مدى قرونٍ لأمّةٍ من الأمم، قد يُكتب خَبَرُه لاحقًا؛ ولا يكون

(1) ناحوم سارنا Nahum Sarna (1923 - 2005): ناقد توراتي درّس في عدد من الجامعات الأمريكية. اشتهر بتعليقه على سفرَي التكوين والخروج ضمن سلسلة: JPS Torah Commentary.

(2) Nahum M. Sarna, "The Last Legacy of Roland de Vaux," *Biblical Archaeology Review*, vol. 6, no. 4 (July - August 1980): 18.

(3) فراس السواح، آرام دمشق، ص52.

التوثيق الكتابيّ المتأخّر حجّة لنسفِ تاريخية القصّة. كما أنّ قصص الآباء بعيدةٌ عن نسق الملاحم القديمة - كما هو معلوم -، وإنّما فيها طبائع بشريّةٌ مألوفة ومعالم تاريخية خاصة ببداية الألفية الثانية قبل الميلاد.ولذلك قال كنث كتشن: «السّمات الرئيسة للروايات الآبائية هي إمّا أن تكون منسجمة بوضوح مع عصر النصف الأول من الألفية الثانية، أو متّفقة مع مثل هذا التاريخ»[1].

- أسماء إبراهيم وبنيه - عليهم السّلام - مألوفة بصورة خاصة في النصف الأول من الألفيّة الثانية قبل الميلاد.
- أسفار إبراهيم وبنيه - عليهم السّلام - لا تُعارض حقيقة تاريخية، بل التاريخ يشهد للحركة الواسعة للساميين في منطقة الهلال الخصيب والشام والجزيرة العربية.

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.372.

الفصل الرابع
الوجود التاريخي للوط -عليه السلام-

المبحث الأول: لوط -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

لوط -عليه السلام-، قريب إبراهيم -عليه السلام-. نبيّ ابتُليَ بقومِ أهلِ فجورٍ وفسوق بالغَيْنِ؛ فقد كانوا يزهدون في الزواج، ويأتون الشذوذ الجنسي، علانِيَةً، دون حياء.

أَبَى قوم لوط -عليه السلام- ترك جرمهم، بل أوغلوا فيه، وأنكروا على لوط ومن معه من المؤمنين طهارتهم؛ حتى طلبوا إخراجهم من أرضهم. وقد جاؤوه يومًا عندما رأوا عنده ضيوفًا، يطلبون فعل الفاحشة بهم. وكان هؤلاء الضيوف ملائكة في صورة بشر.

أمرت الملائكة لوطًا أن يُغادر المدينة ليلًا وأهله، وأخبرته أنّ العذاب سيحلّ بقومه وزوجِه صباحًا. ولما أصابهم العذاب؛ قُطِع دابِرُهم؛ فقد أمطرت عليهم السماء حجارةً شديدة صُلْبَةً، وقُلبت الأرض بزلزالٍ شديد جعل عاليها سافلها.

وقد جاء خبر لوط -عليه السلام- مختصرًا في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (النمل/ 54 - 58).

تُشابه القصّة التوراتية (الواردة في سفر التكوين 12 - 19) للوطِ -عليه السلام- القصّة القرآنية في عناصرها الكبرى في شأن مُعاصرة لوطٍ -عليه السلام- لإبراهيم

-عليه السلام- (هو ابن أخي إبراهيم -عليه السلام-)، وإتيان قومه الفاحشة، ونزول العقوبة المهلكة بقومه.

وقد وردت في الخبر التوراتي تفاصيلُ لم ترد في النص القرآني؛ كَرَعْيِ إبراهيم ولوط - عليهما السلام - في أرضٍ واحدة، ثم افتراقهما بعد ذلك بسبب اقتتال رعاتهما بسبب المرعى، وفِكاكُ إبراهيم -عليه السلام- أَسْرَ لوط -عليه السلام- بعد غزو كدرلعومر وحلفاؤه سدوم وعمورة، وزنا لوط -عليه السلام- بابْنَتَيْهِ، وإنجابه الموآبيّين والعمونيّين منهما؛ أعداء بني إسرائيل لاحقًا!

المبحث الثاني: الوجود التاريخي للوط -عليه السلام-

التفاصيل التاريخية التي تقبل النظر الأركيولوجيّ في قصّة لوط -عليه السلام-، قليلة؛ من الممكن إجمالها في المسائل التالية:

- عاش لوط في عصر إبراهيم -عليهما السلام-.
- خرج لوط -عليه السلام- من أرضه (العراق) إلى أرض الشام (كنعان) المباركة: قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الأنبياء/ 71).
- شاع في قوم لوط -عليه السلام- فِعْلُ الذُّكور الفاحشة في بعضهم، مع منكراتٍ أُخرى: قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (العنكبوت/ 28 - 29).
- عُوقِب قوم لوط -عليه السلام- بخسف الأرض بهم، وبحجارةٍ غزيرة من السماء: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود/ 82 - 83).

وقد علمنا في الفصل السابق أنّ لوطًا -عليه السلام- في القرآن معاصر لإبراهيم -عليه السلام-. وأمّا أرض قومه فليس في القرآن تصريح بها، وإن كان يظهر أنّ قريشًا زمن البعثة كانت تعرف أنّها تقع في الشام. فقد قال تعالى لمشركي قريش: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (الصافات/ 137)؛ فإنّ من أعظم رحلات قريش، رحلتهم إلى الشام كلّ سنة.

والقول إنّ عدم العثور على خبر لوط -عليه السلام- بالاسم؛ سببٌ لنفي وجودِه، باطلٌ؛ لأنّ خبر لوط -عليه السلام- ليس مما يمتنع في مجرى العادة أن يُطوى خبره؛ إذ لم يكن -عليه السلام- حاكمًا لدولة عظمى، فهو -عليه السلام- داعيةُ توحيدٍ سار بين الناس مشافهًا لهم، داعيًا إلى الطّهارة في أهل الشذوذ الذين استضعفوه؛ حتّى إنّهم لم يجدوا حرجًا في الدعوة إلى طرده من قريتهم.

وليس من العقل أن يطمع خصوم القرآن والكتاب المقدس من الأركيولوجيين في العثور على وثيقة أو نقش يذكر لوطًا -عليه السلام- ؛ إذ إنّ القصّة تخبر عن هلاك قرية لوط كليّةً، وانقلاب الأرض. ولا يبقى في خبر القرآن عن قوم لوط -عليه السلام- مما يقبل الفحص الأركيولوجي، سوى دمار أرضهم بالخسف والحجارة الممطرة عليهم. والعثور على آثار ذلك فرع عن العلم بأرض العذاب تحديدًا.

وهنا يقول المخالفون إنّنا لم نعثر على اسمَي مدينتَي سدوم סְדֹם وعمورة עֲמֹרָה في الآثار، ولا عثرنا على آثار الخسف والحجارة التي من السماء في المناطق الأردنية التي يُقال إنّها سدوم وعمورة القديمتان؛ فإنّ سدوم وعمورة تقعان في الأردن: «وَكَانَت تُخُومُ الْكَنْعَانِيِّ مِنْ صَيْدُونَ، حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ جَرَارَ إِلَى غَزَّةَ، وَحِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُويِيمَ إِلَى لاَشَعَ» (تكوين 10/ 19).

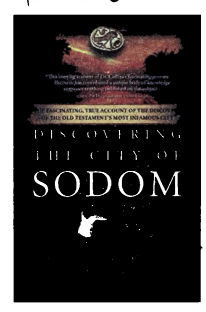
والجواب من ثلاثة أوجه:

أولًا: لم يذكر القرآن الاسمَيْنِ في آياته؛ وإنما جاء في سفر التكوين 19/ 24 - 25: «فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتِ الأَرْضِ». ولذلك فلا حجّة للمخالف هنا؛ إذ لا يُحاكم صدق الخبر القرآني إلى تقريراتٍ لم ترد فيه.

ثانيًا: الحديث عن تاريخية سدوم وعمورة لم تُقَلْ فيه الكلمة الأخيرة. ولا جدال أنّ منطقة البحر الميّت وما جاورها لم يستوفِ البحث الأركيولوجيّ مسحها بعمق. وما

الكشف عن آثار تل الحمام، إلّا برهان على خفاء بقايا التاريخ في الأرض المتاخمة للبحر الميت؛ فقد نشر (Steven Collins) من - Trinity Southwest University - كتابه « Discovering the City of Sodom» حيث لخّص جهوده وفريق التنقيب معه في منطقة تل الحمام حيث كشف عن مبان لمدينة قديمة من العصر البرونزي، وهي مدينة - كما يقول - مطموسة مجهولة لا تذكرها الخرائط القديمة. وقد توقفت فيها الحياة منذ منتصف العصر البرونزي فجأة[1]. ونحن وإن كنّا لا نوافقه - حتّى هذه اللحظة - مذهبه أنّ هذه المنطقة هي سدوم؛ إذ لا يظهر بما فيه الكفاية أنّها أرض مخسوفة - وإن كان فيها حطام دمار تحول إلى مصفوفة رمادية داكنة، وأوان فخارية ذائبة، وأحجارُ أساسات محترقة - [2]؛ إلّا أنّ الكشف المفاجئ عنها دالٌّ على أنّ البحث الأركيولوجي لا يزال عاجزًا عن استيفاء العلم بتاريخ تلك المنطقة من الأردن الحديث.

غلاف كتاب كولنز
الكشف عن مدينة سدوم



(1) الموقع الرسمي للحفرية وأخبارها:
< https://tallelhammam.com/>.

(2) Steven Collins, 'Where Is Sodom?', *Biblical Archaeology Review* 39.2 (2013): 33-38, 40-41, 70.

ثالثًا: مع التسليم أنّ منطقة هلاك قوم لوط -عليه السلام- هي سدوم وعمورة، وأنّ هاتين المدينتين في منطقة البحر الميت في الأردن، لنا أن نقول إنّ طبيعة العقوبة تستوجب أنّ هذه المنطقة مطمورة تحت التراب أو الماء. قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٣٥﴾ (العنكبوت/ 35): «يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فَعْلتنا التي فَعَلْنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة، (لِقَومٍ يَعْقِلُونَ) عن الله حُجَجه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي عُفُوُّ آثارهم، ودروس معالمهم»[1]. ويدعم هذا التفسير أن الله - سبحانه - قد جعل عالي الأرض سافلها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢﴾ (هود/ 82). عِلمًا أنّ أهم النظريات الحديثة لمكان سدوم أنها واقعة تحت مياه الجهة الجنوبية للبحر الميت. وقد أشار أصحاب هذه النظرية إلى أنّ البحث الأركيولوجي يشير إلى أنّ هذه المنطقة كانت مأهولة في الألفية الثانية قبل الميلاد[2].

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (دار هجر، 1422 هـ / 2001 م)، 18/ 396.
(2) W. E. Mills, art. Sodom, *Eerdmans dictionary of the Bible*, p.1235.

الخلاصة:

- ليس لعلم الأركيولوجيا شأن بإثبات وجود رجل دعا قومه إلى ترك الشذوذ الجنسي وبقية الرذائل.
- لم يحدّد القرآن مكان وقوع العقاب على قوم لوط -عليه السلام-، وإن أشار إلى أنها منطقة كان يمرُّ عليها أهل مكة في رحلاتهم (إلى الشام).
- تصديق تفاصيل الخبر التوراتي عن قصة قوم لوط -عليه السلام-، يدلُّ على أنهم عاشوا عند البحر الميت، وهي منطقة لم ينته البحث الأركيولوجي إلى حسم القول فيها.
- العثور على بقايا عمران قوم لوط -عليه السلام- دون الحفر العميق، بعيدٌ طبق الخبر القرآني؛ لأنّ المنطقة تعرضت إلى خسفٍ شديد.

الفصل الخامس
الوجود التاريخي لنوح -عليه السلام-

المبحث الأول: نوح -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

النبي نوح -عليه السلام-، أوَّلُ الرسل إلى الأرض -كما في الحديث النبوي-[1]. وقد دعا قومه إلى نبذ عبادة الأصنام، وإلى عبادة الله وحده، على مدى 950 سنة. ولمّا رفض قومه دعوته لهم إلى التوبة سِرًّا وجهرًا، بنى سفينةً ضخمة حملَ فيها من كلٍّ زوجَيْنِ من الحيوانات في أرضه اثنين. وعندما أزِف وقتُ العذاب، أمطرت السماء بغزارة، وتفجّرت ينابيع الأرض؛ حتى أغرق الطوفان كلّ ما يدبّ على الأرض، وهلك ابن نوح -عليه السلام- مع الهالكين لرفضه تصديق والده وركوب السفينة.

وقد جاء في الآيات القرآنية خبر مضمون دعوة نوح -عليه السلام-، ومدّتها، وما حاق بقومه من عذاب عندما كذّبوه:

مضمون الدعوة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ (الأعراف/ 59).

مدّة الدعوة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ (العنكبوت/ 14 - 15).

عذاب قوم نوح -عليه السلام-: قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا

---

(1) قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم - في حديث الشفاعة المعروف -: «... فَيَأْتُونَ نُوحًا فيقولونَ: يا نُوحُ، إنَّكَ أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهْلِ الأرْضِ، وقدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟» (رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، باب ذرية من جملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا، (ح/ 4435)).

تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (هود/ 36 - 49).

وجاء خبر نوح في الكتاب المقدس بما جاء به القرآن في أمر فساد قوم نوح -عليه السلام-، ومعاقبتهم بالطوفان، ونجاة نوح - عليه السّلام - ومن معه من أهله والحيوانات، وفي القصة تفصيلات لم ترد في الخبر القرآني، ومنها خبره بعد الطوفان أنه سَكِرَ وتعرَّى؛ فرأى حام أبو كنعان عورته، ولما استفاق نوح -عليه السلام- من سُكْرِهِ لَعَنَ كنعان! (تكوين 9/ 21 - 25)، وأنّه عاش بعد الطوفان 350 سنة. وأهمُّ أوجُه الخلاف بين القصّتين زَعْمُ نَدَمِ الربّ بعد الطوفان (تكوين 8/ 21)، ورُسُوّ السفينة على جبل أراراط (تكوين 8/ 4) لا على الجوديّ كما في القرآن.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لنوح -عليه السلام-

ليس من أخبار نوح -عليه السلام- مما يقبل المراجعة الأركيولوجيّة سوى أمر الطوفان الذي أصاب قومه. وأمّا وجود رجلٍ اسمُه نوح في ذاك العصر؛ فليس مما للأركيولوجيين أن يقولوا فيه بكلمة.

المطلب الأول: تاريخيّة طوفان النبيّ نوح -عليه السلام-

كان الاعتقاد السائد هو أنّ قصة الطوفان، توراتية، لا نظير لها في تراث الأمم السالفة، حتى اكتشفت الرواية البابلية للطوفان سنة 1853، ثم أعقبها الكشف عن الرواية السومرية في مدينة نيبور آخر القرن التاسع عشر. وتعدّدت بعد ذلك الكشوف عن روايات الطوفان، ومنها روايات لطوفاناتٍ في غير بلاد الرافدين. وبما أنَّ حديثنا عن طوفانٍ يُنسب إلى نوح -عليه السلام- في بلاد الرافدين؛ فسنكتفي بخبر بلاد الرافدين.

وسنكتفي في الحديث هنا عن ثلاثٍ من أهمّ أخبار روايات طوفان بلاد الرافدين، وما يُستنبط منها:

1. قائمة الملوك السومرية.
2. قصة الطوفان السومري.
3. ملحمة جلجامش.

وهي كلُّها روايات تعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد. وقد استمرَّ نسخها إلى قرون بعد ذلك.

أ. قائمة الملوك السومرية

قائمة ملوك سومر، نصٌّ ورد في أكثر من وثيقة تاريخية قديمة، وهو يعود إلى نصّ أوّلٍ واحدٍ أقدمَ كُتِب في عصرِ أوتو حيكال، ملك أوروك، محرّر سومر من الكوتيين

في القرن 22ق.م. وقد كُتب هذا النص ليثبت أن البلاد كانت دائمًا موحّدة تحت سلطانِ حاكمٍ واحد في كلّ عصر - وإن كان ملوكُها قد حكموا من عواصم مختلفة-.

وقد تضمّن هذا النص قوائم الملوك السومريين قبل الطوفان، وملوك سومر بعد الطوفان، مع تحديد مكان حكمهم، ومدده. وقد أضيف لاحقًا إلى هذا النص حديثٌ حول أحداث ما قبل الطوفان.

وتكمن أهميةُ هذه القائمة في دلالتها على مركزية الطوفان في تاريخ بلاد الرافدين؛ حتى إنه يُعدّ فاصلًا بين عصرين عظيمين[1].

منشور ويلد - بلندل[2]
حوالي 1827 - 1817 ق.م
متحف أشموليان في أوكسفورد



James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.265. (1)
Weld - Blundell Prism. (2)

ب. الطوفان السومريّ

حُفظت قصة الطوفان السومرية في لوح مسماري. وقد بقي منها الثلث الأخير. وتعود قصة الطوفان السومريّة إلى ما يقرب من عصر الملك البابلي حمورابي (1728 - 1686 ق.م)، ولكن يذهب النقاد مع ذلك إلى أنّها تعود إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، في عصر الحكم السومريّ؛ إذ إنّ السومريين لم يعد لهم وجود في تلك الفترة بوصفهم عنصرًا مستقلًا بعد ذوبانهم في الشعب السّامي، كما أنّ اللغة السومرية قد انقرضت، ولم يبق لها أثر إلّا في ما بقي يُنسخ من الأدب القديم[1].

الجزء الأكبر من قصة الطوفان السومرية مفقود. ويبدو أنّ القصة قد بدأت بخلق العالم. والقصة في خطوطها العريضة تتحدث عن عصرٍ ما قبل الطوفان وخلق الأحياء وظهور المدن، ثم تذكر أنّ زيوسودرا الملك التقيّ، كان عند جدارٍ يسمع حديث الإله إنكي؛ فعلم منه أنّ الآلهة قرّرَتْ إهلاك البشر بطوفانٍ.

طلب إنكي من زيوسودرا أن يبني سفينة ضخمة. ركب زيوسودرا السفينة التي ظلّ الماء يتلاعب بها لسبعة أيام وسبع ليال. ثم خرج زيوسودرا بعد أن نجا من الطوفان. وفي آخر القصة رُفع زيوسودرا إلى مقام الآلهة.

وهنا ما يعنينا في أمر الطوفان من المحفوظ من القصّة:

وأخذ الإله أنكي يتدبر الأمر (على الرغم من أنّ) آلهة السماء قد أقسمت باسم آنو وإنليل. في ذلك الوقت كان الملك زيوسودرا صنع....بخضوع وبكلمات مختارة... من التبجيل. فكان يقف كلّ يوم عند... ولم يكن ذلك حلمًا... يظهر ويتكلم ومستحلفًا بالسماء والأرض... الآلهة جدارًا في... نسمع زيوسودرا وهو يقف بجانبه.

كان يقف وإلى يساره الجدار...ياجدار! أريد ان أكلّمك، فاستمع إلى كلماتي! وأصغِ إلى وصاياي:سوف تكتسح الأعاصيرُ كلَّ المستوطنات (؟) في العواصم. إن

(1) محمد بيومي مهران، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، مجلّة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، 1395هـ - 1975م، ص385.

ملاك ذريّة الإنسان... إنّ القرار الأخير، كلمة المجلس...الكلمة التي نطق بها أنو وإنليل و ننخرساك أن إسقاط الملوكية... الآن...

(كسر في الرقيم)

وجاءت كلُّ الأعاصير والعواصف المدمّرة، واكتسحت الأعاصيرُ العواصم. وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد في سبعة أيام وسبع ليالي... وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية.(وعندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأنارت الأرض والسماء، (وعندئذ) فتح زيوسودرا كوة في الفلك؛ فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك؛ فركع زيوسودرا أمام إله الشمس. ونحر الملك (زيوسودرا) أعدادًا كبيرة من الثيران والأغنام.

(كسر في الرقيم)

استحلفه بالسماء والأرض أن يجعل... فاستحلف آنو وإنليل بالسماء والأرض... فَخَلَقا (؟) الحيوانات التي تنبعث من الأرض، وركع الملك زيوسودرا أمام آنو وإنليل...اللَّذَيْنِ وَهَبَاهُ حياةً أبديّة مثل الآلهة، واللَّذَيْنِ رَفَعَاهُ إلى الحياة الأزليّة مثل الآلهة.

في ذلك الوقت أسكنَ (الآلهة) الملكَ زيوسودرا الذي أنقذ بذرة الإنسان وقتَ (؟) الدّمار في بلدٍ على البحر، في الشرق، في دلمون[1].

ت.ملحمة جلجامش

تتكون ملحمة جلجامش من 300 سطر، على 12 لوحة، وتعود إلى حوالي سنة 2000 ق.م. وقد اكتُشفت في نينوى. وهي تحكي عن الملك المغامر الظالم جلجامش (وهو أحد ملوك الوركاء الذين نُسجت حولهم أساطير وملاحم لاحقًا عهد السومريين والبابليين) وإنكيدو الذي خلقَتْهُ له الآلهة ليدفع عن النّاس ظُلْمَهُ؛

(1) فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع المسمارية (بغداد: جامعة بغداد، 1395هـ/ 1975م)، ص 121 - 122.

فبعد صراعٍ بينهما، صارا صديقَيْنِ، وانطلقا في مغامرات كثيرة. مَرِضَ إنكيدو فجأة ومات، فحزن جلجامش حزنًا شديدًا، وأصابه القلق الشديد عند تفكّره في الموت.

بحثَ جلجامش إثر ذلك عن جَدِّهِ أوتنابشتم (الذي كان هو وزوجتُه الناجيَيْنِ الوحيدَيْنِ من فيضانٍ كبير) ليسأله عن طريق الخلود؛ فقد رُفع أوتنابشتم إلى مصافّ الآلهة، وتمتّع بالخلود. وبعد أن عثرَ جلجامش على جَدّه، أخبره جَدُّه عن وعورة سؤال الموت، وأخبره كيف نجا من الطوفان. وتستمرُّ الأحداث بعد سماع جلجامش لخبر الطوفان؛ إذ يستمرُّ إلحاحُه في طلب طريق الخلود؛ لينتهي الأمر بموته دون إدراكه الخلود.

ليست ملحمة جلجامش قصة عن الطوفان، وإنما هي قصّةٌ عن سؤالِ الموت والخلود، وقد وردتْ فيها أحداثٌ كثيرة، وما قصة الطوفان إلا حدث من أحداثها.

وهذا نص ملحمة جلجامش[1]:

الرقيم العاشر:

العمود الخامس

23 – وقال جلجامش إلى أوتنابشتم أيضًا:

24 – من أجل أنْ أَصِلَ الآن لأرى أوتنابشتم الذي يُسمّونه «البعيد»

25 – فإنّي طَوَّفْتُ وهِمْتُ في كلّ البلاد

26 – واجتزتُ جبالًا وَعْرةً

27 –... وعبرتُ كلَّ البحار

28 – فلم ير وجهي نومًا مريحًا

29 – لقد أنهكتُ نفسي بالسَّهَرِ وملأتُ مفاصلي بالألم

30 – ولم أَكَدْ أَصِلُ إلى بيتِ صاحبة الحانة حتى بَلِيَتْ ملابسي.

(1) فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع المسمارية، ص173 – 184.

31 - لقد قتلتُ الدُّبَّ والضَّبُعَ والأَسد والفهد والنّمر والأيل والوَعْلَ (وغيرها من) حيوانات الوحش والزَّواحف في السهل وأكلتُ لحومَها واكتسَيْتُ بِفَرْوِها.

(ينخرم النصُّ في هذا الموضع وعندما ينتظم ثانية نجد أوتنابشتم يخاطب جلجامش قائلًا):

العمود السادس:

27 - متى بَنَيْنا بيتًا دام إلى الأبد؟

ومتى ختمنا عقدًا دام إلى الأبد ؟

28 - ومتى تقاسم الإخوةُ (ميراثًا) دام الى الأبد؟

وهل تبقى البغضاء في الأرض إلى الأبد؟

29 - وهل يبقى النهر يرتفع ليأتي بالغمر إلى الأبد؟

30 - والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها لترى وجه الشمس حتى يحلَّ أَجَلُها.

31 - فمنذ قديم الزمان لم تكن ديمومةٌ (لأيِّ شيء)

32 - فما أعظم الشَّبَهَ بين النائم والميت

33 - أَوَليسَ فيها صورةٌ للموتِ تَتَجَسَّدُ؟

34 - (وما أعظم الشَّبَهَ) بين القويِّ والضعيف

35 - عندما يقتربان من أَجَلَيْهِما؟

36 - إنّ الآلهة العظام أنوناكي تجتمع مسبقًا

37 - ومعهم ماميتم، صانعة الأقدار، لتقرّر معهم المصائر

38 - إنهم يقدرون الموت والحياة

39 - غير أنّ الموت لم يكشفوا عن أجله

الرقيم الحادي عشر:

1 - فقال جلجامش لـ «أوتنابشتم» البعيد:

2 - إني كلما أُمعِن النظر فيك يا أوتنابشتم

3 - فإنّ صورتك ليست غريبة عني! أنت تشبهني

4 - إنك لست غريبًا عني أبدًا! إنّك تُشبهني

5 - لقد تصوَّرَكَ قلبي (بطلًا) على أُهْبةِ القتال

6 - فإذا بي أَجِدُكَ تضطجع متكاسلًا على ظهرك

7 - أخبرني كيف استطعت الدخول إلى مجلس الآلهة بحثًا عن الحياة؟

8 - فقال أوتنابشتم إلى جلجامش:

9 - سأكشِفُ لك يا جلجامش عن مسألةٍ خفيّةٍ

10 - وسأخبرك بسرٍّ من أسرار الآلهة:

11 - إنّ شروباك، المدينة التي تعرفها

12 - والتي تقع على ضفاف الفرات

13 - فهذه المدينة كانت قديمةً بقدم الآلهة التي فيها

14 - وعندما عقدت الآلهة العزم على أحداث الطوفان

15 - كان هناك أبوهم آنو

16 - والبطل إنليل مشيره

17 - وتنورتا حاجبهم

18 - وإينوكي رقيبهم

19 - وكان نن - إيكيكو - أيا حاضرًا معهم

20 - الذي أعاد كلماتهم إلى كوخ القصب (قائلا):

21 - يا كوخ القصب! يا كوخ القصب! يا جدار ! يا جدار!

22 - استمع يا كوخ القصب ! وأَصْغِ يا جدار!

23 - يا رجل شروباك، يا ابن أوبار - توتو

24 - اهدِمِ البيتَ وابنِ سفينةً

25 - اترُك المال وانشُدِ الحياة

26 - انبذ الملك وأنقذ النفس

27 - واحملْ في السفينة بذرةَ كلّ المخلوقات الحيّةِ

28 - أما السفينة التي سَتَبْنِي

29 - فاضبطْ مقاييسها

30 - واجعلْ عرضها مُساويًا لِطُولها

31 - واختمها مثل «أبسو» (مياه العمق)

32 - لقد فهمت (قصده) فقلت إلى سيدي أيا:

33 - أجل يا سيدي! إنّ ما أمرت به الآن

34 - سأتشرَّفُ بإنجازه

35 - ولكنْ ماذا عليَّ أن أقول إلى المدينة بأهلها وشيوخها؟

36 - ففتح أيا فاهُ وقال

37 - مخاطبًا عبده:

38 - قل لهم ما يأتي:

39 - لقد علمتُ بأن إنليل يبغضني:

40 - ولذلك فإني لا أستطيع أن أُقِيْمَ (بعد اليوم) في مدينتكم

41 - ولا أستطيع أن أضعَ قدمًا في أرض إنليل

42 - ولذلك فإني سأنزل إلى « العمق» لأقيم مع سيدي أيا

43 - أما أنتم فإنه سينزل عليكم

44 - أحسنُ الطُّيور وأَنْدَرُ الأسماك

45 - وسوف تمتلئ البلاد بمحاصيلها الغنية

46 - وفي المساء سينزل عليكم الموكل بالزوابع مطرًا من قمح

47 - وستنزل عليكم الخيرات

48 - وعند إطلالة الفجر

49 - اجتمع الناس من حولي

(الأسطر 50 - 53 مفقودة)

54 - فحملَ الصِّغارُ القير

55 - في حين جلب الكبار اللوازم الأُخرى

56 - وفي اليوم الخامس أَقَمْتُ هَيْكَلها

57 - وكانت مساحة قاعدتها أيكو واحدًا، وكان ارتفاع كلٍّ من جدرانها 120 ذراعًا

58 - وطولُ كلٍّ من جوانب سطحها 120 ذراعًا

59 - (هكذا) حدَّدتُ أبعادَها وهيكلَها

60 - لقد جعلتُ فيها ستّة فواصِلَ

61 - وبهذا قسمتُها إلى سبعةِ طوابق

62 - ثم قسمت أَرضِيَّتَها إلى تسعةِ أقسامٍ

63 - وغرزتُ فيها مسامير (الخشب لمنعِ) الماء

64 - ثم زوّدتها بالمرادي وبالمؤن

65 - وسكبتُ ستّة مساراتٍ من القِيْرِ في الكور

66 - وسكبتُ أيضًا ثلاثة مساراتٍ، من الزِّفْتِ

67 - وجاء حَمَلَةُ السَّلاسلِ بثلاث «سارات» من السّمن

68 - إضافة إلى «سار» واحد من السمن استنفذ لقلافة (؟) السفينة

69 - وإلى «سارين» اثنين من السمن اختزنها الملاح

70 - ثم نحرتُ الثيران للناس

71 - وذبحتُ لهم النِّعاجَ كلّ يوم

72 - وقدّمتُ إلى العُمّال العصيرَ والخمرَ الأحمرَ والسّمن والخمرَ الأبيضَ

73 - ليشربوا منها (بغزارة) وكأنها مياه النهر

74 - وليحتفلوا كما لو كانوا في يوم رأس السنة

75 - ثم فتحت... دهان ومسحت يدي

76 - وفي اليوم السابع تمَّ بناء السفينة

77 - غير أنّ إنزالها إلى الماء كان في غاية المشقة

78 - إذ كان عليهم أن يُبدّلوا الألواح في الأعلى والأسفل

79 - إلى أَنْ غَطَسَ ثُلثُها في الماء

80 - ثم حملتُ فيها كلّ ما أملك

81 - حملتُ فيها كلّ ما أملك من فِضّةٍ

82 - وحملتُ فيها كلّ ما أملك من ذَهَبٍ

83 - وحملتُ كلّ ما عندي من مخلوقاتٍ حيّةٍ

84 - وأَصْعَدتُّ على ظهر السفينة عائلتي وأهل قرابتي

85 - وأَصعدتُّ على ظهرها حيوان الحقل وحيوان البرِّ المتوحش، وكلّ الصُّنَّاعِ

86 - وحدَّدَ لي شمس وقتًا معيّنًا (بقوله):

87 - حينما ينزل الموكَّلُ بالعواصف في المساء مطر الهلاك

88 - فَادْخُلِ السفينةَ وأَغْلِقِ الباب

89 - ولما حان ذلك الوقت المعين

90 - وفي المساء أنزل الموكل بالعواصف مطر الهلاك

91 - تطلَّعْتُ إلى حالةِ الجوِّ

92 - فكان الجوُّ مُخيفًا للنَّظَرِ

93 - فدخلتُ السّفينةَ وأغلقتُ الباب

94 - (وأَسْلَمْتُ) دفّة (؟) السفينة الى الملّاحِ بوزور - أموري

95 - أعطيتُه «الهيكل»، وما فيه من متاعٍ

96 - وعند إطلالة الفجرِ

97 - ظهرتْ في الأفقِ سحابةٌ سوداءُ

98 - كان الإله أدد يرعد في داخلها

99 - (بينما) كان شوللات وخانيش يسيران في مقدمتها

100 - وهما ينذران فوق الجبال والسهول

101 - (وعندئذ) اقتلعَ الإله إيراجال دعائم (السَّدِّ السُّفلِيِّ)

102 - وانطلق الإله ننورتا ليجعل المياه تطغى فوق السدود

103 - ورفع أنوناكي المشاعل

104 - فأضاءت بأنوارها الأرض

105 - (ولمّا) وصل الرُّعْبُ من الإله أدد إلى عنان السماء

106 - وتحطّمت الأرضُ الواسعة مثلما (يتحطم) الإناء

107 - واستحال كلُّ نورٍ إلى ظُلْمةٍ

108 - وظلَّتْ ريحُ الجنوب تهبُّ يومًا (كاملًا)

109 - وتزايدت سُرْعَتُهَا وهي تهبُّ حتى (غطت الجبال)

110 - وفتَكَتْ بالناس مثل حربٍ ضَرُوسٍ

111 - فلم يستطع الأَخُ أن يرى أخاهُ

112 - ولم يكنْ بالمستطاع تمييز الناس من السَّماءِ

113 - حتى إن الآلهة ذعروا لهول الطوفان

114 - فأخذوا يتراجعون إلى خلفٍ حتى وصلوا إلى سماء الإله آنو

115 - واستكانت الآلهة وكأنها كلاب تربض بمحاذاة الجدار

116 - (وآنذاك) صرخت الإلهةُ عشتار وكأنها امرأةٌ في المخاض

117 - صرخت عاليًا سيّدةُ الآلهة ذاتُ الصّوتِ العَذْبِ (قائلةً):

118 - واأسفاه! لقد تحوّلت الأيام القديمة إلى طين

119 - لأنّي نطقتُ بالشرِّ في مجلس الآلهة

120 - كيف أجزتُ لنفسي أن أنطق بالشرِّ في مجلس الآلهة

121 - فأمرت على شعبي بحربٍ مدمّرةٍ

122 - في حين أنا التي ولدتُ أُناسي هؤلاء

123 - حتى أصبحوا يملؤون البحر وكأنهم صِغارُ السَّمَكِ

124 - فأخذتِ الإلهةُ تبكي معها

125 - وجَلَسَتِ الآلهةُ ذليلةً تَتَباكى وقد يبست (؟) شفاهها

126 - وَلِسِتَّةِ أيام وسِتِّ لَيَالٍ

127 - استمرَّتْ زوابعُ الطُّوفانِ في الهبوب في حين كانت رياح الجنوب تكتسح البلاد

128 - وعندما حَلَّ اليوم السابعُ

129 - خفَّتْ وطأةُ الزَّوابعِ الجنوبية للطُّوفان في الهجوم

130 - الذي شَنَّتْهُ كالجيش في المعركة

131 - ثم هَدَأَ البحر وسكَنَتِ العواصف وانتهى الطوفان

132 - ولما تطلَّعْتُ إلى الجوِّ (وجدت) السكون يخيِّمُ (في كلّ مكان)

133 - والبشر جميعًا قد تحوّلوا إلى طينٍ

134 - ومدى الرؤيا مستويًا كالسقف

135 - ففتحت نافذةً (في السفينة) فسقط النور على وجهي

136 - فسجدتُ وجلستُ باكيًا

137 - والدُّموع تجري على وجهي

138 - ثم أخذتُ أتطلَّعُ إلى سواحل البحر الواسع

139 - فبانت الأرضُ من مسافةِ اثني عَشَر ميلًا مضاعفًا

140 - لقد مسكَ جبلُ نيسير السّفينة ولم يَدَعْهَا تتحرّك

141 - واستقرَّتِ السّفينة على جبل نيسير. لقد مسكَ جبل نيسير السفينة ولم يَدَعْها تتحرك

142 - ومضى يومٌ أول وثان، وجبل نيسير ممسكٌ بالسفينة ولم يَدَعْها تتحرك

143 - ومضى يومٌ ثالث ويوم رابع وجبل نيسير ممسكٌ بالسفينة ولم يَدَعْها تتحرك

144 - ومضى يوم خامس وسادس وجبل نيسير ممسكٌ بالسفينة ولم يَدَعْها تتحرك

145 - وعندما حلّ اليوم السابع

146 - أخرجتُ حمامةً وأَطْلَقْتُها

147 - فراحت الحمامة ولكنها لم تلبَثْ أن رجعتْ

148 - لقد رجعتِ الحمامةُ لأنها لم تجد محطًّا لها

149 - (وعندئذ) أخرجتُ السنونو وأطلقته

150 - فراح السُّنُونُو لكنه لم يلبث أن رجعٍ

151 - لقد رجع السُّنُونُو لأنه لم يجد محطًا له

152 - (ومن ثم) أخرجت الغُراب وأَطْلَقْتُهُ

153 - فراح الغراب ولكنه عندما رأى أنّ المياه قد انحسرت

154 - أَكَلَ وحامَ ونعقَ ولم يرجِعْ

155 - - وعندئذ أخرجتُ كلّ (ما في السفينة) إلى الرياح الأربع وقدّمتُ قُربانًا

156 - وسكبتُ الماء المقدَّسَ على قمة الجبلِ

157 - ونصبت سبعة وسبعة قدور

158 - و كوّمتُ تحتها القصب والأرز والآس

159 - فَشَمَّت الآلهة الرائحة

160 - أجل لقد شمَّتْ الآلهة الرائحة الطيبة

161 - فتجمّعت الآلهة حول مقدِّم القربان كالذُّباب

162 - وحالما وصلت الإلهة (عشتار)

163 - خَلَعَتْ عنها عِقدًا من لازوردٍ على هيئة (ذباب كبير) صاغَهُ لها آنو (مرة) عندما كان يتودَّد إليها (وقالت):

164 - أَيَّتُها الآلهة الحاضرة: مثلما أني سوف لن أنسى (عقد) اللَّازورد هذا الذي حول عُنُقِي

165 - فإنّي سأبقى أَتَذَكَّرُ هذه الأيام ولن أنساها أبدًا

166 - (والآن) فلتدنو الآلهةُ من القربان

167 - إلا إنليل فليس له أن يقتربَ

168 - لأنه لم يتردَّدْ فأَحْدَثَ الطُّوفانَ

169 - وأَسْلَمَ شعبي إلى الدَّمارِ

170 - وعندما وصلَ إنليل

171 - ورأى السفينة. غَضِبَ إنليل

172 - وامتلأ قلبُه غيظًا على الآلهة إيكيكى، (وقال):

173 - كيف استطاعت بعض الأنفس الهرب ولم يكن لبشر أن ينجو من الدَّمار؟

174 - ففتح الإله ننورتا فَمَهُ، وقال مخاطبًا البطل إنليل:

175 - مَنْ غيرُ أيا قادر على ابتداع الوسائل؟

176 - إنّ أيا وَحْدَهُ الذي يعرف كلّ خفيّةٍ

177 - وفتح أيا فاهُ وقال مخاطبًا البطل إنليل:

178 - أنتَ يا أحكمَ الآلهة، أنت أيُّها البطلُ

179 - كيف لم تَرَوَّ فأحدثْتَ الطُّوفانَ ؟

180 - حَمِّلْ صاحبَ الخطيئةِ خطيئَتَهُ وحَمِّلْ المعتدي اعتداءَهُ

181 - ولكنْ تَرَفَّقْ لئلّا يهلك (من جراء العقاب) وتَشَدَّدْ لئلًا (يمعن في الغي)

182 - وبدلًا من الطوفان الذي أَحْدَثْته، ليت السِّباع انقَضَّتْ لِتُنْقِصَ عدد الناس

183 - وبدلًا من الطوفان الذي أحدثته، ليت الذئاب انْقَضَّتْ لتنقص عدد الناس

184 - وبدلًا من الطُّوفان الذي أحدثته، ليت المجاعة حَلَّتْ (لِتُهْلِكَ؟) البلاد

185 - وبدلًا من الطوفان الذي أحدثته، ليت الوباء انْقَضَّ (لِيَفْتِكَ ؟) بالناس

186 - إني لم أُفْشِ سِرَّ الآلهة العِظام

187 - ولكني جعلت أتراحاسيس يرى حُلُمًا فأدركَ سِرَّ الآلهة

188 - والآن عليك أن تتدبَّرَ الأمرَ بشأنه

189 - عندئذٍ صعد إنليل إلى ظهر السفينة

190 - وأمسك بيدي وأَصْعَدَني معه

191 - وأَصْعَدَ معي زوجتي وجعلَها تسجد بجانبي

192 - ووقف بَيْنَنَا ثمّ لَمَسَ جَبِيْنَيْنَا لِيُباركنا (قائلًا):

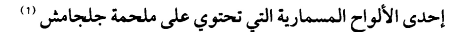
193 - ما كان أوتنابشتم قبل الآن إلّا بشرًا

194 - ولكن من الآن سيكون أوتنابشتم وزوجتُه مِثْلَنَا نحن الآلهة

195 - وسَيُقِيمُ أوتنابشتم بعيدًا عن « فم» الأنهار

196 - وهكذا أخذوني وجعلوني أُقيمُ بعيدًا عن «فم» الأنهار

(بقية الرقيم الحادي عشر لا تتعلق بالطوفان)



إحدى الألواح المسمارية التي تحتوي على ملحمة جلجامش [1]



ث: دلالات تراث بلاد الرافدين على الطوفان

تشترك قصة الطوفان السومرية وقصة الطوفان البابليّة في عدد من الأمور - وإن كانت قصة جلجامش أطولَ من القصة السومرية -؛ ومنها إهلاك الربِّ للبشر بالطُّوفان، وتحذيرُ الإله أَحَدَ البشر من البلاء القادم، وبلوغ الطوفان ذروته في اليوم السابع، وتقديم هذا الناجي قُربانًا إلى الآلهة بعد انتهاء الطوفان، ورفعُ الآلهة له بعد ذلك ليكون في مصافِّها. وذاك يظهر أنّ القصة البابلية صورةٌ متأخّرة عن أصل سومريٍّ قد يكون له أصل أسطوريٌّ آخر عن أصلٍ أوّل.

وأمّا الخلاف بين القصَّتَيْنِ ففي عدد الناجين، وحجم السفينة، ومعمّري الأرض بعد الطوفان، وفي اسم البطل، فهو زيوسودرا في السومريّة وأوتنابشتم في ملحمة جلجامش. وذاك لا يُؤَثِّرُ في أصل التّشابه ودلالته على الاقتباس؛ إذ لا يلزم من الاقتباس التطابق كليّة. والتشابهات الكثيرة والبارزة هي المحكّمة هنا.

(1) M.Silva and M. C. Tenney, *The Zondervan Encyclopedia of the Bible, Volume 2, D - G* (Grand Rapids, MI: The Zondervan Corporation, 2009), p.766.

والتشابهات بين قصة بلاد الرافدين وقصة الطوفان التوراتية كثيرة، وواضحة، أهمّها أنّ الآلهة هي التي أمرتْ بالطوفان، وأن الطوفان سببُه الأمطار الغزيرة، وأن الطوفان كان لإهلاك البشر بعد فسادهم، وأنّ الله نجّى البطل لصلاحه، وأنّ النجاة كانت بسفينة عظيمة، وأنّ البطل يُرسِلُ طُيورًا لمعرفة ما انتهى إليه الطوفان، وأنّ السفينة ترسو على جبلٍ.

ليس في القرآن أيُّ تفصيلٍ قابل للبحث التاريخي غير الطوفان الذي أغرق قوم نوح -عليه السلام- ؛ فلم يُذكر مكانُه ولا زمانه، ولا الدّولة التي عاش في كنفها، ولا ما خلّف من عمران. ولذلك فالبحث في صدق خبر نوح -عليه السلام- لا يمكن أن يُبحث إلَّا في خبر الطوفان.

- الطوفان المحلّيّ

المذهب الذي نراه في شأن الطوفان القرآني، أنّه كان محدودًا جغرافيًا؛ ولم يكن عالميًّا؛ إذ إنّ الطوفان ما كان إلّا عقوبة لقوم كافرين؛ جزاء ردّ خبر الوحي وأمره. وقد كان نوح -عليه السلام- مرسلًا إلى قومه لا إلى كلّ البشر. ولم يرسل إلى البشر كافة نبيّ إلّا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - القائل: «كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً»[1].

وممَّنْ شهد من المفسرين لمحليّة الطوفان ابن عطية (توفي 542هـ) في تفسيره: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، حيث قال: «وقوله تعالى: «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ» يقتضي أنه أغرق قوم نوح وأُمّتَهُ ومُكذّبيه، وليس في ذلك نصٌّ على أنّ الغَرَقَ عَمَّ جميع أهل الأرض»[2].

(1) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي - صلّى الله عليه وسلّم - جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (ح/ 427)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (ح/ 815).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ)، 4/ 477.

كما قال الألوسي (توفي 1270هـ) في تفسيره «روح المعاني»: «والذي يميل القلب إليه أن الطُّوفان لم يكن عامًّا - كما قال به البعض - وأنه -عليه السلام- لم يُؤْمَرْ بحمل ما جرت العادة بتكوّنه من عُفونة الأرض كالفأر والحشرات، بل أمر بحمل ما يحتاج إليه إذا نجا ومن معه من الغَرَقِ لئلّا يغتمُّوا لِفَقْدِه ويتكلَّفُوا مشقَّةَ جَلْبِه من الأصقاع النائية التي لم يَصِلْهَا الغَرَقُ؛ فكأنّه قيل: قلنا احملْ فيها من كلّ ما تحتاجونه إذا نَجَوْتُمْ زوجَيْنِ اثنين»[1].

- أساطير الطوفان، لا تنفي تاريخية نوح -عليه السلام- والطوفان

إنّ مدار كلّ الجدل الدائر اليوم حول وجود نوح -عليه السلام-، يعود إلى شيءٍ واحد؛ وهو تاريخية قصّة الطوفان القرآنيّة. ونحن هنا أمام ثلاث فرضيّاتٍ:

1. إذا ثبت أنّ قصّة نوح -عليه السلام- مختلَقَةٌ كليّة؛ فإنّ وجود النبيّ نوح -عليه السلام- مستبعَدٌ - على الراجح - ؛ إذ هو عندها جزءٌ من قصّةٍ لا أصل لها، من نسج العقل الأسطوري برمّتها.
2. إذا ثبت أنّ قصّة الطوفان القرآنيّة صحيحة؛ فالواجب عندها التسليم أنّ نوحًا -عليه السلام- شخصية تاريخية.
3. إذا لم يمكن إثبات خرافية قصّة الطوفان القرآنية ولا إثبات صدقها؛ فيبقى عندها وجود نوح -عليه السلام- بعيدًا عن البرهان التاريخي، في بابَي الإثبات والنفي. ويسقط اعتراض المعترض على تاريخية نوح -عليه السلام-.

لا شكّ أنّه لا بدّ من القول بخرافية القصة كليّة إذا ابتدأنا النظر من وجهة نظرٍ طبيعانيّةٍ naturalistic صرفة تُنكر المعجزات، وترى أنّ عقاب الربّ للظالمين المشركين بطوفان خارق ينجو به فقط الصالحون وبعض الحيوانات، ضد قوانين

---

(1) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، 6/ 253.

الطبيعة المطّردة التي لا تتعطّل. وأمّا من آمن بالله - سبحانه -، وكمال قدرته؛ فلا يجد أيّ حرج في الإيمان بأنّ الطوفان ممكن من الممكنات التي قد تقع أحداثها إذا أراد الربّ أن يحدثها لحكمة.

والناظر في الجدل التاريخي طَوال القرن العشرين وحتّى الساعة، يُلاحظ أنّ الملاحدة يعمدون إلى حسم القول في وجود نوح -عليه السلام-، بإنكاره، بعد الكشف عن وجود قصّةٍ أُسطوريّةٍ لطوفانٍ عظيمٍ أصاب بلاد الرافدين. وليس لتلك المسارعة إلى الحسم حُجّةٌ تدعمها؛ إذ إنّ هذه المشابهة لا تقطع بأنّ قصة نوح -عليه السلام- متأخرة عن نشأة أساطير بلاد الرافدين؛ فإنّ احتمالًا آخر يبقى قائمًا، وهو أنّ أساطير بلاد الرافدين أصلها حدثٌ تاريخيٌّ صحيح، تمّت أَسْطَرَتُه لاحقًا؛ فإنّ علماء الأنثروبولوجيا وغيرهم يسلّمون أنّ الأسطورة قد تكون صورة متأخرة لقصة تاريخية صحيحة، تمّ تغييرها وتفخيمها، وشحنها بالتفاصيل الباهرة والأحداث المثيرة؛ لتكون مصدرًا للإعجاب والدهشة، وربما أيضًا العِظة. وهذا الأمر يظهر كثيرًا في روايات الأصل (أصول الأسرة أو القبيلة أو الأمّة)؛ لتثبيت معان خاصة مرتبطة بهذا التجمّع العرقي.

ونحن هنا نقول إنّه إذا كان الطوفان قد وقع بالفعل؛ فمن البعيد جدًّا أن تتجاهل الأساطير القديمة هذا الحدث؛ وإنّما من المتوقّع منها أن تنسج من عناصره الكبرى قصّةً ملحميّةً للآلهة. وقد نصّ القرآن أنّ سفينةَ نوح بقيَتْ زمنًا يشهدها الناس؛ لتكون لهم عِظةً: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ (القمر/ 13 - 15).

وبعبارة أخرى، نقول: **إنّ غياب قصة الطوفان عن تاريخ بلاد الرافدين لا حضورها فيه، هو ما يجب أن يكون سببًا لإثارة الشُّبهة** إنْ كان الحدَثُ قد وقع منذ حوالي خمسة آلاف سنة؛ فإنّ طوفانًا عظيمًا أَهلَكَ بلادًا واسعة، كانت أشهرَ معاقل المدنيّة على الأرض في زمانها، لتبدأ الحياةُ فيها بعد ذلك بقلّةٍ من الناس؛ لمن العجائب التي لا تُغفَل.

- **شواهد أثرية لطوفان بلاد الرافدين**

التسليم بالقول إنّ نوحًا -عليه السلام- قد عاش في بلاد الرافدين، بداية الألفية الثالثة، أو قبل ذلك؛ يجعل أمل العثور على اسمه في نقش بعيدًا جدًا؛ فآثار ذاك الزمان نادرة، وطبيعة حياة نوح -عليه السلام- المستضعف بين قومه لن تترك بصمةً في جدران العمائر.

وقد يفاجأُ كثيرٌ من عوام الملاحدة بالعلم أنّ كثيرًا من النقّاد يرون أنّ قصص طوفان أساطير بلاد الرافدين تعود إلى طوفان أوّل حقيقي أغرق مساحة من البلاد. وفي هذا قال عالم السومريات والآشوريات البارز - من جامعة كوبنهاجن - بنت ألستر: «**كثيرًا ما يُفترض - ضمنيًّا إلى حد ما - أنّ القصص التي تُروى في الملاحم السومرية تستند إلى أحداث تاريخية فعلية**»[1]. وهو ما قرّره - مثلًا - هالو، وماي لوان، وراليز وكرامر، وغيرهم[2].

ومن القرائن التاريخية على حدوث طوفان عظيم في بلاد الرافدين أو بعضها، أفنى عامة أهلها؛ تقسيم قائمة الملوك السومرية تاريخ البلاد إلى ما قبل الطوفان، وما بعده؛ بما يُظهر أنّ الطوفان الذي أصاب البلاد هو أعظم حدث بيئي - سياسي، وهو الأكبر في تاريخ بلاد الرافدين.

ولا يخلو البحث في طبقات الأرض من دعم لذلك. يقول د. محمد بيومي مهران: «لقد عَثَرَ «سير ليونارد وولي» في حفائره في «أور» عام 1929م على طبقةٍ من الغرين السَّميك الذي يُقدَّرُ بحوالي ثمانية أقدام والذي اعتبره دليلًا مادِّيًّا على الطوفان السومري نظرًا لكثافة تلك الطبقة الغرينيّة وتَوَافُقها الزمنيّ إلى حدٍّ كبيرٍ مع النصوص السومرية، هذا مع ملاحظة أن تلك الطبقة الغرينية تقع فوق وتحت

---

(1) Bendt Alster, 'Epic Tales from Ancient Sumer: Enmerkar, Lugalbanda, and Other Cunning Heroes,' *Civilizations of the ancient Near East*. Vol. 4 Year: 1995, Volume: 4, p. 2322.

(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.426.

آثار تنتمي إلى عصر حضارة العبيد، والتي تُمثّل عصر ما قبل الأُسرات الأول في جنوب العراق، ثم اتجه «وولي» بعد ذلك إلى الحفر في موقعٍ بعيدٍ عن «أور» بحوالي ثلاثمائة ياردة من ناحية الشمال الغربي للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية، وكانت نتيجة الحفر إيجابية، مما أدّى إلى القول بوجهة نظره المشهورة في ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذي ذَكَرَتْهُ الكتب المقدّسة.

ولكنَّ أستاذنا الدكتور رشيد الناضوري يرى أنه لا ينبغي الجزم بصورة حاسمة في هذا الشأن، ذلك لأن جنوب العراق القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفان، فهناك أدلة غرينية على فيضانٍ أو طوفانٍ كبيرٍ في شورباك يرجع إلى نهاية عصر «جمدة نصر»، وآخر في «كيش» يرجع إلى فترة لاحقةٍ للفيضان السابق، وهكذا بات من الصعب علينا المقارنة بين تلك الفيضانات، وأيها هو الذي يتّفق مع قائمة الملوك السومرية، ولعل فيضان «شورباك» أكثر قُربًا منها على أساس أن تلك القائمة قد أشارت إلى المدينة الأخيرة، كآخرِ مدينة قبل حادث الطوفان، ولكن في نفس الوقت علينا ألا نستبعد كلية طوفان «أور» ذي الطبقة السميكة للغاية، أضفْ إلى ذلك أن عدم العثور على الطبقة الغرينية الموازية في كافة المدن السومرية يدفع إلى الاتجاه باحتمال كون الطبقة الغرينية التي عَثَرَ عليها «وولي» في أور، إنما هي مجرد ترسيبٍ محلّيٍّ، ليس له الصّفة الشاملة...

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الأدلة الأثريّة التي عُثِرَ عليها في طبقات مدينتي أريدو والوركاء لتثبت حقيقةً ما، نَصَّتْ عليها وثيقةُ قائمةِ الملوك السومرية من حيث انتقال السيادة السياسية في جنوب العراق القديم بين تلك المدن.

ويَتَّجِهُ سير ليونارد وولي إلى اعتبار هذا الطوفان - موضوع الحديث - طوفانًا كبيرًا لا مثيل له في أيِّ عصرٍ لاحقٍ من تاريخ العراق القديم، صحيح أن هناك في أور، وفي مواضع أخرى من ميزوبوتاميا، أدلّة على فيضانات مؤقّتة ومحلية

حدثت في أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم، وفي بعض الأحايين لم يكن أكثر من نتيجة أمطار هطلَتْ في منطقة محدودة، ولكن صحيحٌ كذلك أنّ الطوفان الذي وضع نهايةً لحضارة «العبيد» إنما يتّفق في توقيتِه مع التاريخ السومري الذي وصل إلينا عن طريق التقاليد، وأنه بِعَيْنِهِ الطُّوفان الذي تحدثَتْ عنه قائمة الملوك السومرية، وهو الطوفان الذي رَوَتْهُ التوراة في سفر التكوين، على أنه يجب أَلَّا يُفْهَمَ أنَّ القصة بحذافيرها صحيحة، صحيحٌ أنّ الخلفيّة حقيقةٌ تاريخية، ولكن التفاصيل قد زخرفَهَا المؤلف السومري والعبري ببياناتٍ وأوصافٍ تَتَّفِقُ وهدف كلّ منهما من كتابتها، فمثلًا تقولُ التوراة إن الماء قد ارتفع ٢٦ قدمًا، وهذا ما يبدو صحيحًا إلى حدٍّ كبيرٍ، كما أن القصة السومرية تصف إنسان ما قبل الطوفان بأنه كان يعيش في أكواخ من بوص، وهذا أمر أَثْبَتَتْهُ الحفائر في العبيد وفي أور، وأن نوحًا قد بنى فُلْكَهُ من خَشَبٍ خفيفٍ لا ينفَذُ منه الماء ولا يؤثر فيه، وأنه قد طلاه من داخل ومن خارج، وهو أمر قد أثبتته الحفائر.

وهناك من الأدلة كذلك ما حدثنا عنه «سير ليونارد وولي» من أنه قد وجد في أُور أسفل طبقة المباني السومرية طبقةً طينيّةً مليئة بقدورٍ من الفخار الملوّن، مختلط بها أدوات من الصّوّان والزّجاج البركاني، وكان سُمْكُ هذه الطبقة حوالي 16 قدمًا (3 أمتار تقريبًا) أسفل المباني الطينية التي يمكن تأريخها بحوالي عام ٢٧٠٠ ق. م، وأنَّ أور قد عاشتْ أسفلَ هذه الطبقة في عصر ما قبل الطوفان، ولم تَجْرِ حتى الآن أيّ حفائر على نطاق واسع في هذه المنطقة، وكلّ ما أمكن إثباته هو وجود مدينةٍ قبل الطوفان... وأن الفخار الملون قد اختفى، ويستنتج «وولي» أن سبب اختفاء هذا الفخار الملوّن الذي كان منتشرًا في جنوب بلاد الرافدين قبل الطّوفان اختفاءً تامًّا مرّةً واحدةً، هو أن الطوفان قد قضى قضاء تامًّا على سكان هذه البلاد، وحتى مَنْ بقي منهم حيًّا فقد فَقَدَ القدرة على الإنتاج، فجاء شعبٌ جديدٌ، هم السومريُّون، إلى تلك البلاد الخالية، وأَسَّسُوا حضارة جديدة، وكان فخّارهم مصنوعًا على دولاب

الفخار، بدلًا من الفخّارِ المصنوع باليد الذي كان سائدًا في عصور ما قبل الطوفان، كما استعملوا الأدوات المعدنيّة بدلا من الصّوّان»»[1].

المطلب الثاني: عُمُر نوح -عليه السلام- ودعوى المبالغة في طوله

من المسائل التي تحتاج أن تُطرق أيضًا، عمر نوح -عليه السلام- ؛ فإنّ في القرآن خبرَ أنّ نوحًا -عليه السلام- قد دعا قومه 950 سنة، بما يشابه أخبار الحيوات الطويلة قبل الطوفان في قصة ملوك قبل الطوفان وفي التوراة أيضًا. وهو أمر جادَلَ به المعارضون؛ لإثبات خرافية القصة القرآنيّة.

والجواب من خمسة أوجه:

أولًا: لم يذكر القرآن من الأعمار الطويلة غير عُمُر نوح -عليه السلام- ؛ فهو بذلك مخالف لقصة ملوك قبل الطوفان والتوراة. ولا يوجد في أخبار التاريخ وكشوف الحفريات ما يمنع أن يوجد بشر واحد قد عاش هذا العمر الطّويل؛ فإنّ الأحافير لا تخبر أنه من بين ملايين الناس الذي عاشوا قديمًا لم يبلغ أيٌّ منهم سِنّه قريبًا من ألف سنة. فيبقى بذلك خبر عمر نوح -عليه السلام- الخارق خارج البحث الأركيولوجي.

ثانيًا: طول عمر الإنسان ليس من أفراد أخبار حضارة بلاد الرافدين القديمة؛ حتى يُجزم هنا بالاقتباس من تلك الحضارة في التوراة ثم القرآن؛ فإنّ طول عمر الناس في مصر في عصر ما قبل الأسر (قبل حكم الفراعنة، من مينا، فصاعدًا) كان يُزعم أنه أيضًا طويلٌ جدًّا[2]. كما نبّه المؤرّخ يوسيفوس في القرن الأول إلى ظاهرة الأعمار الطويلة لقدماء الكلدانيين والفينيقيين وغيرهم، قبل أن تبدأ مُدَدُ أعمارهم في النّزول تدريجيًا[3].

ثالثًا: هناك فوارق كبيرةٌ في الأرقام بين سِنِيِّ الأعمار لملوك ما قبل الطوفان من

---

(1) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - في العراق (بيروت: دار النهضة العربية، 1804هـ - 1988م)، ص37 - 40.

(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, pp.443 - 444.

(3) Claus Westermann, *Genesis 1 - 11: A Commentary* (SPCK, 1984), p.351.

جهة والآباء وما قبل الطوفان في التوراة؛ فإنّ مدة حكم ملوك قبل الطوفان عظيمة جدًّا، كما هو أمامكم[1]:

ألوليم	28800 سنة
ألالجر	36000 سنة
إين مين لو أنا	43200 سنة
إين مين جال أنا	28800 سنة
دموزي الراعي	36000 سنة
إين سبا زي أنا	28800 سنة
إين مين دور أنا	21000 سنة
أوبار توتو	18600 سنة

وأما أعمار آباء ما قبل الطوفان في التوراة فهي دون ذلك؛ فقد عاش آدم -عليه السلام- 930 سنة، وعاش شيت 912 سنة، وعاش إنوش 905 سنوات، وعاش قينان 920 سنة، وعاش مهللئيل 895 سنة... (تكوين 5).

رابعًا: الأعمار الطويلة جدًّا مستمرّةٌ في قوائم الملوك قبل الطوفان وبعده في حضارة بلاد الرافدين؛ فمدد الحكم الأولى: 1200 سنة، ثم 900 سنة، ثم 840 سنة، ثم 960 سنة، ثم 840 سنة، ثم 900 سنة، ثم 600 سنة، ثم 840...[2]، في حين لا نجد أثرًا لذلك في القرآن أو حتى في التوراة.

---

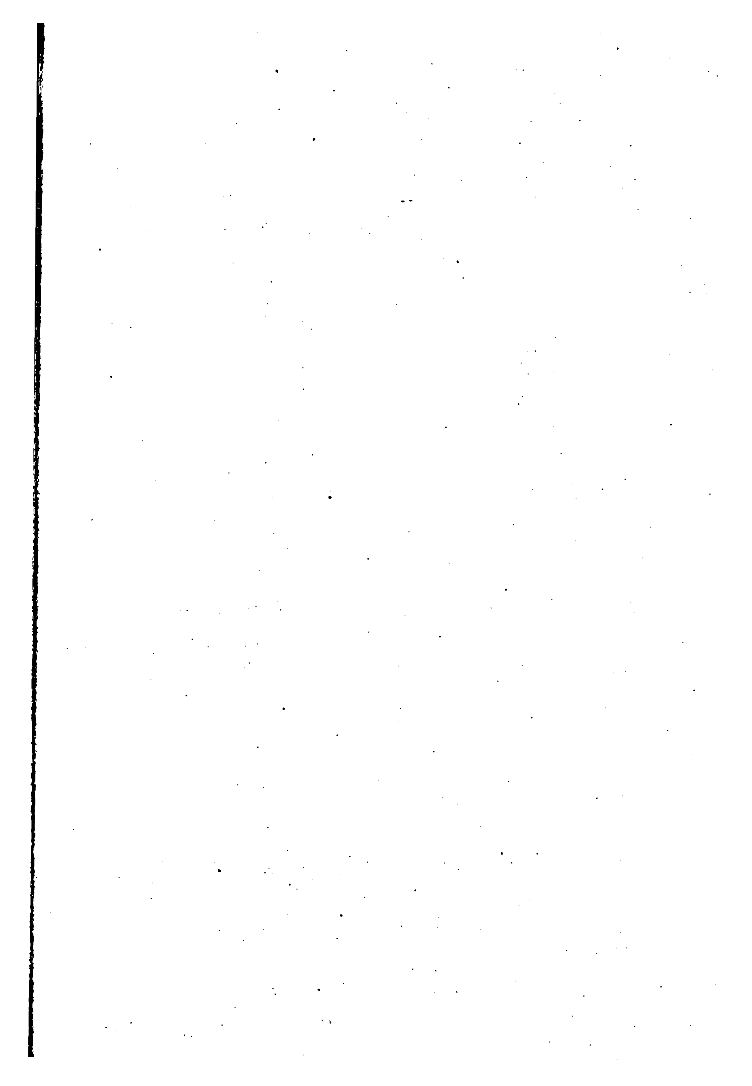
(1) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.265.
هذه الأرقام خاصة بواحدة من الروايات، وهي تبلغ في مجموعها (القائمة فيها ثمانية ملوك فقط) 241200 سنة. وفي رواية أخرى يبلغ عدد السنين 456000 سنة! (J. J. Finkelstein, "The Antediluvian Kings: A University of California Tablet,» *Journal of Cuneiform Studies*, 1963, Vol. 17, No. 2: 46).

(2) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.265.

خامسًا: سبب طول أعمار الآباء في التوراة؛ ظنُّ كَتَبَةِ هذه التوراة أنّ طولَ عمر نوح -عليه السلام- قبل الطوفان يقتضي أنّ الناس في زمانه قد كانوا يعيشون من العمر ما يُقارب عمره؛ فعمر آدم -عليه السلام- 930 سنة، والذي بعده 912 سنة... وذاك مقارب لطول حياة نوح -عليه السلام- في التوراة، أي 950 سنة. وقد أيّد رؤيتهم أنّ حضاراتٍ مجاورةً لليهود زمن كتابة التوراة كانت ترى أنّ أعمار أسلافها الأوائل طويلة جدًّا.

الخلاصة:

- تُظهر الأسطورتان السومرية والبابلية أثر وجود حدث طوفاني ضخم جدًّا في بلاد الرافدين، أَثَّرَ في التاريخ الديموغرافي والثقافي للمنطقة، على صورةٍ لم يُحْدِثْها أيُّ طوفان من الطوفانات الكثيرة للمنطقة.
- لا يوجد شاهدٌ تاريخيٌّ يُثبت وجود نوح -عليه السلام-، ولا يَتَوَقّعُ الأركيولوجيون وجود شاهدٍ يذكر اسمه؛ إذ إنَّ أُسطورة الطوفان قد كتبت بعد زمن نوح -عليه السلام- بقرون، وتشبَّعَتْ بالعصر الوثنيّ وتمّ توظيفها للأغراض العقدية الوثنية.
- يقول الأركيولوجيون الطاعنون في قصص الأنبياء إنّ غياب كلّ أَثَرٍ للخبر القديم دليل خرافيّته، ولكنّهم لمّا رأوا آثار الطوفان، قالوا بخرافيته أيضًا، منكرين حقيقةَ أنّ التراث الوثني لا بدّ أن يصبغ على الأحداث الكبرى القديمة ملامح أسطوريّة.
- نحن لا نُنكر القول بتأثّر التوراة بالأساطير البابلية؛ فإنّ التوراة التي أعاد صياغتها عزرا - في القرن الخامس قبل الميلاد - متأثّرةٌ بلا شكٍّ بالحضارة البابلية. ووجودُ طوفانٍ عظيمٍ عند البابليين مُغْرٍ للتأثّر بتفاصيله المتطورة لاحقًا في جوّ وثنيّ.



الفصل السادس
الوجود التاريخي لإدريس -عليه السلام-

المبحث الأول: إدريس -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

إدريس -عليه السلام- نبيّ لم يذكر في القرآن إلّا مرتين، في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ (مريم/ 56 - 57)، وقوله تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (الأنبياء/ 85).

عامة المفسّرين على أنّ إدريس -عليه السلام- هو أخنوخ חֲנוֹךְ في التوراة. وقد جاء خَبَرُهُ في سِفر التكوين 5/ 21 - 24: «وَعَاشَ أَخْنُوخُ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَوَلَدَ مَتُوشَالَحَ. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ بَعْدَ مَا وَلَدَ مَتُوشَالَحَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ». وجاء في العهد الجديد، في رسالة يهوذا 14 أنّه من الجيل السابع من آدم -عليه السلام-.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لإدريس -عليه السلام- ومغالطات خزعل الماجدي

خبر إدريس -عليه السلام- في القرآن مُجملٌ بلا تفصيلٍ؛ فلسنا نعرف عصرَهُ ولا مِصره، ولا تفاصيل حياته. وليس لأحدٍ عندها أن يُحاكم قصّة إدريس -عليه السلام- القرآنيّة لكشف تاريخيّ، كما أنّ البحث التاريخيّ لا سلطان له للحديث عن نبيٍّ عاش قبل الألفية الثالثة؛ لأنّ ذاك عصر مُظلِمٌ.

وأمّا ما ذكره بعض النقاد الغربيين من أنّ قصّة أخنوخ في التراث اليهودي مُستقاةٌ من التراث السومريّ؛ بدلالة أنّ حكّام السومريين قبل الطوفان كانوا عشرة، كما أنّ الآباء قبل الطوفان في التوراة كانوا عشرة، بالإضافة إلى أنّ الملك السومري السابع قد صعد إلى السماء كحال أخنوخ؛ فليس بشيء، وإن حاول خزعل الماجدي الترويج لذلك في أحد كتبه المتأخّرة، بعد أن ادّعى - على الفضائيات وفي المؤتمرات، مرارًا - أنّ هذا القول من كشفِه الخاصّ، رغم أنّها أُطروحة معروضةٌ في المكتبة الغربيّة منذ أكثر من قرن[1]، وأُشبِعَتْ بحثًا.

---

(1) See G.W.G, 'Hebrew Tradition and Egyptian and Babylonian myths', *Homiletic Review*, 1919, Volume 78: 278.

وبالإضافة إلى انتحال الأفكار التي ليست له، يعتمد الماجدي في كتبه المتأخرة بكثرةٍ مَعيبةٍ على ويكيبيديا، مع محاولته إخفاء ذلك بتغيير بعض الكلمات، دون إحالة. وأحيانًا يخطئ أثناء طمسه معالم «النقل» عن ويكيبيديا؛ ومن أمثلة ذلك اعتماده في حديثه عن مخطوطات قمران على مقال ويكيبيديا «مخطوطات البحر الميت»؛ فمرّة ينقل عنه بالحرف، وفي أخرى يلخص. ومما قاله: «كُتبت هذه المخطوطات على ورق البردي بالدرجة الأساسية وبعضها كتب على الجلود وصفائح النحاس»، والأصل في مقال ويكيبيديا: «كتبت بعض المخطوطات على ورق البردي، وبعضها على جلد وبعضها على صفائح نحاس». وزَعْمُ الماجدي أن عامة هذه المخطوطات من ورق البردي، خطأ؛ فإنّ عامتها من الجلود لا ورق البردي، كما هو معلوم، وقد اغتر بأنّ ويكيبيديا قدّمت البردي على الجلد؛ فظنّ أنّ استعمال البردي كان أوسع.

George J. Brooke, Charlotte Hempel, *T&T Clark Companion to the Dead Sea Scrolls*, Bloomsbury Publishing, 2018, p.168

والعجب أنّه يخوض في قضايا من دقائق البحث العلمي، ثم ينقل أبسط معلوماتها من ويكيبيديا، كتعريف كلمة الإنجيل - لغة واصطلاحًا - في أكثر من صفحتين من موقع ويكيبيديا الذي يُمنع علميًّا النقل عنه لطلبة المدارس لأن مؤلّفي مقالاته مجاهيل (خزعل الماجدي، كشف الحلقة المفقودة، ص 331 - 333). ولمّا أراد الماجدي=

وجوابنا على دعوى الماجدي، ومن نَقَلَ عنهم، من أوجهٍ:

أولًا: ابتداءً، ليس المسلم في حاجة إلى دفع دعوى أنّ أهل الكتاب قد اقتبسوا أسماء من قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان؛ فإنّه ليس في القرآن من ذكرٍ لرجالٍ قبل نوح -عليه السلام- غير آدم -عليه السلام-، على خلاف التوراة وآبائها العشر. وأمّا أنّ إدريس -عليه السلام- كان قبل نوح -عليه السلام-، فوارد، ولكنّه محلّ نظر. قال ابن العربي - المفسّر -: «نُوحٌ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ آدَمَ بِتَحْرِيمِ الْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالَاتِ وَسَائِرِ الْفَرَائِضِ؛ كَذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْأَثَرِ عَنْ النَّبِيِّ - صلّى الله عليه وسلّم-.

وَمَنْ قَالَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ: إنَّ إدْرِيسَ كَانَ قَبْلَهُ فَقَدْ وَهِمَ. وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ وَهْمِهِ فِي اتِّبَاعِهِ صُحُفَ الْيَهُودِ، وَكُتُبَ الإسرائيليات الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي الْإِسْرَاءِ، حِينَ لَقِيَ النَّبِيُّ - صلّى الله عليه وسلّم - آدَمَ وَإِدْرِيسَ، فَقَالَ لَهُ آدَم: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ. وَقَالَ لَهُ إدْرِيسُ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ.

وَلَوْ كَانَ إدْرِيسُ أَبًا لِنُوحٍ عَلَى صُلْبِ مُحَمَّدٍ لَقَالَ لَهُ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. فَلَمَّا قَالَ لَهُ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي أَبِيهِمْ نُوحٍ، وَلَا كَلَامَ لِمُنْصِفٍ بَعْدَ هَذا»[1].

=أن يعرّف أسماء أسفار العهد القديم سرق مقالًا لكاتب مجهول من صفحة إلكترونية اسمها «إسرائيل اليوم» (أنبياء سومريون، ص 26 - 29). والأعجب من نقله معلومات شائعة من مصدر غير علمي (وذاك عجيب من «متخصّص!»)؛ تسميتُه (أثناء النقل) سفر راعوث: سفر روت (ص28)، وزعمه أنه يوجد في الكتاب المقدس سفر اسمه سفر إيخا (ص28)، والحق أنّ هذا السفر اسمه بالعربية سفر مراثي إرميا. وللأسف فإنّ سبب خَطَأَيْهِ السابقين أنّه قد نقل أسماء الأسفار المقدسة من الصفحة «الإسرائيلية» مجهولة المؤلّف، نقلًا مسطريًّا على مدى أربع صفحات (26 - 29). والمؤسف أيضًا أنّه نقل عن هذه الصفحة الإلكترونية نقحرة أسماء الأسفار بالعبرية بأخطائها (براشيت، والصواب بريشيت בְּרֵאשִׁית، وزكيرا، والصواب زكريا זְכַרְיָה)!
<https://www.israelinarabic.com/ %D8 %A7 %D9 %84 %D9 %83 %D8 %AA %D8 %A7 %D8 %A8-%D8 %A7 %D9 %84 %D9 %85 %D9 %82 %D8 %AF %D8 %B3- %D8 %A7 %D9 %84 %D8 %B9 %D8 %A8 %D8 %B1 %D9 %8A- %D8 %A7 %D9 %84 %D8 %AA %D9 %86 %D8 %A7 %D8 %AE/>!

(1) ابن العربي، أحكام القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ / 2003 م)، 2/ 315.

ثانيًا: ما جاء في الصحيحين من أنّ «النبي - صلّى الله عليه وسلّم - لقي إدريس -عليه السلام- ليلة المعراج في السماء الرابعة، قال: فرحّب ودعا لي بخير. ثم قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾. ثم عرج بنا - أي جبريل - إلى السماء الخامسة»[1]. لا يدلّ ضرورة على أنّ إدريس -عليه السلام- قد رُفع حيًّا إلى السماء عند نهاية حياته على الأرض؛ فإنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قد رأى أنبياء آخرين أيضًا ممن لم يزعم أحد أنهم قد رفعوا أحياء إلى السماء بأبدانهم. ولعلّ مقام إدريس -عليه السلام- في السماء الرابعة، لِعُلُوِّ فَضْلِه.

كما أنّ الأرجح أنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قد رأى أرواح هؤلاء الأنبياء في رحلة المعراج لا أبدانهم؛ فإنّ أجساد الأنبياء في قبورها على الأرض. قال ابن تيمية: «أَمَّا رُؤْيَا مُوسَى -عليه السلام- فِي الطَّوَافِ فَهَذَا كَانَ رُؤْيَا مَنَام لَمْ يَكُنْ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ كَذَلِكَ جَاءَ مُفَسَّرًا كَمَا رَأَى الْمَسِيحَ أَيْضًا وَرَأَى الدَّجَّالَ. وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ وَرُؤْيَةُ غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فِي السَّمَاءِ لَمَّا رَأَى آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَرَأَى يَحْيَى وَعِيسَى فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَيُوسُفَ فِي الثَّالِثَةِ وَإِدْرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ وَهَارُونَ فِي الْخَامِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّادِسَةِ وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ أَوْ بِالْعَكْسِ فَهَذَا رَأَى أَرْوَاحَهُمْ مُصَوَّرَةً فِي صُوَرِ أَبْدَانِهِمْ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّهُ رَأَى نَفْسَ الْأَجْسَادِ الْمَدْفُونَةِ فِي الْقُبُورِ؛ وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ»[2].

وليس في الحديث النبوي خبرٌ ثابت عن رفع إدريس إلى السماء حيًّا. قال ابن حجر: «وكون إدريس رُفع وهو حيٌّ لم يَثْبُت من طريقٍ مرفوعةٍ قوية»[3].

وأمّا التوراة؛ فليس فيها التصريح بصعود أخنوخ إلى السماء؛ وإنّما فُهِمَ ذلك من عبارة سِفر التكوين 5/ 24 «وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ». وعبارة

(1) رواه مسلم، كِتَابُ الإِيمَان، بَابُ الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ - صلّى الله عليه وسلّم - إِلَى السَّمَاوَاتِ (ح/ 266).
(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426 هـ/ 2005 م)، 4/ 328.
(3) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، 6/ 375.

«لأنّ الله أَخَذَهُ» «כִּי־לָקַח אֹתוֹ אֱלֹהִים» ظاهرها موت أخنوخ لا رفعه ببدنه إلى السماء. والعجيب زعم خزعل الماجدي أنّ «غالبيّة المرويات ومنها سِفر التكوين التناخي أنه عَرَجَ إلى السماء»[1]، وكأنّ النصّ صريح في ذلك!

ثالثًا: من بين خمس روايات مكتشفة لقائمة الملوك السومريين، واحدةٌ فقط فيها عشرة ملوك، في حين أنّ عدد الملوك في الروايات الأُخرى سبعة أو ثمانية أو تسعة[2].

رابعًا: قائمة الآباء في سفر التكوين تبدأ ببداية ظهور البشرية، في حين أنّ قائمة ملوك السومريّين تبدأ «بنزول الملكيّة» من السماء إلى الأرض. ونزول الملكية إلى الأرض في تراث بلاد الرافدين لا يطابق بداية الخلق[3].

خامسًا: ليس هناك أيُّ تطابقٍ بين أسماء ملوك السومريين العَشَرة والآباء العشرة في سفر التكوين. وقد أدرك خزعل الماجدي ذلك؛ فذهب يُحَرِّفُ اللُّغة، ويتكلَّفُ؛ حتّى إنّه جعل اسم آدم -عليه السلام- عند السومريّين مقابلًا لاسم أكثرَ مِنْ شخصيةٍ في التراث السومريّ، دون أن يجد من بين هذه الشخصيات اسمًا واحدًا مطابقًا لاسم آدمَ. وقد دفعت المقارنة بين أسماء القائمتين ج.ج. فنكلشتاين إلى القول إنّ محاولة المطابقة بين أسماء القائمتين «غير مجديةٍ البتّة» « utterly futile»[4].

سادسًا: ما جاء في سفر التكوين 5 - 11 غايَتُه رَسْمُ سلسلة متّصلة من الآباء والأبناء، من آدم - عليه السّلام - حتى نوح -عليه السلام- (قبل الطوفان). وليس ذاك طابعُ قائمةِ ملوكِ السومريّين؛ فإنّ القائمة كانت تهتمُّ بذكرِ تتالي الممالك، وأسماءِ الملوك قبل الطوفان وبعدَهُ، ومُدَدِ حُكْمِهم؛ فهي قائمةٌ ذات طابعٍ سياسيٍّ صرفٍ؛ وُضِعَتْ لإثبات دعوى أنّ سومر وأكاد كانتا في فترة ما تحت سلطان ملك

---

(1) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، ص 312.

(2) Russell Gmirkin, *Berossus and Genesis, Manetho and Exodus* (New York; London: T & T Clark, 2006), p.108.

(3) Gerhard F. Hasel, 'The Genealogies of Gen 5 and 11 and Their Alleged Babylonian Background,' *Andrews University Seminary Studies* 16 (1978):370 - 371.

(4) J. J. Finkelstein, "The Antediluvian Kings: A University of California Tablet,» *Journal of Cuneiform Studies*, 1963, Vol. 17, No. 2: 50.

واحد، رغم أنّ الملك قد يأتي من أيٍّ من المدن الإحدى عَشْرة[1].

سابعًا: مسألة صَعود أخنوخ إلى السماء - إن سَلَّمنا بها جدلًا - لا تُشابه صعود إنمدورأنكي الملك السابع قبل الطوفان؛ فإنّ صعود أخنوخ في التراث اليهودي (خارج سفر التكوين) كان لِقَبْضِهِ من الأرض دون موتٍ، في حين أنّ صعود إنمدورأنكي إلى السماء كان فقط لاستقدامِهِ إلى حضرة الآلهة لتسليمه أسرار فنِّ كِهانة الفأل أو العِرافة[2].

ثامنًا: صعود الشخصيات العظمى إلى سماء الآلهة ليس من نوادر القصص الديني القديم؛ ولذلك فهو ليس من العلامات البيّنة للاقتباس؛ فاليهود يؤمنون بصعود إيليا وابنة فرعون التي تقول التوراة إنها انتشلتْ موسى -عليه السلام- من الماء، وإليعازر عبد إبراهيم -عليه السلام-، والكاثوليك يرون صعود مريم أم المسيح - عليهما السّلام - إلى السماء، وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية صعودها وصعود إيليا إلى السماء. وعند الهندوس والمجوس واليونان والرومان ومصر القديمة شخصيات كثيرة صعدت إلى السماء.. بل إنّنا نقرأ في الأساطير السومرية نفسها أنّ أدبا - الذي يزعم خزعل الماجدي ومن ينقل عنهم - أنّه يقابل آدم -عليه السلام- في التراث التوراتي، قد صعد أيضًا إلى السماء بعد أن طلب منه الإله الأعلى آنو القدوم إليه لِيُحاكمه بسبب كسره للرّيح الجنوبية التي قَلَبَتْ مركبته[3].

تاسعًا: حاول خزعل الماجدي أن يزيد في أوجه التشابه بين إدريس/ أخنوخ وإنمدورأنكي؛ فزعم أنّ إنمدورأنكي هو نفسه هرمس، وهرمس قد عاد إلى السماء، وأوّل من اخترع الكتابة، وهي أمور تميّز بها أخنوخ في بعض التراث الكتابيّ.

(1) William W. Hallo, 'Royal Hymns and Mesopotamian Unity', *Journal of Cuneiform Studies* Vol. 17, No. 4 (1963), 112.

(2) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، كيف تحوّل عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين (الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، 2018)، ص 313.

(3) Robert William Rogers, *Cuneiform Parallels to the Old Testament* (Eaton & Mains, 1912), pp.70 - 72.

وتلك دعوى فاسدة؛ إذ إنّ الماجدي نفسه قد اعترف أنّ قولَهُ محفوفٌ بالظنّ، وأنّه مخالِفٌ للإجماع العلميّ؛ فقد قال نَصًّا: «والحقيقة أنّ البحث عن حقيقة شخصية هرمس موضوع صعب ومعقّد **ومحفوف بالظن**، لكنّنا توصّلنا (...) إلى أنّ هرمس هو أحد الملوك السومريين قبل الطوفان وهو (أنميدار - أنّا)، **خلافًا لكلّ الآراء المطروحة**»[1]. والأعجب أنّه قال أيضًا: «ربما تنعكس شخصية هرمس في شخصية آدم وأحفاده لغاية بدء الطوفان وصولًا لزيوسودرا»[2]. وأشنع مما سبق أنّ هذا الكاتب قد زعم أنّ «سفر التكوين التوراتي [يذكر] أنه عرج إلى السماء»[3]، مع أنّ سفر التكوين لا يذكر هرمس أصلاً! ويبدو أنّ الحس «الوطني» هو الذي دفع هذا الكاتب لينسب إله الإغريق إلى حضارة السومريين، وكذلك فعل مع آلهة مصر، مع سفسطةٍ لغويّةٍ مُنْكَرةٍ؛ حتى ربط بين بناة الأهرام وهرمس؛ بقوله عن كلمة «هرم» العربية: «لاحظ كلمة هرم لها علاقة بهرمس»[4]، رغم أنّ كلمة «هرمس» مشتقة في اليونانية من كلمة « ἕρμα» [هِرما] «كومة حجارة»[5].

والماجدي مولع بالتلفيق طول كتابه، بطريقة مستفزّةٍ للقارئ، والأمثلة على ذلك كثيرة، من أظرفها أنّه لما أراد أن يُطابق بين إله الزرادشتية «أهورا مزدا» و«هرمس»؛ قال إنّ اسم إله الزرادشتيين «يقترب من لفظ هرمز»[6]، رغم أنه حتى لو غيرنا «هرمس» إلى «هرمز»؛ فستبقى المسافة بين هرمز و أهورا مزدا بعيدة!

وشرٌّ مما سبق محاولة الماجدي المطابقة بين أخنوخ و إنمدورأنكي الذي صعد إلى السماء، بقوله إنّ كلمة أخنوخ تعني في العبرية «المرتفع»[7]. وكلامُه كَذِبٌ على

(1) المصدر السابق، ص 313.

(2) المصدر السابق، ص 313.

(3) المصدر السابق، ص 312.

(4) المصدر السابق، ص 313.

(5) Dean Miller, *Beliefs, Rituals, and Symbols of Ancient Greece and Rome* (Cavendish Square Publishing, 2014), p.87.

(6) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، كيف تحوّل عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين، ص 260.

(7) المصدر السابق، ص 446، 473.

العِبريّة، لم يَقُلْهُ بشرٌ قبله؛ فإنّ جذر «חנך» [حنك] العبري لا يمتُّ بصلةٍ لفعل الارتفاع أو العُلُوّ[1].

وأشنع مما سبق، قول الماجدي إنّ اسم إدريس الإسلامي تصحيف لاسم «أوزيريس» الذي تحوّل فيه حرف الزاي إلى حرف الدال[2]؛ فإنّ اسم «إدريس» غير مذكور في التوراة التي يزعم المستشرقون أنها أصل قصص القرآن. فوجبَ عندها أن يكون القرآنُ قد اتصل مباشرة بالثقافة المصرية القديمة؛ وهذا منكر لأسباب:

- هذا الاسم عند قدماء المصريين، اسمُ إلهٍ وليس اسمَ نبيٍّ؛ فهو عند قدماء المصريين إلهُ البعث والحساب.
- كانت مصرُ في القرن السابع نصرانيّةً، ولم تكن تعبد أوزيريس، ولم تكن تحفل به.
- لم يُثبت الكاتبُ انتقالَ شخصية هرمس إلى مصر النصرانية قبل الفتح باسم أوزيريس، عِلمًا أنّه سبق أن ادَّعى انتقالها إلى مصر القديمة باسم الإلهِ «تحوت» والوزير «أمحوتب» والفرعون «خوف»!
- القرآن قد عرَّبَ اسم حنوك إلى إدريس لأنّ حنوك العبرية من درس[3].

ويزداد التّخليط اللُّغويُّ ظهورًا مع خزعل الماجدي عند ربطه أخنوخ بإدريس -عليه السلام-، في قوله: «الترجمات العربية أرادت أن تُفرّق بين حنوك ابن (كذا) قايين وأخنوخ (الأب السابع) وهو الشخصية المهمّة ابن يارد الذي أَخَذَهُ الله حيًّا إلى السماء فكتبتْ اسم الأول حنوك وهو ترجمةٌ صحيحة للعبري والثاني أخنوخ وأيضًا هو ترجمةٌ صحيحة للعبري. هو إنوش Enoch وأخنوخ»[4].

---

(1) *11*)Butzon u. Bercker; Neukirchen-See Richard S Hess, *Studies in the personal names of Genesis 1* *11:26*)B&H Publishing-- Vluyn: Neukirchener Verl., 1993(, pp.39 - 40, K. A. Mathews, *Genesis 1* Group, 1996(, p.285.

(2) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، ص 312.

(3) انظر سامي عامري، العلم وحقائقه (الكويت: مركز رواسخ، 2019)، ص 393 - 395.

(4) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، ص 315.

وذاك كلامٌ لا يُفهم!

كلمتا «حنوك» و«أخنوخ» في الترجمات العربية أصلهما في الأصل العبري واحد، وهو «حنوك» «חֲנוֹךְ». وكلمتا «حنوك» و«أخنوخ» ليستا ترجمة للكلمة العبرية؛ فالترجمة نقل لمعنى الكلمة من لغة إلى أخرى. كلمة «حنوك» هي نَقْحَرَةٌ Transliteration (نقل حروف كلمة من لغة إلى أخرى بأقرب حرف إلى الأول في اللغة الثانية) للأصلِ العِبريّ؛ فالكلمة العبرية تتكون من الحروف: ح - ن - و - ك. وأما أخنوخ؛ فلعلّها نقلٌ إلى العربية بلسان غربيٍّ لا يعرف الحاء (كعامة يهود فلسطين اليوم) كما أنّ الكاف في حنوك العبرية تُنطق خاءً وفق قواعد النطق العبرية (قاعدة: بجدكفت). ولا يظهر لي الآن وجهٌ آخر لسبب كتابتها أخنوخ. والأمر على كلِّ حال ليس ترجمةً من العبرية إلى العربية؛ لأن أخنوخ كلمةٌ ليست عربيّة الأصل. والخنخنة في لغة العرب إخراج الصّوت من الأنف[1].

ومن العسير تتبُّع الشطحات التأثيلية لخزعل الماجدي فهي كثيرةٌ[2]، وليس من أغربها أنّه يزعم أن اسم نوح هو «أوتنانبشتم» البابلي، وقد انتقل إلى «نوح»؛ بحذف كل الحروف للتخفيف إلا حرف النون، ثم إضافة حاء إليه[3]!

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: خنن.

(2) الأمر عجيب بحق؛ إذ «يتطوّع» الماجدي مرارًا في كتبه بتعريفنا بالأصول اللغوية لكلمة ما، دون أن يكون عارفًا باللغة الأصل، بل ويخالف معلومات يعرفها المبتدئ في الدراسات الدينية أو التوراتية. ومن ذلك قوله في كتابه: «تاريخ القدس القديم» (ص 231): «إنّ كلمة (التوراة) مشتقة من الفعل العبري (يَرَشْ) والذي يقترب بمعناه من الفعل العربي (رأى) الذي يفيد اليقين والاعتقاد». والذي لا يجهله أي طويلب علم في الدراسات اليهودية أنّ التوراة תּוֹרָה كلمة من جذر فعل ירה [يرا] بمعنى علم. ولا يمكن أن تكون الكلمة من «يرش» «ירש» لاختلاف الجذر. كما أنني عاجز عن فهم التطابق بين «ورث» و«رأى» في اللغة العربية!

وزاد الماجدي في الفقرة السابقة نفسها في إظهار جهله بما يتحدّث فيه، بقوله: «ويبلغ الحد الأدنى لكل أسفار التوراة (39) سفرًا وتسمى بـ(العهد القديم) الذي يحمل بالعبرية الإسم (كذا) الحرفي (توراة الأنبياء والكتبة) أي (إرشاد الأنبياء والكتبة).».. وهذا أيضًا قول عجيب؛ فالماجدي يجهل أصل مصطلح «تناخ» «תנ"ך» الذي يُستعمل للدلالة على ما يُسمى عند النصارى بالعهد القديم؛ إذ زعم أنّ تاء التناخ التي هي اختصار لكلمة «توراة» تعني «إرشاد»؛ في حين أنّ التاء تعني «توراة» بمعنى الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى -عليه السلام-، وأما النون؛ فتعني النبيين נְבִיאִים أي كتب الأنبياء، وتدلّ الخاء التي تُكتب بحرف كاف العبري على الكتابات כְּתוּבִים، أي بقية الأسفار. فالتناخ مصطلح لاختصار الأقسام الثلاثة «للعهد القديم».

(3) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، ص 386.

وأنت - كما ترى - أمام ظلماتٍ بعضها فوق بعض، رصيدُها الوحيد، السَّطْو على دعاوى السابقين، والظنُّ السادر، والتّلاعب بالبحث اللغوي[1].

والحقُّ، ما قاله الناقد أ. ديمل منذ قرن من الزمان عن الصلة بين آباء ما قبل الطوفان في التوراة وملوك ما قبل الطوفان عند السومريين: «من الأفضل الإقرار بنزاهةٍ أنّه إلى اليوم لم يتمّ إثبات أيِّ صلة بين التراثين البابلي والتوراتي للأسلاف في عصر ما قبل الطوفان»[2]. وهو ما فَصَّلَهُ جيرهارد هازل بقوله: «هناك فقدانٌ كاملٌ للاتفاق بين القائمتين أو العلاقة بينهما. يتجلّى ذلك من خلال مقارنة الأسماء وطول العمر ومدد الحكم، وخطّ النّسب والخلافة الملكية، وعدد [شخصيات] ما قبل الطوفان، والمعلومات الزمنية، والأيديولوجيا، والنوع، والتركيز التاريخي، وبداية كلّ منهما ونهايته»[3].

الخلاصة:

- ليس في أخبار إدريس -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة.
- ليس في خبر القرآن عن إدريس -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.
- لا حُجّة عند من يزعم أنّ خبر إدريس -عليه السلام- في القرآن أو التوراة أصله سومريّ.

---

(1) لخزعل الماجدي أيضًا جرأة منكرة على الجزم بالأصول اللغوية للأسماء؛ فقد يأتي للاسم الذي حار العلماء في أصله، وذهبوا فيه إلى أكثر من قول دون حسم؛ فيورد له أصلًا دون تنبيه على أن قوله مجرّد ظن (مثال: ميتارون، ص 321)، وأحيانًا ينسب إلى الأصل العبري للتوراة وترجماته أشياء عجيبة.
والحق أنّ جهل الماجدي باليهودية والنصرانية مزعج؛ فهو ينقل من الشبكة العنكبوتية من الإنجليزية إلى العربية آليًا دون مراجعة أهل التخصص، ومن ذلك قوله: «ذكرت ليليت في كتاب الكابالا اليهودي في قسم الزوهار» (ص178)! والحق أنّ الزوهار كتاب ضخم من كتب الكابالا، طبع في عدد كبير من المجلدات، وهو ليس جزءًا من كتاب آخر. علمًا أن الكابالاه/ قبالا קַבָּלָה تراث روحي لليهود، وليست كتابًا من كتبهم!

(2) A. Deimel, “Die babylonische und biblische Uberlieferung bezuglich der vorsintflutlichen Urvater,» Or 17 (1925) 43 (Cited in: Claus Westermann, *Genesis 1 - 11: A Commentary*, p.351).

(3) Gerhard F. Hasel, ‘The Genealogies of Gen 5 and 11 and Their Alleged Babylonian Background,’ *Andrews University Seminary Studies* 16 (1978):373.

الفصل السابع
الوجود التاريخي لآدم -عليه السلام-

المبحث الأول: آدم -عليه السلام- في القرآن والكتاب المقدس

آدم -عليه السلام-، أبو البشر، وأوّل الأنبياء. منه جاءت البشرية جمعاء. خلقه الله في الجنة بيديه - سبحانه - من ترابِ الأرض، ثمّ أنزله وزَوْجه أرض المعاناة؛ لينشأ نَسْلُه في حياة المكابدة والاختبار والاختيار، بعد أنْ أكلَ من الشجرة التي نهاه الله - سبحانه - عن أكل ثمرتها. وقد أنجب ولدَيْنِ، قَتَلَ الطّالحُ منهما الصّالحَ.

ومن أَجْمَعِ الآيات تلخيصًا لخبر آدم -عليه السلام-، قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: 71 - 85].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ

فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: 61 - 65].

وتشارك التوراةُ القرآنَ أَهَمَّ خبرِ آدم -عليه السلام-، وهو أنّه -عليه السلام- أبو البشريّة، وأنّه نشأ في الجنّة (الأرضيّة)، ثم طُرِدَ منها بعد الخطيئة، وأنّ له من الأبناء قايين وهابيل...

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لآدم -عليه السلام-

ليس في القرآن تفصيل في الأمور التاريخية لآدم -عليه السلام-، غير ما سبق ذكره. وقد اختلف علماء الإسلام في أمر الجنة التي خُلق فيها آدم -عليه السلام- ؛ فذهب فريق إلى أنّها في السماء، وقال آخرون إنها جنة على أرضنا كما في التوراة. وقد نقل ابن كثير هذا الاختلاف: «... وَاخْتُلِفَ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي أُسْكِنَاهَا يَعْنِي آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهَا جَنَّةُ الْخُلْدِ، الثَّانِي جَنَّةٌ أَعَدَّهَا اللَّهُ لَهُمَا وَجَعَلَهَا دَارَ ابْتِلَاءٍ، وَلَيْسَتْ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي جَعَلَهَا دَارَ جَزَاءٍ. وَمَنْ قَالَ بِهَذَا اخْتَلَفُوا عَلَى قَوْلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهَا فِي السَّمَاءِ لِأَنَّهُ أَهْبَطَهُمَا مِنْهَا، وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ، وَالثَّانِي أَنَّهَا فِي الْأَرْضِ لِأَنَّهُ امْتَحَنَهُمَا فِيهَا بِالنَّهْيِ عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَا عَنْهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الثِّمَارِ. وَهَذَا قول ابن يحيى»[1].

ليس في القرآن، بعد الإخبار أن آدم -عليه السلام- أوّل البشر، الإخبار عن عصره منذ خُلقت الأرض. وما جاء في التوراة غير واضح في تحديد موطن آدم -عليه السلام- ؛ فقد قيل إنّ تلك الأرض تقع في بلاد الرافدين، وقيل في أرمينيا، وقيل غير ذلك[2]، كما أنّ زمن وجود آدم -عليه السلام- في التوراة مخالف لما قَرَّرَهُ الحديث النبوي كما سيأتي بيانه لاحقًا. فآدم -عليه السلام- إذن لا يُعرف عصرُه ولا مِصرُه؛ ولذلك لا يقول أحدٌ من الباحثين الجادّين إنّ الآثار من الممكن أن تكون مصدرًا للبحث عن آدم -عليه السلام- ؛ إذ إنّ بيئتَهُ مجهولةٌ كليّةً، كما لم يكن في عصره من البنايات ما يؤرّخ له قصّته.

التشكيك في وجود آدم قائم على اعتراضين، امتناع وجود بشرٍ أوّل، وخطأ الزَّعْمِ أنّ أبا البشريّة قد عاش منذ بضعة آلافٍ من السنين.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 1/ 75.

(2) See Jean Delumeau, *History of Paradise: The Garden of Eden in Myth and Tradition* (Chicago: University of Illinois Press, 2000).

المطلب الأول: دعوى امتناع وجود إنسان أول

تقوم النظريّة الدّاروينية على أنّه لا يوجد بشرٌ أوّل؛ فإنّ سلسلة التطوّر التي بدأت بكائن وحيد الخليّة منذ قرابة 4 بلايين سنة، لا تعرف ظهور كائنات جديدةٍ مرّةً واحدة، وإنّما الكائنات تترقّى ببطء شديدٍ جدًّا على ملايين السنين؛ ومن ذلك الانتقالُ من طور «القرد الجنوبي» إلى الإنسان العاقل.

ونحن لا نُسلّم للنّظريّة التطورية الداروينية. وهو نقاش قد أُشبع بحثًا، وقد تناولنا بعض ذلك في كتاب آخر[1]، ومُختصر الحديث فيه أنّ هذه النظرية مَعِيبةٌ من أكثر من وجهٍ، وأعظمها أنّها لا يمكن أن تصحّ دون أن توجد شجرةُ حياةٍ واحدة، تبدأ من الخلية الأُولى وتنتهي بالإنسان وغيره من الكائنات الحيّة اليوم. وقد أثبت البحث العلمي أنّ «شجرة الحياة» وَهْمٌ ينسِفُه ترتيب الكائنات الحيّة مورفولوجيًا وجينيًا؛ حتّى قال عالم البيولوجيا الفرنسيّ (إريك بابتست)[2]: «نحن لا نملك البتّة أيَّ برهانٍ على أنّ شَجَرَةَ الحياة شيءٌ حقيقيٌّ»[3].

علمًا أنّ الأبحاث الجينية تتحدّث اليوم عن حواء الميتوكوندرية Mitochondrial Eve، كسلف واحد لجميع البشر؛ فقد دلّ البحث العلمي أنّ جميع الميتوكوندريات[4] لها أصلٌ أوّلٌ مشتركٌ واحد، وسواءٌ أكانت هذه الأنثى هي حواء نفسُها أو واحدةٌ من نَسْلِها؛ فذاك مُثْبِتٌ أنّ القول بعودة البشر اليومَ كلّهم إلى زوجَيْنِ اثنَيْنِ أمرٌ قامت القرائن العلمية لإثباته.

كما أشارت دراستان حديثتان أنّ سلَفَ كلّ الذكور قد عاش بين 100.000 و200.000 عام، في عصرٍ قريب من الزمن الذي عاشت فيه أُمُّ كلّ النّساء (بين

(1) انظر سامي عامري، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم (لندن: مركز تكوين، 2018)، ص 491 - 564.
(2) إريك بابتست Eric Bapteste: بيولوجيٌّ فرنسيٌّ حاصل على دكتوراه في البيولوجيا وأخرى في فلسفة العلم من «السُّوربون» حول عالميّة شجرة الحياة.
(3) Graham Lawton, 'Why Darwin was wrong about the tree of life', *New Scientist* (January 21, 2009)
(4) الميتوكوندريا إحدى عضيات الخلية، وتنتقل إلى الأبناء عن طريق بويضة الأم.

100.000 و150.000 عام)[1]. ورغم أنّنا لا نزعم أنّ هذه الدراسات نهائية، إلّا أننا نقول إنّها ناقضة للقول إنّ العلم يمنع وجود رَجُلٍ واحدٍ جاء منه كلُّ البشر. وحسبُنا نفيُ الامتناع في هذا المقام؛ لأنّ المقام هنا ليس الإثبات التاريخي لوجود آدم -عليه السلام-، وإنما هو منع أُسطوريّته.

والالتجاءُ إلى الأحافير للزَّعم أنّ الإنسان مُتَرَقٍّ عن سَلَفٍ، مغالطةٌ غافلةٌ عن دقيقِ قول العلماءِ في أمر هذه الأحافير. وقد أقرَّتْ مراجعةٌ علمية للتطور البشريِّ قام بها اثنان من أكابر علماء الأنثروبولوجيا القديمة سنة 2015 بـ«ندرة الأدلة التي لا لبس فيها على السلالات المنحدرة من أسلاف»، ونصّت على أنّ «التسلسل التطوري لغالبية سلالات أشباه البشر غير معروفة. معظم أصناف أشباه البشر، لا سيما أشباه البشر الأوائل، ليس لها أسلاف واضحة، وفي معظم الحالات لا يمكن بناءُ متوالياتِ سَلَفٍ - السّليل (سلاسل زمنية أُحفورية) بثقة»[2].

المطلب الثاني: عصر آدم -عليه السلام-

متى عاش آدم -عليه السلام- ؟

ليس في القرآن خبرٌ عن ذلك، ولا في السُّنَّة النبوية، وإن كان يُفهم من السُّنَّة أنّ آدم -عليه السلام- قد عاش منذ زمن بعيدٍ. قال الإمام ابن حزم في ردّه على اليهود مذهبهم أنّ آدم -عليه السلام- قد عاش منذ بضعة آلافٍ من السّنين: «وأما اختلاف الناس في التاريخ، فإن اليهود يقولون للدُّنيا أربعة آلافِ سنةٍ ونيّفٍ. والنّصارى يقولون

(1) G. Rebecca L. Cann, 'Y Weigh In Again on Modern Humans,' *Science* 341 (August 2, 2013): 465-67; David Poznik et al., 'Sequencing Y Chromosomes Resolves Discrepancy in Time to Common Ancestor of Males Versus Females,' *Science* 341 (August 2, 2013): 562-65; Paolo Francalacci *et al.*, 'Low - Pass DNA Sequencing of 1200 Sardinians Reconstructs European Y - Chromosome Phylogeny,' *Science* 341 (August 2, 2013): 565-69.
Fazale Rana, Update: When Did the Genetic Adam and Eve Live? <https://reasons.org/explore/publications/tnrtb/read/tnrtb/2013/08/16/update - when - did - the - genetic - adam - and - eve - live>.

(2) Bernard Wood and Mark Grabowski, 'Macroevolution in and around the Hominin Clade,' in Serrelli Emanuele and Nathalie Gontier, eds. *Macroevolution: Explanation, Interpretation, and Evidence* (Heidelberg: Springer, 2015), 347-376 (365).

للدُّنيا خمسةُ آلاف سنة. وأما نحن فلا نقطع على عددٍ معروفٍ عندنا. وأمّا من ادَّعى في ذلك سبعة آلافِ سنة أو أكثر أو أقلّ، **فقد كذبَ، وقال ما لم يأت قطُّ عن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - فيه لفظةٌ تَصِحُّ، بل صحَّ عنه -عليه السلام- خِلافه،**.... قول رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: «ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»[1].

الإشكال إذن وارد على الخبر التوراتي في شأن تاريخ البشرية وسلسلة الأنساب؛ إذ تُقدِّم لنا التوراة سلسلة متصلة من الرجال منذ آدم -عليه السلام- حتى المسيح -عليه السلام-.

والتفصيل يظهر في الجدول التالي[2]:

الأب	الابن	المدة	حصيلة المدة	المرجع
آدم	شيت	130	130	تكوين 5
شيت	أنوش	105	235	تكوين 5
أنوش	قينان	90	325	تكوين 5
قينان	مهللئيل	70	395	تكوين 5
مهللئيل	يارد	65	460	تكوين 5
يارد	أخنوخ	162	622	تكوين 5
أخنوخ	متوشالح	65	687	تكوين 5

(1) متفق عليه. لم أجد اللفظ كما عند ابن حزم. وألفاظ الحديث عند البخاري ومسلم دالة أيضًا أنّ القصد عدد أفراد الأمة مقارنة بعدد البشر منذ آدم عليه السلام حتى آخر الحياة الدنيا؛ بما يدلّ على عمر البشريّة الطويل. جاء في روايةٍ عند البخاري: «أوّل من يدعى يوم القيامة آدم. فتراءى ذريته. فيقال: هذا أبوكم آدم. فيقول: لبيك وسعديك! فيقول: أخرج بعثَ جهنم من ذريتك. فيقول: يا رب، كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين. فقالوا: يا رسول الله، إذا أخذ منا من كلّ مائة تسعة وتسعون؛ فماذا يبقى منا؟ قال: إنّ أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود» (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، (ح/ 6164)).
انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2/ 84.

(2) Lita Cosner, How does the Bible teach 6,000 years?. < http://creation.com/6000 - years >.

متوشالح	لامك	187	874	تكوين 5
لامك	نوح	182	1056	تكوين 5
نوح	الطوفان	600	1656	تكوين 7/ 11
الطوفان	أرفكشاد	2	1658	تكوين 11
أرفكشاد	شالح	35	1693	تكوين 11
شالح	عابر	30	1723	تكوين 11
عابر	فالج	34	1757	تكوين 11
فالج	رعو	30	1787	تكوين 11
رعو	سروج	32	1819	تكوين 11
سروج	ناحور	30	1849	تكوين 11
ناحور	تارح	29	1878	تكوين 11
تارح	إبراهيم	130	2008	تكوين 11
إبراهيم	إسحاق	100	2108	تكوين 21/ 5
إسحاق	يعقوب	60	2168	تكوين 25/ 26
يعقوب	مصر	130	2298	تكوين 47/ 9
يعقوب في مصر	الخروج	430	2728	الخروج 12/ 40
الخروج	بداية الهيكل	480	3208	1 الملوك 6/ 1

الخلاصة:

- ليس في أخبار آدم -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة.
- لا توجد حجّة علميّة قاطعة تمنع وجود آدم -عليه السلام-.
- ليس في خبر القرآن عن آدم -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.

الباب الخامس

الوجود التاريخي للأنبياء
الذين لا ذكر لهم في التوراة والإنجيل

تناولنا في الفصول السابقة تاريخيّة الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن والكتاب المقدس. ونتناول في هذا الفصل تاريخية الأنبياء الذين لا ذكر لهم في أسفار أهل الكتاب. وهم: هود وصالح وشعيب وذو الكفل - عليهم السلام -. والمشهور أنّ ثلاثة منهم عرب؛ فقد جاء في حديث أبي ذر: «هُودٌ، وَصَالِحٌ، وَشُعَيْبٌ، وَنَبِيُّكَ يَا أَبَا ذَرٍّ». والحديث - على شهرته - ضعيف[1].

وقد اجتهد بعض الكتّاب لإثبات أنّ هودًا وشعيبًا وذا الكفل - عليهم السلام - شخصيات توراتيّة، وإنْ تَغَيَّرَ اسمُها في الخبر القرآني. وهي محاولاتٌ فيها تكلُّفٌ لغويٌّ واضح، وفقدانٌ للقرائن الجادّة التي من الممكن أن تطابقَ بين هؤلاء الأنبياء وقصص التوراة.

وسنتناول في الصفحات التالية الخبر القرآني لهؤلاء الأنبياء الأربعة، ومبلغ شرعية إنكار وجودهم التاريخي؛ استنادًا إلى الكشف الأركيولوجي.

(1) قال ابن كثير: «قَدْ رَوَى هَذَا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم ابن حِبَّانَ الْبُسْتِيُّ فِي كِتَابِهِ: «الْأَنْوَاعُ وَالتَّقَاسِيمُ» وَقَدْ وَسَمَه بالصِّحَّةِ، وَخَالَفَهُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ، فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِهِ «الْمَوْضُوعَاتِ»، وَاتَّهَمَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ هَذَا، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْحَدِيثِ» (تفسير القرآن العظيم، 2/ 470).

الفصل الأول
الوجود التاريخي لهود -عليه السلام-

المبحث الأول: هود -عليه السلام- في القرآن

جاء الخبر في القرآن أنّ الله - سبحانه - قد أرسل النبيَّ هُودًا -عليه السلام- إلى قوم عادٍ الساكنين في الأحقاف. وقد دعاهم هذا النبي الكريم إلى ترك عبادةِ الأصنام، والإقبال على التوحيد؛ لكنّهم واجهوه بالنفور والغِلظة والشدّة، واتّهموه في عقله؛ فعاقبهم الله بريحٍ عاصفة باردة؛ اقتلعَتْهُم من الأرض، وتركتهم كجذوع النَّخْل التي قد قُطِعتْ رؤوسُها الخاوية.

وقد لخّص الإمام ابن كثير خبر هود -عليه السلام- وقومه، بقوله: «والمقصود أنّ عادًا كانوا عربًا جُفاةً كافرين، عُتاةً متمرّدين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلًا منهم يدعوهم إلى الله، وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له، فكذّبوه، وخالفوه، وتنقّصوه، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر»[1].

جاء خبر هود -عليه السلام- وقومه، في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 1/ 123.

أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (الأعراف/ 65 - 72).

وقال - جلّ وعلا -: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾(الأحقاف/ 21 - 26).

وقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ (فصلت/ 15 - 16).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ (الحاقة/ 6 - 8).

وقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلِكَتْ عاد بالدَّبُور»[1]. فالصَّبَا هي الريح الشرقية، على خلاف الدَّبُور التي هي الريح الغربيّة.

---

(1) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي - صلّى الله عليه وسلّم - نصرت بالصبا (ح/ 988)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور (ح/ 900).

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لهود -عليه السلام-

المسائل القابلة للرصد الأركيولوجيّ في قصة هود -عليه السلام- وقومه عاد:

- سُكْنى هود وقومه في «الأحقاف»: أشار القرآن إلى أنّ قوم عاد ونبيَّهم قد سكنوا الأَحْقَاف: قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ (الأحقاف/ 21). والأَحقاف لغةً الرِّمال، أو كما قال الماوردي: «الأحقاف جمع حقف؛ وهي ما استطال واعوجّ من الرمل العظيم، ولا يبلغ أن يكون جبلًا»[1]. وهو وَصْفٌ يَصْدُق على أماكن كثيرة في الجزيرة العربية. وليس في القرآن إرشادٌ إلى موضعٍ مخصوص في البلاد العربية لعاد، وإن كان الموضع يُنسب عادة إلى الحدود الجنوبية للجزيرة العربية بين عُمان وحضرموت.
- بناء قوم عاد أَعْمِدة ضخمة: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾ (الفجر/ 6 - 8). وقد اختلف المفسرون في معنى «إرم»، و«العماد»، وفي الضمير الذي يعود إليه قوله تعالى: ﴿ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾:

اختلف المفسرون في معنى إرم؛ فقال بعضهم: هي اسمُ بَلْدةٍ، ثم اختُلِف في تعيين البلدة، فقال بعضهم: الإسكندرية، وقال آخرون: هي دِمَشق. وقيل غير ذلك[2].

كما اختلفوا في معنى «ذات العماد»؛ فقال بعضهم: ذات الطُّول، وذهبوا في ذلك إلى قولِ العرب للرَّجُلِ الطَّويل: رجلٌ مُعَمَّدٌ. وقيل: كانوا أهل عَمَدٍ، ينتجِعون الغُيوثَ، وينتقلون إلى الكلأ حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم، وقيل: لهم بناءٌ بَنَاهُ بعضهم، فشيَّدَ عَمَده، ورَفَعَ بناءَهُ، وقيل: شِدَّةُ أبدانهم وقواهم[3].

---

(1) الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية)، 5/ 282.

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24/ 368.

(3) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24/ 365 - 366.

وفي الضمير في «مثلها»، قال ابن كثير: «أعاد ابن زيد الضمير على العِماد؛ لارتفاعها. وقال: بَنَوْا عَمَدًا بالأحقاف لم يخلق مثلها في البلاد. وأمّا قتادة وابن جرير فأعادا الضمير على القبيلة، أي: لم يُخْلَقْ مثل تلك القبيلة في البلاد، يعني في زمانهم»[1].

وحاصل ما سبق أنّ قوم عادٍ أو بعضهم كانوا أقوياء أو أهلَ رِحلةٍ أو شيّدوا أَعْمِدةً. وأقصى ما يُقال فيما سبق من الناحية الأركيولوجيّة أنّه كانت لعادٍ بناياتٌ ذاتُ أعمدةٍ عاليةٍ. وهي مَعْلَمٌ مبنيٌّ من الممكن رصدُه في الحفريّات، لكنّ ذلك يبقى رهينَ الكشفِ عن منطقة سكَنِهم في بلاد الجزيرة العربية الرمليّة التي لم تَمَسَّها يد البحث الأركيولوجيّ إلّا قليلًا.

- هلاك قوم عاد بالريح: هلكَ قومُ عاد في قلب الصحراء، في أرضٍ رمليّةٍ كثيفة الرّمال، بريحٍ عظيمةٍ: قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ (الأحقاف/ 25)، بما يُؤدّي عادةً إلى طَمْسِها أو هَدْمِ ما علا منها على الأرض. وذاك سببٌ عظيمٌ لِانْدِراسِ آثار القوم؛ خاصّةً لو أضفنا أنهم قد عاشوا قريبًا من عصر نوح - عليه السلام - على قولٍ؛ بما يُرجّح أنّ مساكن عادٍ لا تزال مطمورةً تحت سطح الرّمال بعشرات الأمتار أو ما قارب ذلك.

اعترض المنصّرون وأشياعُهم على الخبر القرآنيّ عن هود -عليه السلام- وقومه عاد، من أوجه:

أولاً: لم يذكر الكتاب المقدّس قصّة عاد ونبيّهم.

ثانياً: التاريخ لا يذكر قصة عاد ونبيهم، رغم أنّ القرآن يُخبر أنّ عادًا أُمّةٌ عظيمةٌ عددًا.

ثالثاً: عادٌ أمّةٌ غير معروفةٍ. وإذا صَدَّقنا أنّ بطليموس قد ذكرها باسم Oaditae؛

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 395.

فهذا يُثبت أنّ عادًا أمّةٌ من الناس عاشت في القرن الثاني؛ إذ إنّ بطليموس قد ولد سنة 90م، في حين يُفهَمُ من القرآن: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (المؤمنون/ 31-32) أنّ عادًا قد وُجدت بعد 100 سنة (قرن واحد) من عصر نوح النّبي. وهو ما يظهر أيضًا في قول القرآن: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾(الأعراف/ 69). وهذا غَلَطٌ من جهتين، (أ) أنّه لا ذِكْر لعادٍ قبل القرن الثاني، (ب) امتناعُ ظهور أُمّةٍ عظيمة العَدَدِ بعد مئة سنةٍ من فناء البشريّة إلا نوحًا -عليه السلام- ومن معه في الفلك.

رابعاً: القرآنُ يقول إنّ عادًا قد عاشوا في الأحقاف: ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ (الأحقاف/ 21). والأحقافُ أرضٌ في جنوب الجزيرة العربية. ومعلوم أنّ تلك الأرض قاحلةٌ؛ فلا ماء فيها ولا زرع. ولا يمكن لذلك أن تقوم فيها حضارة مزدهرة لأمّة عاد.

خامسًا: لا يُعرف في التاريخ رجلٌ باسم «هود». واسم «هود» في القرآن أصله «يهوذا» « יְהוּדָה» الذي تُنسب إليه اليهودية، وهو أحد أبناء يعقوب -عليه السلام- (على خلاف دعوى القرآن أنه سابق لعصر إبراهيم -عليه السلام-)، أو هو رجلٌ يهوديٌّ عاش في القرن السّادس، وكان يدعو إلى اليهوديّة في الجزيرة العربية.

وجواب الدعاوى السابقة يأتي تفصيلًا في الحديث التالي:

أولًا: الكتاب المقدّس ليس حجّة في باب نفيِ تاريخية قوم عادٍ ونبيّهم؛ لسببين:

1. الكتاب المقدس مُدانٌ بالخطأ التاريخي في سرد قَصَصِ كثيرٍ من الأُمم.
2. الكتاب المقدس خاصٌّ أساسًا بسيرة بني إسرائيل ومن جاوَرَهُم. وليس من جيرانهم أهل الأحقاف. ولا يُجادل أحد أنّ الكتاب المقدّس قد أَغْفَلَ خبرَ كثير من الأمم القديمة التي دلّت الآثار قطعًا على أنهم استوطنوا الجزيرة العربية.

ثانياً: القول إنّ التاريخ قد أغفل ذكر عاد، وإنّ ذلك حجّة أنّ عادًا لم توجد؛ لأنّ القرآن يذكر أنّها أمّة كثيرة العدد، واقع في مجموعة مغالطات، منها:

1. لم يُخبر القرآن أنّ عادًا قوم هود -عليه السلام- أمّة عظيمة العدد، وإنْ أخبر أنّها أمّةٌ ذات قوّةٍ وبَسْطَةٍ في الجسم، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾(الأعراف/ 69).
2. إذا كانت قصّة قوم عاد قد وقعت - على قولٍ - بين عَصْرَي نوح وإبراهيم - عليهما السلام - ؛ فلا حرج من افتراض انطماس أثرهم في الصحراء العربية في الألفية الثالثة أو ما قبلها، قبل الميلاد؛ إذ لا يزعم الأركيولوجيون أنّهم قد أحاطوا بأمم جزيرة العرب في ذاك العصر، خاصة أنّ قوم هود -عليه السلام- قد أبيدوا - إلّا من نجا منهم - ؛ وانقطع أثَرُهم منذ ذاك الزمن البعيد. وقد علمتَ اندراس أثر حضارةٍ إيبلا المزدهرة في الألفية الثالثة، والتي لم تُكتَشف إلّا حديثًا. والأَمرُ يَصِحُّ أيضًا إذا كان قوم عادٍ قد عاشوا في الألفية الثانية أو الأولى قبل الميلاد.
3. يشهد كثير من الباحثين أنّ قوم عاد لهم ذكر في التاريخ، دون أن يلزمَ من ذلك أنّهم الفريق الذي عاش بينهم النبي هود -عليه السلام- ؛ فعادٌ أمّة لها حضور في التاريخ القديم، وإن كانت الجماعة التي عاشت منهم في بيئة هود -عليه السلام- قد هلك عامّتُها. وقد ذكرها بطليموس في القرن الثاني.

ثالثاً: تخطئة القرآن بالقول إنّ آياته تقرّر أنّ عادًا أمّة قد ظهرت بعد 100 سنة من عصر نوح -عليه السلام-، على خلاف علمنا أنها ظهرت في القرن الثاني بعد ميلاد المسيح، وأنّه لا يمكن أن توجد أمّةٌ كثيرة العدد بعد الطُّوفان العالمي بمئة سنة، خطأ من أوجه:

أ. ذِكرُ بطليموس لعادٍ في القرن الثاني[1]، ليس حجّة أنّهم لم يُوجَدوا قبل عصره، وإنّما يُثبت وُجودَهم في عصر بطليموس. ولا حرج ألّا يكون لهم ذكرٌ واضح في ما وَصَلَنا من كتب المؤرّخين؛ لأنّها أمّةٌ قد هلكَ عامّتُها منذ زمن بعيدٍ، ولم يبق منها إلا قلّة من الناس. ولم يَكثُر نَسْلُهم إلّا بعد قُرونٍ بعيدة. وهذا ما أَوْمَأَ إليه الخبرُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾ (النجم/ 50)؛ فبعد عادٍ الأُولى الهالكة، استمرَّ وجود العادِيِّين، سواءٌ أقلنا إنّ العذاب أصاب بعضهم (قبيلة منهم)، أو أنّه نجا منهم فريق استمرَّ نَسْلُه بعد العذاب.

ب. ذكر المستشرق برانون ويلر في حديثه عن قوم عاد: «أشار نقش بلميران[2] الذي يعود إلى سنيّ 267 - 272م إلى مكان أو أناس يُسمون «Iyad». وأشار بطليموس إلى قوم اسمهم «Oaditai» أو «Adites». وقد سجّل نص تكوين 10/ 19 مدينة أدمة كإحدى مدن السهل مع سدوم وعمورة. وأشار نقش آشوري لسرجون الثاني - ويعود إلى سنة 710 ق.م - إلى قبيلة «Ibb - Ad» العربية وغزوة سرجون لحصن Adu - mu في البلاد العربية»[3].

ت. كلمة «قرن» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢﴾ (المؤمنون/ 31-32)، بمعنى أُمّة من الناس لا بمعنى 100 سنة. قال الطبري في تفسيره للآية: «ثم أحدثنا من بعد مَهلِك قوم نوح قرنًا آخرين، فأوجدناهم»[4]. وقال البقاعي: «من بعدهم قرنًا» أي أُمّةً

(1) اعترض هنا على تعلّق كلام بطليموس بعاد القرآنية بالقول إنّ حديثه يضعها شمال الجزيرة العربية لا جنوبها، في الأحقاف. والجواب أنّه لا يبعد أن تغيّر عادٌ مكانها أو تتوسّع مساكنها على مدى هذا الزمن الطويل، كما أنّ قوم عاد الذين عاشوا زمن بطليموس ليسوا هم الجماعة التي أرسل إليها هود -عليه السلام-، وإنّما يشتركون في النّسب الأول للعادِيّين. أضف إلى ما سبق أنّه لا يوجد اتّفاق بين المفسّرين أنّ «الأحقاف» منطقة تقع جنوب الجزيرة العربية، كما سيأتي.

(2) نقش من مدينة تدمر.

(3) Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p.141.

(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 17/ 39.

وجِيْلاً»[1]. وقال ابن عاشور: «والقرنُ الأمّةُ»[2].

ث. قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ (الأعراف/ 69)، لا يدلّ - ضرورة - أنّ عادًا وُجِدُوا مباشرةً بعد قوم نوح؛ فإنّ كلمة «خُلفاء» تدلُّ على أنّهم قد خَلَفُوهم على الأرض. وهو على كلّ حال لا يدلُّ زمنيًّا على أمرٍ قاطع سوى أنّ قوم عاد قد ظهروا بعد قوم نوحٍ.

ج. سبق أن قلنا إنّ طوفان قوم نوح -عليه السلام- - على الأرجح - ليس عالميًّا؛ فلم تبدأ البشرية بعده من جديد. وقومُ عادٍ بذلك قد يكون لهم وجودٌ غيرُ منقطعٍ من قبل الطوفان.

رابعًا: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ (الأحقاف/ 24)؛ فدلَّ ذِكْرُ الأودية أنّهم لم يسكنوا الرّمال. وأَصْرَحُ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ (الشعراء/ 132 - 134).

وهذا وصفٌ لمستوطنةِ عادٍ، بعيدٌ عن حقيقة الأحقاف «جمع حقف وهو من الرَّمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلًا»[3]. فالأحقاف بذلك تصدقُ على واحد من احتمالَيْنِ:

1. ما آلت إليه مساكن قوم عاد عصر البعثة الخاتمة في القرن السابع الميلادي؛ إذ صارَتْ صحراء، وطُمِسَ أَثَرُ الجِنَانِ والعيون؛ فجاء تعريفها في القرآن بما يعرفه أهل العصر عن واقع الأرض التي كان قد سكنها قوم هود -عليه السلام-.

والبحث الكشفيّ يشهد اليوم أنّ جزيرة العرب كانت أنهارًا وحدائق من خلال

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، 13/ 136.
(2) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، 18/ 49.
(3) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 21/ 150.

صور الأقمار الاصطناعية الكاشفة عن أنهارٍ وبحيرات كثيرةٍ قديمة جافّةٍ، بالإضافة إلى العثور على بقايا حيوانات لا تعيش إلّا في الأراضي الخصبة لا الصّحاري[1].

2. الأحقاف لا تفسَّرُ بالمعنى اللغوي، وإنّما هي اسمٌ لمنطقة ما. وقد روى الطبري عن الضحّاك - التابعيّ المفسّر - أنّها اسمٌ لجبل[2]. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنّ الأحقاف المذكورة في الآية جبل بالشام[3]. ومما قد يُستدل به لذلك، وجود أحد الوديان باسم «وادي إرم» في شمال الحجاز. كما دلّت الحفريّاتُ الأثرية على وجود مكان يُسمّى «إرم» في منطقة جنوب الأردن[4].

خامسًا: ليس في القرآن ما يدلّ على أنّ اسم هود من اليهود أو يهوذا؛ خاصة أنّ خبر اليهود شائع في القرآن. وأمّا القول إنّ اسم «هود» لرجل يهودي عاش في القرن السادس؛ فلا حجّة تاريخية جادة له، بالإضافة إلى أنّ القرن السادس قريب من زمن البعثة، وعهد العرب به قريب - إن صّح وجوده -، وذاك يُعارض ردّ القرآن زمن هود -عليه السلام- إلى عصر بعيد جدًّا عن زمن البعثة الخاتمة.

الخلاصة:

- ليس في أخبار هود -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة، خاصة مع جهلنا بعصره، وعلمنا بما لحق قومه من عذاب أبادهم.
- ليس في خبر القرآن عن هود -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.

---

(1) انظر مثلا:

Ash Parton; Andrew R. Farrant; Melanie J. Leng; Matt W. Telfer; Huw S. Groucutt; Michael D. Petraglia; Adrian G. Parker, 'Alluvial fan records from southeast Arabia reveal multiple windows for human dispersal', *Geology* (2015) 43 (4): 295-298. 'A damp dispersal out of Africa', *Nature* volume 519, page 9(2015)

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 21/ 150.

(3) المصدر السابق.

(4) عبد الرحمن الأنصاري، لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية، ص 88 (نقله محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، بلاد العرب، ص 247).

الفصل الثاني
الوجود التاريخي لصالح -عليه السلام-

المبحث الأول: صالح -عليه السلام- في القرآن

صالح -عليه السلام-، نبيٌّ لم يرد ذكره في الكتاب المقدس. وخبره في القرآن. وخلاصة قصّته أنّه -عليه السلام- قد بُعث إلى قومه ثمود يدعوهم إلى التوحيد، ولكنّهم أَبَوا الإصغاء إليه والتوبة، فجاءهم بآية عظيمة، وهي ناقةٌ ظهرت لهم بطريقة مُعجِزةٍ، وحذّرهم إنْ آذوها أن يحلّ بهم عذاب عظيم. فاستخفّوا به؛ وعقروا النّاقة؛ فأصابهم العذاب الشديد المهلك.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لصالح -عليه السلام-

المسائل التاريخية المذكورة في قصّة صالح -عليه السلام- وثمود، وتقبل الرصد الأركيولوجي:

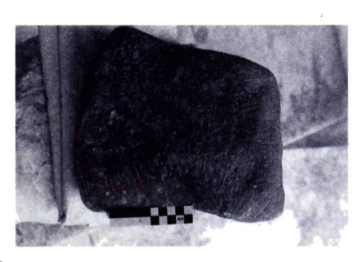
- أُرسِل صالحٌ -عليه السلام- إلى ثمود الوثنيين: قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (هود/ 61).
- عاش قوم صالح -عليه السلام- في منطقة الحِجْر: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الحجر/ 80).
- عاشت ثمود في أرض خصيبة، وتميّزت بنَحْتِ بيوتها في الجبال: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (الشعراء/ 145 - 149).
- ظهرت ثمود بعد عاد الأولى: قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ ﴾ (الأعراف/ 74).
- عوقبت ثمود بعد عصيانها بزلزلة الأرض بها، كما في قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الأعراف/ 77 - 78)، وبالصيحة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (هود/ 67)، وقوله سبحانه: ﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الذاريات/ 44).

- نجت طائفة من قوم صالح -عليه السلام- من العقوبة: قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ (النمل/ 52 - 53).

أقدم ذكر للثمودِيّين ورد في حوليات سرجون الثاني مع شعوب أخرى، باعتبارهم من العرب ساكني الصحراء، وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريّين وهذه الشعوب. وتدّعي هذه الحوليات أنّ سرجون قد هزم خصومه، وسباهم إلى السامرة: «لقد قضيتُ بعون آشور ربّي على تمودي ومرسيماني وحيابا، أرض العرب البعيدة، سُكّان الصحراء، الذين لا يعترفون برؤساء أو قادة، والذين لم يدفعوا جزيةً لأي مَلِكٍ. وقد سبَيْتُ الأحياء منهم ونقلتهم إلى السامرة»[1].

كما ورد خبر الثموديّين في نقوش صفائيّة بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع، ومنها نَقْشٌ على حَجَرٍ كُتِبَ عليه: «سنة حارب جوشم على ثمود».

نقش محاربة جوشم لثمود
WH 3792.1



كما ورد ذكر الثموديّين في نقش مكتوب بالنَّبَطِيَّة واليونانيّة. وقد كُتب على معبدٍ في الشمال الغربي للجزيرة العربية، وقد بناه الثموديُّون سنة 160م.

(1) Annals, II. 120B - 123A (Cited in: Mark W. Chavalas and K. Lawson Younger, eds. *Mesopotamia and the Bible* (New York: A&C Black, 2003), p.310).

النقش النبطي - اليوناني
وفيه قوم ثمود ΘΑΜΟΥΔΗΝΩΝ ΕΘΝΟΣ باليونانية(1)



ويبدو أنّ الثموديّين قد سكنوا أكثر من منطقة منذ عُرف لهم ذِكرٌ مُدوَّنٌ، محفوظ في التاريخ؛ إذ قد وَصَفَ مؤلِّفُ كتاب: «الطّواف حول البحر الأريتري» مواضع الثموديّين مستنِدًا إلى موردٍ آخر أقدمَ أخذ منه؛ فقال إنهم كانوا يقيمون على ساحلٍ صخريٍّ طويلٍ، لا يصلح لسير السُّفن، وليست فيه خُلجان تستطيع أن تأوي إليه القوارب فتحتمي بها من الرياح، ولا ميناء تتمكن من الرُّسُوِّ فيه، ولا جزرًا عنده تقبل إليها القوارب الهاربة من الأخطار. وهو بذلك يذكر أنّ مواطن ثمود كانت في الحجاز على ساحل البحر الأحمر.

وأما بلينيوس، فذكر أنّ الثموديين قد سكنوا بين Domata وHaegra ومدينةٍ دعاها Badanatha Baclanaza. في حين ذكر بطليموس أنّ قوم ثمود قد سكنوا بين الـ Sarakenoi و Apatae ويظهر من كل ذلك أن ديارهم في شمال غربي «العربية السعيدة»(2).

كما تدلّ الشواهد الأثرية على استيطان ثمود جنوب الجزيرة العربية، في نجران

(1) M.C.A. Macdonald, *Arabs and Empires Literacy and Identity in Pre - Islamic Arabia* (Burlington, VT: Ashgate Publ., 2009), p.26.

(2) انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 1413هـ/ 1993م، 1/ 324 - 326.

وسبأ؛ فقد عُثِرَ على نقشٍ في سبأ يرجع إلى نهاية القرن السادس أو بداية القرن الخامس ق. م، يحكي قصة اثنين من قبيلة ثمودَ كانا يباشران العمل في ري نخيلهما، كما عُثِرَ في نجران على نقشَيْنِ سَبَئِيَّيْنِ ورد فيهما اسمُ الإله صلم، الذي كان معبوداً ثموديًّا في منطقة تيماء في العقد الذي استوطن فيه الملك البابلي بنونيد هذه المدينة - أي في الفترة (555 - 546 ق. م) -[1].

وما سبق دالٌّ على أنّ قوم ثمود كان لهم وجود في القرن الثامن قبل الميلاد، وأنّهم عاشوا في مساحات واسعةٍ من شبه الجزيرة العربية. ولا يعني ذلك أنه لم يكن لهم وجودٌ قبل ذلك. إذ الظاهر أنّهم وجدوا قبل ذلك؛ فإن حضورهم في القرن الثامن قبل الميلاد حُجّة على أنهم جماعة من أهلِ الحرب، لا أنهم أُسرةٌ حديثةُ عهدٍ بنشأة.

(1) انظر محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - في بلاد العرب (بيروت: دار النهضة العربية، 1408هـ - 1988م)، 270 - 276.

المبحث الثالث: اسم «صالح»

طرحَ بعض المنصّرين دعوى خرافية شخصية صالح -عليه السلام- الذي لم يُذكر في الكتاب المقدس، وحجّتهم أنّ «صالح» اسم عربيّ، لا يُمكن أن يكون مستعملًا في عصر قريب من عصر لوط -عليه السلام-.

وجواب هذه الدعوى أنّ ثمود قومٌ من العرب - من غير الإسماعيليّين؛ فهم أسبقُ وُجودًا من إبراهيم -عليه السلام- على قول عامّة الباحثين-. وهم سامِيُّون، تكلّموا لغةً ساميَّةً. وكلمة «صالح» من فعل صلح צלח الثلاثي، وهو من المشترك السّامي؛ فهو موجود في عربيّتنا، والعربية الجنوبية، والسريانية ܨܠܚ، والآرامية צְלַח، والعبرية צָלַח. وليس من سُنّة القرآن في نقلِه للأسماء الساميَّةِ نقلها دائمًا بحرفها نفسه، خاصة الصَّوائت vowels. ولذلك فلا عَجَبَ أن يكون اسمُ هذا النبيّ من فعل صلح السّاميّ. وقد جاء ذِكْرُه في القرآن على صيغةِ اسم الفاعل من صَلَحَ، لأنّه على اسم الفاعل من صلح في لغة الثموديّين؛ فليس هو من النقل المطابق صوتيًا، وإنّما هو نقلٌ على سبيل التعريب؛ مع الاحتفاظ بصوامت consonants الأصلِ السّامِيِّ.



المبحث الرابع: مدائن صالح ومساكن ثمود

يقول المنصّرون ومن شايعهم: لقد أخطأ القرآن بنسبة البيوت المنحوتة في العُلا في بلاد الحرمين (في الموضع المسمّى اليوم بمدائن صالح)، إلى قوم صالح -عليه السلام-. ووجهُ الخطأ في الخبر القرآني يظهر في اجتماع العناصر التالية:

أولاً: جاء في القرآن أنّ الصحابة قد رأوا البيوت المبنية لقوم صالح -عليه السلام- في آية: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (العنكبوت/ 38).

ثانياً: في الحديث المتّفق عليه، شهد ابن عمر الصحابي أنّ نبي الإسلام قد مَرَّ على أرضِ قوم النبيّ صالح بعد خروجه من المدينة، مُتّجهًا إلى تبوك.

ثالثاً: تسمية ما يُعرف اليوم بـ«مدائن صالح» بهذا الاسم، ثابتة قبل الإسلام وفي عصر البعثة. فهذه المنطقة كانت تُنسب عند البعثة إلى النبي صالح. وبذلك دخل الوهم إلى نبي الإسلام.

رابعاً: جاء في القرآن في وصف معمار قوم النبي صالح: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ (الحجر/ 82). ونحن لا نعرف منطقة فيها بيوت منحوتة بين المدينة وتبوك سوى ما في منطقة «مدائن صالح» الحالية.

خامساً: البيوت المنحوتة في ما يُعرف اليوم بمدائن صالح، مقابر لدفن الموتى، وليست بيوتًا للسكن كما هي الدّعوى في القرآن.

سادساً: هذه القبور المنحوتة، حديثةٌ، نحَتَها الأنباط، وأقدمُها يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد؛ فهي بذلك بعيدة عن عصر النبي صالح.

قلت: دعوى المعترض قائمة على التسليم بأمور فاسدة لا تصحّ من أوجه:

الوجه الأول: ليس في القرآن تصريح أنّ الصحابة قد رأوا البيوت المبنية لثمود،

قوم صالح -عليه السلام-. واستدلال المخالف بقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (العنكبوت/ 38) لا ينصر دعواه؛ لأسباب:

أ.المساكن، جمع مسكن، اسم مكان، ويقصد به الأرض المستوطنة للسكن، سواء أكانت عليها مبان أم لا؛ كقولنا: مساجد؛ إذ لا يلزم أن تكون بناء له سقف؛ فالمعنى هو الأرض التي يُسجد عليها. وقد جاء في «شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» لنوشان الحميري (متوفى 573هـ) عن «المسكن»: «موضع السكون والإقامة والحلول».

وأمّا الاستدلال على الدخول لبيوت قوم ثمود بلفظ الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، تَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى أَهْلِ الْحِجْرِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ - صلّى الله عليه وسلّم -، فَنَادَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صلّى الله عليه وسلّم - وَهُوَ مُمْسِكٌ بَعِيرَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «مَا تَدْخُلُونَ عَلَى قَوْمٍ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ؟» فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعْجَبُ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، فَاسْتَقِيمُوا وَسَدِّدُوا، فَإِنَّ اللهَ لَا يَعْبَأُ بِعَذَابِكُمْ شَيْئًا، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ لَا يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِشَيْءٍ»؛ فلا يستقيم؛ لأنّ الحديث ضعيف[1].

وليس في رواية الصحيحين أنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قال: «لا تدخلوا

---

(1) قال محقق المسند: «إسناده ضعيف، محمد بن أبي كبشة سلفت ترجمته عند الحديث (18024)، وهو لين الحديث إذا تفرد، ولم يُتَابع على هذا الحديث، وإسماعيل بن أوسط - وهو البجليّ - وَثَّقَهُ ابن معين في رواية، وقال في أخرى: صالح، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال ابن أبي حاتم: سُئل أبي عنه فقال: يُروى عنه، فكرر عليه فلم يزد على قوله: يروى عنه، وضعّفه الساجي، وقال الأزدي: أمير الكوفة، كان من أعوان الحجاج، وهو الذي قدم سعيد بن جبير للقتل، لا ينبغي أن يروى عنه، ونقل قول الأزدي هذا الذهبيّ في «الميزان» وأَقَرَّهُ. والمسعودي: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة الكوفي، وقد اختلط بأُخرةٍ، ورواية يزيد بن هارون عنه بعد اختلاطِه، ولا يضرُّ ذلك، فقد رواه عن المسعودي غير واحد ممن روى عنه قبل اختلاطه» (مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م، 29/ 559).

مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلّا أن تكونوا باكين». ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي»[1]. حجّة للمخالف؛ فالرواية - على الأظهر - في المرور بالأرض التي كان يسكنها الثموديون، مع البكاء، لا في دخول بيوتهم. قال ابن تيمية: «فنهى عن عبور ديارهم إلا على وجه الخوف المانع من العذاب»[2].

ب. قال تعالى: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (إبراهيم/ 45). قال البغوي: «(وسكنتم) في الدنيا (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والعصيان قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم»[3]. ومعلوم أنّ ديار قوم نوح عليه السلام قد أهلكها الطوفان، وقوم عادٍ طَمَرَهُم الرَّمْلُ... ولم يعرف أهل مكة بيوتًا لقوم ذكرهم القرآن وأخبر عن عذابهم، يسكنها بَشَرٌ.

ت. لا يلزم من العلم بمساكن قوم صالح -عليه السلام- في الجزيرة العربية، أنّ أهلها قد تركوا آثار البنايات؛ فقد قال تعالى في قوم لوط -عليه السلام-: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (الصافات/ 137 - 138). قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: وإنكم لتمرون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارًا وبالليل»[4]، رغم أنّه لم يبق من قوم لوط -عليه السلام- وبنيانهم شيء؛ إذ قد جاء الخبر في القرآن بدمارهم كلية: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ (هود/ 82).

ث. قال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

---

(1) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب نزول النبي - صلّى الله عليه وسلّم - الحجر (ح/ 4157)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (ح/ 5293).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 15/ 324.

(3) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش (دار طيبة للنشر، 1417 هـ/ 1997 م)، 4/ 360.

(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 19/ 623.

(العنكبوت/ 38). قَرَنت الآية بين مساكن عاد ومساكن ثمود بعبارة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾، ولا دليل على أنّ الصحابة قد رأوا بنيان قوم عاد؛ فدلّ ذلك أنّ المقصود بالمساكن في الآية الأرض لا المباني، وأنّ الخبر متعلّق بخلوّ ديار قوم عاد وثمود من آثار قوتهم بعد أن عَمَرَها قومها. قال الطبري: «واذكروا أيها القوم عادًا وثمود، ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾، خرابها وخلاؤها منهم بوقائعنا بهم»[1].

ثم إنّ «مدائن صالح» الحالية ليست أرض خراب؛ فإنّها وإن كانت غير مأهولة، إلا أنّ منحوتاتها سليمة، لم تُصِبْها جائحة.

ج.لم يَرِدْ عن الصحابة ذكرُ منحوتاتِ ما يُعرف اليوم بمدائن صالح عند خبر المرور عند أرض قوم صالح -عليه السلام-، رغم أنّها مبان عجيبة ومثيرة.

الوجه الثاني: جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ النبي - صلّى الله عليه وسلّم - لمّا مرّ بالحِجْر، قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حَذَرًا أن يصيبكم مثل ما أصابهم» ثم زَجَرَ فَأَسْرَعَ حتى خلفها»[2].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنّ «الناس نزلوا مع رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - على الحجر أرض ثمود؛ فاسْتَقَوْا من آبارها، وعَجَنُوا به العَجِيْنَ؛ فَأَمَرَهُم رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - أن يُهْرِيقوا ما اسْتَقَوْا ويَعْلفوا الإبِلَ العَجِيْنَ. وأَمَرَهُم أن يَسْتَقُوا من البئر التي كانتْ تَرِدُها النَّاقَةُ»[3].

والمفهوم من الحديثَيْنِ السابقين أنّ قوم صالح -عليه السلام- قد سَكَنُوا أرضًا بين المدينة وتبوك، دون تحديدٍ لها في مكانٍ مخصوصٍ. وليس في الرواية أنّ الصّحابةَ

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 18/ 398.

(2) رواه البخاري، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب (ح/ 423)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (ح/ 2980). واللفظ لمسلم.

(3) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وإلى ثمود أخاهم صالحا}، (ح/ 3225)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (ح/ 2981).

قد استدلُّوا على مكانها بالبيوت المنحوتة. ويبقى بذلك الاحتمال قائمًا أنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - هو من أخبرَ الصحابة أنّ هذه الديار، هي ديار ثمود، قوم صالح -عليه السلام-، لا أنّ الصحابة يعرفون مكانها.

الوجه الثالث: دعوى أنّ تسمية ما يُعرف اليوم بمدائن صالح، بهذا الاسم، ثابتة قبل الإسلام أو زمن البعثة، غير مُسلّمةٍ؛ لأسباب، منها:

أ. لا يوجد أيُّ خبر موثوقٍ في التراث الإسلامي أو خارجه أنّ تلك المنطقة كانت تُسمّى «مدائن صالح» قبل البعثة أو أثناءها. وعبءُ الإثبات يقع على المخالف لإثبات دعواه.

ب. تسميةُ الحِجْر بمدائن صالح متأخّرة. يقول عالم الآثار عبد الله آدم نصيف في كتابه «العُلا والحِجْر»: «أَقْدَمُ مَنْ ذَكَرَ الحِجْرَ بهذا الاسم (مدائن صالح) حسبما أعرف إبراهيم الخياري المدني المتوفّى سنة 1083هـ»[1]. وذهب صاحب كتاب «المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية» إلى أنّ «أوّل من سمّاها بـ«مدائن صالح» من المؤرّخين، البلويّ الأندلسيّ الذي زارها سنة 737 هـ في طريقه إلى مكة»[2].

ت. ذهب البحّاثة المؤرّخ حمد الجاسر إلى أنّ ما يُعرف اليوم بمنطقة مدائن صالح (**شمال العلا**)، لم يكن هذا اسمه في القرون الإسلامية الأولى. وأنه «**في جنوب** مدينة العلا بنحو 55 كيلاً، آثارُ عمران قديم، من أسس بناء ومجاري مياه وآثار زراعة، يطلق على موضعها الآن اسم غريب هو «المابيات» جمع مابيه - بالميم المفتوحة بعدها ألف فباء موحدة مكسورة فهاء - وهذا الاسم حادث، فقد كان الموضع في القرن السابع الهجري وما قَرُبَ منه يعرف باسم مدينة صالح، ثم مدائن صالح. وله قبل

(1) عبد الله آدم نصيف، العلا والحجر، ص 148 (تركي بن إبراهيم القهيدان، الحجر: عاصمة الآثار في جزيرة العرب، مجلة الفيصل، العدد 343، المحرم 1426هـ - فبراير/ مارس 2005م، ص 11).

(2) أحمد حسين شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية (الرياض، 1404هـ/ 1984م)، ص 21.

ذلك اسم آخر، أُرجّح أنّه «الرحبة» الوارد في كثير من كتب الرحلات ومعجمات الأمكنة، فنسي اسم الرحبة، واسم مدينة صالح - أو مدائن صالح -، وعرف باسم وادي العطاس على ما جاء في رحلة ابن بطوطة، الذي مرّ بهذا الموضع في عشر الثلاثين من القرن الثامن»[1].

ث.نقل ابن ناصر الدين الدمشقي (توفي 842 هـ) عن الحافظ البرزالي (توفي 739 هـ) قوله: «مدَائِن صَالح الَّتِي بِالْقربِ من الْعلَا فِي طَرِيق الْحَاج من الشَّام، بلد إسلامي. وَصَالح المنسوبة إِلَيْهِ من بني الْعَبَّاس بن عبد المطلب»[2]. فالنسبة - على هذا القول - ليست إلى نبي الله صالح -عليه السلام-.

ج.القول إنّ مدائن صالح هي عينًا وادي الحِجر، عُمْدَتُه مطابقة المتأخّرين بينهما. والحقّ أنّ المتقدمين قد اختلفوا في تحديد وادي الحِجْر؛ فقد قالت - مثلًا - طائفة منهم وممن تابعهم: إنّ أرض قوم صالح -عليه السلام- هي وَادِي القُرَى. قال الحموي [توفي 626هـ] في «معجم البلدان»: «والحِجْرُ: اسمُ ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام»[3]. وقال غيرهم إنّ الحِجْر ليس في وادي القرى. ومن هؤلاء الإمام ابن كثير القائل: «هذا إخبارٌ من الله - عزّ وجلّ - عن عبده ورسوله صالح - صلّى الله عليه وسلّم - أنه بَعَثَهُ إلى قومه ثمودَ وكانوا عربًا يسكنون مدينة الحِجْر التي بين وادي القرى وبلاد الشام»[4]. وقال ابن خلدون: «وأما ثمود.. فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام»[5]. فليس هناك نقل متواتر عن القرون الأولى في موقع منطقة الحجر التي مرّ بها الرسول - صلّى الله عليه وسلّم-.

(1) حمد الجاسر، ليس الحجر من مدائن صالح، مجلة العرب، س 13، ع 1 - 2 (رجب / شعبان 1398، تموز / آب 1978)، ص 3.

(2) ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م)، 8/ 97.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد الجندي (بيروت: دار الكتب العلمية)، 2/ 255.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر، 1420هـ/ 1999 م)، 6/ 155.

(5) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، 1408هـ/ 1988م)، 2/ 24.

الوجه الرابع: القول إنّنا لا نعرف منطقةً فيها بيوت منحوتة بين المدينة وتبوك سوى ما في منطقة «مدائن صالح» الحالية؛ حجةً للجزم أنّها أرض العذاب الذي أصاب قوم ثمود، غيرُ سديدٍ؛ لأسباب:

أ.الصخور المنحوتة في ما يُعرف بمدائن صالح سليمة، ليس عليها أثرُ خرابٍ. وقد عاش صالح -عليه السلام- على الأظهر في الألفية الثانية قبل الميلاد؛ فقد قال شعيب -عليه السلام- [1]: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾. (هود/ 89). ولوط -عليه السلام- قد عاش في النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد. ومساكن قوم صالح -عليه السلام- قد أصابها الخراب منذ ذاك الزمان. ولأجل كلّ ما سبق؛ فالأمل في العثور على آثار غير مهدومة وغير مطمورة لقوم صالح -عليه السلام- بعيد.

وممّا يُستدلّ به لخراب البيوت المنحوتة لقوم صالح، قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤﴾ (الشمس/ 13-14). فَدَمْدَمَةُ الشّيء؛ إلزاقُه بالأرض وطَحْطَحَتُه[2]. ومساكِنُ ثمود قد سُوِّيَتْ بها الأرض حتى غَطَّتْ أهلها، على وجهٍ في تفسير الآية[3].

كما قال تعالى: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢﴾ (النمل/ 52). قال ابن منظور: «خَوَتِ الدارُ: تَهَدَّمَتْ وسَقَطَتْ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾»[4]. فعلى هذا التفسير؛ فالدّيار متهدّمة[5].

---

(1) الاستدلال بالآيات القرآنية في هذا الرد لا يُقصد به الاحتجاج على المخالف باعتبارها وحيًا، وإنّما الاستدلال بها غايته بيان أنّ مجموع الصورة التاريخية كما تظهر في القرآن لا يُعارض حقيقة تاريخية.

(2) أبو نصر الجوهري، صحاح الجوهري، مادة: دمدم.

(3) قال القرطبي: «قوله: فدمدم عليهم أي أهلكهم، فجعلهم تحت التراب. فسواها أي سوى عليهم الأرض» (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ/ 1964 م، 20/ 79).

(4) ابن منظور، لسان لعرب، مادة: خوا.

(5) وقيل: خاوية بمعنى فارغة من أهلها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ۝٣١﴾(القمر/ 31).
قال الإمام ابن كثير: «أَيْ: فَبَادُوا عَنْ آخِرِهِمْ لَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ، وخَمَدوا وهَمَدوا كَمَا يَهْمُدُ يَبِيس الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ. قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ. وَالْمُحْتَظِرُ - قَالَ السُّدِّيُّ -: هُوَ الْمَرْعَى بالصحراء حين يبس وَتَحَرَّقَ وَنَسَفَتْهُ الرِّيحُ»[1]. فهي صيحةٌ يَتَفَتَّتُ معها كلُّ شيء؛ فكيف تَتَفَتَّتُ الأجسادُ وتبقى البيوتُ كما هي بلا خدش؟!

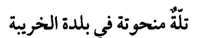
ب.من الثابت أنّ قوم ثمود قد سكنوا في مساحاتٍ واسعةٍ؛ فقد وُجدت نقوشُهُم وكتاباتهم في بلاد الحَرَمَيْنِ، والأُردن، واليمن، وسوريا، وسيناء. وتشير أغلب المصادر إلى أنّ موطِنَهُم الأصليّ أعالي الحجاز[2]. كما أشار عالم الآثار د. محمد بيومي مهران - المتخصص في التاريخ العربي القديم (والمصريات) - إلى أنّ الأثريّين قد عثروا على نقوش ثموديّة في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، من الجوف شمالًا إلى الطائف جنوبًا، ومن الأحساء شرقًا إلى يثرب فأرض مدين غربًا[3]. ولذلك فإنّ بيوتهم المهدّمة قد تكون في أيّ مكان شمال الجزيرة العربية، وربما امتد الهدم إلى غيرها من المناطق الثمودية المجاورة.

ت.منطقة الحِجْر التي جاء الخبر القرآني بأنّها أرض عذاب ثمود في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٨٠ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ۝٨١ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢﴾ (الحجر/ 80 - 82)، واسعة. وقد ذكر الطبري أنّها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله[4].

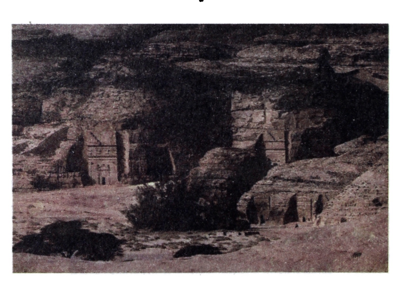
ث.من المواضع المرشّحة لتكون أرض قوم صالح -عليه السلام-، بين المدينة وتبوك، بلدة الخريبة، شمال شرقي العلا. وفي ذلك يقول صاحب كتاب «تاريخ شبه

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 480.
(2) عبد الرحمن كباوي، دراسات في آثار المملكه العربيه السعودية (الرياض، المهرجان الوطني للتراث والثقافة، 1412هـ/ 1991م)، ص73.
(3) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - في بلاد العرب، ص 282.
(4) الطبري، جامع البيان، 10/ 282.

الجزيرة العربية فى عصورها القديمة»، إنّ «كثرة من الباحثين المحدثين حددوها ببلدة الخريبة التي تبعد عن مدائن صالح بنحو عشرة أميال. وقد أصاب آثارها هي الأخرى خرابٌ كبير، وبَنَوْا رأيهم على غَلَبَةِ النصوص الثموديّة التي عُثِرَ عليها فيها»[1]. علمًا أنّ هذه البلدة صخريّة، وفيها أيضًا مقابر منحوتة، وهي أقدم بقرونٍ من «مدائن صالح»؛ فقد حَكَمَها الدادانيُّون في القرن السابع قبل الميلاد. وسكَنَتْها أممٌ كثيرة؛ بما يَظْهَرُ فيها من نقوش دادانية ومَعِيْنيّة ولحيانيّة وثموديّة ونَبَطيّة وكُوفيّة. وفيها ما يُعرف في تراثنا بمحلب الناقة (ناقة صالح -عليه السلام-)[2]. علمًا أنّ المستشرق دوتي Doughty قد ذهب إلى أنّ «الحِجْر» التي سكن بها قوم ثمود، هي موضع «الخريبة» في الزمن الحاضر، لا «مدائن صالح» التي هي في نَظَرِهِ «حِجْر» النَّبَطِ[3]. وما سبق يُبْطِلُ الظنَّ أن الصخور المنحوتة في ما يُعرف بمدائن صالح هي المنطقة الوحيدة التي ينطبق عليها الوصف القرآني الظاهري المتعلق بالنحت في الصخر.



تلّةٌ منحوتة في بلدة الخريبة

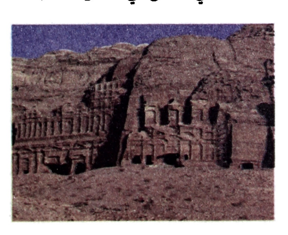


(1) عبد العزيز صالح في كتابه «تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة» 1/ 140.
(2) لا يوجد دليل تاريخي على أنها محلب الناقة حقيقةً. والأظهر أنّ ذلك من التراث الشعبي المتأخر.
(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 1/ 326.

ج. جاء في القرآن: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ (الأعراف/ 74). والظنّ أنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قد رأى منطقة ما يُعرف اليوم بمدائن صالح؛ فنسبها - وهمًا منه، على زعم المخالف! - إلى قوم ثمود، لا يلتقي مع وصف ديارهم في القرآن أنّ سهولها مأهولة بالقصور؛ إذ لا أثر لتلك القصور في تلك المنطقة في القرن السابع.

ح. من السهل أن نفهم ظنّ كثير من الكتّاب المتأخّرين أنّ مساكن قوم ثمود هي تلك «البيوت» التي استعملت كمقابر؛ إذ إنّها: منحوتة في الجبال، وتقع بين المدينة وتبوك، وقد مرّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - بالحجر أثناء عبوره مع الجيش عن طريق الحجر، وهي أشهر التلال المنحوتة، علمًا أنه توجد أيضًا مقابر منحوتة في مدائن شعيب، جنوب تبوك. وعادةُ تفسيرِ القصص القرآني وغيره بالمعالم المادية المعروفة لأهل كلّ عصر، شائعة؛ كنسبة كثير من القبور مجهولة الأصل إلى الأنبياء، وتحويلها إلى مزاراتٍ دينية مقدّسةٍ، والزعم أنّ قبّةَ الصخرة هي التي عرج منها الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - إلى السماء، وأنّ المئذنة الشرقية البيضاء للمسجد الأموي هي المنارة البيضاء التي سينزل عندها عيسى -عليه السلام- كما في الحديث...

نحت في الجبل في مدائن شعيب



الوجه الخامس: تسليمنا - جدلًا - أنّ منحوتات ما يُعرف بمدائن صالح في الصخر، هي فِعلًا المعالم الموصوفة أنّها مساكن قوم صالح -عليه السلام- في القرآن، وأنّ العذاب الذي حلَّ بهم لم يهدم عمرانهم؛ لا يلزم منه المسارعة بتخطئة القرآن؛ فإنّه لم يقم إلى الآن دليل حاسم ناف أن تكون هذه المنحوتات الصخرية التي استُعملت على يد الأنباط -في زمن قريبٍ من زمن المسيح -عليه السلام- - موروثة من أسلاف بعيدِيْنَ. وقد يُستأنس للقول بِسَبْقِها لعصر الأنباط، وأنّ الأنباط وجدوها قائمة؛ فجعلوها مقابر؛ أنّ كثيرًا من التجاويف التي فيها صغيرة جدًّا، دون حجم جُثَثِ الموتى من البشر، بالإضافة إلى ظاهرة إضافةِ نصوصٍ على واجهات المقابر بعد زمنٍ من نَحْتِها، ووجود بعض المقابر ليس لنقوشها لوحات مخصصة للكتابة، كما أنَّ هناك مقابر قد تُرِكَتْ دون تكميل بلا سبب ظاهر[1].

الخلاصة:

- ليس في أخبار صالح -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة، خاصة بعد أن دُمّر عمران ثمود.
- ليس في خبر القرآن عن صالح -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.
- اسم «صالح»، المقابل العربي المتعلّق بالصلاح لاسم هذا النبي في قومه الساميين.
- التفسير الأظهر الجامع بين الآيات والأحاديث هو أنّ آثار قوم صالح -عليه السلام- قد طُمست، وأن مقابر «مدائن صالح» ليست من ميراث قوم صالح -عليه السلام-. ولسنا نعلم في أي موضع من الحِجْر بين المدينة وتبوك كان هلاكهم. وعلى التسليم أنّ تلك الآثار لم تُهدم وأنها لا تزال قائمة في «مدائن صالح»؛ فإنّ الحجة النافية - بصورة قاطعة - لكون الأنباط قد ورثوها عن الثموديّين؛ فغيّرُوا بعض معالمها بالحَفْرِ والنَّقْشِ، وتحويلها إلى مقابرَ، لم تقم بعد.

(1) انظر تركي بن إبراهيم القهيدان، الحجر: عاصمة الآثار في جزيرة العرب، ص 29.

الفصل الثالث
الوجود التاريخي لشُعَيب -عليه السلام-

المبحث الأول: شعيب -عليه السلام- في القرآن

جاء ذكر اسم شعيب -عليه السلام- 11 مرّة في القرآن، في أربع سور. وخلاصةُ خبَرِه، في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (هود/ 84). فقد لابَسَ قومُ شعيب -عليه السلام- جريمة الشرك، مع رذائل أخلاقيّة أخرى كالغشّ في البيع والمقايضة. وكان وَجْهُ إشراكهم بالله، عبادة شجرةٍ عظيمة مُلْتَفَّة الأغصان (أَيْكة)، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (الشعراء/ 176 - 177).

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لشعيب -عليه السلام-

المسائل التاريخية المذكورة في قصّة شعيب -عليه السلام-، وتقبل الرصد الأركيولوجي:

- عاش شعيب -عليه السلام- بعد زمن غير بعيد من عصر لوطٍ -عليه السلام- ؛ فقد قال شعيبٌ -عليه السلام- لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ (هود/ 89).
- كان مع شعيب -عليه السلام- فريقٌ من قومه آمنوا به؛ فقد قال قوم شعيب -عليه السلام- لنبيّهم: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ (هود/ 91).
- عاقب الله - سبحانه - قوم شعيب -عليه السلام- بالصيحة بعد أن نجّى المؤمنين: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ (هود/ 94).
- عاقب الله - سبحانه - قوم شعيب -عليه السلام- بالرَّجْفةِ بعد رفضهم الاستجابة لداعي الحقّ: قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ (الأعراف/ 91).
- عاقب الله - سبحانه - قوم شعيب -عليه السلام- أيضًا بسحاب أَظَلَّهُم: قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾(الشعراء/ 189).

معرفة عصر شعيب -عليه السلام-، فرعٌ عن الحُكْم على قولَي العلماء في علاقة شعيب -عليه السلام- بموسى -عليه السلام- ؛ فقد ذهب فريقٌ من المفسّرين إلى أنّ شعيبًا قد عاش قبل موسى -عليه السلام- بقرونٍ، في زمنٍ قريب من عصر الآباء، في حين ذهب فريقٌ آخر إلى أنّ شعيبًا -عليه السلام- هو الرجل الذي لَقِيَهُ موسى -عليه السلام- في مَدْيَنَ، وتَزَوَّجَ إحدى ابْنَتَيْهِ؛ فقد جاء في أمر موسى -عليه السلام-: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ (القصص/ 23). وجاء في أمر شعيب -عليه السلام-: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ (هود/ 84). فقد دخل موسى وشعيب - عليهما السّلام - أرض مَدْيَنَ.

ليس في الخبر القرآنيّ تصريحٌ أو دلالة قويّة أنّ شعيبًا -عليه السلام- الذي مِنْ مَدْيَنَ، قد عاش في الزمن الذي كان فيه موسى -عليه السلام- في مَدْيَنَ. ولا يوجد في الخبر النبويّ ما يُؤيّد اتّحاد زمن هذَيْنِ النَّبِيَّيْنِ. ولذلك قال ابن تيمية: «ولم يُذْكَرْ عن هذا الشيخ أنه كان شعيبًا، ولا أنه كان نبيًّا، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبيًّا، ولا نُقِلَ عن أحدٍ من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهَرَ موسى كان شعيبًا النبي؛ لا عن ابن عباس ولا غيره، بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب»[1]. وهذا هو الأَوْلى؛ إذ الحُجَّةُ على المثبِتِ للمطابقة، ولا حجّة له.

ونحن حتّى لو سلّمنا بالقول المرجوح أنّ شعيبًا -عليه السلام- قد عاش عصر موسى -عليه السلام- ؛ فلن نجد أنفسنا قد اقتربنا كثيرًا من آثار قوم شعيب -عليه السلام- ؛ لأننا لا نعرف أرض القوم تحديدًا؛ فإنّ القرآن لم يُحدّد مكانها، كما أنّ الكتاب المقدّس لا يشير إلّا إلى أنّ مَدْيَنَ تقع جنوب شرق فلسطين؛ ولذلك قالت

(1) ابن تيمية، رسالة في قصة شعيب عليه السلام في: جامع الرسائل، تحقيق: رشاد سالم (الرياض: دار العطاء، 1422هـ/ 2001م)، 1/ 61.

«موسوعة باكر للكتاب المقدس» عن مَدْيَنَ/ مديان: «مَوْضِعُها غير مُؤكّد. تقع مديان في أقصى جنوب أدوم على الجانب الشرقي مما يسمى اليوم بخليج العقبة»(1). كما أنّ بُعْدَ عَصْرِ قوم شعيب -عليه السلام- ؛ سببٌ لِطَمْسِ آثارهم.

في ظلّ ما اجتمع لنا من علم في القرآن بتاريخ شعيب -عليه السلام-، وجغرافيّة الأرض التي استوطنها؛ لنا أن نشهد أنّ العثور على حجّة في البحث الأركيولوجيّ تشهد لشعيب -عليه السلام- بعيدٌ؛ لأسباب:

1. الجهل بعصر شعيب -عليه السلام-. ومن المعلوم أنّ معرفة عصر الشخصية التاريخية محلّ البحث الأركيولوجي، مقدّمةٌ يمتنع المُضيُّ في النَّظَرِ دونها.
2. مَدْيَنُ بلادٌ مجهولةُ الحدود، كما أنّها لم تتعرّضْ إلّا لمسحٍ سريعٍ منذ ستينيات القرن الماضي(2). وهو ما لا يفي بمطلب معرفة أهمّ معالم تاريخ المنطقة تاريخيًّا؛ فضلًا عن استيفاء النّظر في التفاصيل القديمة.
3. لم تَذْكُرِ الآياتُ أنّ قوم شعيبٍ كانوا أصحاب عمرانٍ عظيمٍ. وقد ذهب الأركيولوجيّ ويليام ديفر إلى أنّ مَدْيَنَ لم تعرفْ جماعاتٍ مستقرّةً كثيرًا حتى القرنين الثامن - السابع قبل الميلاد(3). وهذا - إن صدق - يُرجّح أنّ عصر شعيب لا يُذلّل الطريق للبحث الأركيولوجيّ للكشف عن عصرٍ ما قبل موسى -عليه السلام- حيث عاش شعيبٌ -عليه السلام- ؛ لأنّ أمّةَ شعيب لم تكن كبيرةً، عظيمةَ الآثارِ. وليس في القرآن ذِكْرٌ لِسَعَةِ ملكِ قوم شعيبٍ -عليه السلام-.
4. العقوبة التي أصابت قوم شعيب -عليه السلام-، كانت شديدةً ماحقةً، تمنع - على الأرجح - أن يبقى لهم ولِقِصَّتِهِمْ مع شعيب -عليه السلام-،

(1) W. A. Elwell and B. J. Beitzel, *Baker encyclopedia of the Bible*, p.1456.
(2) W. G. Dever, *Who Were the Early Israelites and Where Did They Come From?* (Michigan: William B. Eerdmans Publishing, 2006), p. 34.
(3) Ibid.

ذِكرٌ. قال ابن كثير: «وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعًا مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَصُنُوفًا مِنَ الْمَثُلَاتِ، وَأَشْكَالًا مِنَ الْبَلِيَّاتِ، وَذَلِكَ لِمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنْ قَبِيحِ الصِّفَاتِ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَجْفَةً شَدِيدَةً أَسْكَنَتِ الْحَرَكَاتِ، وَصَيْحَةً عَظِيمَةً أَخْمَدَتِ الْأَصْوَاتَ، وَظُلَّةً أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَرَرَ النَّارِ مِنْ سَائِرِ أَرْجَائِهَا وَالْجِهَاتِ»[1].

الخلاصة:

- ليس في أخبار شعيب -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة، خاصة مع جهلنا بأرض شعيب -عليه السلام- وزمانه، وعلمنا بالدمار الذي أصاب عمران قومه.
- ليس في خبر القرآن عن شعيب عليه السلام ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 1/ 437.

الفصل الرابع
الوجود التاريخي لذي الكفل -عليه السلام-

المبحث الأول: ذو الكفل -عليه السلام- في القرآن

جاء ذكر ذي الكفل -عليه السلام- في القرآن في آيتين؛ في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (الأنبياء/ 85)، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ (ص/ 48).

وقد اختُلِفَ في نبوّة ذي الكفل. قال ابن كثير - رحمه الله -: «فَالظَّاهِرُ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَقْرُونًا مَعَ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ نَبِيٌّ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَقَدْ زَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَإِنَّمَا كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا عَادِلًا. وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي ذَلِكَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ»[1].

ورُوِيَ عن الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قوله: «كَانَ الكِفْلُ مِنْ بني إسرائيل لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ، أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الحَاجَةُ، فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ؟ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ، وَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَعْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ»[2]. وهي رواية ضعيفة. قال ابن كثير: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ جِدًّا، وَفِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ. وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا فَلَيْسَ هُوَ ذَا الْكِفْلِ. وَإِنَّمَا لَفْظُ الْحَدِيثِ «الْكِفْلُ» مِنْ غَيْرِ إِضَافَةٍ ؛ فَهُوَ رَجُلٌ آخَرُ غَيْرُ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»[3].

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 1/ 516.
(2) رواه الترمذي، (ح/ 2496)، وأحمد (ح/ 4747).
(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 1/ 519.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لذي الكفل -عليه السلام-

البحث الأركيولوجي في قصّة ذي الكفل ممتنع، لأسباب:

أولاً: ليس في التوراة خبرٌ عن ذي الكفل. واسمُ هذا النبي - كما هو ظاهرٌ - عربيٌّ. ولا سبيل للجزم إن كانت عربِيّتُه أصيلة أو أنّ القرآن ذكَرَ المقابل العربيّ للاسم في لُغَةِ قومِ هذا النّبيّ. وقد اجتهد بعض الباحثين لردّ الاسم العربي إلى التوراة؛ فقيل: إنّه ابنُ أيُّوب، وقيل: إيليا، وقيل: زكريا، وقيل: أليشع، وقيل: خليفة أليشع[1]. وليس لنا أن نردَّ هذه الشخصية إلى التوراة إلّا بدليلٍ مَتِينٍ، ولا دليل.

ثانياً: ليس في القرآن أيُّ تفصيلٍ في قصة ذي الكفل يُمَكِّنُنا من معرفة عَصْرِهِ ومكانه؛ للبحث في آثار دعوته أو آثار قومه. فَخَبَرُهُ بذلك خارج الرّصد الأركيولوجيّ.

الخلاصة:

- ليس في خبر ذي الكفل -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة.
- ليس في خبر القرآن عن ذي الكفل -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة.

(1) Scott B. Noegel, Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p.84.

النتائج

البحث في حقيقة علم الأركيولوجيا، وصِلَتِه بقصص الأنبياء، خاصّةً ما جاء في الخبر القرآني، قد قادنا إلى مجموعة من النتائج، نُجملها في ما يلي:

أوّلًا: إشكالات منهجية في طرح المنكرين لتاريخية الأنبياء:

- البحث الأركيولوجيُّ ليس بريئًا من الأغراض الشخصيّة والتحيّزاتِ العَقَديّة؛ ولذلك تحتاج كُلُّ دَعْوَى إلى الفحص والمراجعة.
- من الآفاتِ الكُبْرى في البحث الأركيولوجيّ المتعلق بأنبياء التّوراة وقَصَصِهِم، الإفراطُ في استخراج دلالاتٍ بعيدةٍ للآثار، وتَحَوُّلِ السناريوهات التاريخية الممكنة إلى مقدّماتٍ قطعيّةٍ لاجتهادات تاليةٍ فرعيةٍ تتحوّل بدورها إلى مقدّماتٍ قطعيّةٍ لاجتهاداتٍ تاليةٍ. والحقّ إنَّ البحث الأركيولوجيّ يحتاج إلى قدرٍ عظيم من التواضع المعرفي عند قِلّة الآثار أو ضعف براهينها. والإقرارُ بالجهلِ، والتوقّفُ، موقفٌ أعظمُ أمانةً من القولِ المؤدلَجِ الذي لم تتمهّد له الأدلّة.
- لم يَقُم أحدٌ من الأركيولوجيّين المخاصِمين للإسلام باختبارِ القَصَصِ القرآنيّ للأنبياء، وإنّما عُمْدةُ الجميع إسقاطُ الخَبَرِ القرآنيّ بسقوطِ الرّواياتِ التوراتيّة.
- إيمان المسلمين بتحريف التوراة اليهوديّة، لا يمنعهم من الاستدلال بها؛ باعتبارها وثيقة تاريخيّة تحفظ التاريخ القديم لبني إسرائيل؛ فهي أقرب وثيقة قديمة تفصيليّة لعصر النبوّة القديمة. وقد أثبت البحث الأركيولوجي صدق مسائل تاريخية كثيرة فيها.
- رَبْطُ الوجود التاريخيّ للأنبياء بالعثور على أسمائهم في الكشوف

الأركيولوجيّة، سذاجةٌ غافلةٌ عن أنّ كلّ الأنبياء المذكورة أسماؤهم في القرآن لم يكونوا من الحُكّام سوى محمد وداود وسليمان -عليهم السّلام-، والبحث الأركيولوجيّ لم يَكَدْ يعثرُ إلّا على أسماء الحُكّام وأصحاب القوّة الماديّة؛ لأنّ النُّقوش القديمة لم توضع في عامّة الأحوال إلا لتمجيد الحُكّام. وقد كَشَفَ البحث الأركيولوجي عن اسم داود -عليه السلام-. وتصديقُ وُجُودِه حاكِمًا، يلزم منه الإيمان بوجود الملك التالي له، ابنه سليمان -عليه السلام- ؛ إذ لا يوجد داعٍ لاختراع ابنٍ لداود -عليه السلام- يَحْكُمُ بعده، في قرونٍ كان التداول الأُسَرِيُّ لِلسُّلطة فيها هو الأصل.

- العثور على الأمم التي شهد القرآن أنها قد تعرّضت للإبادة، وبيوتها للهَدْمِ، بعيدٌ في عامة الأحوال، إذا حوكِم القرآن إلى تفاصيل خبره.

ثانياً: تاريخيّة الأنبياء الذين ظهروا منذ القرن الأول بعد الميلاد:

- الإجماعُ مُنعقِدٌ على تاريخيّة وجود محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - وعيسى -عليه السلام- ويحيى - عليه السلام-. والإيمان بوجود زكريا -عليه السلام- فرع عن الإيمان بتاريخيّة عيسى -عليه السلام- ويحيى - عليه السلام-
- الشبهات المثارة حول تاريخيّة هؤلاء الأنبياء لا صدى لها في العالم الأكاديمي، ورواجها مقصور على الدوائر الشعبويّة المولعة بالغريب، والصادم، والمُرضي لتشنّج الملاحدة.

ثالثاً: تاريخيّة الأنبياء الذين ظهروا في الألفية الأولى قبل الميلاد:

- سبب التشكيك في قَصَصِ التّوراة والأسفار التاريخية اليهودية، أنّها قد كُتِبَتْ في الألفيّة الأُولى قبل الميلاد، في حدود القرن الثامن أو ما قارَبَهُ. ونحن لا نُنْكِرُ أنّ النَّصَّ في صورتِه الحالية لا يتجاوز في صورتَهُ المحرّرة ما وراء القرن الثامن قبل الميلاد ؛ بدليل المفارقاتِ التاريخية في النصِّ والتي تعكِسُ بعضَ عاداتِ الألفية الأولى قبل الميلاد أو معارفها، كما أنه

من الممتنع أن تكون هذه الأسفار قد كتِبت في زمن النَّبِيَّيْنِ داود وسليمان - عليهما السّلام - أو قبله؛ لما فيها من مُنْكراتٍ عَقَدِيّةٍ وتاريخيّةٍ تمنع أن يَسْمَحَ بشرعِيَّتِها نَبِيَّان مَلِكان لهما سُلطة تجريمِ تداولِ أسفارٍ دينيّةٍ باطلةٍ تُنْسَبُ إلى الربِّ - سبحانه-.

- «نظرية المؤامرة» القائلة بتلفيق اليهوذيين تاريخًا كاملًا لبني إسرائيل، مِنْ لا شيء، دَعْوى لم يمهّد لها أنصار تيّار «الحدّ الأدنى» الحُجَجَ، وإنّما هي في الحقيقةِ موقفٌ مبدئيٌّ انطلَقُوا منه. خلافُنا إذن ليس حول زمن التَّحرير، وإنما هو حول موثوقيّة التُّراثَيْنِ الشَّفَهِيِّ والمكتوب اللَّذَيْنِ قام عليهما التحرير الأخير.
- افتراض القطيعة الكليّة بين موثوقية أخبار القرن التاسع قبل الميلاد وزيف أخبار العاشر قبل الميلاد، موقِفٌ غير علمي، وانتقائيّ غير أمينٍ؛ فشهادة الآثار لصحة جوهر أخبار التوراة عن القرن التاسع قبل الميلاد، حجّة لاستبعاد خرافية خبر القرن العاشر قبل الميلاد كليّة.
- استبعاد محافظة اليهود على جزء كبير من التراث الذي تلقَّوْهُ عن موسى -عليه السلام- بسبب تطاول الزمن (بضعة قرون)، فيه غَفْلةٌ عن وجود شواهد تاريخية كثيرة لتداول تراث قديم على مدى ألف سنة وأكثر في الأمم الأخرى.
- تيّار «الحدّ الأدنى» القائم على وجوب التخلّص من التوراة في قراءة التاريخ والآثار، هو أعظم التيارات تأثّرًا بالتوراة؛ إذ إنّه يجعلنا بين خيارَيْنِ اثنين لا ثالث لهما، وهما قبول الرواية التوراتية أنّ بني إسرائيل أُمّةٌ خرجتْ من مصر إلى كنعان بعددٍ مليونيٍّ - كما في التوراة -، أو رفض ذلك، والقول إنّ بني إسرائيل قوم من الكنعانيّين؛ لَفَّقُوا لأنفسهم لاحقًا أصلًا أجنبيًّا عن كنعان. والحقّ إنّ هناك رؤية أُخرى لا تُهْدِرُ التراث التوراتيّ ولا تزعم عِصْمَتَهُ من

الزَّلَلِ، وهي أنّ بني إسرائيل قد جاؤوا من خارج كنعان، ولكن بأعدادٍ ألفيّةٍ - كما هو الخبرُ القرآنيُّ عنهم -. فانطلاق مدرسة «الحدّ الأدنى» من ثُنائيّة «معياريّةِ التوراة» كليّةً أو إهدارُ هذه المعياريّة كليّةً، أعظمُ انحرافٍ منهجي في الباب.

- خلافنا مع فنكلشتاين في النظرة إلى القيمة التاريخية للتوراة، مَرَدُّه - في الأغلب - التفصيلُ لا التّأصيل؛ بمعنى أننا نرى أنَّ هذه الأسفار تجمعُ الحقَّ التاريخيَّ والأساطير والقَصَصَ المؤَدْلَجَةَ. ونرى أنّ تيار فنكلشتاين، مَعِيبٌ بالقراءة غير البرهانيّة لملء الفراغات الواسعة التي لا ينطق بلسانها الشاهد الأركيولوجيّ.

رابعاً: تاريخيّة الأنبياء الذين ظهروا قبل الألفية الأولى قبل الميلاد:

- طبيعة حياة الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن ممن عاشوا في الألفية الثانية قبل الميلاد، والمسافة الزمنية الكبيرة بيننا وبينهم، تجعل اللجوء إلى الشاهد الأركيولوجي للحكم على تاريخيّتهم، من التكلّف غير العلميّ.
- ذهب الأركيولوجيون المنكرون لتاريخية الآباء إلى أنّ الطريق لنفي تاريخية الأنبياء الآباء، ليس في إثبات غياب النقوش القديمة التي تشير إليهم، وإنّما في المفارقات التاريخية[1] في سيرتهم التوراتية، والتي تدلّ على أنّها سير من الألفية الأولى قبل الميلاد. وبعيدًا عن المناقشات التفصيليّة في هذا الشأن، ليس في القرآن شيء ممّا استُنكر بجدّ على التوراة في هذا الباب.

خامساً: اللادينيون والملاحدة العرب، ومساهماتهم في الجدل العلمي في تاريخية الأنبياء:

- لم يقدّم المشكّكون في وجود الأنبياء القرآنيّين من الملاحدة واللادينيّين

(1) المفارقة Anachronism: وضع الشخص أو الحدث أو الشيء أو العرف في غير زمانه.

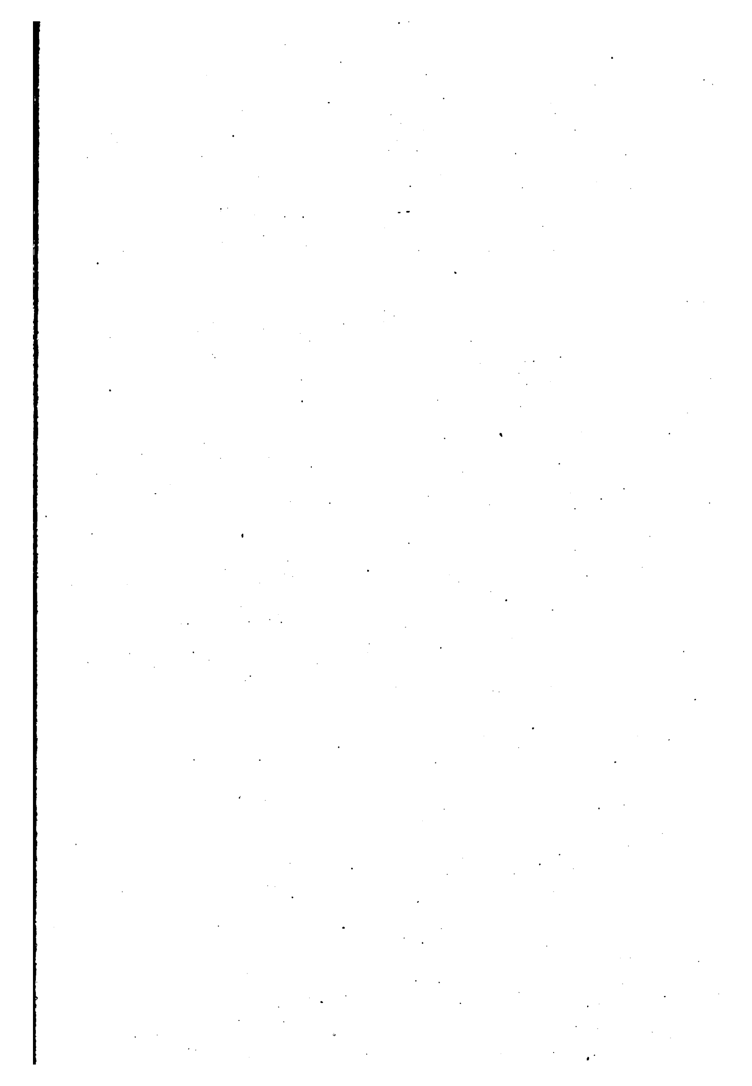
العرب، دراساتٍ علميّةً تَنْصُر دَعْواهم، وآخِرُ أَمْرِهم تقديمُ النتائج دون أَدِلَّتِها، أو الاكتفاءُ بتلخيصِ دعاوى التيّارات الغربيّة المتطرّفة، دون تَعَرُّضٍ جادٍّ لِرُدود المخالِفين.

- لم يساهم الانفجار المعرفي الذي حصل في العقود الأخيرة في البحث الأركيولوجيّ، في تطوير أطروحات اللادينيين والملاحدة العرب؛ لاكتفائهم بما اشتهر من الأدبيات التقليديّة لتيّار «الحدّ الأدنى».
- اتّخذ الكتّاب المعروفون من اللادينيين والملاحدة العرب الكتاب المقدس النصراني قنطرة للطعن في الخبر التاريخي في القرآن؛ من خلال إسقاط تاريخية عامة أخبار التوراة، خاصة ما وافق منها ما جاء في القرآن أيضًا.

أخيراً.. رسالة إلى طلبة العلم المسلمين

- أقام النصارى البحث الأركيولوجي الديني لخدمة الكتاب المقدس، ثم اختُطف هذا العلم من التيارين الإلحادي واللاديني. والواجب على المسلمين ردّ الأمر إلى نصابه؛ بتحرير هذا العلم من تحريف النصارى وعدميّة الملاحدة واللادينيين، وفكّ أركيولوجيا القرآن عن أركيولوجيا الكتاب المقدس في المسائل المختلف فيها بينهما.
- أركيولوجيا القرآن، علمٌ يجب أن يجد مكانه الذي يليق به ضمن علوم القرآن؛ بأن تُرصد له الطاقات العلمية والأموال، وأن يوجَّه طلبة الدراسات العليا لكتابة رسائلهم وأطروحاتهم فيه.

والحمد لله ربّ العالمين.



المراجع والمصادر

الكتب العربية:

1. إبراهيم، ابتهال، **اليهود في المصادر المسمارية 1000 - 395 ق.م**، دمشق: دار علاء الدين، 2014.
2. أبوسعدة، رؤوف، **العلم الأعجمي في القرآن مفسّراً بالقرآن**، القاهرة: دار الهلال.
3. إسماعيل، فاروق، **اللغة الآرامية القديمة**، حلب: منشورات جامعة حلب، 1418هـ/ 1997م.
4. الألوسي، شهاب الدين، **روح المعاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
5. البدراوي، رشدي، **موسى وهارون من هو فرعون موسى**، القاهرة: 1998.
6. البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، 1417 هـ/ 1997 م.
7. البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
8. بوكاي، موريس، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، بيروت: دار الكندي، 1978.
9. ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة: دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1992م.

10. ابن تيمية، **رسالة في قصة شعيب -عليه السلام-**، في: **جامع الرسائل**، تحقيق: رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، 1422هـ/ 2001م.

11. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426 هـ/ 2005 م.

12. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

13. ابن حجر، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، تحقيق: عبد الله الرحيلي، المدينة المنورة، 1429هـ/ 2008م.

14. ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، القاهرة: مكتبة الخانجي.

15. حسن، سليم، **موسوعة مصر القديمة**، القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2017م.

16. حسن، سليم، **الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة**، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940م.

17. حسن، سيد بن كسروي، **هدي القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد**، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002.

18. الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، تحقيق: فريد الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية.

19. خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، 1408هـ/ 1988م.

20. سباهي، عزيز، **أصول الصابئة (المندائيين)، ومعتقداتهم الدينية**، سوريا: دار المدى، 2002م.

21. السهلتي، إمداد الحق، **هداية الساري إلى دراسة البخاري**، داكا: دار الفكر الإسلامي، 1423هـ.

22. السواح، فراس، **الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم**، دمشق: دار علاء الدين، 1997.

23. السواح، فراس، **آرام دمشق**، دمشق: دار علاء الدين، 1995.
24. السواح، فراس، **تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود**، دمشق: دار علاء الدين، 2003.
25. شرف الدين، أحمد حسين، **المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية**، الرياض، 1404هـ/ 1984م.
26. صالح، عبد العزيز حميد، **تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة**، بيروت: دار الكتب العلمية، 2017.
27. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار هجر، 1422 هـ / 2001 م.
28. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.
29. عامري، سامي، **العلم وحقائقه**، الكويت: مركز رواسخ، 2019.
30. عامري، سامي، **براهين النبوة**، لندن: مركز تكوين، 1438هـ/ 2017م.
31. عامري، سامي، **براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم**، لندن: مركز تكوين، 2018.
32. عامري، سامي، **هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟**، الكويت: رواسخ، 1439هـ/ 2018م.
33. عبابنة، يحيى، **اللغة المؤابية في نقش ميشع**، الكرك: جامعة مؤتة، 1420هـ/ 2000م.
34. عبد الملك، بطرس، وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، القاهرة: دار الثقافة، 1995م.
35. ابن العربي، **أحكام القرآن**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ/ 2003م.
36. ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

37. علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب**، 1413هـ/ 1993م.
38. علي، فاضل عبد الواحد، **الطوفان في المراجع المسمارية**، بغداد: جامعة بغداد، 1395هـ/ 1975م..
39. فتوحي، لؤي، **النبي يوسف -عليه السلام- في القرآن الكريم والعهد القديم والتاريخ**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1436هـ/ 2015م.
40. فنكلشتاين، إسرائيل، وسيلبرمان نيل، **التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها**، تعريب: سعد رستم، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 1427هـ/ 2007م.
41. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ/ 1964م.
42. كباوي، عبد الرحمن، **دراسات في آثار المملكه العربيه السعودية**، الرياض، المهرجان الوطني للتراث والثقافة، 1412هـ/ 1991م.
43. ابن كثير، **البداية والنهاية**، بيروت: دار الفكر، 1407 هـ / 1986 م.
44. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، 1420هـ / 1999م.
45. الماجدي، خزعل، **أنبياء سومريون، كيف تحوّل عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين**، الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، 2018.
46. الماوردي، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.
47. مهران، محمد بيومي، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم**، في مصر، القاهرة: دار النهضة العربيّة، 1408هـ/ 1988م.
48. ابن ناصر الدين الدمشقي، **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م.

المقالات العربية:

1. الجاسر، حمد، ليس الحجر من مدائن صالح، **مجلة العرب**، س 13، ع 1 - 2، رجب / شعبان 1398، تموز / آب 1978.
2. رضا، محمد رشيد، تحريم المسلمات على غير المسلمين، **مجلة المنار**، 1342هـ/ 1924م، م 25.
3. القهيدان، تركي بن إبراهيم، الحجر: عاصمة الآثار في جزيرة العرب، **مجلة الفيصل**، العدد 343، المحرم 1426هـ - فبراير/ مارس 2005م.
4. محمد بيومي مهران، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، **مجلّة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية**، العدد الخامس، 1395هـ - 1975م.

الكتب الإنجليزية:

1. Alfonso Archi, **Ebla and Its Archives: Texts, History, and Society**, Boston: Walter de Gruyter, 2015.
2. Amihai Mazar and Israel Finkelstein, **The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel**, Leiden: Brill, 2007.
3. André Lemaire; Baruch Halpern, eds. **The Books of Kings: Sources, Composition, Historiography and Reception**, Atlanta, Georgia: SBL Press, 2017.
4. Armin Lange, Eric M. Meyers, Bennie Reynolds, eds., **Light Against Darkness**, Vandenhoeck & Ruprecht, 2011.
5. August H. Konkel, Tremper Longman III, **Job, Ecclesiastes, Song of Songs**, Illinois: Tyndale House, 2016.
6. Bart D. Ehrman, **Did Jesus Exist?: The Historical Argument for Jesus of Nazareth**, New York: HarperOne, 2013.
7. Benjamin D. Sommer, **The Bodies of God and the World of Ancient Israel**, Cambridge: Cambridge University Press, 2009.
8. Betsy Bryan, **The Reign of Thutmose IV**, Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991.
9. Bill Arnold and Richard Hess, eds. **Ancient Israel's History: An Introduction to Issues and Sources**, Grand Rapids, MI: Baker, 2014.
10. Bill T. Arnold, Bryan E. Beyer, eds. **Readings from the Ancient Near East: Primary Sources for Old Testament Study**, MI: Baker Academic, 2002.
11. Bob Becking, Lester Grabbe, eds. **Between Evidence and Ideology: essays on the history of Ancient Israel**, Leiden: Brill, 2011.
12. Bruce David Chilton, Craig Alan Evans, eds., **Studying the Historical Jesus: Evaluations of the State of Current Research**, Leiden; Boston; Köln: Brill, 1998.
13. Catherine M. Murphy, **John the Baptist: Prophet of Purity for a New Age**, Collegeville, Minn.: Liturgical Press, 2003.
14. Claus Westermann, **Genesis 1-11: A Commentary**, SPCK, 1984.

15. D. N. Freedman, ed., **The Anchor Yale Bible Dictionary**, New York: Doubleday, 1996.

16. D. R. W. Wood and I. H.Marshall, **New Bible Dictionary**, Leicester, England; Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1996.

17. D.R. Keller and D.W. Rupp, eds. **Archaeological Survey in Mediterranean Area**, Oxford: B.A.R., 1983.

18. David E. Graves, **Digging up in the Bible**, Independently published, 2019.

19. Dean Miller, **Beliefs, Rituals, and Symbols of Ancient Greece and Rome**, Cavendish Square Publishing, 2014

20. Edward Lipiński, **Studies in Aramaic Inscriptions and Onomastics**, Volume 1, Leuven: Peeters Publishers, 1975

21. Edwin M. Yamauchi, **The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel**, Wipf and Stock Publishers, 2013.

22. Edwin M. Yamauchi, **The Stones and The Scriptures**, Philadelphia: J. B. Lippincott, 1972.

23. François Déroche, **Qur'ans of the Umayyads: A First Overview**, Leiden; Boston: Brill, 2014.

24. Frauke Weiershäuser; Jamie R Novotny, **The Royal Inscriptions of Amēl-Marduk (561-560 BC), Neriglissar (559-556 BC), and Nabonidus (555-539 BC), kings of Babylon**, University Park, Pennsylvania: Eisenbrauns, 2020.

25. Fred Skolnik, et al., eds. **Encyclopaedia Judaica**, MI: Keter Publishing House, 2007.

26. Gary Tuttle, ed. **Biblical and Near Eastern Studies: Essays in Honor of William Sanford Lasor**, Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1978.

27. George Albert Wells, **Can We Trust the New Testament?**, Illinois: Open Court Publishing, 2004.

28. Gerald F Hawthorne, *et. al,.*, eds, **Dictionary of Paul and his letters**, Inter-Varsity Press, 2020.

29. Gleason Archer, **A Survey of Old Testament Introduction**, Chicago: IL Moody Press, 1994.

30. H.R. Hall, **The Ancient History of the Near East**, Routledge, 2015.

31. Hallvard Hagelia, **The Dan Debate: The Tel Dan Inscription in Recent Research**, Sheffield Phoenix Press, 2009.

32. Herodotus, **Histories**, Book 2.

33. Israel Finkelstein, Neil Asher Silberman, **David and Solomon**, New York: Simon and Schuster, 2007.

34. Isidore Singer, Cyrus Adler, eds. **The Jewish Encyclopedia**, New York: Funk & Wagnalls Company, 1906.

35. J. H. Walton, **Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary, Old Testament**, Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009

36. J.M.A. Jansen, **A Study of the Biblical Story of Joseph**, Leiden: Brill, 1970.

37. James Bennett Pritchard, ed. **Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament**, Princeton: Princeton University Press, 1969.

38. James K. Hoffmeier and Dennis R. Magary, eds., **Do Historical Matters Matter to Faith?**, Illinois: Crossway, 2012.

39. James K. Hoffmeier, *et. al,* eds. **"Did I Not Bring Israel Out of Egypt?": Biblical, Archaeological, and Egyptological Perspectives on the Exodus Narratives**, Winona Lake: Eisenbrauns, 2016.

40. James K. Hoffmeier, **Ancient Israel in Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition**, New York; Oxford: Oxford University Press, 2005.

41. James K. Hoffmeier, **Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition**, New York; Oxford: Oxford University Press, 1996.

42. Jean Delumeau, **History of Paradise: The Garden of Eden in Myth and Tradition**, Chicago: University of Illinois Press, 2000.

43. Joachim J. Krause, Omer Sergi, and Kristin Weingart, eds. **Saul, Benjamin, and the Emergence of Monarchy in Israel: Biblical and Archaeological Perspectives**, Atlanta: SBL Press, 2020.

44. Joannes of Nikiou, **The Chronicle of John (c. 690 A.D.) Coptic Bishop of Nikiu: Being a History of Egypt Before and During the Arab Conquest**, Philo Press, 1981.

45. John Currid, **Ancient Egypt and the Old Testament**, Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 1999.

46. John D. Currid and David P Barrett, **Crossway ESV Bible** Atlas, wheaton: Crossway Books, 2010.

47. John Drane, **Introducing the New Testament**, Oxford: Lion Books, 2010.

48. John Day, ed. **Search of Pre-exilic Israel**, Edinburgh: T & T Clark, 2005.

49. John E. Hartley, **The Book of Job**, Wm. B. Eerdmans Publishing, 1988.

50. John H. Hayes, Paul K. Hooker, **A New Chronology for the Kings of Israel and Judah**, Oregon: Wipf and Stock Publishers, 2007.

51. John H. Walton, ed. **Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary: Esther**, Harper Collins, 2009.

52. John Van Seters, **Abraham in History and Tradition**, Yale University Press, 1975.

53. Josephus, **Jewish Antiquities**. 18.

54. Josh McDowell and Sean McDowell, **Evidence That Demands a Verdict: Life-Changing Truth for a Skeptical World**, Nashville, Tennessee: Thomas Nelson, 2017.

55. K. A. Kitchen, **On the Reliability of the Old Testament**, Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 2006.

56. K. A. Mathews, **Genesis 1-11:26**, B&H Publishing Group, 1996.

57. K. A. Kitchen, **Documentation for ancient Arabia**. Part 1, Chronological framework & historical sources, Liverpool: University of Liverpool Press, 1994.

58. Lawrence J. Mykytiuk, **Identifying Biblical Persons in Northwest Semitic Inscriptions Of 1200 – 539 B.C.E**, Brill, 2004.

59. Leonard Woolley, *et. al,* **Ur excavations**. Volume VII The Old Babylonian period, Trustees of the two Museums by British Museum Publications, 1976.

60. Lowell K. Handy, ed. **The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium**, Leiden: BRILL, 1997.

61. M.C.A. Macdonald, **Arabs and Empires Literacy and Identity in Pre-Islamic Arabia**, Burlington, VT: Ashgate Publ., 2009.

62. M.Silva and M. C. Tenney, **The Zondervan Encyclopedia of the Bible**, Volume 2, D-G, Grand Rapids, MI: The Zondervan Corporation, 2009.

63. Mark W. Chavalas and K. Lawson Younger, eds. **Mesopotamia and the Bible**, New York: A&C Black, Jan 1, 2003.

64. Martin Zammit, **A Comparative Lexical Study of Quranic Arabic**, Leiden: Brill, 2002.

65. Maurice Bucaille, **Moses and Pharaoh in the Bible, Qur'an and History**, Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, 2008

66. Maurice J. O'Sullivan, **The Books of Job**, UK: Cambridge Scholars Publishing, 2009.

67. **Michael Cook, Muhammad, Oxford: Oxford University Press, 1996.**

68. Nadav Na'aman, **Ancient Israel's History and Historiography: The First Temple Period**, Winona Lake, Ind.: Eisenbrauns, 2006.

69. Nicholas Clapp, **Sheba: Through the Desert in Search of the Legendary Queen**, Houghton Mifflin Harcourt, 2001.

70. P. J. Achtemeier, et al., eds. **Harper's Bible Dictionary**, San Francisco: Harper & Row.

71. Patricia Crone, **Meccan Trade and the Rise of Islam**, Oxford: Basil Blackwell, 1987.

72. Paul N. Anderson, Felix Just, Tom Thatcher, eds. **John, Jesus, and History, Volume 1: Critical Appraisals of Critical Views**, Atlanta: Society of Biblical Literature, 2014.

73. Peter Schäfer, **Jesus in the Talmud**, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2009.

74. Phil Howell, **John the Great: John the Baptist, His Relationship with Jesus and You**, Holy Fire Publishing, 2005.

75. Philip Davies, **In Search of 'Ancient Israel'**, New York: Continuum, 1999.

76. R. F. Youngblood, et al., eds. **Nelson's New Illustrated Bible Dictionary**, Nashville, TN: Thomas Nelson, 1995.

77. R. Laird Harris, Gleason L. Archer, Jr., Bruce K. Waltke, eds., **Theological Wordbook of the Old Testament**, Chicago: Moody Publishers, 2003.

78. Ralph P. Martin, Carl N. Toney, **New Testament Foundations: An Introduction for Students**, OR: Wipf and Stock Publishers, 2018.

79. Raphael Lataster, **Questioning the Historicity of Jesus**, Leiden; Boston: Brill, 2019.

80. Richard Freund, **Digging through the Bible: modern archaeology and the ancient Bible**, Lanham, Maryland: Rowman & Littlefield, 2010.

81. Richard S. Hess, **Studies in the personal names of Genesis 1-11**, Butzon u. Bercker; Neukirchen-Vluyn: Neukirchener Verl., 1993.

82. Robert E. Van Voorst, **Jesus Outside the New Testament: An Introduction to the Ancient Evidence**, Grand Rapids: W.B. Eerdmans, 2000.

83. Robert Funk, *et al.*, **The Acts of Jesus: What Did Jesus Really Do?**, Oregon: Polebridge Press; Salem, 1998.

84. Robert Funk, *et al.*, **The Five Gospels: What Did Jesus Really Say? The Search for the Authentic Words of Jesus**, New York: Harper Collins, 1996.

85. Robert G. Hoyland, **Seeing Islam As Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam**, Princeton, N.J.: Darwin Press, 1997.

86. Robert L. Webb, **John the Baptizer and Prophet: A Sociohistorical Study**, Oregon: Wipf and Stock Publishers, 2006.

87. Robert Spencer, **Did Muhammad Exist?: An Inquiry into Islam's Obscure Origins**, Wilmington, Delaware: Isi Books, 2012.

88. Robert William Rogers, **Cuneiform Parallels to the Old Testament**, Eaton & Mains, 1912.

89. Russell Gmirkin, **Berossus and Genesis, Manetho and Exodus**, New York; London: T & T Clark, 2006.

90. Samuel Birch, **Records of the past: being English translations of the Assyrian and Egyptian Monuments**, London: Samuel Bagster, 1874.

91. Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, **Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism**, London: Scarecrow Press, 2002.

92. T.E. Levy, T. Schneider and W.H.C. Propp, eds. **Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective: Text, Archeology, Culture and Geoscience**, Cham, Switzerland; New York: Springer, 2015.

93. Tim Wilkes, **Islamic Coins and Their Values Volume 1: The Mediaeval Period**, Spink & Son, 2015.

94. V. H. Matthews, M. W.Chavalas & J. H. Walton, **The IVP Bible background commentary: Old Testament**, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000.

95. Van der Toorn, B. Becking and P. W. van der Horst, eds. **Dictionary of Deities and Demons in the Bible**, Leiden; Boston; Köln; Grand Rapids, MI; Cambridge: Brill; Eerdmans, 1999.

96. W. A. Elwell & B. J. Beitzel, **Baker encyclopedia of the Bible**, Grand Rapids, Mich.: Baker Book House, 1988.

97. W. Barnes Tatum, **John the Baptist and Jesus: A Report of the Jesus Seminar**, Sonoma, CA: Polebridge Press, 1994.

98. Walter C. Kaiser, **History of Israel**, Tennessee: B&H Publishing Group, 1998.

99. Walter C. Kaiser, **The Old Testament Documents: Are They Reliable Relevant?**, Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 2001.

100. William G. Dever, **Has Archaeology Buried the Bible?**, Grand Rapids, Michigan: William B. Eerdmans Publishing Company, 2020.

101. William G. Dever, **What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?**, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2001.

102. William G. Dever, **Who Were the Early Israelites and Where Did They Come From?,** Michigan: William B. Eerdmans Publishing, 2006.

103. William Hallo and K. Lawson Younger, eds., **The Context of Scripture: Canonical Compositions, Monumental Inscriptions and Archival Documents from the Biblical World**, vol. 1, Leiden: Brill, 1997.

104. Yosef Garfinkel, *et. al,* **In the Footsteps of King David: revelations from an ancient biblical city**, London; New York: Thames & Hudson, 2018.

المقالات الإنجليزية:

1. Aaron A. Burke "Minimizing David, Maximizing Labayu," **Biblical Archaeology Review** 40.4 (2014).
2. Aaron James, Two in five think Jesus is a mythical figure. **Premier Christian**. 21 Sep 2015.
3. Abdullah David and M. S. M. Saifullah, Concise List of Arabic Manuscripts of the Qur'ān Attributable to The First Century Hijra.
4. Alain Zivie, 'Pharaoh's Man 'Abdiel': The Vizier with a Semitic Name,' **Biblical Archaeology Review** 44, no. 4 (July/August 2018).
5. Alan R Millard, 'Texts and Archaeology: Weighing the Evidence. The Case for King Solomon', in **Palestine Exploration Quarterly** (January-June 1991).
6. Amanda Borschel-Dan, 'Huge Kingdom of Judah government complex found near US Embassy in Jerusalem', **Times of Israel**, 22 July 2020.
7. André Lemaire, 'Royal Signature: Name of Israel's Last King Surfaces in a Private Collection,' **Biblical Archaeology Review** 21.6 (1995).
8. André Lemaire, 'Royal Signature: Name of Israel's Last King Surfaces in a Private Collection,' **Biblical Archaeology Review** 21.6 (1995).
9. Ann Gibbons, 'Jews and Arabs share recent ancestry, **Science Mag**, Oct. 30, 2000.
10. Anson F. Rainey "The 'House of David' and the House of the Deconstructionists," **Biblical Archaeology Review** 20.6 (1994).
11. Avraham Faust and Yair Sapir, 'The "Governor's Residency" at Tel 'Eton, The United Monarchy, and the Impact of the Old-House Effect on Large-Scale Archaeological Reconstructions', **Radiocarbon** , Volume 60, Issue 3 , June 2018.
12. Baruch Halpern, 'Erasing History,' **Bible Review** 11.6 (1995).
13. Brad Kelle, 'What's in a Name? Neo-Assyrian Designations for the Northern Kingdom and Their Implications for Israelite History and Biblical Interpretation', **Journal of Biblical Literature**, 2002. 121 (4).
14. Carol L. Meyers, 'The Elusive Temple,' **BA** 45, no. 1 (1982).
15. David Noel Freedman and Jeffrey C. Geoghegan. "'House of David' Is There!" **Biblical Archaeology Review** 21.2 (1995).

16. E.W. Nicholson, Review of J. Van Seters, 'Abraham in History and Tradition', **JTS** 30, 1979.

17. Eilat Mazar, 'Is This the Prophet Isaiah's Signature?' **Biblical Archaeology Review** 44.2 (2018).

18. Estelle Whelan, 'Evidence for the early codification of the Qur'an', **JAOS** 118 (1998).

19. Gabriel Barkay, 'A Bulla of Ishmael, the King's Son', **Bulletin of the American Schools of Oriental Research**, No. 290/291 (May - Aug., 1993).

20. Gary A. Rendsburg, 'On the Writing Bytdwd in the Aramaic Inscription from Tel Dan,' **Israel Exploration Journal** 45 (1995).

21. Gerhard F. Hasel, 'The Genealogies of Gen 5 and 11 and Their Alleged Babylonian Background,' **Andrews University Seminary Studies** 16 (1978).

22. Graham Lawton, 'Why Darwin was wrong about the tree of life', **New Scientist** (January 21, 2009).

23. Hershel Shanks, 'First Person: Have You Seen This Seal?' **Biblical Archaeology Review** 26.1 (2000).

24. Hershel Shanks, 'Jeremiah's Scribe and Confidant Speaks from a Hoard of Clay Bullae,' **Biblical Archaeology Review** 13.5 (1987).

25. Islamic Awareness, The Arab-Byzantine "Three Standing Imperial Figures" Dīnār From the Time of Umayyad Caliph Abd al-Malik, 72-74 AH / 692-694 CE.

26. J. J. Finkelstein, "The Antediluvian Kings: A University of California Tablet," **Journal of Cuneiform Studies**, 1963, Vol. 17, No. 2.

27. James K. Hoffmeier, 'Out of Egypt,' **Biblical Archaeology Review** 33.1 (2007).

28. James K. Hoffmeier, "Out of Egypt," **Biblical Archaeology Review** 33.1 (2007).

29. Jeanna Bryner, Jerusalem's Ancient 'City of Quarries' Reveals City-Building Rocks, **Live Science**. May 09, 2013.

30. David Rodman, Review 'The forgotten kingdom: the archaeology and history of northern Israel,' **Israel Affairs**, 2005, 21:1

31. Jeremiah, 'Prophet of the Bible, brought back to life,' **Biblical Archaeology**, August 24, 2015.

32. John S. Justeson, 'Limitations of Archaeological Inference: An Information-Theoretic Approach with Applications in Methodology', **American Antiquity**, Vol. 38, No. 2 (April, 1973).

33. John P. Meier, 'John the Baptist in Josephus: Philology and Exegesis,' **Journal of Biblical Literature**, vol. 111, no. 2,.

34. *Kampmeier*, A. (1913) "Did John the Baptist Exist?," **The Open Court**: Vol. 1913 : Iss. 7 .

35. Kenneth A Kitchen, 'Shishak's military campaign in Israel confirmed,' **Biblical Archaeology Review** 15.3 (1989).

36. Kenneth A. Kitchen "The Patriarchal Age: Myth or History?" **Biblical Archaeology Review** 21.2 (1995).

37. Larry G. Herr, 'What Ever Happened to the Ammonites?' **Biblical Archaeology Review** 19.6 (1993).

38. Michael D. Coogan, 'Assessing David & Solomon,' **Biblical Archaeology Review** 32.4 (2006).

39. Millard, Alan R. 'The New Jerusalem Inscription—So What?', **Biblical Archaeology Review** 40.3 (2014).

40. N. Avigad, 'The Jotham Seal from Elath', **Bulletin of the American Schools of Oriental Research**, Oct., 1961, No. 163 (Oct., 1961).

41. Nadav Na'aman, 'Beth-David in the Aramaic Stela from Tel Dan,' **Biblische Notizen** 79 (1995).

42. Nadav Na'aman, 'Ekron under the Assyrian and Egyptian Empires', **BASOR** 332 (2003).

43. Nadav Na'aman, 'Cow Town or Royal Capital?', **Biblical Archaeology Review** 23.4 (1997).

44. Nahum M. Sarna, "The Last Legacy of Roland de Vaux," **Biblical Archaeology Review**, vol. 6, no. 4 (July-August 1980).

45. Nava Panitz-Cohen, 'To What God?' **Biblical Archaeology Review** 34.4 (2008).

46. Noah Wiener, Tel Rehov House Associated with the Biblical Prophet Elisha, Bible and archaeology news, **Biblical Archaeology Society**. July 23, 2013.

47. Patricia Crone, 'What Do We Actually Know About Mohammed', June 2008.

48. Robin Ngo, 'King Hezekiah in the Bible: Royal Seal of Hezekiah Comes to Light,' **Biblical Archeology**, June 09, 2020.

49. Rossella Tercatin, Key site from biblical kings' time unveiled near US Embassy in Jerusalem, **Jerusalem Post**, July 22, 2020.

50. Steven Collins, 'Where Is Sodom?, **Biblical Archaeology Review**39.2 (2013).

51. Tsvi Schneider, 'Six Biblical Signatures,' **Biblical Archaeology Review** 17.4 (1991).

52. William G. Dever, Excavating the Hebrew Bible, or Burying It Again?, Review: The Bible Unearthed, **Bulletin of the American Schools of Oriental Research**, Volume 322.

53. William G. Dever, and Aaron A. Burke. "Divided Kingdom, United Critics," **Biblical Archaeology Review** 40.4 (2014).

54. Yigal Levin, 'Did Pharaoh Sheshonq Attack Jerusalem?', **Biblical Archaeology Review** 38.4 (2012).

55. Yosef Garfinkel, 'The Birth & Death of Biblical Minimalism,' **Biblical Archaeology Review** 37.3 (2011).

56. Zivie, Alain. 'Pharaoh's Man, 'Abdiel: The Vizier with a Semitic Name,' **Biblical Archaeology Review** 44.4 (2018).

الكتب الفرنسية:

1. Bucaille, Maurice, **Les Momies des Pharaons et la Médecine**, Paris: Séguier, 1987.

2. Déroche, François, **Le Coran (Que sais-je?)**, Presses Universitaires de France, 2014

3. Pierre Maraval et Simon Claude Mimouni, **Le Christianisme Ancien des Origines à Constantin,** P.u.f./Nouvelle Clio, 2007.

الكتب العبرية:

בוסתנאי עודד, האוניברסיטה הפתוחה، תולדות עם ישראל בימי בית ראשון، אוניברסיטה הפתוחה ، 2008



وصية المرحوم
السيد سليمان السيد علي الرفاعي
غفر الله له ولوالديه ولذريته